



أطروحة مقدمة ليل شهادة الدكتوراه الطور الثالث ل م د:

صورة المرأة في الحكاية الشعبية الإفريقية دراسة في نماذج مختارة

مدير الأطروحة:
الدكتور أحسن دواس

إعداد الطالبة:
إيمان لعثمانة

لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	المؤسسة
الدكتور أحسن دواس	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتورة فريجة زيادي شيبان	أستاذة محاضرة أ	مشرفا مساعدا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتورة هامية يحيوى	أستاذة محاضرة أ	رئيسا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتورة إلهام بناني	أستاذة محاضرة أ	ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتورة بعاد هبيدة	أستاذة محاضرة أ	ممتحنا	جامعة العربي التبسي تبسة
الدكتور عبد الرزاق بوقطوش	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتور طارق بوهالة	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	المركز الجامعي ميله



أطروحة مقدمة ليل لتفاهدة الدكتوراه الطور الثالث ل م د:

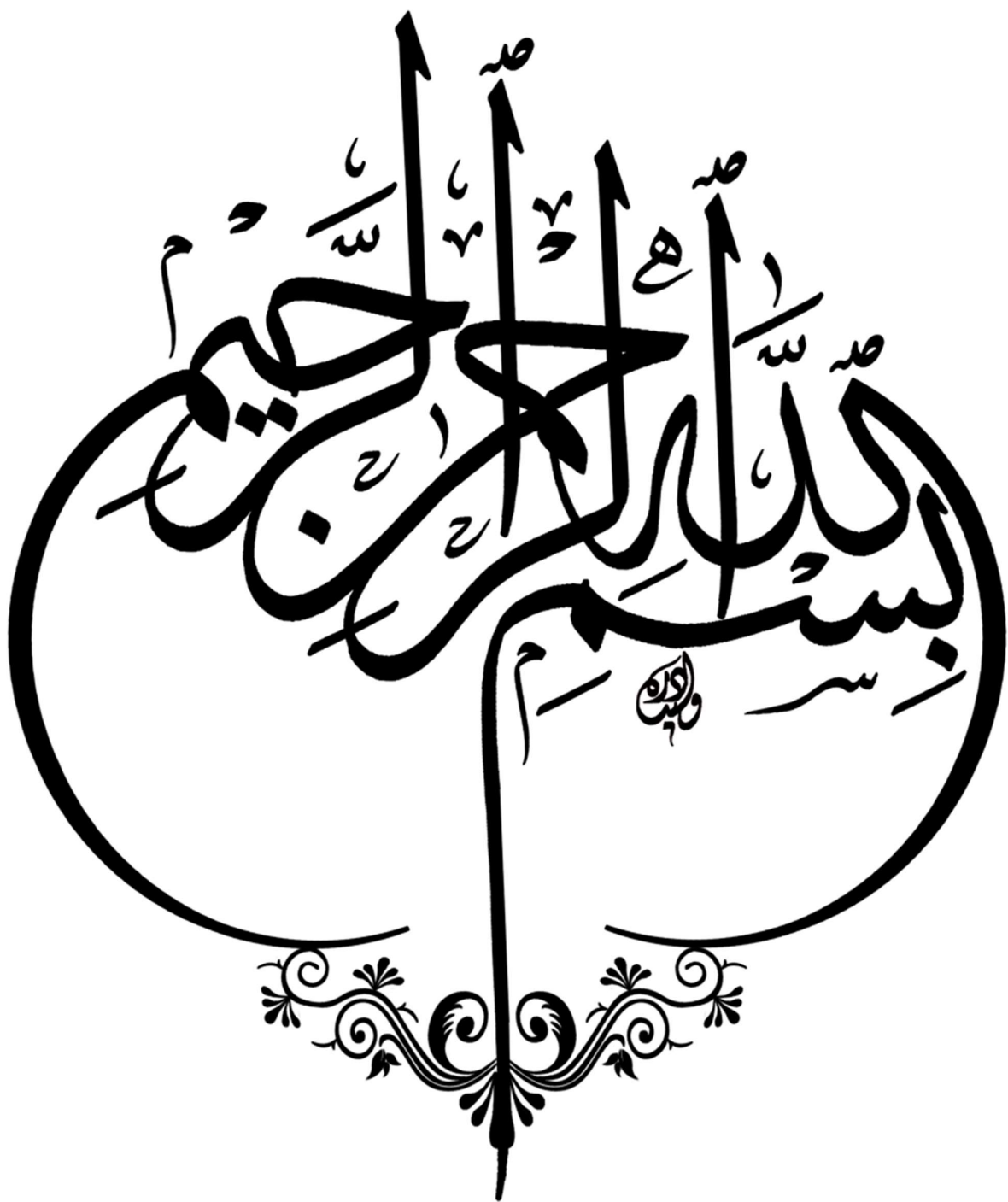
صورة المرأة في الحكاية الشعبية الإفريقية دراسة في نماذج مختارة

مدير الأطروحة:
الدكتور أحسن دواس

إعداد الطالبة:
إيمان لعثمانة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	المؤسسة
الدكتور أحسن دواس	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتورة فريجة زيادي شيبان	أستاذة محاضرة أ	مشرفا مساعدا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتورة سامية يحيى	أستاذة محاضرة أ	رئيسا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتورة إلهام بناني	أستاذة محاضرة أ	ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتورة سعاد حميدة	أستاذة محاضرة أ	ممتحنا	جامعة العربي التبسي تبسة
الدكتور عبد الرزاق بوقطوش	أستاذ محاضر أ	ممتحنا	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة
الدكتور طارق بوهالة	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	المركز الجامعي ميلة



كلمة شكر وتقدير

أولا وقبل كل شيء أحمد الله وأشكره على توفيقه لإتمام هذا العمل

وعرفانا بالجميل أقدم أسمى عبارات الشكر والعرفان، وأرقى معاني التوقير والاحترام إلى أستاذي المشرف الدكتور "أحسن دواس" ومساعد المشرف الدكتورة "فهيمة زياد يشيبان" الذين كان لهما الفضل دوماً بعد المولى عز وجل في تشجيعي.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذا العمل وسد ثغراته بنصائحهم وتوجيهاتهم القيمة.

كما لا يفوتني أن أعبر عن شكري وامتناني لكل من قدم لي يد العون والمساعدة من أجل إنجاز هذه الأطروحة.

مقدمة

مقدمة:

تعد الحكاية الشعبية من أكثر الأشكال التعبيرية تداولاً حيث تناقلها الناس عن طريق الرواية الشفوية منذ القدم ويلعب الخيال الشعبي دوراً كبيراً في صياغتها وفي تأطير بعض الأحداث التاريخية والشخصيات المبالغة والغرائبية، تتميز عن غيرها من الأشكال الحكائية بأن أبطالها هم من البشر أو الجن تقف عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية كمكر النساء ومكائد زوجات الرجل الواحد وقسوة زوجة الأب على الأبناء الذين تتدخل العناية الإلهية لإنقاذهم، فموضوع الحكاية الشعبية مترامي الأطراف تتناسل قضاياها باستمرار مما جعله قبلة لمقاربات متعددة تجدد غايتها، يمثل مرآة الحياة العامة التي تعيشها الجماعة بكل مكوناتها ذلك أن الحكاية الشعبية هي أساس لسان حال الطبقات الشعبية التي تعيش داخل مجتمعات تقليدية مغلقة لم تصلها بعد التحولات الحديثة التي استبدلت وسائل الاتصال والتثقيف التقليدية بوسائل جديدة مثل الإذاعة والتلفزة والمسرح والسينما والقصص المصورة والمكتوبة. لذلك فهي تحتفل بالأذن التي تسمع والذهن الذي يخزن الصور الكلامية وتشيد بدور الذاكرة الجمعية التي يخزن حكمة الأجيال والأساطير، ومن تلك المجتمعات وقع اختيارنا على المجتمع الإفريقي فالعادات والتقاليد والاعتقادات تنتقل بواسطة قناة الحكاية التي تلعب دور التسلية والمتعة والدهشة إلا أن دلالتها الأصلية والعميقة وهدف وجودها خاصة في المجتمعات الإفريقية هو نقل المعرفة إضافة إلى قدرتها على استيعاب الإنسان الشعبي الإفريقي بكل تقلباته وتطلعاته كونها عايشته في جميع مراحل نموه الفكري والاجتماعي والسياسي والنفسي...

ولما كانت المرأة من نسيج المجتمع وضلع في نشاطه اللغوي فقد شغلت الباحثين والدارسين فمنذ أن أشرقت على الأرض حضارة بني الإنسان والمرأة تحظى بنصيب غير قليل من تلك الحضارات على اختلاف الأمكنة والعصور، تناولتها بالبحث والدراسة علوم مختلفة كالتاريخ والفقه والأدب والاجتماع والقانون والسياسة وعلم النفس... لكونها تمثل قضية متجددة، إلا أن ثمة تناقض في موقف مجتمعنا الإفريقي خاصة الشعبي نحو المرأة فينقسم إلى حزين؛ حزب يعترف بحقوق المرأة وفاعليتها في المجتمع،

وقسم يقلل من قيمة المرأة الطبيعية والاجتماعية، بل يزدريها أحيانا ولهذا فإن التصدي لهذا الموضوع يكتسي أهمية بالغة كونه يعالج إشكالية مطروحة وهي إشكالية المرأة.

ومن هنا يمكننا الحديث عن أهمية الموضوع الذي اخترناه لبحثنا والذي جاء بعنوان "صورة المرأة في الحكاية الشعبية الإفريقية" وهو موضوع أحسبه في غاية الأهمية لسببين هما:

1. السبب الأول يتعلق بالجنس الأدبي الشعبي المختار، فلا شك أن أصدق ما يعبر عن وضع الفرد الاجتماعي والثقافي في مجتمع من المجتمعات الإنسانية هو أدبه الشعبي الذي أفرزه، ولعل الحكاية الشعبية من أهم أجناس هذا الأدب بما تحمله من روح شعبية وعلاقة ودية مع الطبقات الشعبية يثون فيها كل ما يختلج في صدورهم ويصور عاداتهم ومعتقداتهم كما جاءت زاخرة بالعديد من المعالم الحساسة التي تستدعي الانتباه للبحث والدراسة، ومن بينها المرأة.

2. أنه يتناول قضية المرأة، وهي قضية حساسة نظرا للدور المهم والخطير الذي تؤديه بصفة خاصة في الحكايات الشعبية، فهي الراوي والأداة الناقلة لهذا التراث الشفهي، وهي الشخصية المحورية التي تنظم الشخصيات داخل المتن الحكائي فيحدث ذلك التناغم والتشويق في الأحداث.

فصورت لنا الحكايات الشعبية الإفريقية نظرة المجتمع للمرأة بصفتها رمزا للخيانة والخطيئة والمكر والخداع حيث تنتهج الطرق الملتوية للتغلب على الرجل، وهو ما أشار إليه أحد الفلاسفة عندما ذهب إلى أن العدالة في قسمتها عادلة، فقد أعطت للرجل العقل وأعطت للمرأة الذكاء والدهاء وهو ما تصوره أغلب الحكايات الشعبية الإفريقية.

كما يختلف تصور القاص الشعبي للمرأة في الحكايات الشعبية عن تصوره لها في السير والملاحم الشعبية وذلك أمر بديهي ومنطقي، فالملاحم والسير قصص بطولي وميادين الصراع فيها هي الجهاد القومي ضد محتل غاصب أو عدو للدين أو الوطن أو خطر يهدد الأمة، ومن ثم تتطلب الأحداث أبطالا لهم مواصفات خاصة سواء كانوا من الرجال أو النساء.

ومن هنا تبرز الدوافع التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع فلعلّ الدافع المشترك المنبثق من الوعي المشترك لدى عموم الباحثين في مجال الأدب الشعبي وهو الرد على أولئك الذين يهاجمون الأدب الشعبي

بأنه أدب ذكوري النزعة لتحيزه الشديد للرجل واتخاذ موقف عدائيا من المرأة، ذلك أنهم لم يربطوا المأثورات بسياقاتها الاجتماعية والثقافية التي تروى فيها، كذلك أنهم لم يلتفتوا إلى تلك النماذج النسائية الإفريقية القابعة في ظل التخلف والجهل داخل قبائل لا تؤمن بالمساواة مع الرجل في أبسط ميادين الحياة وبذلك نكون بهذه الدراسة وإن صح التعبير قد ألقينا الضوء على المرأة الإفريقية في جميع حالاتها مثقفة، مهمشة، ومتمردة...

أما الدافع الثاني فهو المتعلق بجنس الحكاية الشعبية بحد ذاته، فما يجذب في هذا الجنس هو طابع الحكائية التي تسافر بخيال القارئ مع أبطال الحكاية وشخصياتها فتجعله يغوص داخل أحداثها ويعايشها بكل صدق فيأخذ منها العبرة، إضافة إلى معرفة أحوال المجتمع المنبثقة عنه كونها لسان حال الشعوب، وبناء على هذا جاء اختيارنا لجنس الحكاية بالتحديد لتنوع صورة المرأة وحضورها الفعال فهي البطلة وهي الخيرة والشريرة.

ولا تخلو أية دراسة من إشكال رئيسي أو جوهري تتفرع عنه عدة إشكالات أخرى فالإشكال الأساسي الذي تنطلق منه هذه الدراسة والذي نحاول الإجابة عنه يتمثل في التساؤل الآتي:

- ما الصور التي ظهرت بها المرأة في الحكايات الشعبية الإفريقية؟

وقد تفرع عن هذا الإشكال التساؤلات الآتية:

✓ ما الأدوار التي قامت بها المرأة في السرد الحكائي؟

✓ كيف صورت المرأة الإفريقية عادات مجتمعتها من خلال جنس الحكاية الشعبية؟

✓ هل اهتمت باقي الأجناس الشعبية بقضية المرأة، أم أهملتها؟

✓ كيف تجسدت المرأة في الأساطير من خلال الحكايات الشعبية الإفريقية؟

لأجل حل هذه المشكلات وفك شفراتها فقد اتبعنا في عملنا هذا الخطة الآتية:

قسمنا الدراسة إلى مدخل حول تاريخ وجغرافية القارة الإفريقية، وأربع فصول وخاتمة.

الفصل الأول جاء بعنوان: (الحكاية الشعبية، المصطلح والمفاهيم، والخصائص) والذي ضم مفاهيم الحكاية الشعبية حسب المهتمين بهذا النوع، ومكانته وأنواعه وخصائصه وأبعاده لننتقل إلى التشكيل الفني لجنس الحكاية الشعبية ومحاورها، ثم بناءها بعناصره.

أما الفصل الثاني: فقد كان مزيجاً بين التنظير والتطبيق، استهدف الحديث فيه إلقاء الضوء على الصور المختلفة للمرأة في الفنون الشعبية المختلفة، فجاء العنوان: ب (المرأة في المجتمع الإفريقي) تناولنا فيه المرأة في الفكر القديم وفي الأديان لمعرفة تاريخها في العصور والحضارات القديمة ونظرة الديانات السماوية لها، ثم الغوص في عوالم الأدب الشعبي بأجناسه المختلفة (من شعر وأمثال وأغنية شعبية بما تسنى لنا من نماذج) تأكيداً لحضور المرأة.

أما الفصل الثالث، وكان كذلك مزج بين النظري والتطبيقي تحت عنوان: (المكانة والعلاقات الاجتماعية للمرأة الإفريقية) جاء فيه البحث عن صور المرأة في المجتمع الإفريقي قبل الزواج، وفي مؤسسة الزواج، وصورتها بعد فشل تجربة الزواج، ثم الانتقال إلى مكانتها داخل المجتمع الإفريقي فهناك المرأة (المتقفة، والمهمشة والمستضعفة، والمتحررة والمتمردة) ثم درسنا المظاهر الاجتماعية للمرأة في المجتمع الإفريقي لتسليط الضوء على تقاليد وعادات المرأة الإفريقية في مناسبة الزواج، والمظاهر الثقافية للمرأة الإفريقية من خلال اللباس والتجميل، والموسيقى والرقص.

والفصل الرابع: الذي يعد لب البحث تحت عنوان: (تجليات صورة المرأة الإفريقية في الحكاية الشعبية) حيث ضم إطلالة خفيفة على الأدب الإفريقي وخاصة الشفهي منه وجمعه ثم دراسة العلاقة بين المرأة والحكاية الشعبية، وبعدها قمنا باستخراج جميع صور المرأة بصفاتها المتعددة (الطيبة والذميمة) من النماذج الحكائية الإفريقية التي وقع عليها اختيارنا لهذا البحث الواسع، حيث حاولنا التركيز على الحكايات التي تمثل فيها المرأة الشخصية الفاعلة والمحورية، حسب مراحل تطورها في الحياة، وحسب مكانتها في البيت، بداية من الأصل وهي الأم، ثم البنت، بعدها فتاة وأختاً وحببية، ثم زوجة وزوجة أب، وضرّة، وبعدها حماة وعلاقتها بالكنة، ثم عجوزاً، والمرأة بصورة الساحرة والصديقة.

ثم انتقلنا إلى البحث عن صورة المرأة في الأساطير من خلال الحكايات الشعبية الإفريقية، ذلك انطلاقاً من مفهوم أن الأسطورة هي أصل الحكاية الشعبية.

ولما كانت الدراسات العلمية الأكاديمية ذات الطابع العلمي لا تقوم إلا على منهج معين باعتباره المنارة التي تأخذ على عاتقها السير بالبحوث نحو التنظيم المنهجي المحكم استعنا بالمنهج "الموضوعاتي" في عملية نسج خيوط هذا البحث، بحكم أننا انطلقنا من نظريات الباحثين في مجال الحكاية الشعبية، مروراً بالبحث عن تيمة المرأة في حقول الأدب الشعبي، وصولاً إلى تطبيق هذه التيمة على جنس الحكاية الشعبية وبالتحديد الإفريقية منها واستخراجها.

ومن غير شك فإن هذا العمل كغيره لا يخلو من المصاعب التي تمنحه الدفع للوصول إلى الأهداف المرجوة، ومن هذه الصعوبات نذكر:

- انعدام الدراسات التي تجري في حقل الحكاية الشعبية الإفريقية، إلا بعض المراجع التي قامت على جمع نماذج من الحكايات من مناطق متفرقة في القارة الإفريقية.
- أن أغلب المراجع والرسائل الجامعية التي تحصلنا عليها تناولت صورة المرأة في بلد إفريقي واحد، أو رقعة جغرافية محددة من بلد معين.
- عدم توفر دراسات موثقة عن عادات المجتمعات والقبائل الإفريقية، باستثناء بعض المقالات المتناثرة في ثنایا المجلات والمواقع التي أفدنا منها على غرار مجلة قراءات إفريقية التي ضمت عدد من المقالات التي تحدثت عن المرأة الإفريقية داخل مجتمعاتها.
- ومن الدراسات والمؤلفات التي اعتمدناها كمراجع نذكر على سبيل المثال لا الحصر:
- كتاب حكايا سمراء للدكتور أحسن دواس والذي جمع نماذج من الحكايات الشعبية الإفريقية.
- العديد من المصادر المترجمة التي ضمت كذلك حكايات إفريقية انتقينا منها ما يهم بحثنا فقط مثل: كتاب أنانسي والرعد الذي ضم حكايات شعبية من غرب إفريقيا لدبليو اتش باركر و سيسيليا سينكلر والذي قامت بترجمته الدكتورة حنان شرايخة، وكتاب: الصيد المحظوظ، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية لإلفنستون داريل، ترجمة دنيا فرحات.

وأخيرا، أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني في هذا العمل المتواضع، كما أتوجه بالشكر الخاص إلى أستاذي المشرف الدكتور "أحسن دواس" ومساعد المشرف الدكتورة "فهيمة زيادي شيبان" الذين بفضل الله ثم بفضلهما وصلت بهذا العمل إلى ما تحمّلته طاقتي، وكانا خير محفز ومعين ومرشد على الرغم من تقصيري في بعض الأحيان، ونكون بذلك أردنا سد ثغرة في هذا الجانب وسواء قصرنا أو لم نقصر فذلك لنقص في الإنسان، وما الكمال إلا لله عز وجل، كما أتوجه بالشكر والعرفان للجنة المناقشة الموقرة التي ستقيم هذا العمل، ونرجو أن نكون قد وفقنا ونلنا رضاهم.

مدخل

الإطار الجغرافي والتاريخي لبيئة الحكي الشعبي

مدخل: الإطار الجغرافي والتاريخي لبيئة الحكي الشعبي:

تمهيد

إذا تصورنا الكرة الأرضية فإن إفريقية تبدو فيها كبيرةً حجماً، فهي ثاني أكبر القارات مساحة إذ تغطي نيفا وثلاثين مليوناً من الكيلومترات المربعة، وتمتد في نصفي الكرة الشمالي والجنوبي وعلى كل ركن من أركان العالم الأربعة تطل بنافذة من نافذة البحر المتوسط، تطل على أوروبا ومن نافذة المحيط الأطلسي غرباً تطل على العالم الجديد ومن نافذة المحيط الهندي شرقاً على آسيا، بينما تطل جنوباً على القارة القطبية الجنوبية عبر المحيط الجنوبي، وتتنوع مظاهر الطبيعة في القارة من الغابات الكثيفة إلى الصحاري الجرداء، ومن الجبال الحادة التضاريس إلى السهول الفسيحة والهضاب المنبسطة، كذلك كان التنوع في سكانها البالغين نيفا وأربعمئة مليون نسمة، يتفاوتون ما بين أكثر سكان العالم طولاً عند الواتوتسي (بورندي) وأقصرهم ممثلياً في أقزام زائير ضمت سلالات الأرض جميعاً من الزنجي إلى القوقازي وحتى المغولي الصيني تظهر ملامحه في ملجاشي⁽¹⁾

وزاد في التنوع العرقي دخول الأوروبيين والآسيويين واستيطانهم في شرقها وجنوبها وتظهر مجموعة المولدين الذين نتجوا عن اختلاط الأوروبيين بالعناصر الإفريقية والمعروفون بالملونين في جنوب إفريقيا أو المستيزو في أنغولا وموزنبيق، والذين يضمون أيضاً سلالة المالوية والاندونيسية التي جلبها الهولنديون الأوائل إلى جنوب إفريقيا للعمل في القرنين السابع عشر والثامن عشر.⁽²⁾

¹ محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقيا، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 1980، ص 5.

² المرجع نفسه، ص 5.

أولاً- جغرافية القارة الإفريقية وسكانها ولهجاتها:

تمتلك إفريقيا ثروات طائلة نباتية ومعدنية جعلتها تمثل المرتبة الأولى في كثير من الصادرات كالكاكاو والسمسم، والقطن، وزيت النخيل، والبقول السوداني، وفي النفط والغاز الطبيعي والنحاس، والمنغنيز والكوبالت والماس، والذهب و اليورانيوم والطاقة المائية.⁽¹⁾

1-جيولوجية القارة الإفريقية:

يتكون الجزء الأكبر من قارة إفريقيا من كتلة قارية ضخمة من جبال الأطلس شمالاً حتى مرتفعات الكاب جنوباً، وتشابه هذه الكتلة في أصلها وشكلها مع كتلة البرازيل في أمريكا الجنوبية، واللورنسية في أوروبا (2)

انفصلت كتلة إفريقيا عن قارة قديمة كبيرة (جندونا لاند) التي تتكون من مادة السيل ذات الكثافة المنخفضة، وتتمثل صخورها في الشيست والكوارتز، والفيلسيت والمرمر وغيرها من الصخور الجوفية، إضافة إلى تداخل كتل غرانيتية ضخمة، وتطفو مادة السيل فوق مادة السيم ذات الكثافة العالية.⁽³⁾ يعتقد أغلب الجيولوجيين بأن كتلة القارة الإفريقية القديمة كانت متصلة بقارات ما قبل الكامبري، وفي مرحلة الزمن الثاني الميزوزوي، بدأت كتلة قارة جندونا لاند تتكسر إلى كتل أصغر مكونة الكتل القديمة حيث تقع إفريقيا في موقع متوسط بين هضبة الدكن وأستراليا شرقاً والبرازيل غرباً، وأنتاركتيكا جنوباً حسب نظرية فجنر Wegener.⁽⁴⁾

يؤكد صحة هذه النظرية التشابه في السواحل الغربية لإفريقيا مع السواحل المقابلة لها في أمريكا الجنوبية من حيث شكل الساحل وكأتهما انفصالاً عن بعض، إضافة إلى التشابه في البنية في مرتفعات

¹ عبد القادر مصطفى الحيشي وآخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

ط 1، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، 2000م، ص 15-16.

² المرجع نفسه، ص 19.

³ المرجع نفسه، ص 19.

⁴ المرجع نفسه، ص 19-20.

الكاب بأمريكا الجنوبية متمثلة في مرتفعات (فنتانا)، وكذلك مرتفعات جنوب غرب القارة مع المرتفعات المقابلة لها في البرازيل.⁽¹⁾

2- أشكال سطح الأرض:

تمثل قارة إفريقيا في معظمها هضبة عالية وبذلك تختلف عن بقية القارات، بحيث لا تملك سهولاً واسعة كالتى تمتلكها آسيا مثل سهل سيبريا، وسهل الصين العظيم، وسهل الهندستان وسلاسل جبلية كبيرة وعظيمة كجبال الروكي والهمالايا، وبذلك يكون المظهر التضاريسي فريداً بالقياس إلى قارات العالم الأخرى، وهذا لا يعني أنها تخلو من تنوع تضاريسي فيوجد في داخل الهضبة مساحات مسطحة أو مستوية، تمثل سهولاً عليا، وكذلك هضبة البحيرات التي تكون أراضي زراعية مرتفعة تتخللها بعض العقد الجبلية المنفردة على هيئة مخاريط بركانية ضخمة، كما تنتشر بعض المناطق السهلية على هوامشها كسهل الكونغو وسهل جنوب السودان، وتنتشر في الصحراء الكبرى قمم وهضابا عالية وبشكل متميز جبال الحجارا في جنوب الجزائر وكتلة تبستي (3395م)، قممها بركانية ساكنة وجبال أكاكوس والهروج السود والعوينات في ليبيا، وكتلة دارفور في الجنوب الغربي للسودان 3452م⁽²⁾

يعد النشاط البركاني في أجزاء كثيرة من القارة مسئولاً عن تراكم العديد من القمم الجبلية العالية، كجبل الكامرون (4046م)، وجبل كلمنجارو (5895م) في تنزانيا، وجبل كينيا (5199م) وتصل قمة جبل إلجون إلى (4296م)، وفي أقصى الجنوب من القارة جبال داكتربرج في ليستو (3461م).⁽³⁾

3- تضاريس القارة الإفريقية:

تنقسم تضاريس القارة إلى عدة أقسام هي:

أ- الهضاب:

¹ عبد القادر مصطفى وآخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ص 20.

² المرجع نفسه، ص 35.

³ المرجع نفسه، ص 36.

أغلب سطح إفريقيا يتكون من هضاب مشهورة باتساعها، وتناسقها من حيث الارتفاع من خلال مساحات ضخمة، وتوجد في شرق القارة الجنوبي أعلى هضاب إفريقيا ويتراوح ارتفاعها ما بين 1200-1800م كما يصل ارتفاعها في مساحات جبال داكنزبرج (1500م) وتصل في مشارق الأودية الأخدودية في شرق القارة.⁽¹⁾

حيث امتدت فيها الجبال نحو كل صوب واتجاه، ولهذا نجد أن داخل الهضبة الإفريقية خال من الجبال الالتوائية الحديثة المعقدة التضاريس.⁽²⁾

ففي شمال القارة تمتد على طول ساحل البحر المتوسط هضبة عظيمة الاتساع وتشمل ما يعرف بالصحراء الكبرى التي تعد أكبر صحاري العالم، ويتميز سطحها بقلعة الارتفاع والاستواء بعكس الأقسام الأخرى من الهضبة الإفريقية، وتنحدر تدريجياً نحو الشمال حتى تلتقي بسواحل البحر كما في شمال مصر وخليج سرت في ليبيا.⁽³⁾

وتحتضن النهضة بعض التضاريس في جنوب الجزائر كمرتفعات الحجارة وجبال تبستي وأكاكوس ولعوينات والهروج السود والهوائش في جنوب ليبيا ومرتفعات دارفور غرب السودان، وتعد هذه الجبال بنايا لسلاسل جبلية قديمة قطعتها عوامل التعرية وحولتها إلى جبال تحاتية⁽⁴⁾

ب- الجبال:

تشمل الجبال في قارة إفريقيا جبالات قديمة التكوين وأخرى حديثة التكوين تمتد في شمال القارة جبال الأطلس، هي امتداد لجبال الألب التي تكونت ضمن الحركة الألبية التي مركزها أوروبا وتشمل سلسلتين جبليتين متوازيتين مع ساحل البحر المتوسط ومع امتداد ساحل المحيط الأطلسي، وتسمى السلسلة

¹ عبد القادر مصطفى وآخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ص 37.

² أحمد نجم الدين فليحة، إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، مطبعة الانتصار، الإسكندرية، د.ت، ص 128.

³ عبد القادر مصطفى وآخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ص 37.

⁴ المرجع نفسه، ص 37.

الساحلية أو الشمالية في المغرب، وأطلس التل في الجزائر والدورسال التونسي، والثانية تعرف بأطلس الصحراء.⁽¹⁾

أما في شرق القارة فتمتد مرتفعات البحر الأحمر في مصر والسودان، وهي جبال إنكسارية تقع إلى الغرب من البحر الأحمر، وتمتد من حافة الهضبة الحبشية في الجنوب حتى رأس خليج السويس في الشمال، وتنحدر بشدة نحو البحر وتدرجياً نحو الداخل، ويصل ارتفاع أعلى قممها إلى (2181م) في جبل الشايب في مصر.⁽²⁾

أما جنوب القارة فتنتشر فيها جبال تعود إلى الحركات الهرسينية، والتي برزت في أواخر الزمن الجيولوجي الأول وهي حركات التوائية قديمة في عصر الترياسي، وتسير باتجاهين متقاطعين في منطقة هيكس ليكونا تركيباً معقداً:

الأول شمالي جنوبي في غرب محافظة الكاب وشرقي غربي على طول الساحل الجنوبي والسلسلة الغربية منحدر من العقدة الجبلية المركزية المسماة سيرس ورستر، أما المجموعة الشرقية فتتمثل في سلسلتين متوازيتين مع ساحل المحيط الداخلية تسمى زفات برج، أما الجنوبية وتسمى لانج برج.⁽³⁾

ج- السهول:

تقسم السهول في القارة إلى سهول داخلية وسهول ساحلية، ويختلف اتساع السهول الساحلية في القارة من منطقة لأخرى، حيث في بعض الأحيان تتسع وأحياناً أخرى تطل الهضبة على السواحل مباشرة، وهي في الأغلب سهول ضيقة ففي أقصى شمال شرق القارة حيث سهول دلتا النيل التي يكثر فيها المستنقعات والبحيرات الملحية إلى إقليم مربوط، وتمتد السهول الساحلية في المغرب العربي، وتتميز بضيقها وعدم اتصالها بسبب تداخل سلاسل التل مع البحر وتمثل سهولاً منعزلة كسهل نونة وعنابة ووهران والملوية، وتمثل مناطق إنتاج زراعي وفير.⁽⁴⁾

¹ عبد القادر مصطفى وآخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ص 41.

² المرجع نفسه، ص 44.

³ المرجع نفسه، ص 44.

⁴ محمد رياض، كوثر عبد الرسول، إفريقيا... دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص 100.

أما سهول المحيط الأطلسي فتتمدد من طنجة حتى وادي درعه، وهي سهول غنية بحقولها ومروجها، وتمتاز بتركز سكاني عالي، وتتميز سهول المحيط الأطلسي بضيقها، حيث تشرف على حافة الهضبة القديمة على مياه المحيط باستثناء سواحل السنغال وغامبيا التي كونتها إرسابات نهر السنغال...⁽¹⁾

أما السهول الداخلية في القارة وهي قليلة لأن أغلب سطح القارة هضي وهذا لا يمنع من وجود بعض السهول كسهل وادي النيل الخصبة المنبسطة والمتكونة من ترسبات الغرين المنقولة من هضبة الحبشة، وتنتشر سهول وادي النيل داخل السودان كما في منطقة الجزيرة وسهل البطانة الذي يشتهر بزراعة عدد من المحاصيل بما فيها زراعة القطن، كما تنتشر السهول الداخلية في بطون الوديان الجبلية، وهي سهول قليلة المساحة كما في سهول نهر يسبو وسوسة.⁽²⁾

4- مناخ القارة الإفريقية:

تقع قارة إفريقيا ضمن الأقاليم المدارية والمعتدلة والديئية، ونتيجة لشكل القارة الذي يتميز باتساعه في النصف الشمالي وقلة اتساعه في النصف الجنوبي، فإن الأحوال في القسم الجنوبي أكثر اعتدالا بعكس النصف الشمالي الذي يتميز بالتطرف والجفاف، وقد كان لعدم وجود مسطحات مائية كبيرة داخل القارة وندرة الخلجان المائية الكبيرة وعدم بروز أشباه الجزر على طول سواحلها أثره في قلة تأثير العامل البحري على مناخ القارة.⁽³⁾

أ- الأقاليم المناخية للقارة:

تم تقسيم الأقاليم المناخية في القارة على أساس كمية الأمطار الساقطة ودرجات الحرارة إلى:

- المناخ الصحراوي: يشمل النطاق الجاف وشبه الجاف، ويتركز المناخ الجاف في نطاق الصحراء الكبرى ويمتد لعرض يتراوح من 1200-1400 كم، وهي أعظم المناطق الصحراوية في العالم، وتعتبر امتدادا إلى الصحراء الآسيوية حيث تتأثر بكتلة آسيا القارية وتمتاز بقلة أمطارها وتذبذبها حتى ضمن

¹ محمد عبد النبي سعودي، الوطن العربي-دراسة لملاحم الجغرافية، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص 38.

² فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية إفريقيا -دراسة إقليمية، دار المعرفة، الإسكندرية، 1987، ص 409.

³ وفيق حسين الخشاب وآخرون، الجيو مرفولوجية، ج1، مطابع جامعة بغداد، 1978، ص 101.

مرتفعات تبستي والأحجار بسبب تباعد أجزاءها من المسطحات المائية ووجود سلاسل جبال أطلس التي تعيق الرياح الشمالية الغربية الممطرة.⁽¹⁾

يظهر إقليم المناخ شبه الجاف في ثلاث مناطق تمثل طوق للصحراء السالفة الذكر التي يقل فيها التطرف الحراري بالإضافة إلى ارتفاع كمية الأمطار الساقطة كما توجد قيمة فصلية للمطر.⁽²⁾

- مناخ البحر المتوسط: يشمل المناطق الشمالية كما في المغرب والجزائر وتونس وأجزاء من ليبيا وجنوب غرب القارة، وبالذات مقاطعة "الكاب" ويتميز بأماطاره الشتوية المتذبذبة التي تسببها الجبهات الهوائية القطبية البحرية ودرجات حرارة تقدر ما بين 24-28 درجة مئوية في الصيف، وفي الشتاء 13 درجة مئوية، وتسقط أمطار شتوية تقدر ب 24 بوصة، ونطاق هذا الإقليم في القسم الجنوبي في إقليم الكاب بأماطار شتوية بسبب وصول الهواء القطبي المار على المحيط يسبب بروز جبهات هوائية، أما في الصيف فيكون جاف وحار.⁽³⁾

- المناخ المعتدل الدافئ: يشمل النصف الجنوبي الشرقي فيما بين 20-30 شرقاً وهو ذو مطر معتدل طول العام، ونتيجة لارتفاع النطاق زاد في كمية نزول المطر في الصيف.⁽⁴⁾

- المناخ المداري: يشمل مساحات واسعة من القارة، وهو انتقالي ما بين المناخ الجاف وأشباهه والمناخ المطير، ويمتاز بزيادة كمية الأمطار وتزداد كمية المطر كلما اتجهنا نحو العروض الاستوائية، ويسود الجفاف لمدة 4 أشهر في السنة فقط.⁽⁵⁾

- المناخ الاستوائي: ويتصف هذا النطاق بأن متوسط درجة الحرارة الشهرية 22 درجة مئوية والمدى الحراري السنوي قليل جداً بحيث لا يزيد عن 3 درجات مئوية، أما المدى الحراري اليومي فهو حوالي 8.5 درجة مئوية لسبب تأثير الشمس على حرارة الجو.⁽⁶⁾

¹ عبد القادر مصطفى الميشتي وآخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، ص 83.

² جودة حسنين جودة، جغرافية إفريقيا الإقليمية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 88.

³ المرجع نفسه، ص 89.

⁴ عبد القادر مصطفى الميشتي وآخرون، جغرافية القارة الإفريقية، ص 84.

⁵ المرجع نفسه، ص 84.

⁶ المرجع نفسه، ص 85.

ويمتد هذا النطاق من إقليم البحيرات الطويلة حتى حوض الكونغو، ومع الامتداد على ساحل خليج غينيا إلى ليبيريا في الغرب.⁽¹⁾

ب- العوامل التي تؤثر في مناخ إفريقيا:

- الموقع:

يؤثر كل من الموقع الفلكي والجغرافي تأثيرا كبيرا على تنوع المناخ في هذه القارة الواسعة فهي تقع بين خطي عرض 37 درجة شمالاً، و 35 درجة جنوباً، يخترقها خط الاستواء من وسطها كما يخترق المدارات الأقسام الشمالية والجنوبية، ومعنى هذا أن مناخ القارة مداري في جميع أجزائها وأنه يمتاز بالحرارة العالية باستثناء المناطق المرتفعة فالشمس التي تعتمد عليها الأرض في اكتساب الحرارة ترسل أشعتها على إفريقيا عمودية أو قريبة من العمودية طول العام.⁽²⁾

- اعتدال السلاسل الجبلية:

تختلف قارة إفريقيا عن القارات الأخرى في عدم وجود سلاسل جبلية، تمتد امتدادا عظيما في أطرافها كما هو الحال في الأمريكيتين مثلاً، فالقارة الإفريقية مفتوحة أمام الرياح التي تهب من الضغوط العالية، فلولا انبساط سطح القارة وعدم وجود الجبال العالية لما وصلت الرياح الموسمية الممطرة الجنوبية الغربية إلى جمهورية السودان والحبشة وهي القادمة من المحيط الأطلسي وخليج غينيا مختربة مئات الكيلومترات.⁽³⁾

- أثر الرياح والتيارات البحرية:

يعتبر توزيع الماء واليابس على سطح الأرض من أهم العوامل التي تتحكم في المناخ بعد موقع المكان بالنسبة لخطوط العرض، فالبحار مصدر الرطوبة واعتدال درجات الحرارة فهذه القارة تحيطها البحار من كل جانب فالمحيط الهندي والبحر الأحمر من الشرق، والمحيط الأطلسي من الغرب، والبحر

¹ محمد رياض، كوثر عبد الرسول، إفريقيا... دراسة لمقومات القارة، ص 194.

² أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية، ص 154.

³ أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية، ص 154.

المتوسط من الشمال، ويعتبر المحيط الهندي الممول العظيم لأقطار الأقسام الشرقية من القارة، كما يعتبر المحيط الأطلسي ممول القسم الغربي منها وبالنسبة للبحر المتوسط فهو مصدر الأمطار الشتوية واعتدال الحرارة على السواحل الشمالية للقارة، بينما تجد قلة أهمية البحر الأحمر في الأمطار وذلك لضيقه وإحاطته بمناطق جافة ومرتفعة الحرارة في شبه الجزيرة العربية.⁽¹⁾

- الغطاء النباتي:

يؤثر الغطاء النباتي على المناخ تأثيراً كبيراً، فالغابات الكثيفة التي تنمو في الجهات الاستوائية والمدارية من القارة تساعد بما يتبخر من أوراقها العريضة على زيادة الرطوبة في الجو وبهذا تكون عاملاً يسبب في غزارة الأمطار، كما تؤثر هذه الغابات والحشائش على النهايات العظمى والصغرى للمدى اليومي والشهري والسنوي للحرارة الذي يمتاز بالضالة.⁽²⁾

5- جزر قارة إفريقيا:

أ- جمهورية مالا جاشي (مدغشقر):

تتكون جمهورية مالا جاشي (مدغشقر) من جزيرة عظيمة التي كانت تسمى بجزيرة مدغشقر الواقعة في غرب المحيط الهندي، ولا يفصلها عن ساحل إفريقيا سوى مضيق أو قناة الموزنبيق حيث لا تزيد المسافة بين رأس سانت اندريه وبين ساحل القارة عن 400 كلم وتمتد هذه الجزيرة بشكلها المستطيل بين خطي عرض 12 درجة و 25 درجة جنوباً ويبلغ أقصى طول لها حوالي 1600 كلم، وأعظم اتساع من الشرق إلى الغرب 600 كلم... عرف العرب هذه الجزيرة وسكنوا سواحلها الشمالية الشرقية والغربية قبل أن يأتي البرتغاليون في القرن السادس عشر وقد أصبحت مستعمرة فرنسية عام 1960 بعد عدة ثورات ضد الحكم الفرنسي.⁽³⁾

ب- جزر سيشل:

¹ المرجع نفسه، ص 156.

² أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية، ص 157.

³ المرجع نفسه، ص 559.

تتكون جزر سيشل من عدة مجموعات تنتشر في المحيط الهندي إلى الشمال الشرقي من جزر القمر وعلى شكل قوس يبلغ طوله حوالي 1200 كلم. وأن المجموعة الجنوبية الغربية التي أكبرها جزيرة (الدبرة) عبارة عن جزر مرجانية خالية من السكان، وهي ملجأ للسحالف العملاقة التي تنتشر في سواحلها والتي اختفت من سواحلها المجموعة الشمالية الشرقية.⁽¹⁾

وإذا كانت جزر القمر الغربية قد عرفها العرب واستوطنوا فيها قبل الكشوف الأوروبية بمئات السنين فإن هذه الجزر (سيشل) لم يستوطنها أحد إلا في أواخر القرن السادس عشر عندما أقام بها الفرنسيون مستعمرة في جزيرة "ماهي" وحيث قضاوا على جميع السحالف وأشجار الغابات الساحلية الثمينة، وقد جلب هؤلاء المستوطنون معهم جماعة من الرقيق ليعملوا في الزراعة.⁽²⁾

ج- جزيرة مور بشيوس:

تقع هذه الجزيرة الخضراء عند خط عرض 20 درجة جنوباً إلى الشرق من جزيرة مدغشقر بمسافة 800 كلم وتبلغ مساحتها حوالي 2500 كيلومتر مربع وهي من أكثر الجزر كثافة بالسكان حيث يبلغ عددهم قرابة المليون نسمة وما يصيب الكيلومتر المربع الواحد 500 نسمة وهم في عددهم هذا يكونون مشكلة كبيرة نظراً لصغر مساحة الجزيرة وصغر حجم مناطق زراعة المحاصيل الغذائية والنقدية التي لا تزيد مساحتها عن 800 هكتار.⁽³⁾

أول من دخل واستوطن هذه الجزيرة من البيض هم الهولنديون في القرن السابع عشر وما لبثوا أن نزحوا عنها عام 1710م بعد أن خربوا غاباتها الساحلية من أشجار الأينوس الثمينة وقضوا على الطباء والوعول التي كانت تنتشر في مراعي الجزيرة الطبيعية، وبعد خروج الهولنديين من الجزيرة بخمس سنوات دخلها الفرنسيون بأعداد قليلة كانوا نواة لأعداد أكبر، وعلى الرغم من تكاثر الفرنسيين في هذه الجزيرة إلا أنها أصبحت من ممتلكات بريطانية منذ عام 1814م لذلك نرى أن جميع المثقفين فيها يتكلمون

¹ المرجع نفسه، ص 569.

² أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية، ص 575.

³ المرجع نفسه، ص 571.

الفرنسية بجانب إجادتهم للإنجليزية ويأتي الأفارقة بعد الجالية الفرنسية وهم من سلالة الرقيق الذين جيء بهم إلى الجزيرة للعمل في الزراعة والذين يدعون (كريوليس).⁽¹⁾

د- جزيرة رينيون:

إن هذه الجزيرة كجارتها في الشرق - جزيرة موريشيوس - بقيت غير مأهولة بالسكان حتى مجيء الفرنسيين في منتصف القرن السابع عشر الذين شاهدوا على سواحلها العديد من السلاحف العملاقة، وعلى أرضها الكثير من الطيور الكبيرة الحجم الغير قادرة على الطيران وعندما حلّوا بها قضوا على تلك السحالف وتلك الطيور وبدؤوا في استغلال أرضها البركانية في زراعة المحاصيل النقدية كالبن، وقصب السكر والأعشاب التي تستخرج منها العطور.⁽²⁾

تقع هذه الجزيرة إلى الشرق من الجزيرة الكبرى مدغشقر وإلى الجنوب الشرقي في جزيرة موريشيوس وعلى بعد 240 كلم منها وهي كما ذكرنا جزيرة بركانية تكثر فيها القمم الجبلية بفعل البراكين التي لايزال قسم منها نشطا تقذف الالفا لتسيل نحو مياه المحيط، وقد ترتفع تلك الجبال إلى أكثر من ثلاثة آلاف متر ونتيجة لارتفاع سطح هذه الجزيرة فأمطارها السنوية أكثر من الجزيرة المجاورة موريشيوس.⁽³⁾

هـ- جزر القمر:

تتكون جزر القمر من عدة جزر بركانية صغيرة تقع بين البر الإفريقي وبين شمال غرب جزيرة مدغشقر وقد عرفها العرب واستوطن بعضهم فيها منذ معرفتهم واستيطانهم الساحل المقابل في تنزانيا والموزمبيق بالإضافة لجزر زنجبار لذلك نجد أن معظم سكانها يدينون بالإسلام ويتكلمون اللغة السواحيلية المتأثرة بالعربية تأثيرا كبيرا وسكانها الذين يبلغ عددهم حوالي ربع مليون نسمة قد ضاقت بهم هذه الجزر الصغيرة لذلك أخذت الهجرة إلى الساحل الغربي لجزيرة مدغشقر المجاورة تزداد سنة بعد أخرى

¹ المرجع نفسه، ص 572.

² أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية، ص 574.

³ المرجع نفسه، ص 574-575.

وقد امتلك الكثير منهم أراضي زراعية على ذلك الساحل يقدر عددهم ب 25000 نسمة وهم في زيادة مستمرة... وقد حصلت هذه الجزر على استقلالها مؤخرًا بعد حكم دام أكثر من 150 عامًا.⁽¹⁾

و- جزيرة سنت هيلينا:

تقع هذه الجزيرة الصغيرة التي لا تزيد مساحتها عن 122 كلم مربع في جنوب المحيط الأطلسي على خط طول 45 و 50 درجة غربًا و 16 درجة جنوبًا، بعيدًا عن الساحل الجنوبي الغربي من القارة الإفريقية بمسافة 1900 كلم ولقد كانت مأهولة بالسكان وغير معروفة حتى عام 1502م عندما اكتشفها الملاح البرتغالي (كاستيلا) صدفةً في طريق عودته من رحلة قام بها من البرتغال إلى الهند، وهو الذي أطلق عليها اسم (سنت هيلينا) وبقيت بعيدة عن معرفة الأوروبيين حتى عام 1588م، عندما زارها الكابتن (كافندش) في طريق عودته من رحلته حول العالم.⁽²⁾

ز- جزر الكناري:

على الرغم من خضوع هذه الجزر لإسبانيا، وبالنسبة العظمى من السكان الذين ينتمون إلى أصل إسباني، فهي جزر إفريقية حيث تقع بالقرب من الساحل الجنوبي الغربي للمملكة المغربية بين خطي عرض 28 و 30 درجة شمالًا، وتتكون من سبع جزر، تبلغ مساحتها 9272 كلم مربع، أكبرها جزيرة تريف التي تقع فيها عاصمة الجزر الإدارية - سانتا كروز - من أكبر المدن التي يبلغ عدد سكانها حوالي 170,000 نسمة، يأتي بعدها في الأهمية مدينة لاس بالماس الواقعة في جزيرة جران كناريا التي لا تقل مساحتها عن مساحة الجزيرة الأولى وبعدها من السكان أكثر، ويتكون سطح هذه الجزر من مرتفعات تتخللها سهول بالإضافة للجزر الإفريقية الكبرى هناك عدة جزر صغيرة لا تزال يسيطر عليها الاستعمار الأوروبي على الرغم من فقرها ومن هذه الجزر: جزيرة فرنا ندو بورسيب، وساوتومي الواقعة في القسم الشرقي لخليج غينيا لا تبعد كثيرًا عن الساحل الإفريقي.⁽³⁾

ثانيا- سكان إفريقيا:

¹ المرجع نفسه، ص 576-577.

² أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية، ص 576.

³ المرجع نفسه، ص 578.

تنتشر في إفريقيا عدة سلالات بشرية، ينتمي بعضها إلى الجنس القوقازي والبعض الآخر إلى الجنس الزنجي مع وجود مجموعات صغيرة تكون سلالات صغيرة قديمة استوطنت مناطق منعزلة من القارة هي سلالات البشمن والهوتنتوت والأقزام بالإضافة لوجود سلالات بشرية لها صفات مشتركة بين القوقازية والزنجية.⁽¹⁾

وقد اختلفت النظريات بالنسبة لنشوء هذه السلالات في إفريقيا وخاصة بالنسبة للسلالات الزنجية حيث تذكر النظريات القديمة من أصل الإنسان كان جنوب غرب آسيا حيث تكاثر فيها ثم انتشر على شكل موجات بطيئة في أرجاء العالم، واستقرت في مواطن جديدة تأثرت صفاتها الجنسية من شكل ولون البيئة الطبيعية الجديدة.⁽²⁾

وعلى هذا الأساس نكتفي بالإشارة إلى تقسيم السلالات البشرية في القارة الإفريقية ذلك أنه مهما قمنا بالبحث في أصل الشعوب سواء في إفريقيا أو في جميع أنحاء العالم فإننا لن ننته من ذلك كون الإنسان دائم الحل والترحال، وأينما حل يترك حبل وصلٍ لهف إفريقيا تضم:⁽³⁾

✓ القوقازيون.

✓ الزنوج من شماليين أو سودانيين ومن جنوبيين أو بانتو.

✓ الزنوج الحاميين أو أنصاف الحاميين.

✓ البشمن والهوتنتوت والأقزام.

ثالثاً- اللهجات في إفريقيا:

اللغة هي وسيلة تواصل الإنسان بأخيه الإنسان، عبرها يمكن التخاطب والتفاهم ومن خلالها كذلك تتم تنمية المعارف العلمية والقدرات الفنية وتدوين المشاعر والحالات الوجدانية وفوق هذا كله

¹ المرجع نفسه، ص 189.

² أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية، ص 189.

³ المرجع نفسه، ص 190-191.

فإن اللغة مركبة يتم عبرها التبادل الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، ومن هنا فإنها وسيلة لرتق النسيج الاجتماعي بين المجموعات السكانية في إفريقيا كما أنها وسيلة لربطهم في شتى المجالات.⁽¹⁾

وقد أصبح اليوم «كل من يسعى لتصنيف لغة إفريقية ما يفعل ذلك على ضوء تصنيف العالم الأمريكي جوزيف غرينبيرج (1963) وكأنما هذا التصنيف هو الوحيد الأوحده لا سابق له ولا لاحق ولكن الحقيقة غير ذلك، إذ بدأت محاولات تصنيف اللغات الإفريقية منذ أكثر من مئة عام قبل غرينبيرج»⁽²⁾

على الرغم من كثرة اللغات الإفريقية الوطنية إلا أنها إلى يومنا هذا في الدرجة الثانية حيث تأتي بعد اللغات الأوروبية التي تحتل المرتبة الأولى للتداول الرسمي في الدول الإفريقية وذلك باستثناء اللغة العربية التي سادت لغة رسمية لعدد من البلدان العربية الإفريقية واللغة السواحيلية التي اعتمدت حديثا لغة رسمية لدولة تنزانيا.⁽³⁾

1- تصنيف كبرى اللغات الوطنية في إفريقيا:

- شمال إفريقيا: اللغة العربية.
- شرق إفريقيا: اللغة الصومالية ولغة الأرومو.
- شرق ووسط إفريقيا: اللغة السواحيلية.
- وسط إفريقيا: لغة لنغالا.
- جنوب إفريقيا: لغة أفريكانز.
- غرب إفريقيا: الهوسا، الماندنغو، وال فولاني، وليوريا.⁽⁴⁾

رابعا - تاريخ قارة إفريقيا:

¹ يوسف الخليفة أبو بكر وآخرون، اللغات في إفريقيا، مقدمة تعريفية، ملتقى الجامعات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية ط1، الخرطوم، 2006، ص 43.

² يوسف الخليفة أبو بكر وآخرون، اللغات في إفريقيا، مقدمة تعريفية، ص 1.

³ المرجع نفسه، ص 43.

⁴ المرجع نفسه، ص 44.

تاريخ إفريقيا القديم هو تاريخ الحياة البشرية الأولى على سطح الأرض وتطورها عبر فترة تقدر على الأقل بنحو ثلاثة ملايين عام، لأنه أصبح من المسلم به الآن، وعلى نطاق واسع بأن إفريقيا هي مهد الإنسان الأول، فحتى وقت قريب كان من المرجح أنه نشأ في مكان آخر، ليس في أوروبا ولا في الأمريكيتين، بل في آسيا وجنوب غربيها على وجه الخصوص، ولكن عدل عن هذا الرأي بفضل أبحاث وحفريات دكتور "ليكي" Leakey, L.S.B. وزوجته في شرقي إفريقيا واكتشافه في يوليو عام 1959م لجمجمة حفرية لنوع بشري (وهو إما مخلوق بشري أو من أسلاف البشر) يرجع تاريخه إلى ما يقرب من مليوني سنة وقد وجد بجانب الجمجمة بعض الآلات الحجرية وقطع من عظام الحيوانات التي اصطادها وأكلها في ذلك الموقع، ورغم أن هذه الجمجمة لم تكن أولى الحفريات البشرية التي اكتشفت في إفريقيا فإن وجود تلك الآلات الحجرية بجوارها معناه قدم وجود أسلاف البشر الذين توصلوا إلى مستوى تقني بدائي لمعرفتهم صناعة الآلات الحجرية، وقد أطلق "ليكي" على هذه الحفرية لفظ "القرود الجنوبي" *Australopithecus* لشبهه بنظيره الذي اكتشف في إفريقيا الجنوبية، وأطلق عليه أيضاً "كاسر البندق" *Nutcracker* وذلك لضخامة ضروسه التي كان يستعملها لكسر العظام وطحن النباتات والحبوب الجافة، كما أطلق عليه الإنسان الصانع *Homo Habilis* أي الإنسان الذي يصنع الآلات، هذا وقد تم اكتشاف حفريات أخرى تنتمي لهذه الفترة في شمال إفريقيا، في المغرب وتونس، ووجدت معها آلات حجرية متنوعة وإن كانت كلها صغيرة الحجم لا يتعدى طولها ثلاث أو أربع بوصات ومن المرجح أن ذلك الإنسان كان حجمه صغيراً وطوله أقل من خمسة أقدام، وقوته العضلية أقل من الإنسان الحالي ومخه صغيراً يتراوح حجمه بين 500-600 سم مكعب، وأنه كان يعيش في مجموعات صغيرة تتراوح بين عشرة أفراد والخمسين فرداً.⁽¹⁾

وفي زمن متقدم نسبياً أو منذ نحو مليون سنة ظهر نوع بشري أكثر تطوراً، أطلق عليه الإنسان المنتصب *Homo Erectus* أو صاحب الحضارة الأشولية، وعثر عليه في جاوة بفضل أبحاث دكتور "يوجين ديبوا"، وقد وجد هذا النوع البشري في جهات عديدة من إفريقيا في شرقها وجنوبها، يتميز بأنه

¹ محمد عبد الغني، قضايا إفريقيا، ص 9-10.

أقرب إلى النوع الحالي فيتراوح حجم مخه بين 770 سم مكعب ومنه ما بلغ 1600 سم مكعب وكان يقف منتصبا، وكانت لديه القدرة على صناعة آلات وأدوات أفضل، بل وتعلم الآخرين كيفية صنعها، ومما يدل على أنه كان أكثر تطورا أيضا تنوع آلاته وكبر حجمها كالفؤوس، والمكاشط التي كانت تصل إلى ثماني بوصات طولا، والتي كان يصنعها الكوارتز أو أي حجر مناسب، ويبدو أنه كان لديه وعي بجمال المظهر، ففي إحدى المواقع التي عثر فيها على تلك الآلات في أولدفاي (شرق إفريقية) وجدت معها قطع من أكاسيد الحديد الذي مازال يستعمل لتلوين الجلد باللون الأحمر، وبالبحث عن مصدر هذا الأكسيد وجدت أنها تقع على بعد 50 ميلا من هذا الموقع، مما يدل على أن إنسان هذا العصر قد جلبها من هناك إلى معسكره، وكان انتشار هذا النوع البشري في جهات كثيرة من إفريقية وأوروبا وآسيا مما يدل على أنه كان باستطاعته أن يكيف نفسه، وأنه كان قادرا على استخدام آلاته وذكائه للحصول على الطعام والمأوى، وحماية نفسه والدفاع عنها ضد أعدائه الطبيعيين في بيئات مختلفة تتراوح بين الباردة والدفيئة، ولم يسكن في إفريقية أقاليم الغابات ولكن انتشاره كان واسعا في أقاليم المراعي في شمال وشرق وجنوب القارة، وقد ظهرت أكوام من الصخور في كثير من المواقع التي كان يحتلها كما هو الحال في "ألورجيسايلي" Olorgesailie في "كينيا"، ويبدو أنها كانت تستخدم كمصدات للرياح أو كنوع من المأوى، ومن المعتقد أنه كان يتغذى بالمواد النباتية والحيوانية معا.⁽¹⁾

ولكن الشواهد تدل على أنه كان يصطاد الحيوانات الكبيرة إلى جانب الصغيرة، ففي الموقع السابق الذي ذكرناه في كينيا وجدت هياكل عظيمة لأفراس النهر مع بعض الأدوات الكبيرة الحجم، والمرجح أنها صنعت خصيصا لتقطيع تلك الأنواع الكبيرة، ولذلك يظن أن الإنسان المنتصب القامة استخدم تقنيات مختلفة لاكتشاف هذه الحيوانات الضخمة واصطيادها وقتلها، ومن المعتقد أنه كان بإمكانه التحكم في النيران بحيث يشعل الحرائق فيدفع الحيوان في اتجاه معين حيث ينتظره عدد من الصيادين بالحربا فيرمونه بالحجارة الثقيلة.⁽²⁾

¹ محمد عبد الغني، قضايا إفريقيا، ص 11-12.

² المرجع نفسه، ص 12.

ورغم تفوق هذا النوع البشري فإنه كان أقل ذكاء وابتكاراً من خلفه الإنسان العاقل Homo Sapiens أو الإنسان المفكر thinking، فلقد ظل الإنسان المنتصب القائمة لفترة تبلغ نحو نصف مليون سنة وهو مستمر على حياته التي ذكرناها وصانعا نفس تلك الأدوات مع تطور بطيء للغاية لذلك فقد كتب عليه الاختفاء كأسلافه من البشر لذكائه المحدود وقلة حيلته، ومفسحا الطريق لخلفه إنسان العصر الحديث، الإنسان العاقل.⁽¹⁾

ولقد اتفق اختفاء الإنسان المنتصب القائمة وظهور الإنسان العاقل مع تغيرات مناخية رئيسية شملت القارة الإفريقية بأكملها كما شملت بقية أجزاء العالم، إذ اتفق هذا مع آخر الموجات الجليدية التي بدأت منذ سبعين ألف عام وانخفضت فيها درجات الحرارة فيكل أنحاء الكرة الأرضية وازداد حجم وامتداد الغطاءين الجليديين في القطب الشمالي والجنوبي، وأصبح جزء كبير من شمال وشرق إفريقيا أكثر رطوبة، فانتشرت الأشجار والحشائش في أراض تغطيها الحشائش أو الصحاري في الوقت الحاضر، وأجبرت الغابات المدارية الرطبة على التقهقر والتقلص في المساحة، هذه التغيرات العظيمة في المناخ أثرت بلا شك في الحياة النباتية والحيوانية، من ثم فخلال هذه الفترة انقرضت الحيوانات العشبية الضخمة مفسحة الطريق للأنواع الحديثة، ولا بد أن العصر الجليدي قد واجه الإنسان المنتصب القائمة والإنسان العاقل بصعوبات وتحديات خطيرة للغاية، ويستدل من بقايا الحفريات البشرية والأدوات المستخدمة على أنه حدثت تطورات خطيرة في الفترة الممتدة من 70 ألف إلى 35 ألف قم، أهمها اختفاء الإنسان المنتصب القائمة وظهور الإنسان العاقل الذي أطلق عليه في أوروبا إنسان نياندرتال وفي إفريقيا إنسان روديسيا ولا يختلف في صفاته الجسدية عن الإنسان الحالي إلا في ضخامة جسمه بعض الشيء مع اختلاف في الوجه والرأس فمازال لديه الفك الضخم والأسنان الكبيرة التي تميز النوع البشري في مراحل الأولى فضلا عن بروز عظام الحاجبين، ولكنه منتصب القائمة تماما، ويزيد حجم مخه على 1200 سم مكعب ويبلغ طول قامته نحو خمسة أقدام وست بوصات، وقد مرت صناعة الأدوات التي استخدمها هذا الإنسان العاقل بتطورات خطيرة، بل وثرورية خلال هذه الفترة، بالمقارنة بنصف مليون

¹ محمد عبد الغني، قضايا إفريقيا، ص 12.

السنة السابقة التي عاشها الإنسان المنتصب القائمة، فظهرت تقنيات جديدة في صناعة الأدوات الحجرية، وأنواع جديدة من الأدوات والخامات المشتقة منها تلك الأدوات، فلم تعد الصخور هي الخام الوحيد، بل استخدمت عظام الحيوان والعاج وكان لكل نوع استخدام خاص، يتفق والإقليم الذي صنع فيه فهناك المكاشط والسكاكين والجرايب، ونصال الفؤوس، وغيرها مما استعمل في نشاط ذلك العصر وكان موجهها أساسا لجمع النباتات البرية والصيد وأنتج ذكاء الإنسان العاقل هذه الأدوات مهذبة ومعدة بطريقة تدل على المهارة فكانت أكثر فعالية، سواء في الحفر أو القتل أو السلخ والقطع، كما نشطت الصناعات الجلدية التي كانت من مميزات العصر الحجري الوسيط، لذلك تعددت الأنواع الحيوانية التي استطاع اصطيادها، وبلغت في إحدى المواقع ثمانية وثلاثين نوعا وكان ظهور عدة مواقع تحتوي على عظام حيوانية أسفل الجروف الصخرية معناه أن الإنسان كان يتبع طريقة خاصة لمطاردة الحيوانات إلى الجروف الصخرية حتى تسقط وعندئذ يقوم بسلخها وأكلها عند حضيض تلك الجروف، وربما استخدمت النيران لمطاردة تلك الحيوانات، وهكذا أشارت حفريات هذا الإنسان في النوبة المصرية، وفي برقة بليبيا وفي المغرب وروديسيا وجنوب إفريقيا وأنجولا.⁽¹⁾

¹ محمد عبد الغني، قضايا إفريقيا، ص 14.

فصل أوّل

الحكاية الشعبية، المصطلح، المفاهيم
والخصائص

فصل أول: الحكاية الشعبية، المصطلح، المفاهيم والخصائص

تمهيد

ورث كل شعب عن أسلافه ثروة تراثية حافلة بالتجارب والخبرات انتقلت من جيل لآخر عبر تواتر الأزمنة، منها ما اندثر نتيجة التغيرات الأنثروبولوجية ومنها ما بقي راسخاً بالذاكرة الشعبية، فالتراث مادة حية صادرة عن الشعب يعبر من خلالها عن مشاعره وعاداته وتقاليده وأعرافه، كما أنه ليس محصلة عصر واحد فحسب، وإنما هو ناتج عن مخلفات عصور قد خلت، والسر في استمراريته استحواذه على مجموعة من الجماليات تعمل على بقاءه حيّاً ومتداولاً، وهذا ما اتسم به جنس الحكاية الشعبية الذي لا يزال يتخلل أحاديثنا اليومية تستشهد الروايات لما يشتمل عليه من مضامين عاكسة لتجارب أجدادنا ومحافظ على هويتنا.⁽¹⁾

أولاً: مفهوم الحكاية الشعبية:

1- لغة:

ما يحكى ويقص، وحكى الشيء حكاية: أتى بمثله، وهذا مرتبط بالمحاكاة، أي محاكاة حال واقعة متخيلة.⁽²⁾

وهناك من يعرفها بأنها من المحاكاة، الحكاية: كقولك حكيت فلاناً وحاكيت: فعلت مثل فعله، أو قلت مثل قوله، سواء لم أجازه وحكيت عنه الحديث حكايةً، يقول ابن سيده: وحكيت عنه حديثاً في معنى حكيت، وفي الحديث: ما سريني أني حكيتُ إنساناً وأن لي كذا وكذا أي فعلتُ مثل فعله، يقال: حكاه وحاكاه، وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة والمحاكاة المتشابهة، تقول: فلان يحاكي الشمس حسناً ويحكيها...⁽³⁾

¹ سومية أمزيان، مضامين الحكاية الشعبية الجزائرية، مجلة الحوار الفكري، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، ص 598.

² نادر قاسم وديانا ندى، الحكاية الشعبية في شعر وليد سيف، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج 30 ع 6، نابلس، فلسطين، 2016، ص 1136.

³ أحمد التيجاني سي كبير، الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، مجلة الأثر، ع 19، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر) جانفي 2014، ص 125.

إذن فالمفهوم اللغوي يحوي في طياته معنيين هما (المحاكاة والإحالة) فالمحاكاة كما عرفها أرسطو طالس بأنها تتمثل في الشعر الملحمي والتراجيدي والكوميدي والديراميات والصفر في الناي واللعب على القيثارة... بوجه عام هي أشكال المحاكاة الإنسانية الفنية" ولكنها في نظره تختلف في ثلاث أنحاء وهي (المادة، الموضوع، الطريقة) وبالتالي فهذا الفن الأدبي (الحكاية الشعبية) يعتبر وجه من أوجه المحاكاة الفطرية التي اتخذت لنفسها مادة وهي السرد وموضوع الحياة الاجتماعية والنفسية للمجتمعات البشرية الشعبية، وطريقة خاصة وهي النظام الرمزي المتمثل في (العجائبية والسحرية والسخرية واللاعقلانية... وغيرها من أدوات تجاوز المنطق والواقع معًا) وبالتالي فإن المعنى الأول للمحاكاة متحقق في الحكايات الشعبية بوجه واضح وملفت للانتباه.⁽¹⁾

2- اصطلاحاً:

ولدت الحكاية الشعبية من رحم أحاسيس الناس ومشاعرهم لأنها تنشئ نفسها بشكل مباشر لكنها تؤمن بالعوالم التي تعمل على نداء المكتوب سنداً إعلامياً لها ليستمد إعلانه من جمالية تنهض على التداول، فالتعامل مع الحكاية بوصفها منظومة تخلق الصورة المعبرة في فضاء الطقس وهو إنعكاس العالم والحياة في الذات لأن «التحديد المفهومي للحكاية الشعبية يقترب من الصورة التي تتغذى من التجارب الفردية أو الجماعية وهذا مفهوم يتجسد في (ذاكرة الجماعة) ويتحول إلى وعي مفارق يتمرد ليسقط ذاته على فضاءات تعمل على إخراج المسرود إلى خير المعلوم، فيتحول إلى إستراتيجية تواصل قابلة للتفاعل، لأنه سيشكل ذاته من خلال المسار السردى للحكي ويحاول أن يشغل على مساحة الإيصال المتمثل بالتحويل والإيحاء»⁽²⁾

فالحكاية الشعبية تعبير موضوعي واقعي غير منقطع عن الزمان والمكان، إذ تجري في واقع تاريخي فعلي وبطابع جدي، تتحدد أهم عناصرها التجنيسية المخصوصة بها في الوعي بمفارقات الحياة الواقعية، والارتباط بها، وإعادة تشخيص المواقف المجهولة وغرابة الواقع الحسي المألوف، ونقد سلبيات المجتمع،

¹ التيجاني سي كبير، الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، ص 125.

² المرجع نفسه، ص 82.

بهدف إصلاحه والاضطلاع بوظيفة تعليمية ترسخ القيم الأصلية بين الجماعات الشعبية وتدافع عنها، ومن هنا يؤخذ هذا النوع من القصص الشعبي مأخذ الحقيقة والجد.⁽¹⁾

فهي «من الشعب وأسلوبه في التعبير عن حياته وأفكاره كما تعد ذاكرته التي تحفظ وتنقل ما تحفظه من أخلاق وأفكار وظواهر اجتماعية وأسرية وتجارب وخبرات الإنسان من جيل إلى أجيال»⁽²⁾ تعرف نبيلة إبراهيم الحكاية الشعبية نقلاً عن المراجع الألمانية بأنها: «الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر، أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخص ومواقع تاريخية»⁽³⁾

أما المعاجم الإنجليزية فتعرفها على حد قول نبيلة إبراهيم: «بأنها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور وتتداولها شفاهاً، كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية الصرفة أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ»⁽⁴⁾

يعرفها يوسف نجم بأنها: «مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب وهي تناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض»⁽⁵⁾

تختلف الحكاية الشعبية عن الحكاية الخرافية، فهذه الأخيرة ذات مكونات أجناسية مميزة لها، تتحدد في شدة قصرها المطرد وفي بساطة بنائها المهيكل على أساسين اثنين، تعرض في الأول الحادثة المجسدة للمغزى، ويركز في الثاني الموقف الأخلاقي المباشر، كما أن أبطالها غالباً ما يكونون بلا أسماء وعددهم قليل، وغالباً ما يتعلق الأمر ب (المعتدي، الضحية، الوسيط) وهم إما من الحيوان، أو النبات، أو الجماد، أو الظواهر الطبيعية كالشمس والرياح... الخ.

¹ التيجاني سي كبير، الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، ص 75.

² توفيق عزيز عبد الله، الحكاية الشعبية، دار زهران للنشر والتوزيع، ط 1، المملكة الأردنية الهاشمية، 2012، ص 7.

³ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1981، ص 91.

⁴ المرجع نفسه، ص 91.

⁵ محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر، ط 1، بيروت، 1996، ص 9.

والأبطال فيها يؤنسون بإسقاط الخصائص البشرية عليهم على الرغم من احتفاظهم بالسمات الطبيعية الأصلية فيهم، بل وقد يكون البشر أحياناً من أبطال الحكاية الخرافية أيضاً.⁽¹⁾

«الحكايات والقصص الشعبية كانت ومازالت شائعة، وكانت النساء يقصصن على الصغار حكاياتهن، وتلك الحكايات بشكل عام خرافية، والحكاية تعتبر من أقدر الآداب على تمثيل الأخلاق والعادات، إذ تخزن تراث الأمة وتصون اللهجات من الإندثار»⁽²⁾

فهو نمط أدبي اختاره الإنسان ليكون إطاراً ينقل به أفكاره ومعتقداته وفلسفته، في غلاف من التسلية والتشويق يجعل الحفاظ عليها أمراً طبيعياً وحتمياً.⁽³⁾

كما تمثل الحكاية جانباً من الثقافة للشعب وحياته الروحية، فضلاً عما تحمله من لمحات تاريخية لها دلالتها الخاصة وتعبّر عن حب الناس للعدل والحرية والسلام، وعادة ما تكون لغتها بسيطة.⁽⁴⁾

والحكايات بمجملها قديمها وحديثها من كنوز المعرفة التي لا تقدر بثمن، فمضمونها وقف على تاريخ الإنسان لذلك تعد مصدراً خصباً من مصادر دراسة تفكير الشعوب ورؤيتها للكون ومعرفة مواقفها من القضايا الجوهرية.⁽⁵⁾

فالسحر الخاص الذي تمثله الحكاية الشعبية هو ضمن السحر العام للتراث الشعبي بشكله الأصيل، وبقابليته للحضور والتوظيف وإعطاء التجربة الأدبية خصوصيتها المميزة لاسيما أن تراثنا الشعبي مليء بالإيحاءات ورموزها ودلالاتها العميقة.⁽⁶⁾

ثانياً: مكانة الحكاية الشعبية:

الدراسات العربية والأجنبية للحكاية الشعبية قليلة جداً نسبةً إلى الأنماط الأدبية الأخرى كالشعر والرواية والقصة القصيرة، فقد قدمت الدكتورة نبيلة إبراهيم في كتابها "الحكاية الخرافية" التفريق بين

¹ محمد يوسف نجم، فن القصة، ص 75.

² محمود عبد الحفيظ الزيتاوي، إضاءات من التراث الفلسطيني، دار عمار، عمان، 2005، ص 286.

³ غسان الحسن، الحكاية الخرافية في ضفتي الأردن، ط 1، دار الجبل، دمشق، 1988، ص 11.

⁴ نادر قاسم وديانا ندى، الحكاية الشعبية في شعر وليد سيف، ص 1137.

⁵ المرجع نفسه، ص 1137.

⁶ المرجع نفسه، ص 1138.

الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية، فالحكاية الخرافية عندها وريثة للأسطورة في حين أن الحكاية الشعبية تمثل مرحلة لاحقة للحكاية الخرافية، كما ميزت بينهما فهي ترى أن الحكاية الخرافية تنسم بالانعزال عن الزمان والمكان في حين أن الحكاية الشعبية تتركز على الواقع، وأن شخصيات الحكاية الخرافية نماذج ورموز وأشكال من دون أجساد في حين نجد شخصيات الحكاية الشعبية لا ينقصها العمق الذي يمتد في نفس الإنسان.⁽¹⁾

ويرى الدكتور "عمر الطالب" في كتابه "أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية" أن الحكاية الشعبية أسلوب اجتماعي هدفه الإصلاح والتقويم والتوجيه والمرونة في مجال الحياة العامة، لذا نجد فيها النقد اللاذع والسخرية أو الإقناع بحقيقة الواقع الأليم، ويرى أيضا أن الحكاية الشعبية تتطور مع الزمن وهي تتبعه في تنوع مصالحه وتعداد أغراضه بحيث تشمل جوانب البيئة المختلفة.⁽²⁾

مع هذا كله فإن الدراسات المخصصة للحكاية الشعبية والخرافة، كما يطلق عليها أحيانا في أدبنا العربي قليلة لقلة الباحثين والدارسين لهذا النمط الأدبي الذي يعده الأدباء الأوروبيون أمثال "فريد ريش فون ديرلاين" نتاجا أدبيا معبرا عن الروح الإنسانية والذي يستمد منه الأدباء إبداعهم، كما يعد مصدر إلهام للقصاصين والشعراء ومتبعي التراث في العالم من جهة أو قد تكون القلة لعدم وجود نظرية محددة وواضحة من جهة أخرى.⁽³⁾

تتجلى مكانة الحكاية الشعبية في كونها تدخل ضمن عدد من الاختصاصات أهمها التراث الشعبي (الفولكلور) والأدب الشعبي وأدب الأطفال وعلم الأنثروبولوجيا، فبالنسبة للتراث الشعبي تعد الحكاية الشعبية جزء من مفردات التراث والذي يعرف بأنه "العناصر الثقافية التي خلفها المجتمع وبمعنى آخر هو كل ما له علاقة بالتعبير الشفهي مثل القصص والأساطير والأغاني الشعبية والرقص الشعبي والأمثال

¹ نادر قاسم وديانا ندى، الحكاية الشعبية في شعر وليد سيف، ص 11.

² عمر الطالب، أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ، بغداد، 1981، المقدمة.

³ توفيق عزيز عبد الله، الحكاية الشعبية، ص 13.

والأحاجي وغيرها من الفعاليات الأدبية والفنية التي يرثها الشعب وتنتقل فيه من جيل إلى جيل بالحفظ لا بالتدوين.⁽¹⁾

وهو أيضا الطرائق الحضارية للمجتمع مثل الأدوات والصناعات والفنون والحرف اليدوية، وقد زاد الاهتمام بمكانة التراث الشعبي بجميع أجزائه ومن ضمنها الحكاية الشعبية في الدول العربية بعد الاستقلال السياسي لتلك الدول باعتبار أن التراث الشعبي هو تأكيد للشخصية القومية.⁽²⁾ ومن منظور آخر تظهر مكانة الحكاية الشعبية من خلال أهميتها وفائدتها والتي يمكن إبرازها في النقاط التالية:

- ✓ أنها وسيلة للتسلية وقضاء أوقات ممتعة للصغار والكبار.
- ✓ لها دور في نمو شخصية الطفل باعتبارها أحد الوسائط الاختيارية التي يعتمد عليها في تنشئة الطفل، فعن طريقها يتعلم اللغة أو تترسب لديه معرفة أو تتأصل فيه قيمة إنسانية أو يتأكد له مثل اجتماعي، فهي بهذا لها أهمية تربوية غير مباشرة للطفل في سن مبكر.
- ✓ لها فائدة نفسية وذلك من خلال الاستماع للحكاية وتقليدها وتمثيلها من قبل الطفل فيتمكن من التنفيس والتعبير عن نفسه والتحرر من مشاعر سلبية ضاغطة لا يسمح له بالتعبير عنها في واقعه الحياتي.
- ✓ عالمية الحكاية الشعبية: فكل الناس في كل مكان مهما تنوعت أنماط ثقافتهم يسردون الحكايات ويسمعونها وإن كان هناك تفاوت بين المجتمعات الإنسانية، وفي المجتمع الواحد فإن أفراد ذلك المجتمع سواء كانوا عمال أو فلاحين أو أساتذة جامعيين يشتركون في كونهم شعبا يهتمون بتراثهم الشعبي وإن اختلفت كثافة الاهتمام بالتراث الشعبي.⁽³⁾
- ✓ وتكمن أهميتها أيضا في محافظتها على حضارة المجتمع فهي تعكس واقع المجتمع فحدودها في أغلب الأحيان الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية والتي تؤكد على الإنسان وعلاقته بالطبيعة والمجتمع.⁽⁴⁾

¹ مرج مؤيد حسن، الواقع الاجتماعي للحكاية الشعبية (دراسة ميدانية في مدينة الموصل)، مجلة دراسات موصلية، ع24، جمادى الأولى 1430هـ أيار 2009م، ص123.

² المرجع نفسه، ص123.

³ المرجع نفسه، ص124.

⁴ محمد الجوهري، علم الفولكلور، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف، مصر، 1975، ص278.

وللمكانة التي تتمتع بها الحكاية الشعبية باعتبارها جزءاً أو عنصراً مهماً لعدد من الاختصاصات والمجالات كالتراث والأدب وعلم الأنثروبولوجيا، فقد ظهرت اهتمامات عدة بها زادت من مكانتها في المجتمع، ومن هذه الاهتمامات قيام حكومات الدول التي تمتلك تراثاً حضارياً بإنشاء عدد من المراكز البحثية التي تعنى بتقديم المادة التراثية، ومن ضمنها الحكاية والعمل على تسجيلها وجمعها إدراكاً منها لما تحمله من أصالة، وأجريت العديد من البحوث التي تناولتها بالدراسة لغويًا وأدبيًا واجتماعيًا، كما عقدت العديد من الندوات التي تناولت الموضوع.⁽¹⁾

وأخيراً يظهر الاهتمام بالحكاية الشعبية من خلال وسائل الإعلام المرئية والسمعية التي تنجز برامج خاصة بالثقافة الشعبية وقد تحولت الحكايات إلى برامج كرتونية أو تمثيلية تنقل الأحداث بالصوت والصورة مما يساعد على ترسيخها في النفوس مثل قصة "السندباد البحري وحكايات ألف ليلة وليلة" وغيرها...⁽²⁾

ثالثاً: أنواع الحكاية الشعبية:

القصص الشعبي شكل من أشكال التعبير الشعبي يمثل في جميع الأزمان وعند كل الشعوب «ونجده اليوم يمثل أكداً من تراث الأجيال المتعاقبة والعصور المختلفة بكل غرائزها ونزعاتها وكل معتقداتها ومقدساتها وتصوراتها وأوهامها عن الكون»⁽³⁾

مسألة تصنيف القصص الشعبي أمر في غاية الصعوبة قد يحتاج منا إلى الكثير من التركيز والتأمل والمعرفة، حيث أكد ليفي شتراوس أن «ما يمكن أن يكون موضوعاً للحكاية الأسطورية عند قوم قد يكون موضوعاً للحكاية البطولية عند قوم آخرين»⁽⁴⁾

¹ مرجع مؤيد حسن، الواقع الاجتماعي للحكاية الشعبية (دراسة ميدانية في مدينة الموصل) ص 125.

² المرجع نفسه، ص 126.

³ نمر سرحان، الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ماي 1974، ص 14.

⁴ حورية بن سالم، الحكاية الشعبية في منطقة بجاية، دراسة ميدانية، جامعة تلمسان (مذكرة ماجستير)، 1993، ص 05.

ورأى فريدريش فون ديرلاين أن: «الحكاية الشعبية والخرافية وأسطورة الآلهة وحكاية البطولة تتألف في عمومها من نفس الموضوعات، ومن ثم فلا يحق لنا أن نتحدث عن موضوعات الحكاية الشعبية وموضوعات الحكاية الخرافية وهكذا، وإنما يجب أن تقوم التفرقة على أسس أخرى»⁽¹⁾

على أن هناك من الباحثين والمتخصصين في القصص الشعبي عموماً أمثال يكوب جريم، أنتي آرنى، سميث طومسون، فلاديمير بروب، تيودور بنفي، عبد الحميد يونس، نبيلة إبراهيم، مرسى الصباغ وعبد الحميد بورايو، وعبد الملك مرتاض وسعيد محمد وغيرهم لجأوا إلى تقسيم الحكايات الشعبية إلى أنواع أصناف عديدة وفق مضامينها وعناصرها القصصية، ويعد الباحث أنتي آرنى أول باحث عمد إلى تصنيف الحكايات الشعبية وفق أنماط محددة وكان ذلك عام 1910م.⁽²⁾

قام بتطويره العالم سميث طومسون عام 1923 وسمي بعد ذلك بتصنيف أنتي طومسون ويتمثل هذا التصنيف فيما يلي:⁽³⁾

- 1- حكايات الحيوانات من 1 إلى 299
- 2- الحكايات الخرافية من 300 إلى 749
- 3- الحكايات الدينية من 750 إلى 849
- 4- الحكايات الخيالية 850 إلى 949
- 5- حكايات اللصوص وقطاع الطرق من 950 إلى 999
- 6- حكايات العفريت المخدوع من 1000 إلى 1199
- 7- نكت وحكايات هزلية من 1200 إلى 1699
- 8- حكايات هزلية عن الرهبان من 1700 إلى 1849
- 9- حكايات الأكاذيب من 185 إلى 1990

¹ فريدريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية، تر نبيلة إبراهيم، دار النهضة للطبع والنشر، ط1، لبنان، 1973، ص139.

² محمد الجوهري، علم الفولكلور (الأسس النظرية والمنهجية)، دار المعارف، ط4، ج1، مصر، 1981، ص225.

³ غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، دار بونار للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1999، ص13-14.

10- حكايات المغامرات من 2000 إلى 2399

11- حكايات الحيل والخدع من 2200 إلى 2399

12- حكايات غير مصنفة من 2400 إلى الآخر.

إلى جانب هذا التصنيف نجد بعض الباحثين الشعبيين كان لهم اجتهاد آخر بهذا الشأن وذلك حسب طول الحكاية أو بنائها أو مضمونها أو غايتها وتمثل هذه الأنواع في الأنماط التالية: (1)

1- الحكايات الدينية

2- حكايات الألغاز

3- حكايات الجان والعفاريت

4- حكايات السحر

5- حكايات الانتقاد الاجتماعي

6- الحكايات الفكاهية

7- حكايات البطولة والتاريخ

8- الحكايات التنبؤية

على أن هناك من الباحثين من شاء أن يتبع منهجًا آخر في التصنيف يخالف تصنيف أرن طومسون وإن لم يسلم في عيوبه وهذا التصنيف لا يقوم على أساس الموضوع بل يقوم على أساس النوع وربما كانت أكثر التصنيفات النوعية ألفة لنا تصنيف الحكايات إلى حكايات خرافية وحكايات الحياة اليومية وحكايات الحيوان، قد يبدو هذا التصنيف مقنعًا لأول وهلة ولكن ما أن نأخذ في فحص الحكايات حتى تثار التساؤلات الآتية: «ألا تحتوي حكايات الحيوان على أحداث خرافية وخيالية إلى درجة بعيدة؟ ثم ألا تحتوي بعض الحكايات الخرافية على عنصر الحيوان؟» (2)

¹ ينظر، مرسى الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء، دط، الإسكندرية، 1999، ص 10.

² نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، دط، بيروت، 1974، ص 16.

في حين نجد بعض الباحثين يعتمدون على نص الحكاية باعتباره هو الذي يحدد طبيعة النوع «فنص الحكاية الشعبية يتقاطع مع أشكال التعبير الشعبي الأخرى كاللغز والمثل والنكتة والشعر وقد أسفر هذا التقاطع على ظهور نصوص مختلفة امتدت معطياتها الشكلية والدلالية من هذا التناس الجنسي، فظهرت نصوص حكاية مثلية، ونصوص حكاية شعرية، ونصوص حكاية لغزية، ونصوص حكاية نكتية»⁽¹⁾

وما يلاحظ في هذا التصنيف هو أن نص الحكاية هو الذي يحدد طبيعة النوع، فالعديد من الحكايات مثلا احتوت على ألغاز، ولهذا سميت بالحكايات اللغزية والشيء نفسه على النكت والأشعار. يذهب فريق آخر إلى أن إقامة الحدود بين أنواع الحكايات إنما يعتمد على الدافع النفسي فنرك يرى «أن الدوافع هي الأصل الكامن من خلف القصص الشعبي وهي التي تحدد أنواعه»⁽²⁾

تفطن فريد ريش فون ديرلاين إلى ما أسماه "الإحساس بالشكل" أي: «السعي وراء نظام محدد في التفصيلات يخضع لقواعد محددة ولا يشمل الحكاية الخرافية وحدها وإنما يشمل كل الأنماط الشعبية الأخرى هو الذي يحدد شكل الحكاية الخرافية، وأرغم أدبائها كما أرغم القصص جميعا على أن يخضعوا لهذه القواعد»⁽³⁾

ومن جهة أخرى نجد أن بروب في كتابه مورفولوجية الحكاية الشعبية الذي ظهر عام 1929م أهمية البالغة في الدراسات الشعبية لأنه وصف الحكايات وفقا لأجزاء محتواها وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض، ثم علاقتها بالمجتمع، ولكي يحقق بروب هذا الغرض اكتشف وحدة أساسية جديدة في الحكايات وهي ما سماها بالوحدة الوظيفية، والوحدة الوظيفية فعل من أفعال شخوص الحكاية بصرف النظر عن اختلاف شكل هذه الشخوص من حكاية لأخرى.⁽⁴⁾

¹ محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 63.

² مرسى السيد الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 10.

³ فريدريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية، ص 136-137.

⁴ نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص 25-26.

توصل بروب إلى هذه الوحدات الوظيفية بعد دراسة عدد كبير من الحكايات العجيبة الروسية وأوضح أنه يدعو إلى الدراسة الوصفية للقصص الشعبي وإقامة تصنيف للحكاية قابل لتعدد التفرعات وفق مستويات الوحدات المكونة للحكاية ككل، تجاوزاً لجميع هذه المحاولات التصنيفية واعتبره الدارسون بحق اتجاهها جديداً في طرح المسألة، وقد توخى منها الدارسين إلى ضرورة الاستفادة من تجربة البحث في ميادين علمية أخرى مثل علم النبات، ولم يتم التوصل إلى التصنيف إلا بعد وصف الأجزاء المكونة للكائنات موضوع الدراسة.⁽¹⁾

أما الدكتور مرسى الصباغ فقد قسم الحكاية الشعبية إلى أنواع وحدد لكل نوع مجالاته في كتابه "الأدب الشعبي العربي، تأصيل تراثي" على النحو التالي:

■ **حكايات الحيوان:** هي حكايات تظهر فيها شخصية الحيوانات وهي تتحدث وتقوم بأفعال مثل الآدميين ولو أنها عادة تحتفظ بقسمتها الحيوانية إلا أنها لا تظهر خصائص الحيوان في الواقع أو سلوكه وإنما يكون لها هدف التأكيد على الدرس الأخلاقي للناس أو تقصد إلى النقد اللاذع أو الهجاء لتصرفاتهم، بجانب أنها وضعت أصلاً للتسلية والترفيه ومن هنا كانت حكايات الحيوان الخرافية.⁽²⁾

■ **حكايات الجان:** تعتبر صورة الجان في المعتقد الشعبي غير تلك الواردة في القرآن الكريم فهي في القرآن نوع من الخلائق بين الملائكة والشياطين، خلقوا من مارج من نار، ولكنه دون الملائكة يأكلون ويشربون ويتناسلون ويموتون ويثابون وإليهم أرسل الأنبياء كما أرسلوا إلى البشر.. وقد كانوا أيام النبي صلى الله عليه وسلم يجلسون من السماء حيث يريدون أن يسترقوا السمع إلى آخر تلك السورة القرآنية المفصلة.⁽³⁾

تتميز حكايات الجان بأنها تقدم شخصية البطل في محيط أسرته تقديماً تجريدياً سريعاً معتمدة في ذلك على المفاهيم الكلية لدى الإنسان الشعبي للجمال والقبح والفقر والغنى والصغر والكبر وما إلى ذلك وتصور حالة الأسرة على أنها تعاني من نقص شديد أو تهديد فقد تعاني من تهديد الفقر أو من

¹ عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، 2006، ص84.

² مرسى السيد الصباغ، الأدب الشعبي العربي تأصيل تراثي، الوراق للنشر والتوزيع، دط، عمان، 2019، ص99.

³ مرسى السيد الصباغ، الأدب الشعبي العربي تأصيل تراثي، ص103-104.

سطوة زوجة الأب أو تعاني من نقص نتيجة لغياب أحد أفراد الأسرة، وفي هذا الإطار يتحرك البطل الذي غالبًا ما يكون صغيراً ضعيفاً لا حول له ولا قوة فيخرج ملبياً أمراً وقد يكون الأمر غريباً مجهولاً كأن يقابل الابن الأصغر عجوزاً يضايقها فتدعو عليه.⁽¹⁾

وعلى كل فإن البطل يقابل شخصية شريرة تختبره وتحادنه حتى يقع في أسرهما ولا يفكه من هذا الأسر إلا مقابلته للشخصية المساعدة التي تقدم له العون في اللحظة الحرجة ثم تقدم له الأداة السحرية، وعلى أثر هذا يتمكن البطل من التخلص من أذى القوى الشريرة كما يتمكن بواسطة الأداة السحرية من أن يصيب مالا أو جاهاً أو كلاهما معا وغالباً ما يحصل على كل هذا في مملكة غريبة يعلو فيها صيته فيتزوج البطل ابنة ملك هذه المملكة ويحكم عليها أو على نصفها أو تتزوج البطلة أمير هذه المملكة وتعيش معه سعيدة هنيئة.⁽²⁾

ومن ثم فإن حكايات الجان تنتهي نهاية سعيدة لأنه كما يقول ألكسندر هجري كراب لا يمكن التفكير في وجود حكاية جنيايات بدون هذه النهاية السعيدة.⁽³⁾

أما إذا صادفتنا حكاية تنتهي نهاية مفاجئة فإن ذلك يعني أن الحكاية تعرضت لنوع من الصقل الأدبي هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن حكايات الجان بصفة عامة لا تتضمن أية أفكار دينية ولا أثراً لفلسفة مثالية أو غيرها.⁽⁴⁾

■ **حكايات الخوارق:** تحمل كلمة خوارق في معاجم اللغة معنى الكذب والدهشة والتحير. ففي

لسان العرب والمعجم الوسيط نجد أن (خرق-تخرق) لغة في التخلق من الكذب وخرق الكذب وتخرقه

وخرقه كله اختلفه قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيْتَ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ الْكُفْرُ وَالْإِثْمُ وَالْجَبَرُ ۚ وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

﴿وَلَا تَقْرَأُوا لَهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ۚ إِنَّهُ يُصْغِرُ الْعَرْشَ الْمَدِينَةَ ۚ وَتُحْمَلُهُ الْمَلَائِكَةُ أُوْحًا مِنْ رَبِّهِ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ﴾

¹ المرجع نفسه، ص 107.

² ألكسندر هجري كراب، علم الفولكلور، تر رشدي صالح، دار الكاتب العربي، 1967، ص 18.

³ فوزي العنتيل، علم الحكايات الشعبية، دار المريخ للنشر، دط، الرياض، 1983، ص 26.

⁴ مرسي السيد الصباغ، الأدب الشعبي العربي تأصيل تراثي، ص 107-108.

الدهشة والتحير عند المستمع لها من منطلق الأكاذيب المختلفة التي تسردها بصفة عامة، إنها شكل تاريخي اعتراه الخلط والغموض نتيجة للأكاذيب والافتراءات التي أضيفت إليها عبر التاريخ البشرية.⁽¹⁾

■ **الحكايات التنبؤية:** يقول ابن منظور في لسان العرب تنبأ الرجل ادعى النبوة استنبأ النبأ، بحث عنه والملاحظ في كلمتي ادعي، بحث هو أن: الادعاء يحمل معنى الكذب والافتراء، والبحث يحمل معنى الكشف عما هو مستور في عالم الغيب، ونحن لو حاولنا الوقوف أمام ادعاءات العرافين والكهنة والسحرة لوجدنا أنها كلها كذب وافتراء ذلك لأنهم يحاولون استكشاف أمور الغيب التي اختص بها الله لنفسه وحجبها عن الإنسان بل وجد حدودا يقف عندها ولا يتعداها يقول عز وجل:

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ﴾ - سورة الجن -

الآية 26، ويقول:

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ﴾ - سورة الإسراء - الآية

85، ويقول:

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ﴾ - سورة الإسراء - الآية 36

أما الموروث الديني فقد مس هذه القضية مسا مباشرا بقوله: "كذب المنجمون ولو صدقوا"⁽²⁾ رغم ذلك فقد جبل الناس على حب الاستطلاع والتشوق لمعرفة ما يخبئه لهم القدر ولذلك فهم يتلمسون كل السبل للتنبؤ بالغيب حتى انتشرت الوسائل المتعلقة بها وتنوعت تلك الوسائل ما بين التنجيم وقراءة الرمل واستنطاق الودع وضرب المندل والاستخارة بالرؤية وبالقرآن الكريم وتحضير الأرواح

¹ مرسى السيد الصباغ، الأدب الشعبي العربي تأصيل تراثي، ص 110-111.

² المرجع نفسه، ص 117-118.

وتسخير الجن... الخ، وقد حاول الناس بها أن يلهثوا وراء المجهول في كل ما يرضيهم أو يطمئنهم على المستقبل أو ينذرهم من ويلاتهم أو يحضهم على إتيان فعل علاجي أو وقائي لكن من ناحية أخرى نجد ظاهرة يعتبرها علماء النفس صاحبة دور كبير في المعرفة البشرية ألا وهي ظاهرة الإلهام، وعليه فإن عملية التنبؤ ومحاولة استطلاع الغيب تحتل موقعا هاما في التراث الشعبي لما تحمله من ثراء في الوسائل التي تستخدمها ولما تحمله من معتقدات دأب المجتمع على ممارستها بصفة دائمة وبالتالي برزت على سطح القصص الشعبي معلنة عن تأصيل تراثي زاخر... اعتبرت على أساسية الحكايات التنبؤية أنها حكاية معتقدات.⁽¹⁾

■ **الحكايات الدينية:** ظاهر اللفظ يحمل معناه، أي أن الحكايات الدينية تحمل المغزى الديني، لكن هذا المغزى يقصد به اعتناق الإنسان للدين كمبدأ، وسواء أكان هذا الدين إسلاميا أم مسيحيا أم يهوديا فإن المقصود هو اعتناق مبادئ السماء التي نزلت على الرسل معلمة وموجهة للبشر بصفة عامة ومن ثم فإن هذا الدين وما يدور حوله من حكايات جعلت البعض يرى أن التمسك بقواعد الدين في المجتمع أصبح مسألة شخصية تتعلق باعتقاد الفرد وحرية وربما يؤيد هذه النظرية ما نلمسه في المجتمع قديما وحديثا من حريات دينية تتيح للفرد أن يمارس معتقداته أو لا بحسب فكره الذاتي ورأيه الشخصي.⁽²⁾

هذا الاعتقاد يبرر عدم فعالية هذا النظام في مجتمع يموج بتيارات ومذاهب شتى تتعارض مع الدين كنظام اجتماعي أو متحالفة معه باعتباره أداة اجتماعية ضابطة ولكن برغم هذه النظرات المتباينة للدين، وبرغم انتشار النزعة الفردية المادية عند الأفراد والجماعات... برغم كل هذا فما زال للدين أثره في النفوس خاصة في المجتمعات المحافظة التي مازالت تتمسك بالعقيدة الدينية كإطار للحياة الاجتماعية وقواعد ضابطة للسلوك.⁽³⁾

¹ ينظر، مرسي السيد الصباغ، الأدب الشعبي العربي تأصيل تراثي، ص 118-119.

² المرجع نفسه، ص 126.

³ مرسي السيد الصباغ، القصة والحكاية والحدوتة الشعبية في محافظة الشرقية (أطروحة دكتوراه)، جامعة الرقازيق 1991، ص 685.

■ **الحكايات الاجتماعية:** الحق يقال أن الحكايات الاجتماعية أشبه ما تكون بمادة إذاعية إعلانية تقدمها وسائل الإعلام الحديثة ذلك (لأنها تؤثر في الناس أبلغ تأثير) لكن بجانب هذا فهي لا تقدم له في صورة التسلية والترفيه فقط بل تقدم إليهم (من أجل ترسيب معرفة أو تأصيل قيمة إنسانية أو تأكيد مثل اجتماعي أو أخلاقي) وبالتالي فهي تصدر في شكلها ومضمونها عن نموذج اجتماعي تريد أن ترفع إليه سلوك الأفراد، ومن ثم فإن هذه الحكايات تقوم بما يقوم به المرشد أو المصلح الاجتماعي حيث نجد الوعظية الإرشادية لكن لا بد وأن تكون هذه الوعظية صادرة عن صورة مثالية لأن الناس لا يمكن أن يقبلوا النصيحة من صورة مشوهة أو متناقضة وكما يقال في المثل الشعبي المصري (باب النجار مخلع)⁽¹⁾

■ **حكايات البحر:** تقول كتب اللغة أن البحر سمي بحرا لاستبحاره أي اتساعه ومنه استبحر في العلم والمال، والنسب إلى البحر بحراي كما يقول "سيبويه" وحكى غيره بحري، وجمع البحر بحار وبحور وأبحر...و لجأة البحر حيث لا ترى أرضا ولا جبلا، وللبحر في اللغة عدة أسماء منها "الكافر، اليم، الخضم، الحنبل" وقد ورد ذكر البحر وما فيه في القرآن الكريم وعليه فإن البحر وما يتطلب من عمل جماعي يحتاج إلى الألفة والتعاون والمسؤولية والصبر ومن ثم نشأت الأغاني والأهازيج، لكن أثناء الغناء نجد البحارة يستعيدون ذكرياتهم المحبة على نفوسهم بقصص وحكايات وما تحمله من أساطير... لكن قد يتصور البعض أن المادة التي تقال في ذلك ليست إلا مادة يتسلى بها البحارة ويتمتع بسماعها الخلف عن السلف إلا أنها في الحق أكبر من هذا قيمة، فهي حافلة بحكمة الأيام وتجربة الزمن، حافلة بشواهد التاريخ ومعالم حياة البحر عبر الزمان ومن ثم فهي تعد التفسير لما يقال عن معتقدات ومعارف مرتبطة بالبحر ومغامراته لكي تكون نبراسا لهؤلاء الأحفاد من هؤلاء الأجداد.⁽²⁾

■ **حكايات البطولة والتاريخ:** بادئ ذي بدء؛ التاريخ والأدب رفيقان متلازمان خاصة تلك الفترة الماضية التي كانت فيها الأحداث التاريخية هي أحد أسلحة الأديب في كتاباته وعلى الرغم من

¹ مرسى السيد الصباغ، الأدب الشعبي العربي تأصيل تراثي، ص136.

² المرجع نفسه، ص146.

مرور وقت طويل على هذا المنهج إلا أنهما لا يفترقان، بل زادت عرى الصلة بينهما لدرجة أن القارئ ليتخيل أن كتب الأدب في صورتها كتب تاريخ، وأن التاريخ كتبه أولئك الذين أسموا أنفسهم أدباء.⁽¹⁾ وعليه فإن (التاريخ بالنسبة للأديب هو المجال الخصب الذي يلهمه الإبداع ويقدم له النماذج ومن ثم فلم يعد بوسع المؤرخ أن يتجاهل النتاج الأدبي على شتى مستوياته إذا أراد استرداد صورة عصر ما أو مجتمع ما من ذمة الماضي، هذا إذا كان الإنسان هو الموضوع المشترك لكل من التاريخ والأدب فإن هذا الإنسان هو صانع التاريخ ومبدع الأدب، والزمان إطار هام للتاريخ والأدب على حد سواء)⁽²⁾

رابعاً- خصائص ومميزات الحكاية الشعبية:

إن الحكاية الشعبية جنس أدبي شعبي قائم بذاته، له أصوله ومقوماته الفنية، يتميز بها عن باقي أشكال التعبير الشعبي الأخرى⁽³⁾ فهي تتميز بالبساطة في التعبير والإيجاز في المعنى إذا ما قارناها بالقصص المدرسي الذي أبدعه أفراد يتميزون بعمق التفكير والقدرة على تطوير الحديث بطريقة تقنية مترابطة تتلاحق فيها الأحداث، ويتعقد فيها الصراع حتى النهاية.⁽⁴⁾

من خصائصها:

1- **العراقة:** باعتبار أن الأدب الشعبي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان وتاريخ ظهوره الأول وتاريخه عريق بعراقة الإنسان الذي اصطلح على تسميته علماء الأنثروبولوجيا بالإنسان البدائي فقد غنى ورقص، ونحت وبكى واشتكى وفرح وحزن، واشتغل وعمل وتصارع مع المظاهر الطبيعية ومع الحيوانات، وما وصل إلينا من قصص وأساطير وملاحم وما تزخر به من رموز، ومن أحداث تعاقبت على حركتها الآلهة ومظاهر الطبيعة والإنسان والحيوان.⁽⁵⁾

¹ مرسى السيد الصباغ، الأدب الشعبي العربي تأصيل تراثي، ص 149.

² قاسم عبده قاسم، بين الأدب والتاريخ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1986، ص 6.

³ كريمة نسان، الحكاية الشعبية في الجزائر، مقارنة سيميائية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانبا-وهران (الجزائر)، 2012/2013، ص 67.

⁴ التلي بن الشيخ، منطلقات التعبير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، الجزائر، 1990 ص 107.

⁵ محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، ص 18.

- والمقصود بعراقة الحكاية «أنها ليست من ابتكار لحظة معروفة أو موقف معروف»⁽¹⁾
- 2- **مجهول المؤلف:** فالحكاية الشعبية تتوارث جيلا عن جيل عبر المشافهة، فهي غالبا لا تعتمد على التدوين، ومؤلفها مجهول وذلك لتعدد الرواة وانتقالها عبر الزمن مشافهة.
- 3- **المرونة:** تمتاز الحكاية الشعبية بمرونة بنيتها التي تخضع للتداخل في عناصرها «فتعكس مدى قوة الخيال الشعبي الذي تفنن في إبداع هذه الأشكال التعبيرية الشعبية لغرض نقل خبرات وتجارب وعادات وتقاليد الجماعات الشعبية»⁽²⁾
- 4- **التواتر الشفاهي:** تعتمد الحكاية الشعبية على الرواية الشفوية التي تسير التطور الإنساني من فترة لأخرى عن طريق التزديد والرواية، فانتقالها مباشر عبر الأجيال والأزمنة لتساير مختلف العصور. «فاللهجة العامية في الحكاية الشعبية هي وسيلة اتصال تأخذ أصولها من بيئتها المحلية، وهي في جملتها تتضمن مواقف وسلوكات اجتماعية تتغذى عليها الحكاية الشعبية، وتمنحها الحيوية والنشاط فتعكس دلالات ورموز»⁽³⁾
- 5- **تجهيل الزمان والمكان:** فالحكاية الشعبية لا ترتبط بمكان أو زمان محدد، فالمكان بعيد وغريب عن عالم القاص والزمان في معظم الأحيان هو سالف العصر والأوان، ففي عالم الحكاية الشعبية الفضاء مفتوح لا يعرف زمان ولا يحدد لها مكان.⁽⁴⁾
- 6- **تعدد العوالم:** عالم الحكاية الشعبية يختلف عن بقية العوالم لأنه من نسج خيال الإنسان الذي بإمكانه أن يضع العالم يحقق له كل ما يريده، يقول صفوت كمال: «حينما يخرج الإنسان بافتراضاته الذهنية من مجال التجربة الموضوعية إلى مجال الافتراضات الخيالية لينأى بفكره عن عالم الواقع المحسوس إلى عالم يفوق الواقع ويخرج من نطاق الواقع إلى عالم آخر يغايره أو يماثله لكائناته طبيعة خاصة»⁽⁵⁾

¹ عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1968، ص 11.

² شريط سنوسي، بطل الحكاية الشعبية في المسرح المغربي، دكتوراه دولة، 2008/2009، ص 14.

³ كريمة نسان، الحكاية الشعبية في الجزائر، مقارنة سيميائية، ص 68.

⁴ صفوت كمال، التراث الشعبي وثقافة الطفل، المركز القومي لثقافة الطفل، القاهرة، 1995، ص 14.

⁵ صفوت كمال، التراث الشعبي وثقافة الطفل، ص 14.

ذمّت الحكاية الشعبية الأخلاق السيئة وأكدت على القناعة، فالطمع كما في الحكايات يعود بصاحبه دائما إلى الموت كما هو الحال في حكاية "الجرة" حيث كانت نتيجة طمع زوجة الأب وابنها الموت.⁽¹⁾

- النص لا يعرف مؤلفه، ويتم إيصاله شفويا.⁽²⁾

- تستند لوقائع حدثت بالفعل واكتسبت نوعا من البطولة، أو تكون خيالية يضاف إليها العراقة والسيرورة التي تعتمد أساسا على الشفوية⁽³⁾ فالواقعية في القصص الشعبي إنما هي واقعية نفسية لأنها تحاول أن تعبر عن شعور نفسي لا مجال لإنكاره بغض النظر عن الواقع الاجتماعي.⁽⁴⁾

بالإضافة إلى الأحداث المعبرة عن آلام وأحلام الشعب، كما تصف مآل الطغاة وتعرض المصير الحتمي للأشرار هذا ما يجد فيه المستمع راحة واطمئنان.⁽⁵⁾

تمتاز الحكاية الشعبية بصورة عامة بالبساطة في الأسلوب لأنها عادة تحكى للعامة لذلك يجب أن يكون الأسلوب بسيطاً خاليا من الكلمات الصعبة والجمل المعقدة، أما بالنسبة للوضعية المبدئية فإن معظم الحكايات تبدأ بافتتاحية تقليدية (ثابتة): "كان يا مكان في قديم الزمان" ... كما أن جميع الحكايات تنتهي بنهاية سعيدة كالزواج أو جمع الشمل أو بقصاص المعتدي.⁽⁶⁾

خامسا: الحكاية الشعبية بين وحدة التجنيس وتعدد الأنماط:

1. الأبعاد النفسية للحكاية الشعبية:

يهتم الأدب الشعبي فضلا عن تنشئة الصغار بتربية الكبار، فيقدم لهم خلاصة تجارب الحياة في الأمثال الشعبية، وهذا ما ذكره "ألكسندر كراب" أن الأمثال تردد خلاصة التجربة اليومية التي صارت

¹ المرجع نفسه، ص 39.

² مباركة خفقاني، توظيف الحكاية الشعبية في المسرح الجزائري، مسرحية - كل واحد وحكمه لعبد القادر ولد كاكي أنموذجا لمجلة العلامة، ع 2، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016، ص 371.

³ المرجع نفسه، ص 373.

⁴ مريم برياش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة - دراسة ميدانية - رسالة ماجستير، كلية معهد الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة المسيلة، الجزائر 2011-2012، ص 35.

⁵ سومية أمزيان، مضامين الحكاية الشعبية في الجزائر، ص 598.

⁶ توفيق عبد الله، الحكاية الشعبية، ص 16.

ملكاً لمجموعة اجتماعية معينة، والتي صارت كذلك جزءاً لا ينفصل من سلوكها في حياتها اليومية الجارية.⁽¹⁾

وبهذا الصدد فإننا لن نطيل الحديث عن مدى إسهام المثل الشعبي من الجانب النفسي كون موضوعنا يدور حول الحكاية الشعبية التي تمتلك مرونة كبيرة تساعد على القيام بهذه التربية النفسية بنجاح «فهي تحتوي على مدلولات على مستويات مختلفة والطفل وحده يدرك المدلول الذي يؤمن له شيئاً في تلك اللحظة وعندما يكبر فيما بعد يكتشف مظاهر أخرى للحكاية التي يعرفها سابقاً، ويستمد الاقتناع بأن قدرته على الإدراك قد نضجت لأن نفس الحكاية تأخذ أكثر من معنى، ولهذا نجد الطفل أحياناً يتعلق بقصة معينة تعلقاً شديداً، ويدل هذا التعلق على أن الحكاية تؤمن له راحة نفسية وتساعد في نموه، فلا ينبغي أن يتأفف الأهل من إلحاحه على سماعها مجدداً ومراراً وتكراراً بحجة أنهم قد سبق أن رويها له، لأن الطفل يفهم الحكاية كل مرة بطريقة أفضل ويبدو هذا الأمر واضحاً عندما يهمل الطفل حكاية ما ثم يعود إلى طلبها بعد مدة، الأمر الذي يعني تطور فهمه للحكاية أو أنه وقع في مشكلة وأن هذه الحكاية تساعد على تجاوزها، فينبغي أن يكون الطفل دليلنا إلى الحكايات التي تفيده في تربيته النفسية والاجتماعية، فإذا ألحّ في طلب سماع حكاية معينة رويها له، وإذا لم يبد أي اهتمام إذ يفهم من عدم اهتمام الطفل بها أنها لا تحل له المشاكل التي يعانيها وأنه لا يفهمها فلا فائدة من الإصرار على روايتها»⁽²⁾

تعمل الحكاية الشعبية على تصوير نواحي الحياة الاجتماعية كافة، فتكشف عن القيم الفاسدة في المجتمع تارة، وتارة أخرى تبرز القيم الإيجابية، كما تحت المستمع على تبنيها فالحكاية الشعبية غالباً ما تنتهي بانتصار الخير على الشر وانحزام الظالم ومعاقبته على أفعاله.⁽³⁾

ويعد هذا النوع من النهايات صفة خاصة وأساسية في الحكاية الشعبية إذ نجد في معظم الأحيان أن البطل يمتلك كل الصفات الحميدة، فهو جميل وقوي وشجاع وكريم، يحقق النصر في خاتمة المطاف،

¹ برونو بتلهام، التحليل النفسي للحكاية الشعبية، تر: طلال حرب، دار المروج للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 80.

² المرجع نفسه، ص 209.

³ برونو بتلهام، التحليل النفسي للحكاية الشعبية، تر: طلال حرب، ص 193.

فيما يمتلك الشرير كل الصفات السيئة، فهو بشع وضعيف وجبان وبخيل وهو ينال العقاب الذي يستحقه في النهاية، ومن خلال هذا الصراع بين الخير والشر الذي لا بد من أن ينته بانتصار الخير في النهاية يتعلم المستمع ويختار موقفه ومسلكه.⁽¹⁾

الحكاية الشعبية تنفيسية غايتها تفريغ المكبوت «... فمن المعروف أن ما يتعلمه الإنسان أثناء لوه ولعبه أبعد أثرا من الدرس الذي يجلس الإنسان فيه جادا ليتعلمه، وهو ما نراه حديثا في تعليم الأطفال، حيث يتم التركيز على تعليمهم من خلال اللعب، ولا يعني هذا القول أن الطبقات الشعبية بمنزلة الأطفال، بل يعني أن ما تناقلته هذه الطبقات خلال الاحتفالات والأفراح والمناسبات الاجتماعية الأخرى يثبت في أذهانها كمسلمات يصعب جدا اقتلاعها، لذا يمكن القول بثقة أن قدرة الترفيه التي يمتلكها الأدب الشعبي شديدة الأهمية لأنها تقدم الدروس التعليمية، وتنشر القيم الأصيلة بأسلوب غير مباشر»⁽²⁾

فحين يمرض البطل أو تصيبه مكيدة من مكائد الشخصيات الشريرة، يخلق في نفس المتلقي التوتر والقلق على سلامة البطل، وحين يقضي البطل على الشرير يفرح المتلقي ويؤثر الحدث بنفسه.⁽³⁾

2. الأبعاد الاجتماعية للحكاية الشعبية:

تستقي الحكاية الشعبية موضوعاتها من واقع الناس وتأخذ على عاتقها الخوض في تناقضات المجتمع، وتتحدث عن واقع يئته بمختلف أبعادها وتولي أهمية خاصة للطباع والصفات النفسية التي تستمر طويلا مع الإنسان، كما أنها توجه انتقادا لاذعا لمختلف انحرافات السلوك الاجتماعي كمكر النساء وقسوة زوجة الأب على الأبناء، بالإضافة إلى قضايا الفقر والظلم والقهر والبخل ونادت بالعدل والكرم والشرف.⁽⁴⁾

¹ طلال حرب، أولية النص (نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي) المؤسسة الجامعية للدراسات، ص 83.

² المرجع نفسه، ص 85.

³ المرجع نفسه، ص 606.

⁴ كريمة نسان، الحكاية الشعبية في الجزائر، مقارنة سيميائية، ص 48.

كما نجد أن شخصية المرأة من أكثر الشخصيات تداولاً في الحكايات الشعبية إذ تصورنا بعض الحكايات على أنها مصدر الشر والخير، وهذا ما نجده على سبيل المثال في حكاية "الخير امرأة والشر امرأة"⁽¹⁾

يشتمل المضمون الاجتماعي للحكايات الشعبية على حمولة فكرية هادفة تجلت في ظلم الملك المستبد الطاغوي لرعيته، إضافة إلى الجهل، والحمق، ومواضيع عدة متعلقة بالمرأة وتصرفاتها وعن منزلتها في الحياة كوالدة وأم وزوجة أب تظلم الفتاة الجميلة وتقهرها وتبقى هاته الحالة إلى أن يعجب بها الأمير ويتزوجها، فيخلصها من شر زوجة والدها، إضافة إلى حكايات السلطان وحكايات الفقر، والغنى⁽²⁾

3. الأبعاد التاريخية للحكاية الشعبية:

تصور الحكاية الشعبية في بعض الأحيان الواقع السياسي والبطولي والنضالي الذي كابدته الدول ضد أعدائها وكيفية تخلص الأبطال من ظلم الاحتلال الغاشم، وكيفية تخطيطهم للوصول إلى النصر وتسجيل التاريخ الحافل بالبطولات، كما يمثل هذا «النوع الأسمى في أحداثه وصياغته وبطولات أصحابه، ذلك أن هذا اللون بما يرويّه عن صور البطولة والشجاعة، والدفاع عن العرش أو الدوار أو القبيلة يعدّ لونا أدبيا مكتملا يمكن أن يدخل الكثير منه في عالم الملاحم البطولية»⁽³⁾

يعرفها بعض الغربيين بكونها: قصة شعبية خارقة تقوم على أساس تاريخي، ويطلق عليها الغربيون légende بالفرنسية، ولعل هذا المفهوم من الأدب الشعبي يكاد يكون هو الشائع والأعم في تراثنا الأدبي حيث نلّفنا كثيرا من السير الشعبية تقوم عليه، فإذا كان هذا النوع على نحو ما رأينا، أي أنه قصة شعبية تقوم على أصول تاريخية ما، فإن كثيرا من السير الشعبية تنضوي تحته.⁽⁴⁾

¹ ينظر، المرجع نفسه، ص 49.

² سومية أمزيان، مضامين الحكاية الشعبية في الجزائر، ص 603.

³ محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري مع ملحوظات بخصوص مختارة قصص - حكايات - أحاجي - أمثال - نوادر شعبية، دار العلوم للنشر والتوزيع، ج 1، عناية، 2013، ص 85.

⁴ احسن دواس، صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين - مقارنة سوسيوثقافية - مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المقارن، شعبة أدب الرحلة، 2007-2008، الجزائر، ص 169.

غير أنه ليس السير الشعبية وحدها هي التي يمكن أن تندرج تحت مفهوم الحكاية الشعبية ذات الأصول التاريخية، وإنما هناك بعض الحكايات ذات العلاقة بتاريخ الشعوب والمدن والتي يضاف عليها أهلها نوعاً من التقديس ويصبغها بصبغة الخيال فتغدو أشبه بالأساطير والخرافات.⁽¹⁾

سادساً: التشكيل الفني للحكاية الشعبية:

1. الحكاية الشعبية في دائرة الاتصال:

أ- الراوي (السارد-الحاكي):

إن الحديث عن السارد يقودنا إلى الحديث عن السرد narration وهي العملية التي يقوم بها السارد أو الحاكي أو الراوي وينتج عنها النص القصصي المشتمل على اللفظ (أي الخطاب القصصي) والحكاية (أي الملفوظ القصصي)⁽²⁾

والسرد بالمعنى الاصطلاحي على حسب غريماش هو: الخطاب السردى ذو طبيعة مجازية تنهض فيه الشخصيات بمهمات انجاز الأفعال ويستخلص من تعاريف السرد أنه يعتمد على موقع السارد أو الحاكي فيه باعتباره البؤرة التي يتم على أساسها تحديد المنظور الحكائي.⁽³⁾

وبالتالي فهو وسيلة مهمة في نسج وإعادة تكييف الأحداث الواقعية وتوزيعها في ثنايا النص الحكائي، فالعمل السردى قطعة من الحياة فهو عادة ما يحكي عن شخصيات تقوم بأفعال يمكن تصور حدوثها في الواقع المعيش.⁽⁴⁾

السرد مكون ضروري لكل محكي خطاباً شفوياً كان أو مكتوباً باعتبار أن المحكي مجموعة من الأحداث أو من الأفعال المتسلسلة التي تصبو إلى تحقيق غاية ما، تتحدد وفق أبعاد زمنية ومنطقية.⁽⁵⁾

¹ المرجع نفسه، ص 170.

² سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للنشر، دت، ص 77-78.

³ بكر أمين، السرد في مقامات الهمداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص 32.

⁴ التيجاني الزاوي، بناء الحكاية الشعبية في الجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة وهران - الجزائر - 2007-2008، ص 237.

⁵ نادية بوشقرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الأمل للطباعة والنشر، ط 1، 2008، ص 26.

أما السارد فهو الشخص الذي يعتمد عليه كل الاعتماد في الحكاية الشعبية كما له كامل الفضل في إضافة الرونق والجمال للحكاية، كلما أبدع السارد كلما اكتسب جمهوراً ضخماً شأنه في ذلك شأن كل فنان في مختلف ميادين الفن، فالسارد يركز على التعبير إذ بواسطته هو تتجسد الأفعال والأحداث.⁽¹⁾

✓ **وظائف السارد:** تلخص وظائف السارد في السرد إلى: ⁽²⁾

✓ **وظيفة السرد نفسه:** إذ أن أول أسباب تواجد الراوي سرده للحكاية.

✓ **وظيفة الإيلاج Communication:** وتتجلى في إيلاج رسالة للقارئ سواء كانت تلك

الرسالة الحكاية نفسها أو مغزى أخلاقياً أو إنسانياً كما في الحكاية الواردة على لسان الحيوان.

✓ **وظيفة استشهادية Testimoniale:** وتظهر هذه الوظيفة مثلاً حين يثبت السارد في خطابه

المصدر الذي استمد منه معلوماته أو درجة دقة ذكرياته.

✓ **وظيفة إيديولوجية Idéologique:** ونقصد هنا النشاط التفسيري للراوي كأن تشعل نظرة امرأة

بنيران الحب في قلب البطل فيوقف الراوي سرده، ويتحدث عن الحب بصفة عامة، أو يفسر أسباب نشوء هذا الحب.

✓ **وظيفة إفهامية Conative:** وتتمثل في إدماج القارئ في عالم الحكاية.

✓ **وظيفة انطباعية Expressive:** وتقصد هنا تبوء السارد المكانة المركزية في النص وتعبيره عن

أفكاره ومشاعره الخاصة.

كما أن هذه الوظائف بإمكانها أن تتداخل فيما بينها، باعتبار أن وجود الحكاية الشعبية يعني

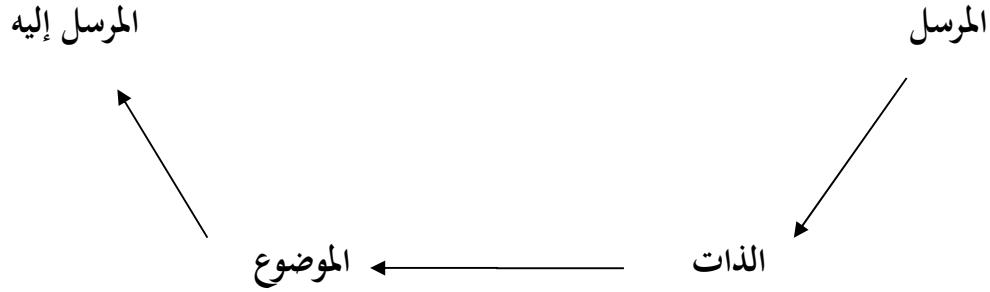
وجود مبدع ورواة، والرواة في رحلتهم مع الرواية يتفاوتون فيما بينهم فيما يخص اتساع حصيلتهم من

التراث القصصي، ومواهبهم الفيزيولوجية التي تتعلق بالبيئة والصوت وملامح الوجه، وسيطرتهم على

¹ حميد حميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص 13.

² سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص 108-109.

أدواتهم الفنية في عملية القص، وقوة ذاكرتهم، وقدرتهم وجرأتهم على الخلق والإبداع والتجديد، وتلعب كل هذه القدرات دورها في جذب انتباه الجمهور ودمجها في الجو الذي تخلقه الحكاية.⁽¹⁾ وهذا يقودنا إلى العلاقة التي تربط بين الراوي والمروي له والرسائل التي تصدر من الراوي، وهي تشبه إلى حد بعيد النموذج العاملي لغريغاس:⁽²⁾



ففي مجال الحكاية فإن المرسل ما هو إلا ذلك الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها وقد يكون الجد أو الجدة أو الأم أو الأخت الكبرى، أما الرسالة فهي كل ما يصدر عن المرسل، تتكون من الأحداث وتقترن بأشخاص يوفرها فضاء من الزمان والمكان، أما المروي له فهو الذي يتلقى ما يرسله الراوي، وبهذا الصدد نميز ضربين من علاقة السارد بالحكاية.⁽³⁾

- أولهما السارد الغريب عن الحكاية: وهو راو له مسيرة ذاتية مستقلة عن الحكاية التي يسرد أحداثها كما في روايات جورجى زيدان التاريخية، وتكون الحكاية هنا منسوبة إلى ضمير الغائب.
- في حين نجد السارد المتضمن في الحكاية: وهو راو حاضر كشخصية في الحكاية التي يروي أحداثها، ويلفظ هذا السرد باستعمال ضمير المتكلم.⁽⁴⁾

فالعامل السردى ماهو إلا قطعة من الحياة عادة ما يحكي عن شخصيات تقوم بأفعال تصور وقوعها في الواقع المعيش ومن هنا ظهرت أهمية الوقوف عند الخاصية التي تقول بأن عالم السرد يشكل

¹ عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986، ص35.

² كريمة نسان، الحكاية الشعبية في الجزائر، مقارنة سيميائية، ص 33.

³ المرجع نفسه، ص 33.

⁴ سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص106.

نسقًا خاصًا منفصلاً عن عالم التجربة الحية مما يعني بأن المصطلحات المستخدمة في التحليل تنبع بالأساس من العالم السردى بوصفه خطاباً لغوياً.⁽¹⁾

كما أن الراوي ليس هو من يبدع أجمل الحكايات، ولكنه من يتقن طريقة توصيلها إلى المستمعين.⁽²⁾

لابد من أن تكون للراوي موهبة تفرضه على مجتمع القص، وهذه الموهبة تقتضي امتلاكه لحصيلة من القصص التي تحفظها قوة ذاكرته وتسمى بالملكة الروائية والمقصود منها "المقدرة الكامنة في عقل الفرد"⁽³⁾

- «ضرورة أن يكون صوت الراوي جهوري وواضح بتلواناته المتغيرة بحسب مواقف الأحداث المروية وذلك التأثير في المتلقي، لذا فعلى الراوي أن يمتلك براعة الأداء التمثيلي الذي يسهم بشكل كبير في إيصال رسالته الشفاهية، وتصوير الأحداث للمتلقي وجعله يعيشها كأنها تجري أمامه، إذ يعتمد الراوي على قدرته بتقمص أدوار الشخصيات القصصية باستخدام القوة الحسية المتمثلة في حركة الجسم، وملامح الوجه وحركات اليدين والتنفس السريع أو الثقيل وكيفية الكلام والمبالغة لخلق الإثارة والمتعة، فالتضخيم والمبالغة في الأحداث يعكس مدى ذكاء وبراعة الراوي في قدرته على تصوير الغرائب وخلق التأثير والانفعال لمعايشة فحوى الحكاية»⁽⁴⁾

ب- الجمهور: هناك مسلمة في كل علاقات التواصل الإنساني هي استحالة ممارسة العملية التواصلية إذا غاب عنصر من العناصر الثلاث (بث - رسالة - متلقي)، فالمتلقي الذي اصطلاح عليه علماء السرد بالمقارئ تخصيصاً له بما يلاءم الفن الذي يمارس معه علاقة إقامة الحدث التواصلية، إذا ما غاب تنعدم العملية أصلاً وتموت، والأمر نفسه موجود في الحكاية الشعبية التي تعتبر نموذجاً تواصلية، وقد اصطلاح المهتمون بها على الشراكة والرابطة القوية بين السارد أو الراوي والجمهور فلا وجود لأحدهما دون الآخر

¹ التيجاني الزاوي، بناء الحكاية الشعبية في الجزائر، ص 247.

² غراء حسين منها، أدب الحكاية الشعبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، دط، 1997، ص 21.

³ عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، (دراسة ميدانية) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 34.

⁴ سومية أمزيان، مضامين الحكاية الشعبية في الجزائر، ص 602.

وما يميزهما هو الدور فقط، فالجمهور يتلقى النص بطريقة مباشرة تنعدم معه المسافة الفاصلة بينه وبين ناقل النص، وتتساوى المسافة التي تفصل الجمهور والراوي عن مصدر القصة فيصبح الراوي والجمهور شريكين في بناء الشكل التواصلي ويتساويان في تشكيل الخطاب من ناحية فكرته واتجاهه.⁽¹⁾

يستأثر الراوي في الحكاية الشعبية بصنع الكلمات لكنه غير متحرر تماما لأنه يقف أمام جمهور مستمر أو ينقطع بالنظر على أداء الراوي في التشكيل وشحن نصه بالمحمول الفكري والروحي لذلك فالراوي يحرص أشد الحرص على إرضاء جمهوره، ولا بد له من براعة فائقة تشد صلته بالنص والجمهور معا «وتنتج هذه العلاقة بين الراوي والنص والجمهور صفة جوهرية في القص الشعبي هي موافقة النص من حيث الفكرة والكلمة لمرجعيات الجمهور المتلقي الذي يفرض باستمرار عبر مراحل سرد النص مراقبة دقيقة صارمة.⁽²⁾

فالراوي العارف بجمهوره هو الأقدر على السيطرة عليه وجعله مندمجا مع حياة الكلمة والنص.⁽³⁾

جمهور القصة الشعبية باعتباره مرويا له مشاركا يؤدي وظائف متعددة بدء من الوظيفة الأساس والتي هي الاستماع للنص مروراً بوظيفة التعليق والتعقيب والسؤال، ولعل الوظيفة الأهم المنوط بالمروي له تحقيقها منح العمل الشكل المنطقي، واستيفاء شروطه الشكلية، وهذا الجمهور في مباشرته العلاقة في عملية تشكيل النص يصدر عن مرجعية حضارية ثقافية هي المصفاة الأساسية في ترشيح النصوص، فلا بد أن يعبر النص الناجح عن واقع جمهوره ويبني توجه خطابه بناء على مخطط القواعد الدينية والاجتماعية والثقافية.⁽⁴⁾

كما سبقت الإشارة إليه فإن القصة الشعبية تستمر أو تسقط تبعا لقدرة الراوي ومحمولها الذي يناسب واقع الجمهور أو ينافيه، لذلك تتسم عملية تلقي جمهور القص للرواية بالإيجابية فهو لا يكتفي بالاستقبال، بل يعد طرفا مشاركا في عملية القص، فهذا الجمهور يستمع أو لا يستمع يأخذ أو يترك

¹ مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف-التشكيل الفني والوظيفي (جمع ودراسة)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري-قسنطينة-الجزائر، 2003-2004، ص 95.

² المرجع نفسه، ص 95.

³ المرجع نفسه، ص 95.

⁴ مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف-التشكيل الفني والوظيفي (جمع ودراسة)، ص 96.

حسب مرجعياته وذوقه، ويصبح الجمهور الذي تلقى نص القصة راويا لها في محيطه وجمهور آخر تربطه به علاقات اجتماعية وثقافية موحدة وتتسع دائرة شيوع القصة في تزايد مطرد من دائرة إلى أخرى، لها في كل جيل ومقام شكل يختلف عن أول أصلها لكنه لا ينقطع معه.⁽¹⁾

ج- لغة الحكاية الشعبية: باعتبار أن الحكاية الشعبية «نص لغوي يكون الحديث عن طبيعة هذه اللغة ونظامها ووظيفتها يعتمد على استجابة الذاكرة الذهنية لصور النص وذاكرة الكلام معا وهو أمر معقد يزيد من فجوة تباعد النص عن مرجعه ويعطي الفرصة للراوي -مضطرا- للتخريج الخاضع لقدرة الذاكرة والرصيد الاجتماعي للكلام وليس الأمر متعلقا بتخريج واحد للنص، بل هو مكرر بعدد الرواة وانتقال النص في الزمان والمكان»⁽²⁾

«ذلك المتكلم في القصة الشعبية يخطط لكلامه مباشرة والمخاطب أمامه ينتظر الفرصة ليأخذ طرفا في الحديث يكرر نفسه كثيرا وبشكل مميز فيستعمل نفس التركيب النحوي ونفس المفردات، ويبادر إلى لفظة ترد إلى ذهنه بدلا من البحث عن اللفظة المناسبة وبملاء الوقفات في حديثه بشتى العبارات المكملة أو المائلة»⁽³⁾

د- فضاء الحكاية الشعبية: الفضاء هو الحيز الذي تظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤيا الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب أو الروائي.⁽⁴⁾

إن حاصل تفاعل العناصر الثلاث (الراوي، النص، الجمهور) لا يكون إلا في حدود يضعها كل عنصر من طبيعته وإمكاناته في إقامة الحدث التواصلية بناء لغويا ثقافيا وتاريخيا واجتماعيا... حيث يلتقي الراوي بالجمهور والنص، والجمهور يمارس سلطته على الراوي والنص وينطلق النص إلى آفاق خارج الحصر الاسمي للراوي والجمهور، وهي شبكة علاقات تقرأ بوضوح في ضوء حركة الزمان والمكان وما وجد في إطارهما، فالمكان يمارس على مسرحه العمل القصصي الشعبي خاضعا لمعطياته الصراعية

¹ المرجع نفسه، ص 96.

² ينظر، المرجع نفسه، ص 92-93.

³ المرجع نفسه، ص 93.

⁴ م. م. بان صلاح الدين محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية مج 11، ع 1، جامعة الموصل،

ص 198/6/9، 2011/6/9.

والتوافقية المنشئة لجدلية الفعل الواعي الهادف إلى ترسيم صورة المكان أو تغييرها، والمكان هنا ليس الإطار الجغرافي وإنما فلسفة الانتماء إلى الأرض ومتطلبات الانتماء، تلك الفلسفة يرسمها الزمن بماضيه المرجعي وحاضره المعيش ومستقبله الممكن، ولا مكان ولا زمان لنص القصة الشعبية خارج هذه الحركة وضوابطها.⁽¹⁾ ذلك أن «صلة هذا الفضاء بالزمان والمكان في النص الحكائي تظهر أكثر عمقا من المكونات السردية الأخرى، ويمكننا ملاحظة أن البحوث التي تصدت لدراسة الفضاء في السرد تعد حديثة العهد، وهذا لا يمنع من أن الأقدمين تنبهوا إلى الترابط الحاصل بين كل من الزمان والمكان»⁽²⁾ فضاء القص هو المجال الذي يدور فيه النص يحاول الإجابة عن أسئلة قاعدية: كيف وأين ولماذا؟ التي تلدها فلسفة الإنسان الدينامية، لذلك فالبحث عن فضاء أي عمل أدبي⁽³⁾ هو: «دراسات عن أسباب الشعور المتماثل لدى الأفراد وهي الروح العامة التي تظهر في اللغة والأساطير والدين والتراث الشعبي والفن والأدب وقواعد الأخلاق السائدة والعرف والقانون»⁽⁴⁾

«يعد الزمن نظام تتابع الأشياء أو الأحداث في تلاحق وتعاقب مستمر، وإن التمايز والاختلاف يظهران بين وظيفتي الزمان والمكان، لأنهما مختلفان في الأداء الوظيفي؛ فالمكان يمثل المسرح والخلفية التي تقع فيها الأحداث، أما الزمان فيتمثل في هذه الأحداث ذاتها، فإن كان الزمان هو الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه، لأن المكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث، كما يوجد اختلاف بين طريقة إدراك الزمان وطريقة إدراك المكان، إذ أن الزمان يرتبط بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي، وقد يسقط الإدراك النفسي على الأشياء المحسوسة لتوضيحها والتعبير عنها»⁽⁵⁾

إن فضاء النص هو البحر الذي يسبح فيه النص مع التيار وضده موافقا ومرسحا لما اتفقت عليه الجماعة، رافضا لخطر يهدد تماسكها ويزعزع وحدتها... إنه المجتمع بفئاته القاتلة والمرددة والمتلقية،

¹ مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف، ص 98.

² منيب محمد البورمي، الفضاء الروائي في الغربية، الإطار والدلالة، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، ودار النشر المغربية-الرباط، 1983، ص 21.

³ مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف، ص 98.

⁴ عبد المنعم خفاجي، عبقرية الإبداع الأدبي، أسبابه وظواهره، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، دط 2001 ص 37.

⁵ م. م. بان صلاح الدين محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، ص 198.

وتتكرر العملية من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر، ويهيمن الانتماء إلى المكان على فلسفة الجماعة فتهندس النص بالشكل الذي يتطابق ووعيها، ونص القصة الشعبية يتحرك في هذا الفضاء ويفعل في مكوناته مما يعني أن دوره يحقق أسلبة العلاقات الاجتماعية المتداخلة بين الأفراد، أي من خلال إجراءات فنية اقتصادية محددة تتيح للفرد أن يستوعب في ذاكرته وفي شعوره الباطني إدراكا مبهما ولكنه فعال للظواهر المرئية وغير المرئية التي تعد القوى الكامنة المحركة للحياة، ويكون الفضاء تبعا لهذا خارطة ثقافية لجماعة الممارسين لفعل القص في حدود الزمان والمكان والإسهامات التي يقدمها المنشئ من سعة الفضاء، يحاول في ذلك ملأه بمادة ثقافية هي معادل الفضاء في دفعه للتواصل النصي طالبا تحقيق التكامل وتثمين نتائجه.⁽¹⁾

سابعاً: محاور الحكاية الشعبية:

إن ما استعصنا به عن التصنيف هو رؤية النصوص من الداخل والفصل بينها من حيث محاورها، وليس محور القصة هو موضوعها — بالضرورة — فارتسمت بذلك دلالة المصطلح (محور) لتكون الأساس الذي يهيمن على حركة القص، وسيطر على باقي العناصر والهيمنة والسيطرة ليست إلغاء لباقي العناصر، وإنما المقصود هو تحكم العنصر المهيمن فيها وتطويعها لآفاق السرد، فيغدو جوهرها وتصبح العناصر الأخرى تبني جوهريته وتركزها.⁽²⁾

1) محور الإنسان: يقرر علم السرديات أن الشخصية الحكائية (personnage) ليست هي الشخصية في الواقع العياني ⁽³⁾ personne فالإنسان هو محور النصوص الحكائية وواقعها لا يرهقه الزمن ولا يقف المكان حاجزا في وجهه، وقد راهن النص على محور الإنسان وقدرته فرسم له خط سير خطير تصاعدي ونجاحه في النهاية إثبات تفوق الإنسان على القوى الأخرى التي تشاركه الودود في الزمن والمكان.⁽⁴⁾

¹ مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف، ص 98-99.

² مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف، ص 100.

³ حميد حميداني، بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط 1، 1991، ص 50.

⁴ مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف، ص 102.

فالراوي يصف البطل بأنه (ماكر وذكي) لإقناع الجمهور أنه فكرة النص ومحورها ويرتسم أفق انتظار غير قابل للاختراق، فلا يكون الزمن أو المكان نهاية ذلك المكر والذكاء وهو بذلك يسيطر على العناصر الأخرى، وكان محورها الذي تدور فيه، يتصرف في الزمن اختياراً وممارسة ويتحرك في المكان مخترقاً له بحرية، ولا يؤدي الإنسان دور المحور في السيطرة والهيمنة فقط، بل يكون نقطة تلقي عندها فرص التواصل الداخلي، لأجل بناء محورية أوسع من الجنس نفسه، وفي سياق النمط نفسه حيث يعرفها علماء النفس بأن الشخصية كما نفهمها اليوم هي مزيج من الفعاليات البالوجية والذاتية أو الفكرية والحوادث الاجتماعية.⁽¹⁾

والشخصية في الحكاية الشعبية واضحة محددة، وهي على الأغلب شخصيات نمطية تتحدد بموقعها في الحكاية أو بمكانتها في المجتمع كالأب والابن والزوج والملك⁽²⁾

تنقسم هذه الشخصيات إلى رئيسية كالأبطال وثنائية كالمساعدين والممانعين والشخصيات الشريرة التي تتصدى للشخصية البطة، مما يشكل صراعاً داخل النص الحكائي بالإضافة إلى تنوع الشخصيات بين الشريرة والخيرة ورئيسية وثنائية كذا هناك الشخصيات الثابتة التي تلزم صورة واحدة منذ بداية القصة إلى نهايتها، كصورة السلطان مثلاً والشخصية المتحركة فهي تلك التي تلحقها تغيرات كالشخصيات التي تتغير صورها في متن الحكاية الشعبية أو تظهر كل مرة بصورة مغايرة.⁽³⁾

(2) محور الزمن في الحكاية الشعبية: تتوفر الحكاية الشعبية على وسائل فنية وجمالية خاصة تشترك فيها مع بقية الفنون الشعبية السردية، وتنفرد بها عن الفنون الأخرى، ولعل من بين أهم العناصر المكونة للحكاية الشعبية عنصر الزمن الذي كان ولا يزال يثير الكثير من الاهتمام لما له في بناء القصة من دور يشبه ذلك الذي يلعبه اللون في اللوحة الزيتية، فهو يعطي للحدث صيغة خاصة تشير للحين الذي وقع فيه.⁽⁴⁾

¹ ثريا التيجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في الجنوب الجزائري-وادي سوف أمودجا-دار هومة، الجزائر دت، ص 108-109.

² مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة -دراسة ميدانية- ص 136.

³ ينظر، المرجع نفسه، ص 137.

⁴ المرجع نفسه، ص 139.

يقول أوغسطين: إذا لم يسألني أحد عن الزمن فإنني أعرفه، وإذا أردت أن أشرحه لمن يسألني عنه فإنني لا أعرفه⁽¹⁾ وهذا يفسر صعوبة الحصول على المعنى الواضح للزمن وهو من القضايا التي شغلت العديد من الباحثين والنقاد وحتى رجال الدين، يقول شكسبير: نحن نلعب دور المهرج مع الزمن وأرواح العقلاء تجلس فوق السحاب تسخر منا.⁽²⁾

وعلى الرغم من أن الدراسات الكثيرة للزمن قدمت له تصنيفات عديدة إلا أنها أجمعت على كون قضايا الزمن هي قضايا مركبة في العمل الحكائي، وعلى هذا الاعتبار قسموا الزمن إلى نوعين:⁽³⁾

- أ- **الزمن الداخلي:** الذي نقصد به الزمن الذي يتصوره الراوي لسير أحداث قصته فيشمل:
 - **زمن القصة:** وهو زمن المادة الحكائية في شكلها ما قبل الخطابي، أي زمن أحداث القصة في علاقتها بالشخصيات الأخرى.⁽⁴⁾
 - **زمن الخطاب:** وهو الزمن الذي تعطي فيه القصة زمنيها الخاصة من خلال الخطاب الذي تبرزه العلاقة بين الراوي والمروي له.⁽⁵⁾
 - **زمن النص:** وهو الزمن الذي يتجسد من خلال الكتابة التي يقوم بها الكاتب في لحظة زمنية مختلفة عن زمن القصة أو الخطاب، والتي من خلالها يتجسد زمن الكتابة وزمن القراءة.⁽⁶⁾
- ب- **الزمن الخارجي:** فيشمل زمن الكاتب وزمن القارئ أيضاً، عموماً فالزمن الخارجي للحكاية الشعبية هو حتماً ذلك الماضي الذي تدل عليه، ومن العبارات الدالة على ذلك (يحكى أنه في قديم الزمان كان سلطان...) أو (كانت امرأة وغيرها...) ⁽⁷⁾

¹ المرجع نفسه، ص 139.

² المرجع نفسه، ص 139.

³ المرجع نفسه، ص 140.

⁴ إدريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ددن، ط 1، قسنطينة-الجزائر-2000، ص 161.

⁵ المرجع نفسه، ص 162.

⁶ مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة-دراسة ميدانية، ص 140.

⁷ المرجع نفسه، ص 140.

- يحدد زمن الفعل بالاعتماد على تقنيات حددها جيرار جينات بأربع تقنيات هي: الخلاصة (sommaire) والوقفة (pause) والقطع أو الحذف (ellipse) والمشهد (scène)⁽¹⁾
- الخلاصة: هي أن يسرد الكاتب أو الراوي أحداثا ووقائع جرت في مدة زمنية طويلة في صفحات قليلة أو بعض الفقرات، أو في جمل معدودة، أي أنه لا يعتمد التفاصيل بل يمر على الفترة الزمنية مرورا سريعا لعدم أهميتها.⁽²⁾
- الوقفة أو الاستراحة: تحدث عندما يوقف الكاتب أو الحاكي تطور الزمن ونصادف هذه الوقفات الزمنية أثناء الوصف أو الخواطر ويسمى جيرار جينات الوقفات الوصفية.⁽³⁾
- القطع أو الحذف: وهي تقنية زمنية تقضي بإسقاط فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث.⁽⁴⁾
- ولهذه التقنية ثلاثة أنواع هي:⁽⁵⁾
- الحذف المحدد: وهو الذي يعلن فيه الكاتب لفظيا الفترة الزمنية لهذا القطع كقوله: (ومرت الأيام أو السنين...).
- الحذف الضمني: وهو الذي يكتشفه القارئ العالم بمضمون النص، ويشمل الفراغات الورقية والبياضات مثلا بين أجزاء الحكاية ويرمز إلى مرور فترة زمنية يعبر عنها الراوي بالفراغات وكأنه يشير إلى فترة يمر خلالها الزمن دون الدراية بنا حصل فيه.
- الحذف الافتراضي: وهو الحذف الذي يحس به القارئ دون أن يشير إليه الراوي.
- المشهد: من خلال هذه التقنية نستطيع الوقوف على القضايا والمواقف التي تسمح للقارئ والمستمع أن يطلع مباشرة على الشخصيات وأفكارها وحياتها اليومية.⁽⁶⁾ يقول الدكتور حميد حميداني: «المقطع

¹ ينظر، المرجع نفسه، ص 141.

² حسن مجراوي، بنية التشكيل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي، ط1، 1990، ص145.

³ مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص141.

⁴ حميد حميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص78.

⁵ مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص140، ص142.

⁶ المرجع نفسه، ص140، ص143.

الحواري الذي يأتي فيه كثير من الروايات في تضاعف السرد، إن المشاهد تشكل بشكل عام اللحظة التي يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق»⁽¹⁾

(3) محور المكان في الحكاية الشعبية: يقول عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

الآية 135- ومكانة الناس هي منزلتهم، وقد اختلف النقاد والدارسون في تسمية المكان، فمنهم من يطلق عليه اسم الحيز ومنهم من يسميه المكان، أما المصطلح الشائع والمعتمد في الدراسات الحديثة فهو "الفضاء" الذي يعادل مفهوم المكان في الرواية ولا نقصد به بالطبع المكان الذي تشغله الأحرف

الطباعية التي كتبت الرواية، ولكن ذلك المكان الذي تصوره قصتنا المتخيلة، لأن المكان في الحكاية على وجه الخصوص مكان يخلق عن طريق الكلمات وليس مكانا طبيعيا كالذي نحياه.⁽²⁾

فالمكان في الحكاية يمثل المواطن التي جرت الأحداث فيها، كالبيت والجامع والغابة والقصر والسوق والمقهى وغيرها...⁽³⁾ فهو كما تقول الباحثة سيزا قاسم: «يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح»⁽⁴⁾

يذهب غاستون باشلار في حديثه عن المكان ليس مكانا هندسيا خاضعا لقياسات وتقسيم مساحات الأرض، وإنما هو ذلك المكان الذي عاشه الأديب كتجربة، والمكان لا يعيش على شكل صور فحسب، بل يعيش في داخل جهازنا العصبي كمجموعة من ردود الفعل⁽⁵⁾ ويمكن أن نلخص أنواع الفضاء فيما يلي:

أ- الفضاء الجغرافي (L'espace géographique): من المفيد جدا أن نشير إلى أنه لا توجد أي علاقة بين المكان الواقعي والمكان داخل الحكاية، فالراوي حينما يختار فضاءاته من الأماكن الجغرافية التي يجد

¹ حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 78.

² ينظر، مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص 144.

³ المرجع نفسه، ص 144.

⁴ سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ددن، ط 1، بيروت، 1985، ص 75.

⁵ مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة-دراسة ميدانية، ص 145.

لها مرجعية واقعية يستعمل أسماءها وصفاتها لكي نعرف أنه اختارها دون سواها من الفضاءات الأخرى، وهو بهذا ينسج لنا بواسطة خيالية جغرافيا من خلال الأمكنة الموجودة في الحكاية أو الرواية.⁽¹⁾

إذ يقدم لنا حدا أدنى من الإشارات الجغرافية التي تكون فيه مجرد نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ أو من أجل استكشاف منهجية الأماكن.⁽²⁾

كما تذهب جوليا كرسيفا إلى أن الفضاء الجغرافي لا يمكن دراسته مستقلا وهي لا تجعله منفصلا عن دلالاته الحضارية، فهو إذن يتشكل من خلال العالم القصصي ويحمل معنى جميع الدلالات الملازمة له.⁽³⁾

ب- **الفضاء النصي L'espace Textuel**: هو ذلك الفضاء الذي يحتله النص في الصفحة الأولى، وهو الطريقة التي تشتغل بها الكتابة باعتبارها أحرفا طباعية لمساحة الورق ويدخل في هذا المجال تشكيل الغلاف ووضع العبارات الافتتاحية والفصول.⁽⁴⁾

ثامنا: بناء الحكاية الشعبية:

1- نمط البناء:

نمط بناء القصة هو انعكاس للبيئة التي تنتمي إليها -حضراريا- يعكس تفكيرها ونظرتها إلى الكائن والذي يجب أن يكون في سلسلة من العلاقات التبادلية بين التاريخ والتاريخ، وبين التاريخ والأدب، إذ يقف الإنسان محورا لدوران الأحداث يكرس بعضها، ويغير بعضها الآخر، ويرفض كذلك، والذي يعمق محورية الإنسان في تحديد النمط في القصة الشعبية هو فلسفة الفعل الروائي الموجود في الضمير الجمعي للأمة أو الشعب.⁽⁵⁾

¹ المرجع نفسه، ص 145-146.

² بشير عبد العالي، دلالة الفضاء في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغامي، كتاب الملتقى الخامس عبد الحميد بن هدوقة ص 80.

³ حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 84.

⁴ مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص 147.

⁵ مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف، ص 109.

نمط بناء القصة الشعبية هو تقابلي، الإنسان فيه هو محور ذلك التقابل الذي ينعدم لو انعدمت منظومة الثوابت الروحية المجسدة في النظام الأخلاقي ذلك التقابل يعني القول بنمطية الثنائية الضدية في بناء القصة الشعبية، ويكون المحور هو الجماعة التي لا تقبل وصاية الفرد في تعاملها مع الفن التعبيري، بل تنتج من عمق قناعتها الحضارية، وفي السياق تتحرك معظم الحكايات بين شكلين من الأشياء القبيحة والأشياء الجميلة، وتربط القبح بالعالم الأساس قبل التغيير في حين تربط الجمال بالواقع بعد التغيير.⁽¹⁾

والقصة بهذا الشكل النمطي من البناء القديم جدا الذي كرسه العقيدة الإسلامية تتحرك فيها الشخصية والحدث، ويتجلى فيها الصراع الأبدي الخالد، بين الخير والشر وبين المؤمنين والكافرين، وبين الرذيلة والفضيلة، وبين الإنسان والشیطان، الشيطان بشتى صوره ومغرياته والإنسان بقوته وضعفه، باستقامته وعوجه.⁽²⁾

أ- عناصر البناء: تتمثل عناصر الحكاية الشعبية في: الموضوع أو الفكرة الرئيسية والحدث والبناء والحبكة، والشخصية والأسلوب والبيئة الزمانية والمكانية، وفي مايلي سنركز الحديث عن العناصر التالية: (الحدث، الشخصيات، البنية الزمانية والمكانية):

- **الحدث:** عنصر أساسي -أيضا- في الحكاية الشعبية، وبه تتحدد أهميتها ويتقرر نجاحها والحادثة الفنية هي مجموع الوقائع المتسلسلة والمتراصة التي تدور حول أفكار الحكاية في إطار فني محكم، وتمثل الحبكة جزءا هاما من الحدث والأحداث في الحكاية الشعبية -عموما- وهي تصوير الصراع الدائم بين قوى الخير والعدل وقوى الشر والظلم لصراع أزلي والذي يفضي إلى انتصار الخير والعدل والمثالية.⁽³⁾
- **الشخصية:** عنصر أساس في بناء الحكاية وشرط رئيسي من شروط نجاحها، وتقدم الحكاية الشعبية أنواعا عديدة من الشخصيات التي تحمل الكثير من الغنى والتنوع والشخصية هي «مجموعة الصفات

¹ المرجع نفسه، ص 110.

² مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف، ص 110-111.

³ عبد المجيد إبراهيم قاسم، الحكاية الشعبية... أهميتها، عناصرها، ووظائفها، مجلة الحوار، الاثنين 2 نوفمبر 2015، إقليم كوردستان، العراق.

الاجتماعية والخلقية والمزاجية والعقلية والجسمية التي يتميز بها الشخص والتي يتميز بها الشخص والتي تبدو بصورة واضحة متميزة في علاقته مع الناس»⁽¹⁾

- **الزمان والمكان:** حيث تجري الأحداث وتتحرك الشخص ونعني بالبيئة الزمانية؛ المرحلة أو المراحل التاريخية التي تصورها الأحداث، أما البيئة المكانية؛ نقصد بها المحيط الجغرافي الذي تجري فيه أحداث الحكاية.

فالزمن يشبه اللون في اللوحة الزيتية، فهو يعطي للحدث صبغة خاصة تشير للحين الذي وقع فيه.⁽²⁾

يرتبط المكان بمعظم الفنون الأدبية وغير الأدبية، فالرسم يحتاج إلى مكان والموسيقي يحتاج إليه كذلك، كما أن المسرح لا يقوم إلا على المكان، حتى عبر الباحث شكري عبد الوهاب عن المكان بأنه (يعني المسرح أو دار العرض المسرحي) فاللوحة الزيتية مكان، والورقة مكان، والقلم مكان، والآلة الموسيقية مكان والجسد مكان، وكل شيء له وجود مادي، فإنه يخضع لقانون المكان، كونه يشغل جزءا من هذا الوجود، وحتى الجنة والنار تعدان مكانين غيبيين، حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم مكان الجنة بقوله: مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.⁽³⁾

لم يشغل المكان بال أصحاب الفن المحسوس من مسرح أو رسم فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى الأدب، يقول عبد الملك مرتاض: «فالحيز كما نرى لم يكن قط وقفا على الأدب وحده، وما كان ينبغي أن يكون كذلك، بل هو مظهر يمثل لكل الذين يتعاملون معه بالفكر والقلم والريشة والصورة جميعا، ولكن لما كان الأدب هو الأصل في التفكير وفي الخيال وفي التصوير وفي كثير من مظاهر الإبداع الآخر فإنه قد يكون هو المجال الذي يتبنك فيه الحيز ويتمكن بامتياز»⁽⁴⁾ وما الشعر الجاهلي إلا دليل واضح

¹ أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، مصر، 1968، ص54

² ثريا التيجاني، دراسة لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، ص112.

³ إسماعيل زغودة، بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة، عبد الجليل مرتاض أمودجا، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر- 2013-2014، ص102-103.

⁴ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، دت، ص205.

على ذلك من خلال اهتمام الشاعر القديم بالبطل حتى وإن كانت هذه النظرة نابعة من الخيال الذي يعد عماد النص الأدبي.⁽¹⁾

لم يقتصر الاهتمام بعنصر المكان على الشعر فقط، بل تعداه إلى الفنون النثرية والشفهية كالحكاية والمقامة، حيث نجد أن مثل هذه الفنون الأدبية لا تخلو من هذا العنصر، فبديع الزمان الهمداني تأثر بالمكان ودليلنا على ذلك أن ظهوره كان في ثلاث وعشرين مقامة كالمقامة الكوفية نسبة إلى مدينة الكوفة، والمقامة البلخية نسبة إلى أقاليم بلاد فارس الشرقية...⁽²⁾

أما بالنسبة للحكايات الشعبية نجد في حكايات ألف ليلة وليلة مثالا أن المؤلف يكشف عن عنصر المكان في بداية سرد الحكاية، يقول الراوي: حُكي والله أعلم فيما مضى من قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند وخدم وحشم... والملاحظ هنا هو اقتران عنصري المكان والزمان منذ بداية ظهور الفنون الأدبية إلى يومنا هذا، حيث لا نجد قصة قصيرة أو رواية خالية من العنصرين السالفين لما لهما من أهمية في الأعمال السردية.⁽³⁾ كما أنهما عنصران يتفاعلان ويتبادلان التأثير والتأثر والإنسان باعتباره محورا للزمان والمكان فهو واقع حتما تحت تأثير مزدوج من هذين العنصرين القطبيين، فإن الكاتب مهما كان نوع خيالية أعماله لا يمكن أن يتخلى عن هذين العنصرين ولا يمكن للدارس كذلك أن يهمل الاهتمام بهما فهما مرتبطان شديدا بالارتباط.⁽⁴⁾

ختاما لهذا الفصل نقول أن الحكاية الشعبية بصفة عامة تعد تراثا شعبيا ضخما يعكس هوية المجتمع الذي نشأت فيه، تكمن أهميتها في الدور الذي تؤديه في ترسيخ القيم الأخلاقية وحفظ العادات والتقاليد المتأصلة وذلك عن طريق روايتها مشافهة عبر الأجيال، وتبنيها مواضيع متنوعة وعلى رأسها موضوع المرأة التي كان لها دور ليس بالهين داخل أسرتها ومجتمعها، خلال مراحل عمرها المختلفة، وهو ما سنطرحه في الفصول الموالية بالتفصيل.

¹ المرجع نفسه، ص 103.

² عمر عبد الواحد، السرد والشفاهية، دراسة في مقامات بديع الزمان الهمداني، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط2، 2003 ص30.

³ إسماعيل زغودة، بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة، عبد الجليل مرتاض أنموذجا، ص106.

⁴ ثريا التيجاني، دراسة لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، ص 112.

فصل ثاني

المرأة في المجتمع الإفريقي

تقديم:

ونساء لقوله تعالى: 







 سورة الروم - الآية 21.

أشارت جميع الكتب السماوية على أن حواء خلقت من ضلع آدم كما ذكر سفر التكوين "فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه وسد مكانها باللحم، وعمل من هذه الضلع امرأة أحضرها إلى آدم فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، فهي تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت"... والحكمة من ذلك في قول الله عز وجل: "لن أخلقها من الرأس حتى لا ترفع رأسها في كبرياء، ولن أخلقها من العين حتى لا تكون مفناجة (جميلة جداً) ولن أخلقها من الفم حتى لا تكون ثرثارة للغاية، ولن أخلقها من القلب حتى لا تكون غيورة أكثر من اللازم، ولن أخلقها من اليد حتى لا تكون متطلعة أكثر من اللزوم إلى الحصول على الأشياء، ولن أخلقها من القدم حتى لا تكون كثيرة التجوال هنا وهناك، ولكن خلقتها من جزء مختلف من أجزاء الجسم حتى تكون متواضعة"⁽¹⁾

فبعد أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحواء أعد لكل منهما وظيفة خاصة به دون تمييز بينهما، لكن شاءت الأقدار للمرأة أن تحتقر وتضطهد وتسلب حقوقها في كثير من الحضارات، في حين أعطتها بعض الحقوق، إلى أن جاء الإسلام وأنصفها.⁽²⁾

¹ ينظر، زكي على السيد أبو غضة، المرأة في المسيحية واليهودية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، المنصورة، 1424هـ-2003م، ص 7.

² ينظر، مالية بصال، مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، مجلة تافزا للدراسات التاريخية والأثرية، مج1، ع0، 29-2021، ص 22.

1- مكانة المرأة في الحضارات القديمة:

منذ العصور السحيقة كان الإنسان هائما في الطبيعة يتغذى على الأعشاب ويحتمي بالطبيعة بما فيها من الأخطار التي تهدده بالفناء، وحين يلتقي الذكر بالأنثى يحسان برغبة وحنين في اللقاء وكانا يشعران بلذة فيقومان بعملية اتصال بدني حميم، هكذا كان يتم اللقاء الجنسي بين الذكر والأنثى، وفي غمرة الكفاح من أجل البقاء، ولم يكن الإنسان الأول يرى الاتصال الجنسي سوى حاجة ملحة ورغبة لا يدرك نتائجها على استمرار النوع، لكن عقب ذلك الاتصال الجنسي يظهر إلى الوجود أشخاص جدد يكبرون تدريجيا، ولم يربط الإنسان الأول بين الإخصاب ودور الرجل وأحس الإنسان أن روحا تحل بالأنثى فتجعلها تحبل.⁽¹⁾

ولم يكن في ذلك الوقت أي تفوق لأحد الجنسين على الآخر، فكلاهما كان يقتات من ثمار القطف، ويتغذى على الصيد، وقد أثبتت أبحاث الأنثروبولوجيا أنه في تطور البشرية لم تكن فوارق تذكر بين الصفات الجسدية للرجل والمرأة، وأن كليهما كان يتمتع بقوة ومرونة شبه متماثلين.⁽²⁾

إن الفرد في هذا الوقت كان خاضعا للجماعة، والزواج كان جماعيا حيث كان بإمكان المرأة أن تتصل بالعديد من الرجال كما كان بإمكان الرجل أن يفعل ذلك، والأبناء في مثل هذه الحالات كانوا يتبعون القبيلة كاملة، وهذا ما أطلق عليه "باكو فين" اسم الزواج الجماعي.⁽³⁾

اكتشف النظام الأمومي على يد "باكو فين" حيث كانت الأم هي التي تهتم بالأبناء وترعاهم وإليها ينتسبون، ولا ينتسبون للأب، بل لا يعرف الأب في كثير من الأحيان وبعد مدة من الزمن اكتشف الإنسان الصيد وبقيت الأم مع الأبناء واشتغل الرجل بالصيد واستسلمت الأم لسلطة الرجل

¹ صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر ص10.

² كولنتاي ألكسندرا، محاضرات حول تحرر النساء، تر هنريت عبودي، دار الطليعة، بيروت، شباط، فبراير، 1980 ص11.

³ نوال السعداوي، المرأة والجنس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1972، ص83.

مقابل كسب القوت ومعلوم أن الصيد مرتبط بالدم أي القتل، ولذلك صار الدم مكروها إلا أثناء الصيد وعلى ذلك بالمرأة وهو ينزف دمها وقت الحيض أو وقت الولادة كانت مكروهة وصارت تخفي نفسها حتى لا ترى، ومن ثمة نشأ الحجاب الذي أخذ في عصور لاحقة تبريرات دينية وسيكولوجية تصف المرأة بأوصاف مختلفة مثل القصور وعدم رجحان العقل.⁽¹⁾

هذا المفهوم الذي ظل منتشرا إلى يومنا مع ضعف وقلة الوازع الديني، فهناك من يفسر حديث النبي صلى الله عليه وسلم «...ناقصات عقل ودين» بمفهوم غير ما تدل عليه فيرجحون أن المرأة ليس لها عقل ولا تفكر وأن دينها ناقص ودين الرجل كامل غير أن المراد من الحديث ليس ظاهره وإنما المراد ما وضحه باقي الحديث من أن نقصان العقل يعني شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ونقصان العقل يعني تركها للصلاة والصوم حال الحيض والنفاس.

في مرحلة موالية ومع اكتشاف الزراعة انتظمت الأسرة أكثر واستقر المجتمع وامتلك الرجل الأرض وما عليها، كما امتدت ملكيته إلى المرأة والأبناء وتحول النظام إلى نظام أبوي وصار الأبناء ينسبون إلى الأب بدل الأم، تقول "سيمون دي بوفوار": حين ظهر النظام الأبوي أخذ الأب يتمسك بذريته واعتبرت المرأة حامية ومغذية لبذرة الرجل فقط.⁽²⁾

بذلك فقد انحطت مكانة المرأة وارتفعت مكانة الرجل، واعتبر عمل المرأة شيئا ثانويا ونسب الأبناء للأب، لأن المجتمع الزراعي يهتم بالأبناء كأيد عاملة يستغلون لخدمة الأرض وقد استتبع هذا النظام أحادية الزواج فلم يعد بإمكان المرأة أن تتزوج بأكثر من واحد على عكس الرجل الذي بإمكانه امتلاك عدد من النساء.⁽³⁾

¹ موسى سلامة، المرأة ليست لعبة الرجل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، حزيران 1956، ص 17.

² سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، تر لجنة أساتذة الجامعة، المكتبة الأهلية، بيروت، ص 14.

³ صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 11.

هذه النقلة يدعوها "أنجلر" هزيمة النساء التاريخية الكبرى، لأن المرأة فقدت ميدان الشغل في الخارج وانحصرت أعمالها في حيز محدود هو البيت وتحول الجنس بذلك من حاجة ملحة بيولوجية يحقق إشباعها لذة تحول إلى وسيلة للإخصاب بالدرجة الأولى.⁽¹⁾

أ- المرأة في العصر الحجري القديم:

كشفت الآثار القديمة المادية في عصور ما قبل التاريخ عن صور المرأة وخلقها ومعاملتها من قبل الرجل والمجتمع، فالغرافيتيون في العصر الحجري القديم اعتبروا المرأة لها وظيفة واحدة وهي التوالد وهي ترمز للخصب حيث أقاموا لها تماثيل صغيرة بملامحها الجنسية لتستعمل في بعض المراسيم لتضمن تكاثر حيوانات الصيد حسب اعتقادهم⁽²⁾

ب- المرأة في العصر الحجري الحديث:

انضمت المرأة في العصر الحجري الحديث إلى القطاع الصناعي وخاصة التقليدي منه حيث برعت في صناعة الخزف والأواني المصنوعة من الخشب أو الحجر الأملس والنبات فنسجت النساء من خيوطها أقمشة واستخدمت آلة محكمة الصنع وهي النول⁽³⁾

فكان الفضل في اختراع الغزل يعود للنساء في هذه المرحلة كما ظهرت مجموعة كاملة من الأواني والأباريق والأقداح والمصافي وأنايب الشرب، وأصبح استعمالها عادة مرعية أثناء حفلات شربهم، كل هذا من صنع النساء بما في ذلك صنع المشروبات والخمور حيث اهتمت النساء في هذا العصر إلى الجعة.⁽⁴⁾

كما ارتبطت الزراعة بالمرأة كذلك في هذا العصر فكن يزرعن الكتان ويستخرجن من نباته خيوطا كانت تصنع منه النساء نسيجاً يخطن منه ملابس بدلا من الجلود التي كان يلبسها السلف... وبقيت

¹ المرجع نفسه، ص 11.

² ينظر، علي عثمان، المرأة العربية عبر التاريخ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، دت، ص 9.

³ المرجع نفسه، ص 9.

⁴ المرجع نفسه، ص 9.

المرأة المعول عليها في أعمال الزراعة حتى استعمل الحيوان وسكة الحرث في هذا العصر، فبدلاً من غرق الأرض بأيدي النساء صاروا يفلحونها بالمحراث على البقرة، ولما كانت قوة المرأة غير كافية لذلك اقتضت الحالة أن يترك الرجل الفطري شيئاً فشيئاً أعمال القنص والصيد ويتفرغ للشؤون الزراعية، وعليه فقد ارتقى الرجل إلى مرحلة أرقى وهي مرحلة الزراعة وعليه فقد كانت المرأة حتى هذا الوقت تقوم ببعض الأعمال الإنتاجية كالنسيج والبستنة وغيرها وبالتالي كان لها دور كبير في الحياة الاقتصادية»⁽¹⁾

ج- المرأة عند الإغريق (اليونان):

كانت المرأة عند الإغريق محتقرة مهانة وقد عوملت معاملة المخلوقات الوضيعة واعتبروها رجساً من عمل الشيطان، وكانت كسقط المتاع تباع وتشترى في الأسواق⁽²⁾ يدعم هذا الكلام ما قاله الفيلسوف سقراط: «إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر الأزمة والانهيار في العالم، وإن المرأة تشبه شجرة مسمومة، حيث يكون ظاهرها جميلاً، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً»⁽³⁾

جردت المرأة اليونانية من كافة حقوقها المدنية، ووضعت تحت سيطرة الرجل المطلقة في مختلف مراحل حياتها، بل كانت تعتبر من ممتلكات ولي أمرها قبل الزواج ومن ممتلكات زوجها بعد الزواج، ولا تميزها في الحالة الأخيرة إلا بمميزات تافهة عن سريات الرجل وجواربه وإن مات زوجها تقع تحت سيطرة أكبر أبنائها، كما كانت محرومة من الميراث وحق التصرف في المال، يقول أرسطو في هذا الصدد: «ثلاث ليس لهم القدرة على التصرف في أنفسهم، العبد فليس له إرادة، والطفل له إرادة ناقصة، والمرأة لها إرادة لكنها عاجزة»⁽⁴⁾

¹ علي عثمان، المرأة العربية عبر التاريخ، ص 10-11.

² مالية بصال، مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، ص 23.

³ باسمه كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ص 37.

⁴ المرجع نفسه، ص 23.

فاليونانيين على وفرة نصيبهم من الفلسفة والفن لم يرتفعوا بالمرأة إلى منزلة أعلى من منزلة الخادمة أو مدبرة البيت على أحسن الحالات، وكانوا يسكنون المتزوجات في حجرات تقل فيها النوافذ ويندر الخروج منها إلى الأسواق والمحافل.⁽¹⁾

إن المجتمعات اليونانية التي يسودها ويسوسها الذكور قصرت دور النساء عامة على أداء الشعائر الدينية والإشراف كذلك على عمليتي الولادة والوفاة باعتبارهما من التجارب الانتقالية، أي أن الإناث يلعبن دور الوسيط للدخول إلى الظلمة والخروج منها، والوفاة انتقال من الظلمة، والميلاد انبعاث إلى النور أي أن صورتهم مرتبطة بأداء خدمة مزدوجة ذات وجهين، وهي إخراج الجسد من الرحم ثم حمله على القبر، والعبور بالروح إلى ما يمكن أن يتخيله العقل من عالم مليء بالغموض والعتمة إلى مثوى الأموات، إلى العدم.⁽²⁾

واعتبر اليونانيون - مثلهم مثل الثقافات الأخرى - جسد الأنثى وتكوينها البيولوجي ملوثا للرجل، فحرم عليه لمسها أثناء حيضها أو بعد مخاضها، وحرم عليه دخول المعابد بعد مضاجعتها، وكما كان يحدث في المجتمع الذي كتب فيه الشعر التاميلي³ القديم حيث ذكر أن كل ما يخرج جسد الأنثى من عرق وبول ودم طمث نجاسة، بل إن مجرد لمس لبن الرضاعة لصدر الرجل يدنسه على الرغم من أن المرأة اعتبرت في المجتمع ذاته رمزا للقدسية.⁽⁴⁾

د- المرأة في العصر النحاسي:

في هذا العصر تغير دور المرأة إذ استراحت النساء من أكثر الأعمال إرهاقا وهو الزراعة والحرث فأصبح العمل موكلا للحيوان حيث «اخترع نوع جديد من المحراث ربما كانت الخطوة الأولى أن تجعل

¹ علي عثمان، المرأة العربية عبر التاريخ، ص 23.

² إفريل كامبيون، إميلي كوهرت، صورة المرأة في العصور القديمة، تر: أمل رواش، المركز القومي للترجمة، ط 1، 2016، ص 25.

* لغة ولاية مدراس بالهند والأجزاء الشرقية من سيلان.

⁴ إفريل كامبيون، إميلي كوهرت، صورة المرأة في العصور القديمة، ص 26.

زوجا من الثيران تجران في الحقل وقد حول المحراث عمل المزارع من تعهد حقل صغير إلى زراعة وحرث حقول، جمع بين الزراعة وتربية المواشي جمعا وثيقا»⁽¹⁾

هـ- المرأة في مدينة عصر البرونز (في مصر):

كانت المرأة في الحضارة المصرية القديمة على عكس الحضارات الأخرى كاليونانية التي كان مجتمعها ذكوريا يبجل الرجل في جميع نواحي الحياة خاصة الجيدة منها ويرمي كل ما هو دنيء على المرأة محتقرا شخصيتها، فالمرأة المصرية كما صورتها التماثيل الفرعونية القديمة والرسومات الأثرية كانت تبدو سعيدة في أبهى حلة وأحسن صورة إلى جانب أسرتها وزوجها كما تظهر عليها علامات الصحة والرضا « فهي التي تحمل لقب " بنت بر " أي " ربة البيت " »⁽²⁾

كان المصريون القدماء يسمون الزوجة "سيدة البيت" وكانت الفتاة تخاطب حبيبها بقولها "اتخذني سيدة بيتك" وكان من حقها أن تشترط عليه أداء تعويض لها إن تزوج زوجة أخرى.⁽³⁾ كما عرف المصريون تعدد الزوجات عن طريق التسري، لأن النظام الاجتماعي كان يقضي بتقسيم الشعب إلى طبقات، ولم يكن مباحا للرجل أن يتزوج إلا امرأة واحدة من طبقته، ولكن له أن يتسرى، على أن تكون زوجته سيدة سرارية.⁽⁴⁾

وكانت النساء في مصر يمارسن التجارة، فقد ذكرت هيرودوت أن النساء المصريات كن يذهبن إلى السوق ويفرغن للتجارة، أما الرجال فكانوا من منازلهم ينسجون، وبعد الحكم اليوناني لمصر أباح فرعون وحورس للأعيان أن يملكوا الأرض - وكان تملكها قبل ذلك مقصورا على الملك والأشراف والكهنة والقواد، ولم يكن لعامة الناس ما يستحق أن يملك ويورث - فخيف من استئثار الرجل بالملكية

¹ علي عثمان، المرأة العربية عبر التاريخ، ص 12.

² عبد الحليم نور الدين، المرأة في مصر القديمة (محاضرة)، مكتبة الإسكندرية، ص 2.

³ إفريل كامبيرون، إميلي كوهرت، صورة المرأة في العصور القديمة، ص 14.

⁴ محمد جميل بيهم، المرأة في التاريخ والشرائع، دط، ددن، بيروت، 1339هـ/1921م، ص 17.

عقب أن شاع تعدد الزوجات، فعمدت المرأة إلى كبح استئثاره بالاشتراط في عقود الزواج حتى كانت إحداهن تشتترط عليه أن تنتقل أملاكه كلها إلى ولده منها إذا تزوج بغيرها.⁽¹⁾

و- المرأة في الحضارة الرومانية:

الرومان هم ورثة حضارة اليونان، التزموا بموقفهم واعتقاداتهم أن المرأة أقل شأنًا من الرجل، وأنها أداة للإغواء ووسيلة للخداع وإفساد قلوب الرجال، لذلك نظروا إليها نظرة احتقار واستدلال، واعتبروها متاعا للرجل، وسلعة رخيصة يتصرف فيها كيفما شاء، وأن حياتها ليست ملك لها.⁽²⁾ فكانت تعيش تحت سيطرة الرجل منذ ولادتها، وإذا تزوجت خرجت من سلطة وسيطرة الأب أو الجد إلى سيطرة الزوج وتقطع علاقتها بأهلها وليس لها سيطرة على نفسها وحتى على حياتها أو موتها وكأن شخصيتها منعدمة... وأنها جسد بلا روح... وقد بلغ من سيادة زوجها عليها أنها كانت تحال إليه إذا ما اتهمت بجرمة ليحاكمها ويعاقبها بنفسه، وكان له أن يحكم عليها بالإعدام إذا خانت أو سرقت مفاتيح خزائن خمره، ولا تستطيع المرأة أن تستقل بأمر نفسها بل تخضع للصاية الدائمة، فإذا توفي زوجها دخلت في وصاية أبنائها الذكور أو إخوة زوجها أو أعمامه، لذلك قالوا: "توجب عاداتنا على النساء والرشيدات أن يبقين تحت الوصاية لحفة عقولهن"⁽³⁾

من مهانة المرأة عندهم أنهم عقدوا مؤتمرًا كبيرًا في روما وبحثوا في شؤون المرأة، وانتهى المؤتمر بالقرارات

التالية:⁴

✓ أن المرأة موجود ليس لها شخصية إنسانية، ولهذا فإنها لا تستطيع أن تنال الحياة في الآخرة.

✓ يجب على المرأة ألا تأكل اللحم وألا تضحك ولا تتكلم.

✓ أن المرأة رجس من عمل الشيطان، ولهذا فإنها تستحق الذل والهوان في المجتمع.

¹ أحمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط2، 1383هـ-1963م، ص73.

² مالية بصال، مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، ص23-24.

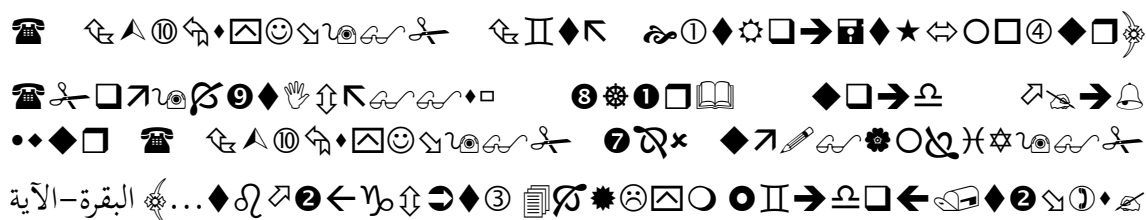
³ ينظر، بابكر رحمة الله محمد محمد، مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام، المؤتمر الدولي الأول، سيرة النبوية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم- السودان، صفر 1434/2013، ص146.

⁴ المرجع نفسه، ص146-147.

وجملة القول أن المرأة كانت ذات مركز حساس في مطلع التاريخ البشري ثم هبطت مكانتها ثم ما لبثت أن أخذت تستعيدها في مطلع فترة توسع الحضارة وبلغت شأوا هاما في هذا السبيل في بابل ومصر، وهي الحضارة الوحيدة التي خولت المرأة مركزا شرعيا تعترف به الدولة والأمة، وتنال به حقوقا في الأسرة والمجتمع، تشبه حقوق الرجل فيها، ولا تتوقف على حسن النية من جانب الآباء والأبناء والأقربين، أما الحضارات الأخرى فكل ما نالته المرأة فيها من مكانة مرضية فإنما كانت تناله من بواعث العاطفة على حالها من حميد وذميم.

1- عند اليهود

كان الرجال اليهود يستقبلون نهارهم بتقديم الشكر لله أنه لم يخلقهم نساء⁽¹⁾ حيث كانوا يقولون في دعائهم مما جاء في كتاب الصلوات الرسمي: "بوركت يا إلهي يا من لم تجعلني امرأة"²، ذلك لأنهم اعتبروها رجسا لا يقربه الرجل، ومن صور مهانة المرأة عند اليهود أنهم لم يؤكلوها ولم يجالسوها ولم يسكنوها في بيت واحد، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه: "أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى قوله:



222، فقال صلى الله عليه وسلم: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد

¹ بابكر رحمة الله محمد احمد، مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام، ص 145.

² زكي، السيد أبو غضة، المرأة في المسيحية واليهودية والإسلام، ص 7.

هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا فلا نجتمعن؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل في آثارهما، فسقاها فعرفا أن لم يجد عليهما.⁽¹⁾

ولعل أفسى عقوبة عندهم تلك التي تحل بالزاني إذ يرحم حتى الموت، وهذا يشاكل الدين الإسلامي في هذه الناحية وترجم معه المزني فيها إذا كان الجماع قد تم على رضى منها، وجاء في التلمود أن موسى قال: «لا تشته امرأة قريبك، فمن يزن بامرأة قريبه يستحق الموت»⁽²⁾

وكانت المرأة في المجتمع اليهودي تعتبر ملك أبيها قبل زواجها وتشتري منه عند نكاحها، لأن المهر كان يدفع لأبيها أو لأخيها على أنه ثمن الشراء، ثم تصير مملوكة لزواجها وهو سيدها المطلق، وإذا مات زوجها ورثها وارثه لأنها جزء من التركة، وله أن يبيعها أو يعضلها.⁽³⁾

وإذا مات الرجل ولم يتزوج أحد إخوته الأرملة الجديدة حق لها أن تعود إلى بيت أبيها والزواج ثانية، وإذا مات عنها زوجها وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج البيت لرجل أجنبي إذ يدخل عليها أخ زوجها ويتخذها زوجة ويقوم لها بواجب أخ الزوج والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يحى اسمه من إسرائيل.⁽⁴⁾

وقد كان اليهود يبيعون زواج الأخ من أخته، ومن بنت الأخ، وبنت الأخت، وبنت امرأة الأب، ثم بعد ذلك حرموا الأم، وامرأة الأب، والأخت لأب أو لأم، وابنة الابن، والعمة والخالة، وزوجة الابن، وبنت امرأة الأب، والأصول والفروع، كما عرفوا أنواعا أخرى من الزواج، مثل زواج المتعة، ثم نحو عنه.⁽⁵⁾

¹ بابر رحمة الله محمد محمد، مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام، ص 144.

² أحمد شلي، اليهودية، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، 1988، ص 270.

³ مالبية بصال، مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، ص 25.

⁴ بابر رحمة الله محمد محمد، مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام، ص 145.

⁵ ينظر، أحمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص 31.

أما فيما يخص موضوع الميراث عند اليهود فإن المرأة تعتبر في حد ذاتها تركة، لهذا لا يحق لها أن ترث لا أبيها ولا زوجها «إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، أو ما يتبرع لها به أبوها في حياته...» وحين تحرم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر يثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج إذا كان الأب قد ترك عقارا، أما إذا ترك مالا منقولاً فلا شيء لها من النفقة والمهر، ولو ترك القناطير، وإذا آل الميراث للبنت لعدم وجود أخ لها ذكر لم يجز لها أن تتزوج من سبط آخر، ولا يحق لها أن تأخذ ميراثها إلى غير سبطها»⁽¹⁾

2- المرأة في الجاهلية:

كانت المرأة في الجاهلية قبل الإسلام تعامل على أنها متاع من الأمتعة التي يملكونها مثل الأموال والبهائم، ويتصرفون فيها كيفما شاءوا، وكانوا لا يورثون المرأة ويرون أنها ليس لها حق في الميراث، وكانوا يقولون: "لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة."⁽²⁾

وكانوا يرثون المرأة إذا مات عنها زوجها، وكانت عدة المرأة سنة كاملة في أقبح صورة فتلبس شر ملابسها، وتترك الزينة والطيب والطهارة، فلا تمس ماءً ولا تقلم ظفرًا، ولا تزيل شعرًا، ولا تبدو للناس في مجتمعهم، فإذا انتهى العام خرجت بأقبح منظر وأنتن رائحة، فعن زينب بنت أبي سلمة قالت: سمعت أُمِّي أم سلمة رضي الله عنها تقول جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها؟ فقال صلى الله عليه وسلم "لا مرتين أو ثلاثا" كل ذلك يقول: لا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما هي أربعة أشهر وعشرا، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبرة على رأس الحول"، قال حميد: فقلت لزينب وما ترمي بالبرة على رأس الحول؟ فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم

¹ مالية بصال، مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، ص25.

² بأكبر رحمة الله محمد أحمد، مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام، ص141.

«أما النكاح في الجاهلية فكان على أربعة أنحاء كما أشارت إليها أمنا عائشة رضي الله عنها: وأولها هو ما يعرف "بنكاح الشغار" وهو أن يزوج الرجل وليته أو ابنته لرجل آخر على أن يزوجه وليته أو ابنته دون مهر بينهما، وقد حرمه الإسلام فيما بعد، فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زواج الشغار.. و"نكاح الاستبضاع": بأن يعتزل الرجل زوجته بعد طهارتها من الحيض ويستبضعها لرجل آخر حتى يتبين حملها منه، ثم يرجعها إليه، أما النوع الآخر من النكاح أن يقوم رهط من الرجال ما دون العشرة بالدخول على امرأة واحدة، وعندما تضع حملها تستدعيهم وتختار أبا منهم لطفلها فيكون على اسمه سواء كان ابنه أم لا، وآخر نكاح في الجاهلية هو نكاح البغايا اللاتي كن يعرفن بوضع علامات على أبوابهن، ومن أرادهن دخل عليهن، وإذا حملت إحداهن وأنجبت ولداً عقدوا اجتماعاً وألحقوا ابنها بالذي يرون دون امتناع من هذا الأخير، لكن بمجيء الإسلام حرم جميع هذه الأنواع، وأصبح على الشاكلة التي نراها اليوم»⁽²⁾

«مما شهدته العصر الجاهلي ظاهرة سبي النساء بعد الغزوات والإغارات التي كانوا يقومون بها في سبيل الحصول على الزاد في حلهم وترحالهم لأنهم كانوا أهل بادية يجوبون القفار بحثا عن مواطن المياه، وطلبا للمرعى، هذه الأسباب جعلتهم يتشاءمون من إنجاب البنات خشية سييهن في الحروب، يقول

عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذُوا فَتَكُونُوا مِنَ الْخَالِينَ﴾

¹ المرجع نفسه، ص 141-142.

² ينظر، بابكر رحمة الله محمد محمد، مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام، ص 143.

كان يلحق بهم من العار ليس بالقليل سواء وهن عند من قام بسبيهن، أو بعد عودتهن إلى أهلهن، لهذا السبب كان الناس في الجاهلية يندون بناتهم خشية الإملاق والعار، ومن أشهر شعراء الجاهلية الذين وأدوا بناتهم (عدي بن ربيعة المعروف بالمهلل) الذي أمر بدفن ابنته ليلي ثم بدا له فاستحيها و(قيس بن عاصم) الذي روي له أنه وأد بضع عشرة ابنة له إلا واحدة ولدتها أمها وهو على سفر وأخفتها عند أخوالها، ولما عاد أخبرته أنها ولدت ميتا وبعد سنين كبرت البنت وزارت أمها، ولما سأل عنها قالت أنها ابنته، وبعد أن زينتها أمها وكانت جميلة أخذها ودفنها وهي تقول يا أبتِ أتعطيني بالتراب؟⁽¹⁾

استمر الوأد عند القبائل في الجاهلية إلا في مرات قليلة كان الوالد تدركه الشفقة على ابنته لكنه يجتهد في إخفائها من الناس، إلا أنهم كانوا يكرهونها على الرغم من برهن بهم، يقول أحدهم استشهادا على ذلك:⁽²⁾

تهوى حياتي وأهوى موتها أبداً والموت أكرم نزالٍ على الحُرْم...

3- المرأة عند المسيحية:

نظر المسيحيون إلى المرأة على أنها ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور، وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام، ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء، فبحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة، وينبغي لها أن تستحي من حسننها وجمالها، لأنه سلاح ابليس... فعليها أن تكفر وألا تنقطع عن الكفارة أبدا... يقول فيها كرايثي سوستام أحد أكبر أولياء المسيحية: «هي شر لا بد منه، ووسوسة جبلية، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة ورزء مطليٍّ مموه»⁽³⁾

¹ ينظر، حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، القاهرة-مصر، 2012، ص10.

² ينظر، حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، ص11.

³ أبو الأعلى المودودي، الحجاب، دار الفكر الإسلامي، ط1، دمشق، 1959، ص25-26.

تؤمن المسيحية بقوامة الرجل على المرأة، بمعنى أن الرجل هو السيد المطاع للمرأة وهي المسودة والطائعة لأوامر الرجل ونواهيته، وذلك لتأثر الإنجيل بما جاء في التوراة بأن المرأة هي أولى من أخطأت وتناولت من الشجرة المحرمة، ثم أطعمت زوجها آدم، فهي بهذا لم تكن معينة له وإنما كانت سببا في الخطيئة، إذن فهذا هو عقابها أن تكون تابعة للرجل، هذا في مجال إدارة الأسرة وأيضا إدارة الحياة، أما في الحياة الزوجية كعلاقة محبة ورحمة وتبادل معايشة زوجية فالانثان متساويان تماما، مساواة كاملة بلا تفضيل.⁽¹⁾

فالقوامة لا تمنع الحب المتبادل والعلاقات السرية والزوجية السليمة لأنها تعني الطاعة للرجل، وإن كان التعبير عنها بلفظ قاس وهو التسلط، ولذلك يوصي بولس الأزواج فيقول: "وأنتم أيها الأزواج إذ تسكنون زوجاتكم عالمين بأنهن أضعف منكم، أكرموهن باعتبارهن شريكات لكم في وراثة نعمة الحياة، لكن لا يعوق صلواتكم شيء"⁽²⁾

ومن الملاحظ عند الإطلاع على تاريخ ذلك العهد أن السيد المسيح كان يكرم أمه ويحسن معاملتها، وكانت علاقته بها علاقة البر والرحمة هذا ما شجع أتباعه على منواله وإعطاء المرأة بصورة عامة بعض حرياتهم المفقودة وتقديرها واحترامها، مما جعلها تتبوأ المكان اللائق بها كأم وزوجة وابنة، وانطلاقا من الروايات التي وردت في الإنجيل وغيره من الكتب المسيحية المقدسة نلمس بأن تلامذة المسيح ورؤساء الكنيسة من بعده قد كرموا المرأة في كل اتجاه، وشد بنیان الأسرة، ورفع معنوياتها الخلقية والاجتماعية.⁽³⁾

وأما ما يتعلق بالفراق أو الطلاق بين الزوجين، فإن المشرع المسيحي قد أوجد شروطاً قاسية تدل على أن الانفصال والطلاق في أكثر الأوقات من الأمور المستحيلة إذا لم تتوفر للمطلق أو المطلقة الأدلة والبراهين وفق الشروط التي وضعتها الكنيسة، والتشريع المسيحي قد جعل من المرأة شخصية متساوية

¹ ينظر، زكى على السيد أبو غضة، المرأة في المسيحية واليهودية والإسلام، ص153.

² زكى على السيد أبو غضة، المرأة في المسيحية واليهودية والإسلام، ص156.

³ باسمه كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، ص51-52.

مع الرجل في الحقوق والواجبات من حيث المبدأ، أما من الناحية التطبيقية فالشريعة المسيحية والقانون الكنسي أقر للزوج الحق في الإشراف والنيابة القانونية عن الزوجة في إدارة أموالها، ولا يحق للزوجة بأن تبعثر أموالها وتنفقها دون إذن مسبق من زوجها.⁽¹⁾

كما أن العهد الجديد (الإنجيل) لم يضع نظاما للميراث فيما يخص المرأة أو الرجل، ربما لأنه ألغي في العهد القديم (التوراة) لأنهم يؤمنون بوجود المحبة والقناعة والحكمة بين معتنقي المسيحية، يؤكد ذلك قداسة البابا شنودة الثالث في قوله: «...لم يكن أحد يقول شيئا من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً، لم يكن أحد محتاجاً... وكان يوزع على كل أحد، كما يكون له احتياج»⁽²⁾ ومعناه أن مال الشخص لا يرثها أشخاص محددون وإنما تذهب بعد وفاته إلى من يستحقها «ومن هنا يتضح لنا قصور المسيحية كدين عن وضع قانون للميراث، ولذلك نرى الكثير منهم يورث القطط والكلاب، ويترك ذويه من أصول كآب وأم وزرع كأولاد وأولاد أولاده، وأزواج»⁽³⁾

4- المرأة في الإسلام:

إن دراسة الآيات القرآنية تدل على أن النساء لا يتخلفن عن الرجال في الفضائل الإنسانية، ولا في مكارم الأخلاق، ولا في فضائل الأعمال، وأن لهن الأجر والجزاء على أعمالهن مثل أجر الرجال.⁽⁴⁾

فالإنسان جنسان: هما جنس الرجال وجنس النساء والجنسان سواء، لكن للرجال على النساء

درجة قال تعالى: ﴿وَالرِّجَالُ نَافِلُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

﴿وَالرِّجَالُ نَافِلُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

﴿وَالرِّجَالُ نَافِلُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

﴿وَالرِّجَالُ نَافِلُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ سورة البقرة-222،

وقال عز من قائل: ﴿وَالرِّجَالُ نَافِلُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

﴿وَالرِّجَالُ نَافِلُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

﴿وَالرِّجَالُ نَافِلُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾

¹ المرجع نفسه، ص53.

² زكى على السيد أبو غضة، المرأة في المسيحية واليهودية والإسلام، ص212.

³ زكى على السيد أبو غضة، المرأة في المسيحية واليهودية والإسلام، ص214.

⁴ الشيخ أبي الحسن الندوي، أدب المرأة، دراسة نقدية، الهبيكان، ط1، الرياض، 1427هـ/2008م، ص6.

سورة النساء - 32.

يلي ذلك من السورة نفسها:

والقوامة هنا مستحقة بتفضيل الفطرة، ثم بما فرض على الرجال من واجب الإنفاق على المرأة، وهو واجب مرجعه إلى واجب الأفضل لمن هو دونه فضلا، وليس مرجعه إلى مجرد إنفاق المال وإلا لامتنع الفضل إذا ملكت المرأة مالا يغنيها عن نفقة الرجل أو يمكنها من الإنفاق عليه.⁽¹⁾

حكم القرآن الكريم بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين من تاريخ بني آدم، منذ كانوا قبل نشوء الحضارات والشرائع العامة وبعد نشوئها... ففي كل أمة، وفي كل عصر تختلف المرأة والرجل في الكفاية والقدرة على جملة الأعمال الإنسانية، ومنها أعمال قامت بها المرأة طويلا، أو انفردت بالقيام بها دون الرجال.⁽²⁾

وبالمقابل أسقط عنها الإسلام اللعنة التي كانت تلاحقها من الشرائع السماوية السابقة، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئا منها وحدها، بل منهما معا، والمسؤولية مشتركة إذ يقول عز وجل في محكم تنزيله:

سورة البقرة - الآية 36.⁽³⁾

¹ عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن الكريم، نخضة مصر للطباعة والنشر، مصر، دت، ص5.

² عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن الكريم، ص3.

³ مالية بصال، مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، ص26

[illegible]

البنات وقتلهن قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ يَفْعَلْهُنَّ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأنعام- الآية 140)⁽²⁾ فرغب في تربية البنات

والقيام عليهن وحسن الصحبة لهن ورتب على ذلك الأجر العظيم، ومن مظاهر هذا التكريم العناية بحقوق الزوجات، ولا أدل على ذلك إلا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث جابر رضي الله عنه في خطبة حجة الوداع: «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن

² مالية بصال، مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، ص 26

بكلمة الله» وعن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه قال: أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فأما حقكم على نسائكم فلا يطان فراشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»⁽¹⁾

نستشف من خلال هذا الحديث ما للزوجين من حقوق على بعضهما البعض، وأمر الوصاية بالنساء خيرا والإحسان إليهن والنفقة عليهن في المأكل والمشرب والملبس والمسكن، وما على الزوجة من طاعة لزوجها وحفظ بيتها وألا تأتي بفاحشة تؤدي بها إلى العقاب، والعقاب هنا لا يقصد بالضرب الضرب المبرح، وإنما الضرب الخفيف حتى تعلم المرأة بخطئها وتحرص على إصلاحه «يقول ابن كثير في تفسير ذلك: "عن ابن عباس: الهجر هو ألا يضاجعها على فراشها ويوليها ظهره... وقال آخرون: ألا يكلمها ولا يحادثها، فإن فشل دواءان في علاجها يبقى العلاج الأقوى وهو: واضربوهن، وكيفية الضرب أوضحها الرسول صلى الله عليه وسلم... وأجمع فقهاء المسلمين ألا يؤثر الضرب في المرأة فيكسر لها عظما أو تظهر آثاره على وجهها"... وأكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "أيضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد... ثم يضاجعها في آخر اليوم"»⁽²⁾

ومن حقوق المرأة في الإسلام كذلك أن جعل لها الحق في اختيار زوجها وشريك حياتها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجارية ينكحها أهلها، أتستأمر أم لا؟ فقال: "نعم تستأمر" فقالت عائشة: فقلت له: فإنها تستحي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فذلك إذنها إذا هي سكنت" وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ بابر رحمة الله محمد احمد، مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام، ص 164.

² زكي على السيد أبو غضة، المرأة في المسيحية واليهودية والإسلام، ص 166-167.

يقول عز من قائل:

𐀀𐀁𐀂𐀃𐀄𐀅𐀆𐀇𐀈𐀉𐀊𐀋𐀌𐀍𐀎𐀏𐀐𐀑𐀒𐀓𐀔𐀕𐀖𐀗𐀘𐀙𐀚𐀛𐀜𐀝𐀞𐀟𐀠𐀡𐀢𐀣𐀤𐀥𐀦𐀧𐀨𐀩𐀪𐀫𐀬𐀭𐀮𐀯𐀰𐀱𐀲𐀳𐀴𐀵𐀶𐀷𐀸𐀹𐀺𐀻𐀼𐀽𐀾𐀿𐁀𐁁𐁂𐁃𐁄𐁅𐁆𐁇𐁈𐁉𐁊𐁋𐁌𐁍𐁎𐁏𐁐𐁑𐁒𐁓𐁔𐁕𐁖𐁗𐁘𐁙𐁚𐁛𐁜𐁝𐁞𐁟𐁠𐁡𐁢𐁣𐁤𐁥𐁦𐁧𐁨𐁩𐁪𐁫𐁬𐁭𐁮𐁯𐁰𐁱𐁲𐁳𐁴𐁵𐁶𐁷𐁸𐁹𐁺𐁻𐁼𐁽𐁾𐁿𐂀𐂁𐂂𐂃𐂄𐂅𐂆𐂇𐂈𐂉𐂊𐂋𐂌𐂍𐂎𐂏𐂐𐂑𐂒𐂓𐂔𐂕𐂖𐂗𐂘𐂙𐂚𐂛𐂜𐂝𐂞𐂟𐂠𐂡𐂢𐂣𐂤𐂥𐂦𐂧𐂨𐂩𐂪𐂫𐂬𐂭𐂮𐂯𐂰𐂱𐂲𐂳𐂴𐂵𐂶𐂷𐂸𐂹𐂺𐂻𐂼𐂽𐂾𐂿𐃀𐃁𐃂𐃃𐃄𐃅𐃆𐃇𐃈𐃉𐃊𐃋𐃌𐃍𐃎𐃏𐃐𐃑𐃒𐃓𐃔𐃕𐃖𐃗𐃘𐃙𐃚𐃛𐃜𐃝𐃞𐃟𐃠𐃡𐃢𐃣𐃤𐃥𐃦𐃧𐃨𐃩𐃪𐃫𐃬𐃭𐃮𐃯𐃰𐃱𐃲𐃳𐃴𐃵𐃶𐃷𐃸𐃹𐃺𐃻𐃼𐃽𐃾𐃿𐄀𐄁𐄂𐄃𐄄𐄅𐄆𐄇𐄈𐄉𐄊𐄋𐄌𐄍𐄎𐄏𐄐𐄑𐄒𐄓𐄔𐄕𐄖𐄗𐄘𐄙𐄚𐄛𐄜𐄝𐄞𐄟𐄠𐄡𐄢𐄣𐄤𐄥𐄦𐄧𐄨𐄩𐄪𐄫𐄬𐄭𐄮𐄯𐄰𐄱𐄲𐄳𐄴𐄵𐄶𐄷𐄸𐄹𐄺𐄻𐄼𐄽𐄾𐄿𐅀𐅁𐅂𐅃𐅄𐅅𐅆𐅇𐅈𐅉𐅊𐅋𐅌𐅍𐅎𐅏𐅐𐅑𐅒𐅓𐅔𐅕𐅖𐅗𐅘𐅙𐅚𐅛𐅜𐅝𐅞𐅟𐅠𐅡𐅢𐅣𐅤𐅥𐅦𐅧𐅨𐅩𐅪𐅫𐅬𐅭𐅮𐅯𐅰𐅱𐅲𐅳𐅴𐅵𐅶𐅷𐅸𐅹𐅺𐅻𐅼𐅽𐅾𐅿𐆀𐆁𐆂𐆃𐆄𐆅𐆆𐆇𐆈𐆉𐆊𐆋𐆌𐆍𐆎𐆏𐆐𐆑𐆒𐆓𐆔𐆕𐆖𐆗𐆘𐆙𐆚𐆛𐆜𐆝𐆞𐆟𐆠𐆡𐆢𐆣𐆤𐆥𐆦𐆧𐆨𐆩𐆪𐆫𐆬𐆭𐆮𐆯𐆰𐆱𐆲𐆳𐆴𐆵𐆶𐆷𐆸𐆹𐆺𐆻𐆼𐆽𐆾𐆿𐇀𐇁𐇂𐇃𐇄𐇅𐇆𐇇𐇈𐇉𐇊𐇋𐇌𐇍𐇎𐇏𐇐𐇑𐇒𐇓𐇔𐇕𐇖𐇗𐇘𐇙𐇚𐇛𐇜𐇝𐇞𐇟𐇠𐇡𐇢𐇣𐇤𐇥𐇦𐇧𐇨𐇩𐇪𐇫𐇬𐇭𐇮𐇯𐇰𐇱𐇲𐇳𐇴𐇵𐇶𐇷𐇸𐇹𐇺𐇻𐇼𐇽𐇾𐇿𐈀𐈁𐈂𐈃𐈄𐈅𐈆𐈇𐈈𐈉𐈊𐈋𐈌𐈍𐈎𐈏𐈐𐈑𐈒𐈓𐈔𐈕𐈖𐈗𐈘𐈙𐈚𐈛𐈜𐈝𐈞𐈟𐈠𐈡𐈢𐈣𐈤𐈥𐈦𐈧𐈨𐈩𐈪𐈫𐈬𐈭𐈮𐈯𐈰𐈱𐈲𐈳𐈴𐈵𐈶𐈷𐈸𐈹𐈺𐈻𐈼𐈽𐈾𐈿𐉀𐉁𐉂𐉃𐉄𐉅𐉆𐉇𐉈𐉉𐉊𐉋𐉌𐉍𐉎𐉏𐉐𐉑𐉒𐉓𐉔𐉕𐉖𐉗𐉘𐉙𐉚𐉛𐉜𐉝𐉞𐉟𐉠𐉡𐉢𐉣𐉤𐉥𐉦𐉧𐉨𐉩𐉪𐉫𐉬𐉭𐉮𐉯𐉰𐉱𐉲𐉳𐉴𐉵𐉶𐉷𐉸𐉹𐉺𐉻𐉼𐉽𐉾𐉿𐊀𐊁𐊂𐊃𐊄𐊅𐊆𐊇𐊈𐊉𐊊𐊋𐊌𐊍𐊎𐊏𐊐𐊑𐊒𐊓𐊔𐊕𐊖𐊗𐊘𐊙𐊚𐊛𐊜𐊝𐊞𐊟𐊠𐊡𐊢𐊣𐊤𐊥𐊦𐊧𐊨𐊩𐊪𐊫𐊬𐊭𐊮𐊯𐊰𐊱𐊲𐊳𐊴𐊵𐊶𐊷𐊸𐊹𐊺𐊻𐊼𐊽𐊾𐊿𐋀𐋁𐋂𐋃𐋄𐋅𐋆𐋇𐋈𐋉𐋊𐋋𐋌𐋍𐋎𐋏𐋐𐋑𐋒𐋓𐋔𐋕𐋖𐋗𐋘𐋙𐋚𐋛𐋜𐋝𐋞𐋟𐋠𐋡𐋢𐋣𐋤𐋥𐋦𐋧𐋨𐋩𐋪𐋫𐋬𐋭𐋮𐋯𐋰𐋱𐋲𐋳𐋴𐋵𐋶𐋷𐋸𐋹𐋺𐋻𐋼𐋽𐋾𐋿𐌀𐌁𐌂𐌃𐌄𐌅𐌆𐌇𐌈𐌉𐌊𐌋𐌌𐌍𐌎𐌏𐌐𐌑𐌒𐌓𐌔𐌕𐌖𐌗𐌘𐌙𐌚𐌛𐌜𐌝𐌞𐌟𐌠𐌡𐌢𐌣𐌤𐌥𐌦𐌧𐌨𐌩𐌪𐌫𐌬𐌭𐌮𐌯𐌰𐌱𐌲𐌳𐌴𐌵𐌶𐌷𐌸𐌹𐌺𐌻𐌼𐌽𐌾𐌿𐍀𐍁𐍂𐍃𐍄𐍅𐍆𐍇𐍈𐍉𐍊𐍋𐍌𐍍𐍎𐍏𐍐𐍑𐍒𐍓𐍔𐍕𐍖𐍗𐍘𐍙𐍚𐍛𐍜𐍝𐍞𐍟𐍠𐍡𐍢𐍣𐍤𐍥𐍦𐍧𐍨𐍩𐍪𐍫𐍬𐍭𐍮𐍯𐍰𐍱𐍲𐍳𐍴𐍵𐍶𐍷𐍸𐍹𐍺𐍻𐍼𐍽𐍾𐍿𐎀𐎁𐎂𐎃𐎄𐎅𐎆𐎇𐎈𐎉𐎊𐎋𐎌𐎍𐎎𐎏𐎐𐎑𐎒𐎓𐎔𐎕𐎖𐎗𐎘𐎙𐎚𐎛𐎜𐎝𐎞𐎟𐎠𐎡𐎢𐎣𐎤𐎥𐎦𐎧𐎨𐎩𐎪𐎫𐎬𐎭𐎮𐎯𐎰𐎱𐎲𐎳𐎴𐎵𐎶𐎷𐎸𐎹𐎺𐎻𐎼𐎽𐎾𐎿𐏀𐏁𐏂𐏃𐏄𐏅𐏆𐏇𐏈𐏉𐏊𐏋𐏌𐏍𐏎𐏏𐏐𐏑𐏒𐏓𐏔𐏕𐏖𐏗𐏘𐏙𐏚𐏛𐏜𐏝𐏞𐏟𐏠𐏡𐏢𐏣𐏤𐏥𐏦𐏧𐏨𐏩𐏪𐏫𐏬𐏭𐏮𐏯𐏰𐏱𐏲𐏳𐏴𐏵𐏶𐏷𐏸𐏹𐏺𐏻𐏼𐏽




















84

الآيات 11-12.

كما أعطاهما الإسلام الحق في التصرف في أموالها، والإنفاق عليها من أبيها أو من زوجها، وكذا الحق في التعلم، وعند زواجها لها الحق في المهر، فجعل هذا الحق من شروط الزواج الإسلامي الصحيح.

ثالثاً: صورة المرأة في الموروث الشعبي الإفريقي:

85

الأهازيج والأغاني والأشعار والأمثال الشعبية، فتعددت أشكال التعبير الشعبي وجاءت متداخلة فيما بينها وأي محاولة لتجزئتها أو فصلها يعتبر نوعاً من التعسف في التعامل مع عناصر الثقافة الشعبية، فالموقف الاجتماعي أو الموضوع الاجتماعي قد يصفه الشعر وتتغنى به الأغنية ويخلده المثل الشعبي، وما يختصره المثل تشرحه القصة، وما يكتبه الشاعر يتغنى به المطرب الشعبي، فالشعر والأغنية والمثل كلها تشترك في طرح القضية الاجتماعية في حلة جميلة تستهوي المتلقي وتؤثر فيه، فتعدد أشكال التعبير الشعبي جعل منها وحدة متكاملة الجوانب، ومن الجوانب التي عبرت عنها وصورتها هذه الأشكال صورة المرأة التي تعتبر النواة الأساسية في تشكيل وبناء المجتمع بكل ما فيه من قيم كونها التي تحمل وتنجب وتربي وتعلم... فطرحنا الأغنية صوراً كثيرة لكل مرحلة من مراحل حياة المرأة، وصورت الحكاية الشعبية دهاء المرأة ومكرها إلى جانب طبيعتها الطاغية، ورسمت الأمثال صورة مختصرة عن المرأة، كما شاركت السير الشعبية في وصف شجاعته وإقدامها إلى جانب الرجل، أما الشعر الشعبي فقد تغنى بحبها ووصف جمالها الجسدي والروحي في قالب منظم يريح الصدر ويطرب الأذن، نستعرض هذه الصور مدعمة بنماذج من التراث الإفريقي في السطور الموالية:

1. المرأة في الشعر الشعبي:

يرتبط الشعر الإفريقي بهموم الوطن، ويعبر عن أحلامه وطموحاته خاصة في حقبة التحرر والتخلص من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وهو شعر مستمر في رصد معاناة القارة السمراء وقد بدأ تاريخ الشعر والكتابة الإبداعية في جنوب إفريقيا على سبيل المثال لشعراء القارة في منتصف القرن التاسع عشر مع ظهور البعثات التبشيرية وكان يغلب عليها طابع اللغة الشفاهية الدارجة ومع اتساع دائرة الإبداع نشأ الحلم بوجود دار للنشر تقوم بالطبع، لكن ثمة عقوبات وصعوبات حالت دون نشر الشعر الإفريقي الأسود، فحكومة جنوب إفريقيا العنصرية حالت دون تحقيق هذا الحلم ولم تتوقف عن مصادرة كثير من الأعمال والزج بأصحابها في السجون مما جعل كثيراً من المبدعين يتجهون إلى الكتابة باللغة الإنجليزية أو ترجمة أعمالهم المكتوبة بلغة الزولو أو اللغات الإفريقية الأصلية إلى الإنجليزية حتى يتسنى لهم نشرها في الخارج، وفي هذا الإطار غادر بعضهم إلى أمريكا وأوروبا تجنبا للمضايقة

والمصادرة بل والاعتقال إلى حيث آفاق رحبة من الحرية التي أتاحت لهم مواصلة التنفيس عن الكبت بمواصلة الإبداع.⁽¹⁾

يمتاز الشاعر الشعبي الإفريقي بإبداع السير والملاحم البطولية «وهذا ما نراه على سبيل المثال في السواحيلية، ولغة الإيجو في نيجيريا، ولغة الزولو في أقصى الجنوب، ويعد الشعر الملحمي أبرز تراث اللغة السواحيلية، وقد تأثر في موضوعاته وأشكاله بالعربية والفارسية والأردية التي دخلت إلى الساحل الشرقي الإفريقي منذ القرن الثاني عشر وبعضه ترجمة للقصائد والمطولات العربية»⁽²⁾

أما النمط المدون بلغة إفريقية فهو محدود، لأن عدد اللغات ذات الأبجدية المدونة قليل بالقياس إلى مجموعة اللغات الإفريقية السابق، وأقدم ما وصلنا من هذا الشعر تضمه لغة الهوسا في شمال نيجيريا وغربها، ويرجع إلى القرن السابع عشر ثم يليه ما تضمه اللغة السواحيلية في شرق إفريقيا (كينيا وتنزانيا) ويرجع إلى القرن الثامن عشر وأخيرا يأتي الشعر الذي تضمه لغات اليوروبا (جنوب غرب نيجيريا) والصومالية والزولو والزوسا والسوتو (جنوب إفريقيا) ويرجع إلى القرن التاسع عشر.⁽³⁾

بدأ الشعر في هذه اللغات بالأغاني والأهازيج ثم تطرق إلى الأغراض الدينية والتعليمية ولم يعبر عن قائله إلا في فترات متأخرة أي أنه سار في خط تطور الشعر في اللغات الأخرى العريقة.⁽⁴⁾ ومن الأشعار الشعبية في قصص البطولات الإفريقية عن المرأة هذه القصيدة القصيرة بعنوان «نوزيوي» وتدور عن خائنة باعت قومها وعملت في شرطة حكومة الأقلية البيضاء⁽⁵⁾

كنت ستصبحين مركز أحلامنا

وتهين الحياة لجميع ما تركناه

كنت ستشفين جراحنا

¹ صلاح سليمان، الشعر الإفريقي: رصد أدبي لمعاناة القارة السمراء، جريدة إيلاف الإلكترونية،

<https://elaph.com/Web/Culture/2013/5/811487.html>، ع8056، (2018/05/18)، تاريخ الزيارة 2023/05/19، 17:32.

² علي شلش، الأدب الإفريقي، عالم المعرفة، دط، الكويت، مارس 1993، ص38.

³ المرجع نفسه، ص39.

⁴ المرجع نفسه، ص40.

⁵ المرجع نفسه، ص42.

وتجبرين العظام التي تكسرت

ولكنك خنتنا!

اخترت حبيبا من الأعداء

ورحت تتباهين به أمامنا مثل خطيئة

وجرؤت على معانقة قاتل أبيك

وقدت عشائك إلى المشانق

وهزئت بألهة أجدادنا...

هذه القصيدة كتبت باللغة الزولوية وهي تعد من أشجع التجارب في الكتابة باللغات الإفريقية القبلية... فالمرأة تحتل في حياة الشاعر موضع القلب منذ القدم حتى أنها في العصر الجاهلي كانت تنسب إليها أولادها وقد كانت موضع العشق والحب والشوق والوجد إلى الحد الذي يفنى فيها «حتى أنه قيل قديما لأعرابي: "ممن أنت؟" فأجاب: "أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا" فقالت جارية سمعته: "عذري ورب الكعبة" أي من قبيلة عذرة الذين عرف عنهم هيامهم بحب النساء، ويرى الجاحظ أن ليس هناك أحد مات في حب والديه أو ولده أو ثروته أو بيته، كما رأيناهم يموتون من عشق النساء»⁽¹⁾

يمتاز الشعر الشعبي بالفخامة والكثرة والتنوع في الأغراض وتعدد الأوزان وهذا قد يرجع إلى التأثير بالطبيعة التي ولد فيها الشاعر والحس المناخي، فالشعر مثلا القروي يختلف عن شعر البدو وهذا الأخير يختلف عن شعر الصحاري فكل شاعر ينظم وفق طبيعته فكما يقال الفنان أو المبدع هو وليد بيئته ويعبر عن حالته وأوصافها وفق ظروف عيشه وعيش قبيلته، والملاحظ أن شعر الحواضر قليل بالنسبة لشعر البوادي والأرياف لأن الحواضر يكاد الشعر فيها ينحصر في الأغاني التي هي أقرب إلى حياة اللهو التي يعيشونها، ولهذا شعرهم لا نجده في المدونات الكبيرة ولا عند الرواة من حفظة التراث، وينحصر فيما يتداوله الناس في أعراسهم وحفلاتهم والسبب في وجود الشعراء بكثرة في البوادي والأرياف هو الجو

¹ قاسم حسين صالح، صورة المرأة في الشعر العربي، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، ع10-11، 2006، بغداد- العراق، ص73.

الملائم للتأمل والعزلة، والشعر الصحراوي من بدايته والاستثناء موجود في كل زمان ومكان وهذا ما عرفته المناطق الصحراوية في القارة الإفريقية كونها قارة يمتاز مناخها بأنه صحراوي إلى حد كبير.⁽¹⁾

من الأغراض الشعرية التي كان لها نصيب الأسد عند الشعراء الشعبيين، وإن تعددت رؤاهم واختلفت تعابيرهم شعر الغزل الذي تناول ثيمة المرأة كثيرا، فبواسطته تمكن الشاعر من شرح ألم الفراق والجفا، فالغزل «هو حديث الفتيان والفتيات أو اللهو مع النساء بينما التغزل والتكلف بذلك وهذا هو المعنى المراد به فنا شعريا»⁽²⁾

فالشعراء الشعبيون التونسيون انصرفوا إلى الغزل كغيرهم من الشعراء الذي يسمى عندهم - الأخضر - ووصف الطبيعة كالضحضاح؛ وهو السراب في الصحراء، والبرق؛ وهو تباشير المطر، والنجعة؛ وهي السفر في طلب الماء والكلأ والكوت؛ وهو وصف الفرس والجمال، والنجع؛ هو القافلة، وشكوى الزمان والعكس؛ وهو رؤية الأشياء بخلاف ماهي عليه كقول بن عون:⁽³⁾

نفذ قلبي في الجواحي ذوب.....وريت الدجاجة في الجمل تقود.

اهتم الشعر الشعبي الغزلي بوصف المرأة من رأسها إلى قدميها وصفا ماديا مقارنة ذلك بالأشياء المناسبة للموصوف فالشعر يشبه ريش الغربان، وفي ذلك يقول الشاعر التونسي محمد الرويسي التوزري:

حنّا غثيثك ممشوط اغمار

ريش العربة خقق ما طار

فالشاعر يشبه شعر المرأة بأنه كريش الغراب في سواده ونعومته، وفي وصف الغثيث (الشعر

المتهدل) يقول صالح بوراس:

هفا غثيثها فوق الأنهاد.....بردى على واد

وجبينها برق وقاد.....كما بدر بضياه ساطع

¹ ينظر، محي الدين خريف، أغراض الشعر الشعبي التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، www.folkculturebh.org/ar، ع6، البحرين، 2022/08/28 - 14:00.

² محمد مصطفى هدار، اتجاهات الشعر الشعبي العربي في القرن 2هـ، دار المعارف، دط، 1963، ص72.

³ محي الدين خريف، أغراض الشعر الشعبي التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، www.folkculturebh.org/ar، 2022/08/28 - 14:25.

حيث يصف شعرها (غثيثها) عند نزوله فوق صدرها كأنه بردى (وهو نبات يصنع منه الورق قديما للكتابة عليه) تهدل على واد، وهي صورة فيها من الجمال ما يلتفت إلى وصف الجبين الذي يشع الضوء ويلوح به من بعيد وكأنه في إشعاعه قمر يخرج من بين سجوف السحاب.⁽¹⁾

تحدث الشعراء الشعبيون كذلك عن الحدود ووصفوها بالجلنار والورد وشقائق النعمان وكذا بلمعان البرق ووصفوا حتى الأنف والملابس وحتى مشية المرأة وتمايلها، إذ لم يغفلوا جزء بسيط في جسم المرأة وروحها حتى أقاموا له نظاما.

بجمع الشاعر الشعبي التونسي "منصور العلاقي" كل أوصاف المرأة في هذه المنظومة فيقول:⁽²⁾

غثيثها طاح بكمال..... في الطول يطوال

شوشان أسود ويكحال..... في وسط سوق الدلالة

جبينها برق شعال..... فيرعد زلزال

الحاجب كما خط عدال..... يا عارفين العدالة

عيونها كما حرب قتال..... والنيف مازال

خدود ورد في خمال..... في جنان واعر قدالة

الشفة من اللك تذبال..... والريق يا خال

أنياب تبرور شعال..... جا من بلاد الجهالة

الرقبة كما رقبة غزال..... نخود وفصال

الصدر ما ابهاه يعتال..... القد نخزيه ينهال

في هذه القطعة التي جاءت على وزن الموقوف نراه قد جمع كل أوصاف المرأة وجاء لها من النعوت

بما يناسبها، وهو وصف مادي لا تدخل فيه العواطف ولا هواجس النفس.⁽³⁾

¹ محي الدين خريف، أغراض الشعر الشعبي التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، www.folkculturebh.org/ar، 2022/08/28 - 15:30.

² المرجع نفسه، www.folkculturebh.org/ar، 2022/08/28 - 20:25.

³ محي الدين خريف، أغراض الشعر الشعبي التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، www.folkculturebh.org/ar، 2022/08/28 - 20:25.

من اهتمام الشعراء الشعبيين بالمرأة أن نظموا قصائد شعبية خاصة بالمرأة وأسماها على اسمها ومن ذلك الشاعر الليبي الكبير "الزرقاني" والشاعر المبدع "أحمد الشكري" بقصيدة "نساء نجعنا" والتي رسمت في عقولنا ووجداننا حياة جداتنا وأمهاتنا وهذه البعض من أبياتها التي تبين صور الإبداع والروعة⁽¹⁾

نساء نجعنا ما كيفهن نسوان..... نساء نجعنا كلهن حنان وطيبة

نساء نجعنا غالي ذهب رنان..... ونساء نجعنا ما يوم دارن عييه

نساء نجعنا في يوم المحك تبان..... نساء نجعنا كلهن شموخ وهيبة

نساء نجعنا ولادة الفرسان..... نساء نجعنا ولد الأجواد تحيه

استر عليهن يا عظيم الشأن..... نساء نجعنا كلهن حنان وطيبة

تغنى شعراء الجبل بالمرأة وقد أطلق على هذا النوع من الشعر في بلاد المغرب "شعر العيطة" أو "الطقطوقة الجبلية" أسوة بباقي فنون العيطة التي تبتدئ بالنداء، وهناك من يرجعها إلى طلقات البنادق لهذا تسمى الطقاطيق وقد اشتهرت بالمغرب وكذا مصر، غير أنه مع تعداد الآراء قيل أنها «تنتشر في مصر بحيث أنه لا علاقة لقطاطيق مصر بالعيطة الجبلية في شمال المغرب من جميع النواحي»⁽²⁾

يقول الشاعر في وصف جمال المرأة الجبلية:

أيلي الزين ليعجبني

وليزيد يعذبني

جاية جاية من الدشر

جاية جاية بمشموم النوار

تبرز صورة المرأة في المجتمع الجبلي على شكلين جميلة، محبة وصبورة، وبصورة مخادعة وماكرة وناكرة للجميل، ولكن رغم ذلك تغلب الصورة الأولى في أشعارهم الشعبية مما يجعلها ذات قيمة تتصرف

¹ الشاعر، الشعر الشعبي الليبي في وصفه للنساء، الساعة 25:11، 2018/10/18، www.saa25org، تاريخ الزيارة (2022/11/11 - 11:00)

² محمد قروق كركيش، تمثيلات المرأة في الشعر الشعبي الجبلي بشمال المغرب، الحوار المتعدد، ع4335، <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=395914>، 2014/01/15، ص 34-35.

بكل حرية فهي امرأة تعرف حدودها، تتميز بالحياء والأخلاق والتدين الذاتي المستقر، فلا يتاح للرجال أن ينظروا للمرأة وهي في الخارج نظرا لأن هذا المجتمع يكن لها من الاحترام الشيء الكبير، وفي هذه الأبيات صورة جميلة عن المرأة الجبلية الوفية التي لا تتخلى عن حبيبها وأنها في يوم من الأيام ستأتيه عروسًا حاملة في يدها الأزهار، وهي رمز للسعادة والحب وتقاسم الحياة مع الشريك.⁽¹⁾

من خلال اطلاعنا على بعض الأشعار الشعبية سواء في البدو أو الحضر أو الجبال وحتى الصحاري نلاحظ أن الشعراء قد أولوا المرأة الحبيبة أو الزوجة عناية كبيرة في أشعارهم حتى بعد وفاتها فقد كان الشعراء الشعبيون يرثون المرأة، فيرصد لنا التراث الجزائري قصة قصيدة شعرية شعبية عن رجل اسمه "سعيد" أحب ابنة عمه "حيزية" وتزوجها ولكنها توفيت بوقت قصير من زواجهما، فتوجه لصديقه الشاعر المعروف ابن الصحراء "ابن قيطون" لينظم في حقها أبياتا خلدها التراث الشفهي عبر سنين منذ سنة (1978) والتي عنوانها "حيزية"، يقول في مطلعها:

عزوني يا لملاح في رايس لبنات..... سكنت تحت اللحد ناري مقديا

ياخي أنا ضرير بيا ما بيا..... قلبي سافر مع الضامر حيزية

يا حسراه على قبيل كنا في تاويل..... كي نوار لعطيل شاو النقضيا

يرثي الشاعر في هذه الأبيات "حيزية" ويذكر جمالها الفتان، فقد كانت جميلة ممشوقة القد (خصرها نحيف) وكأنه لفراقها تأججت نار في صدره، كما أنه يتحسر على الأيام وعلى ذلك الجمال الذي دفن تحت اللحد.

كما نظم الشعراء الإفريقيون شعرا في تعدد الزوجات، ليعكس أبعاد الحياة الاجتماعية في إفريقيا وإعجابه بظاهرة التعدد، يقول الشاعر أحمد حيدر في هذا الصدد:⁽²⁾

سوف أعيش مع الواحدة وكيف الحياة مع الجمريتين

¹ ينظر، محمد قروق كركيش، تمثالات المرأة في الشعر الشعبي الجبلي بشمال المغرب،

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=395914>، ص35.

² أمين يهوذا، الشعر الافريقي العربي بين الاتباع والانتماء: مفاهيم ومحددات، قراءات افريقية،

[/https://www.qiraatafrican.com/home/new](https://www.qiraatafrican.com/home/new) 06/07 /2022 (05:14) تاريخ الزيارة 20/05/2023 - 01:08

ولكن إذا ما تعدت عليًا فسوف أزيد على الاثنين
أراني أميل إلى الثالثة عساها تقبلي القبلتين
وتغسل عني هموم الحياة فأقضي ليالي في جنتين

فالشاعر هنا يعبر عما يختلج نفسه رغبة في التعدد لأن ذلك ماهو شائع في مجتمعه، ففي البداية يصف المرأتين بأتهما جمرتين إذا اجتمعتا معا (أي الزوجة الأولى والثانية) ثم يستطرد ويثني على الثالثة فيصفها على أنها هي الملجأ والمشتكى الذي ينسيه متاعب الزوجتين الأوليتين، وبهذا سيعيش في نعيم. وهذا الشاعر الرئيس السنغالي ليبولد سيدار سنغور يتغنى بجمال المرأة الإفريقية بقصيدة عنوانها "امرأة سوداء" يقول فيها⁽¹⁾

يا امرأة عارية يا امرأة سوداء
تكتسين لونك الذي هو الحياة، وتقاطيعك التي هي الجمال
في كنف ظلك كبرت، ونعومة يديك كانت تعصّب عيني
وها أنا ذا في قلب الصيف والجنوب
اكتشفك، من علياء قمة محترقة، أرضاً موعودة
تصيب سهام حُسنك قلبي، كبريق نسر
يا امرأة عارية، يا امرأة بلون الدجى
فاكهة ناضجة مكتنزة، نشوة نبيذ أسود داكنة، فم يجعل فمي يصدح بالغناء
سافانا صافية الأفق، سافانا
ترتعش من لمسات رياح الشرق المتيمة
دف منحوث، دف مشدود يدوي تحت أنامل المنتصر

¹ ليوبولد سيدار سنغور (ديوان غناء الظل)، نقلا عن المترجمة نجاة محمد علي، الجمعية السودانية للدراسات والبحوث في الآداب والفنون والعلوم الإنسانية،

صوتُك الموسيقيّ الخفيض، إنشادُ المعشوقة
يا امرأة عارية، يا امرأة بلون الدجى
زيتٌ مقدسٌ لا يُعَكَّرُ صَفْوَةُ عَصْفُ الرياح، زيتٌ هادئٌ
يطلي جسدَ المصارع، يطلي أجسادَ أمراء مالي
يا غزالةً ملائكيةً آسرة، الخرزُ نجومٌ تُرَصِّعُ ليلَ جسدك
يا ملذّة لهُو الروح، بريقُ التبرِ يسري في أمواج لونك
وفي ظلالِ شَعْرِك، يتوهجُ خوفي تحتَ شمسِ عينيك الآتية
يا امرأة عارية، يا امرأة سوداء
أُغني الحُسْنِك الذي يمضي، تقاطيعُ أحفُرها في الخلود
قبل أن يُحوِّلَكَ المصيرُ الحسودَ إلى رمادٍ
يُغَدِّي جذورَ الحياة

تغنى الشاعر في هذه الأبيات بالمرأة الإفريقية السوداء كأنه يكتشف جمالها لأول مرة من مكان مرتفع، مترقبا حسننها الذي يشبه الحياة، وسواد ليلها وهدوءه، ونشوة حلاوتها بحلاوة النبيذ الأسود، كما يصف صفاءها بالسافانا المترامية الأطراف في حسن لا مثيل له، وصوت لحنها بصوت الآلة الموسيقية في يد صاحبها، وما زادها حسنا تلك الجواهر التي تزينها متلاثلة مثل نجوم الليل الحالكة.

قد يتخيل القارئ أن الشاعر الشعبي الإفريقي لم يتطرق في شعره إلا للمرأة من ناحية العاطفة الزوجية أو الحب، ولكن هنا سنوضح عكس ذلك فالشاعر الشعبي كغيره من الشعراء الفصحيين طرق صور المرأة من كل النواحي، أمّا كانت أم أختاً أو جدة... وخاصة الأم، فكان الشعراء يكتبون أو يقولون شعراً حزيناً عن الأم يتذكرون فيه أيام صباهم وكيف كانت الأم ترعاهم وهم في قمة ضعفهم وكذا كيف أنها تحمل جنينها في أحشائها وهناً على وهنٍ حتى تضعه، ومنهم حتى من تتوفاها المنية أثناء

عملية الوضع، يقول الشاعر المخضرم العربي النيجيري "عبد الكريم عيسى الصارمي في مدح أمه بقصيدة طويلة نأخذ من أبياتها المقاطع التالية:⁽¹⁾

أماه قلبي مدي الأيام يهواك ** وحسبي الدهر أن الله يرعاك
سقيت نبعك قدما صافيا غدقا ** وليس أنّ الهوى زعم فأغراك
نعم فلى كبد تشتد لوعته ** حتى أنال بشكر العرف مرضاك
حملتني لشهور ظلت مدتها ** في لجة الوهن والتهليل نجواك
الله درّك كم عانيت من ألم ** عند الولادة كيف اليوم أنساك
فداك نفسي من ليل أرقّت به ** واصفرّ من شدة المسعى محياك
وكلما اشتكى عضو أحس به ** أحسست مثلي فلا ندري من الشاكي
وكم شدوت بالحن لترقدي ** حملا علي الصدر مدعوما بيمنك
فالسهر والتعب والإشفاق مرحة ** فكلها آية تكفي لذكرك...

يعبر الشاعر في هذه القصيدة الشعرية عن شدة لوعته وحبّه لأمه واعترافه بجميعها أنها حملته في بطنها بمشقة ووضعته بمشقة وربته بمشقة أكبر، فهو يتمنى أن ينال رضاها، ويتمنى أن يفديها بنفسه تعويضا عن ليالي السهر والشحوب في محياها.

2. المرأة في الأمثال الشعبية:

إن في دراسة الأمثال الشعبية سبر لواقع الشعب والمجتمع وسلوكياته وقيمه وأنماط تربيته من خلالها يمكن إدراك ماهية المجتمع الحقيقية باعتبارها منتجا ثقافيا تربويا يعكس العلاقات والتصورات والمفاهيم والقيم السائدة، كما أنها تعكس أيضا الأدوار المختلفة لأفراد المجتمع فهي ليست ترفا فكريا أو لغويا، لها عدة وظائف من أهمها التنشئة الاجتماعية، وقد احتلت الأمثال مكانة متقدمة بين الأصناف

¹ لطيف أونيرتي إبراهيم، عيسى ألي أبو بكر، الأدب العربي في ظل إمارة الورد الإسلامية في نيجيريا، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع41، ج1، جامعة بغداد، 2015، ص516-517.

المختلفة للثقافة الشعبية وهو أمر يمكن ملاحظته بيسر من خلال الاستخدام المتكرر لها من قبل مختلف فئات المجتمع، «فهي نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه، وجودة الكتابة، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب»⁽¹⁾ ما يجعلها متداولة في جميع الأمم والحضارات هو السهولة والاختصار.

فلا يكاد مجتمع يخلو من الأمثال الشعبية وكأنها صورة رمزية لشيء محدد دون الإفصاح عنه، أي أنها تجيء في سياق الكلام بطريقة تكون في بعض الأحيان هزلية وفي البعض الآخر بطريقة جدية فهي لا تكشف الخبايا النفسية لكل مجتمع فحسب، بل هي بمثابة قوانين اجتماعية شبه ملزمة تسن المعايير التي يخضع لها الجميع.⁽²⁾

وكما تناول المبدعون المرأة في أشعارهم وأغانيهم وحكاياتهم فإنهم لم يهملوا تناولها في الأمثال... فمن أكبر المراجع العربية التي جمعت أمثال العرب في الجاهلية وصدر الإسلام كتاب "مجمع الأمثال للميداني" الذي يحتوي على اثنين وأربعين مثالا يخص المرأة كجنس بشري.⁽³⁾ ومن المراجع الإفريقية التي جمعت عددا معتبرا من الأمثال باللغة الإنجليزية من مختلف مناطق إفريقيا، على يد كل من الباحثين "شارلوتي (Charlotte)، وولف ليستلو (Wolf Leslau) عام 1962م، تضمن من بينها عددا من الأمثال عن المرأة ودورها في الأسرة والمجتمع.

وللإشارة فإن النساء هن من يستعملن الأمثال أكثر من الرجال، حيث «تستطعن خطاب الأمثال الشعبية بكل حمولته القيمة وتعترف بشرعيته، وتعتقد بملاءمته للفترة والطبيعة وتدافع عنه وتنقله إلى أبنائها إناثا وذكورا بوصفها فاعلا أساسيا في تنشئتهم... وبذلك تصبح المرأة بسبب استلابها عدوا لذاتها وشرطا أساسيا لإعادة إنتاج دونيتها بالنسبة للرجل»⁽⁴⁾

¹ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 139.

² فاطمة يوسف العلي، المرأة في المأثورات الشعبية الكويتية، مجلة البيان، ع 355، فبراير 2000، ص 24-32.

³ ينظر، لخضر حليتم، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة، 2009-2010، ص 79.

⁴ عبد السلام حيمر، مسارات التحول السوسولوجي في المغرب، كتاب الجيب، منشورات الزمن، 1999/11/8، ص 87.

لكن ما يهمنا هنا هو مكانة المرأة في حد ذاتها داخل الأمثال الشعبية الإفريقية، وماهي الصور التي عبرت بها عن هذا الكائن الذي يعتبر النواة الأساسية للمجتمع عامة والأسرة خاصة، فالبيت لا يسمى بيتا إلا إذا كان يجمع رجلا وامرأة وأولادا، يقول المثل الإثيوبي في هذا: «A home without a woman is like a barn without cattle»⁽¹⁾ والذي يعني "منزل بلا امرأة مثل حظيرة بلا ماشية"، أي لا توجد فيها حركة ولا توحى بوجود حياة في المكان.

كما أن المرأة تمثل السكينة لزوجها والتي بفضلها ينسى متاعب يومه، ونجد في هذا السياق المثل التالي: «if a friend hurts you, run to your wife»² أي "إذا ألمك أحد أصدقائك أركض إلى زوجتك" فهي الشخص الوحيد التي تشعر بعائلتها، وتقدر مشاعر زوجها.

وكما تستدعي الضرورة الحاجة للمرأة في البيت لا بد للرجل إلى جانبها حتى تستطيع القيام بمهامها البيولوجية من إنجاب وتكوين أسرة ومن ثمة مجتمع، يعبر عن هذه الحاجة المثل الإثيوبي أيضا من الجزء الشرقي لإفريقيا: «woman without man is like a field without seed»⁽³⁾ ومعناه "المرأة بلا رجل مثل حقل بلا بذور" أي أن المرأة هي الأرض والرجل هو البذور التي تزرع هذه الأرض لتعطي ثمارا طيبة تتمثل في الأولاد الذين تكبر بهم الأسرة والمجتمع، وبالتالي الوطن ككل، توكل مهمة تربيتهم ورعايتهم بالدرجة الأولى للأم، فإذا ما أحسنت تربية أبنائها كانوا صالحين لمجتمعهم، وعاد الجميل للأم، وإذا ما كانوا فاسدين أفسدوا المجتمع، وعادت التهمة للأم كذلك، يؤكد ذلك المثل الذي يردد بمنطقة ساحل العاج غرب إفريقيا القائل: «Abad son gives a bad name to his mother»⁴ أي أن "الابن السيئ يعطي اسما سيئا لأمه" وهو ما أشرنا إليه آنفا، كما أن الأبناء يشفعون لأهمهم العمل خارج بيتها في حال انفصلت عن الأب، أو توفي تاركا مسؤوليتهم على عاتقها فمن أجل الأطفال الصغار خاصة يشفق

¹ Peter pauper press, compiled by Charlotte, wolf leslau and with, African proverbs, new York, 1962, p24.

² ibid, p22.

³ Ibid, p22.

⁴Peter pauper press, African proverbs, p33.

عليها المحسنون ويساعدونها في الحصول على لقمة العيش على رأي المثل: «saying that it's for her»¹ child, she get herself loaf of bread ومعناه "بقولها أنه من أجل طفلها تحصل على رغيف خبز". ختامًا نقول إن أهم ما تتميز به الأمثال الشعبية المرتبطة بالمرأة هو اتصافها بالاختلاف والتعدد إلى مستوى يصعب معه إيجاد رابط يجمع بينهما، فبقدر ما نجد أمثالا أخرى تحط من مكانتها وتقلل من قيمتها، حتى أننا قد نصادف أحيانا تعايش التناقض في المثل الواحد، وعلى سبيل التمثيل يقول المثل الجزائري (الخير مرا والشر مرا) إذ تحمل هذه الأمثال النظرة المتناقضة التي يحملها المجتمع تجاه المرأة، فهي موضوع للرغبة وموضوع للرغبة في الآن نفسه.

3. المرأة في الأغنية الشعبية:

تنشأ الأغنية الشعبية بين الناس في منطقة ببلد ما وتكون في الغالب غير مدونة، وتنتقل من جيل لآخر، وتتكون من بيتين شعريين أو أكثر قائمين على نفس اللحن وأحيانا يفصل بينهما تيمة لحنية، وهي أغنية تكتب من قبل مؤلف معروف.⁽²⁾ برزت الأغنية الشعبية في مناسبات الأفراح من خطبة وختان وزواج، وشهدت ليالي السمر والأعراس رقصات الشابات ودبكات الشباب وهم يغنون على أنغام الآلات الموسيقية الشعبية «تمتاز باللهجة المحلية، فنجد في كل منطقة أغاني خاصة بها وحتى في البلد الواحد نجد أيضا ما يميز المنطقة عن الأخرى، وهذا راجع بالأساس إلى اختلاف اللهجات والعادات والتقاليد والموروث الثقافي والديني من جهة أخرى، كما يرتبط بأداء الأغاني الشعبية، ارتداء شكل خاص من اللباس يكون في الغالب اللباس المحلي للجهة التي ينتمي إليها المغني أو الفرقة الشعبية، أو لباس قديم تناساه الناس مع مرور الزمن، فيريد المغني أن يبين عراقه فنه من خلال ارتدائه لهذا اللباس الذي غفل عنه الكل»⁽³⁾

¹Ibid, p27.

² محمد المعتصم إبراهيم وآخرون، معالجة بيلا بارتوك للأحان الشعبية (دراسة تحليلية)، مجلة بحوث التربية النوعية، ع47، جامعة المنصورة، 2017، ص295.

³ إسماعيل بوزونة، تمثيلات الأغنية الشعبية في شخصيات الأنبياء والرسل والأولياء الصالحين، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015-2016، ص57.

وهذا ما لاحظناه على هذا النوع من الأغاني الشعبية الإفريقية فالموسيقى الإفريقية هي التي تعبر عن نوع من اللغات له أصوله وجذوره في إفريقيا، فهي مميزة للأفارقة وخاصة بإفريقيا وليست نتيجة إجراء تثقيفي، فهي إذن تقليدية أكثر منها معاصرة الهدف منها هو المتعة والترفيه وليس التعريف بالثقافة الإفريقية فالأغاني والنكت والحكايات هي القناة الرئيسية للاتصال للأشخاص الذين يرمون من الوصول إلى وسائل الإعلام الرسمية كما قال "تيرينس رينجر" في كتابه "دراسة رائدة للرقص الشعبي

التوفيقي في شرق إفريقيا" باللغة الانجليزية "study of syncretic east African popular dance"⁽¹⁾

وذلك أن السيطرة الاستعمارية قد عملت في المجال الثقافي على تجريد عدد من الشعوب الإفريقية من شخصيتها وشوهرت تاريخها وحاربت قيمها الدينية، والأخلاقية كما حاولت أن تفرض لغتها تدريجيا وبصفة رسمية، وذلك لتنتزع من هذه الشعوب حيويتها، وكل معنى لحقيقة وجودها، ونتيجة لهذا الاضطهاد، فإن الثقافة الإفريقية التي منعت من التقدم والازدهار ولم تجد ملجأ إلا ع الجماهير في لغتهم وعاداتهم وغنائهم ورقصهم ومعتقداتهم...⁽²⁾

أسهمت المرأة بشكل كبير في وجود الأغاني الشعبية، فقد كانت النسوة تغنين في كل مناسبة أغاني تعكس حياتهن وكذا الأحداث التي تمر بها بلادهن أو عشيرتهن مثل الثورات والحروب وذلك رغبة منهن في بعث الحماس في صفوف المحاربين، فكن يرثن أبائهن وأزواجهن عند موتهم، كما حملت لنا الأغاني الشعبية صورا مختلفة للمرأة في حد ذاتها سواء كانت أما أو بنتا وأختا وحماة وزوجة... الخ، نحاول عرض بعض النماذج التمثيلية فيما يلي:

أ- الأم: خاصة عند وفاتها نجد أن البنت تحزن كثيرا لوفاة أمها الحنون فنجدتها تختار الكلمات الحزينة المعبرة عن لوعة الفراق والشوق الكبير والفراغ وكأنها فقدت الدنيا ومن النماذج تغني النساء في مصر الأغنية التالية:⁽³⁾

¹ Karin barber, popular arts in Africa, African Studies Review, Vol. 30, No. 3 (Sep., 1987), p2.

² من أعمال المهرجان الثقافي الإفريقي الأول الثقافة الإفريقية، ملتقى الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 21 أوت 1969، الجزائر، ص216.

³ الهيئة العامة للاستعلامات، الأغنية الشعبية في مصر، الأحد 29 نوفمبر 2015، (23:30-2022/09/14).

<https://www.sis.gov.eg/Story/115374>

خبطت على الباب، والباب خد وشي

ملقيتش حبيبة تقول لي خشي

كان ليه حبيبة أغيب وأجيلها

يا ريت كان الموت ناسيها

كان لي حبيبة من بعيد جيها

وأيدها في الود مرخية

حق والنبي ما حد زي الأم...

تصور هذه الأغنية صورة جد حزينة عن غياب الأم عن البيت فهي الحبيبة التي تنتظر زيارة أبنائها وبناتها سواء بعد زواجهم أو عودتهم من سفرهم، يتمنون لو أن الموت نسيها وهذا ضرب المستحيل فكل نفس ذائقة الموت.

ب-زوجة الأخ: الصورة التي ترصدها الأغنية الشعبية وتظهر بها من خلال الأغاني في كل مكان هي نفس الصورة في غيرها من الأشكال الشعبية والتي تتميز في غالب الأحيان بأنها سيئة كصورة زوجة الأب، فالكنة والحماة أو الكنة وأخت الزوج نادرا ما نجد بينهما ذلك التفاهم والمحبة والنية الطيبة، فمهما كانت العلاقة يسودها الاستقرار إلا أن أي خطأ يصدر من إحداها تتعرض صاحبتها للنقد أو حتى الكلام الجارح وهذا ما حملته لنا هذه الأغنية من التراث الجزائري:⁽¹⁾

"هايلالي لالي يا نكارة يانا... أي مرت خويي كي كنت معاك كنت عليك خديمة... ليوم راني نجيك نشم ريحة لميمة يا نكارة يانا... هايلالي لالي يا بنت خويي يا نكارة يانا... هايلالي لالي يا نكارة يانا... وهاي مرت خويي كي كنت نجيك... تقولي جات الطالبة... وأنا راني نجيك نشم ريحة بابا... يا نكارة يانا... هايلالي لالي... يا نكارة يانا ياي بنت بلادي... يا نكارة يانا هاي بنت خويي أعطيني فولارتك... ليوم دالة ليا وغدوة توصل دالتك... يا نكارة يانا هاي مرت خويي علاه الضر يخني ساكنة

¹ أسينات، أغنية جزائرية، أغاني البندير، (2021/11/12) تاريخ الاطلاع (2023/01/20)-

<https://www.youtube.com/watch?v=GwlgZnibP2Y> (17:15)

وحيدة و زائدة محقورة يا نكارة يانا... هايلاي لالي يا نكارة يانا هاي لاليلالي يا نكارة يانا... أي
مرت خويي كي كنت معاك كنت عليك خديمة... ليوم راني نجيك نشم ريحة لميمة... يا نكارة يانا...
هاي لالي لالي يانا بنت خويي يا نكارة يانا... هاي بنت اخويي أعطيني محرمتك... ليوم راكي اخية
غدوة تعودى عمة... يا نكارة يانا."

فالعمة تشتكي من زوجة أخيها التي لا تحب زيارتها فتعطي صورة شريرة عن زوجة أخيها بأنها
تحرّمها من أخيها رائحة أمها وأبيها، كما تتوعدها بأنها في يوم من الأيام سيصيب ابنتها (ابنة أخيها)
ما حدث معها وأنها ستصبح عمة وتحرم من رائحة أخيها كما فعل بها.

ج- صورة العروس: تصور الأغنية الشعبية الفتاة في ليلة عرسها أو كما هو معروف في
تقاليد الأعراس (ليلة الحنة) بأنها جميلة وهي بين أحبابها ووالديها تزينها الحناء ورائحة
الورد في كل مكان، تقول النسوة واصفات هذا المشهد في مصر: (1)

ليلة حنتك يا عروسة... نصبولك ستاير تللي
وأخواتك قاعدين حويلك... وأنت عمالة بتتحنى
وأبوك يخش يطلع... ويرش الماء ورد عليك.

4. المرأة في النكتة الشعبية:

حضور المرأة في النكتة الشعبية سائد، ويمثل رصيда هائلا وموضوعا يستقطب الفرد الشعبي باعتبار
أن هذا الفن الشعبي ينتج لحمة تواصلية بين الجانب الروحي للفرد الشعبي والبيئة الاجتماعية، لذلك
يقول أحد الباحثين: "إذا أردت أن تعرف عواطف السواد الأعظم من كل أمة وماهي عاداتهم التي
يجرون عليها، وأفكارهم التي يفتكرون بها والمنازع التي ينزعون إليها، فانظر في أدبيات عوامها، فإنها هي
تمثل حالتهم الاجتماعية تمثيلا صحيحا لا غبار عليها"(2)

¹ الهيئة العامة للاستعلامات، الأغنية الشعبية في مصر <https://www.sis.gov.eg/Story/115374> (2022/09/14-23:30).

² محمود بوكفوسة، تمثيلات المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية، بين القبول والرفض، مجلة روافد، مج2، ع1، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018، ص34.

إذ يعتبر الفرد النكتة الشعبية سلاحا دفاعيا ضد إمكانية المعاناة وهروبا من اكراهاتها، لأن هذا النوع من التراث الشعبي الشفهي يرتبط ارتباطا بالخلق العام للشعب، ويبدو أثره ظاهرا جليا عند العامة منه أكثر من خاصته، فهو بهذا المنحى نجده تراثا يرتبط بالشعبية، يتناقل بالكلمة الشفهية المنطوقة للنصح والتوجيه والتربية تارة والترفيه والتنفيس تارة أخرى عن طريق ضرب الأمثلة والتميز والمفارقة، ويبقى من أرقى الصور الصادقة للطباع الشعبي في مختلف العصور والأقطار، لأنه يساعد المبدع الشعبي على التعبير والتفنن في تضمين الأحداث والوقائع بطرق يبتكرها هو وبمزاجه الخاص، فالنكتة لا تكلف صاحبها ابتكارا في خلق الموضوعات بقدر ما يتطلب منه أن يضيف عليها الترفيه والإمتاع اللذين يتماشيان وذوق الطبقات الشعبية، لأنها من الفنون الأقدر فهما لواقع الفرد، لذلك نجد حضور موضوع المرأة يتمثل جليا فيها؛ لأنها الكائن الأكثر خضوعا للتقاليد والأعراف والعادات، واستطاعت من خلال سلوكها وأفعالها وأقوالها أن تشكل صورة خاصة لنفسها في الذاكرة الوجدانية الشعبية.⁽¹⁾

إن وحدة التفكير الشعبي في المجتمع عن المرأة نجده في مجمله يعطي صورة سلبية عنها بحيث ينعتها بمساوئ عدة، ويكاد يلغي المرأة كقيمة، فالنكتة الشعبية المتداولة حول المرأة غالبا ما تهدف إلى تحذير الناس وتنبههم إلى ضرورة عدم الانخداع بالمرأة التي قد تظهر الجمال والليونة والعواطف، لكن تخفي المكر والحيلة والغدر، فالمتفحص للنكت الخاصة بالمرأة يجد نفسه داخل حقل يتميز بالازدواج والتناقض بين إظهار الجمال وتبطين المكر، فما أن يسمع نكتة تمجد المرأة وتضعها في أعلى المراتب حتى يعثر على نكتة تبخسها وتحط من مكانتها وتقلل من شأنها.⁽²⁾

مما لا يدع مجالا للشك أن التفكير الشعبي قد رسم صورة المرأة فوق أرضية مزدوجة متناقضة - قبول/ رفض - تمزق ذاتها إلى شطرين متناقضين فهي -خير/ شر- دائما بين هذا وذاك، فإنها صورة منزعة غير مستقرة، وهذه الصورة المزعجة تظهر جليا في التعبير الشعبي إلى حد تشبيه المرأة بحيوان

¹ المرجع نفسه، ص34.

² محمود بوكفوسة، تمثيلات المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية، بين القبول والرفض، ص35.

أحيانا كالأفعى والبقرة والحمار والسמكة والخنفس.⁽¹⁾ وهذا التشبيه يقع للعللة الجامعة بينهما فمثلا الحمار يتحمل الضرب كثيرا وكذلك عند ضرب المرأة يشبهها الرجل بالحمار وغيرها من الأوصاف الأخرى، وهذه الخاصية تطبع النكتة الشعبية وتعكس «طبيعة النظرة الدونية للنساء والتي لا تستحي من تشبيههن والتمثيل لهن بالحيوان، وأساسا فيما ينسب لهذه الأخيرة من صفات سلبية»⁽²⁾

لذلك نجد الفرد الشعبي عندما يحاول اختيار شريكة الحياة يتردد في قبول المرأة لتوفرها على التناقض وازدواجية التمثيل (الجميل/ القبيح) في آن واحد، ويصل به الحال أحيانا عندما يرى فيها السلبيات أكثر من الإيجابيات ينعتها بالشیطان حيث تقول هذه النكتة الجزائرية: "واحد طلب الزواج من فتاة، قاتلو نتزوج شیطان وما نتزوجش بيك أنت، فقال لها: حرام زواج الأخت بخوها"⁽³⁾

ومن جانب آخر اهتمت النكتة بالمرأة وجمالها ومدى إعجابها بنفسها وشكلها وهي ترى نفسها أمام الرجل أنها تقاس باللباس والجمال وتناسى جانب الأخلاق، لهذا نجدها كثيرا ما تتباهى بجمالها وتهتم به فتقصد صالونات الحلاقة والتجميل محلات التزيين وشراء المساحيق، ولو كلفها هذا ثمنا باهضا ذلك أن المرأة «جبلت على حب التجميل والولوع بالزينة والإغرام بالافتتان في ذلك ولها العذر كله في هذا الولوع وذلك الإغرام أليست الزينة من تمام جمالها، أليس جمال المرأة وتحملها مدرجة ميل الرجل وافتتانه بها وقوام الزينة والنظافة ولتحذر المرأة كل الحذر أن يقع بصر الرجل منها -أعني زوجها- على شيء يشمئز منه وينفر من وسخ أو شعث أو رائحة مستكرهة أو شيء من هذا القبيل»⁽⁴⁾ فالرجل يجب أن تكون زوجته جميلة حتى وإن لم يبد ذلك فإنه يسر إن وجد زوجته في أبهى صورة لها.

وختاما نقول أن النكتة الشعبية الموجهة للمرأة تفتح مجالات عديدة للخيال، وهي ليست درسا في الأخلاق فحسب ولكنها تشغل الخيال وتوقظ الأحاسيس وتعبر عن الفكر الشعبي في بساطته فهي تفهم الكون الذي تشغله المرأة وتتعامل معه على أنه واقع ترفضه، لا تتفق مع نظرتها الأخلاقية لواقع

¹ المرجع نفسه، ص 42-43.

² منية بلعافية، المرأة في الأمثال المغربية، دار توبقال للنشر، ط 1، المغرب، ص 14.

³ محمود بوكفوسة، تمثيلات المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية، بين القبول والرفض، ص 43.

⁴ عبد الرحمان برقوقي، دولة النساء، معجم ثقافي اجتماعي لغوي عن المرأة، دار ابن حزم، ط 1، بيروت، 2004 ص 100.

المرأة من ناحية، ومن ناحية أخرى تقترح لها عالما آخر تختاره يرضي كل مطالب الفكر الشعبي البسيط، فهي بذلك تكون مخالفة للعقل، عالمها بعيد عن المنطق، واقع خيالي يستطيع أن يخترق كل العقبات ويتجاوز كل قانون، وبهذا المنظور يمكن اعتبار النكتة الشعبية إحدى التعبيرات الرمزية في المخزون الشعبي الجمعي، لأنها تمكننا من فهم المجتمعات والجماعات الإنسانية ونظرتها الخاصة إلى المرأة، وتصبح بهذا الشكل وسيلة من وسائل تقوية المخيلة وانبعاث التدبير الذهني وتقليل الصلابة الاجتماعية لأنها سلاح في رأي الكثيرين لمجاهدة نقائص المجتمع وتوجيه أفرادها إلى سلوك اجتماعي قويم، لأن الرغبة في حياة سعيدة يسودها الاستقرار والاطمئنان تدفع الناس إلى خلق الحكايات والنكت لكي يهربوا من الواقع ويرسموا العالم كما يجب أن يكون خارج الزمان والمكان.⁽¹⁾

¹ محمود بوكفوسة، تمثيلات المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية، بين القبول والرفض، ص 48.

فصل ثالث

المكانة والعلاقات الاجتماعية للمرأة الإفريقية

فصل ثالث: المكانة والعلاقات الاجتماعية للمرأة الإفريقية

أولاً- دور المرأة الاجتماعي والثقافي في المجتمع الإفريقي:

لعبت المرأة الإفريقية دوراً مهماً في بناء المجتمع الإفريقي حيث تمتعت بمكانة متميزة أكثر من غيرها لفترة طويلة، فإلى المرأة يرجع الفضل في قيام المجتمع الزراعي الذي على أساسه تتألف باقي المجتمعات الأخرى، بل وتبنى الحضارات، فكثيراً من العلماء يؤكدون أن هناك علاقة متداخلة بين المرأة والأرض وإبرازها على أنها ذات طابع ديني أو غيبي، فكلما حملت المرأة الإفريقية وأنجبت طفلاً زادت خصوبة الأرض وزاد محصولها.⁽¹⁾

واعتبرت المرأة في المجتمعات الإفريقية البدائية الأساس في تكوين الأسرة والحفاظ عليها، بل كانت هي العائلة فحسب دون الأب للاعتقاد بأن الأم وحدها هي التي تنجب الأولاد، وتحمل نتيجة روح أو طيف يزورها وهي نائمة، فيلقي في رأسها بذرة الطفل الذي ينحدر إلى رحمها ويستقر وينمو حتى يولد، ثم تقوم بحمايته حتى يتمكن من تدبير أمور حياته بمفرده، ولهذا السبب اعتبروا المرأة أكثر قدرة وأعلى قيمة من الرجل، حتى وصل الأمر إلى أن عرّف بعض العلماء "البشرية بأنها أنثوية الأصل"⁽²⁾ كما يختلف دور المرأة في القارة الإفريقية من دول لأخرى، أو من منطقة لأخرى حسب العادات والتقاليد أو التاريخ أو الثقافة أو الدين الخاص بتلك الدولة أو المنطقة، فدور المرأة في دول شمال إفريقيا يختلف عن شرق وغرب إفريقيا، وكذلك عن وسط وجنوب إفريقيا وإن كانت المرأة في مضمونها وكيانها واحدة لا تتغير.⁽³⁾

فالمرأة الإفريقية تختلف عن غيرها من نساء العالم من ناحية العادات والتقاليد والموروث الشعبي واللون وحلق الرأس كالرجل في بعض المجتمعات الإفريقية ونحو هذا، وربما هذا ما جعل المرأة الإفريقية

¹ دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، مركز الدراسات الإفريقية، 2016/11/15،

² المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (00:52 - 2022/11/17)

³ المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146>

تغاير أقرانها من النساء البيض، وهي امرأة ليست غريبة في الأوساط العامة، وقد أنشد عنها شعراء العرب، وهي امرأة تتحمل المتاعب وتعيّل الأسرة بعد فقدان زوجها ولها ثقافتها الإفريقية، إلا أنها تعرضت لثقافات متنوعة منها: الثقافة الإسلامية التي لها مبادئها ونظمها، وتليها الثقافة الفرنسية ولها ضوابطها، بالإضافة إلى ذلك الثقافة الإنجليزية، تختلف صورها وصفاتها داخل المجتمع حسب وضعيتها الاجتماعية، فللمرأة قبل الزواج طقوس وعادات وتقاليدها تقوم بها وبعد الزواج وظائف مختلفة سنقف على بعض الصور للمرأة قبل وبعد الزواج، وحتى بعد فشل تجربة الزواج (الطلاق) أو بعد وفاة زوجها (الترمل)⁽¹⁾

1- المرأة الإفريقية قبل الزواج:

عانت المرأة الإفريقية من هضم الحقوق والاستغلال من قبل المجتمع فكانت تشغل وظائف كانت حكرًا على الرجال مثل قيادة سيارات الأجرة وخدمة الأرض وجمع الأعشاب والصيد من أجل إعالة عائلتها إلى جانب تنظيف المنازل والعمل في مشروعات التجميل والمطاعم بخلاف وظائف أسرية أخرى مثل رعاية أطفال الأقارب والجيران أو العمل كجليسات أطفال بأجرة، وقد بينت الدراسات التي أجريت مع هذه الفئة أنهم لم يختزن هذا الدور (الإنفاق على عائلتهن) وإنما تم إجبارهن عليه بسبب الظروف، وأنه لو كانت الظروف أفضل نسبياً لما اختزن هذا الطريق الشاق الذي دفعهن لأن يتخلين عن بعض حقوقهن الحياتية، فمن أجل الحقوق التي اضطرت المرأة الإفريقية خاصة (الجنوب الإفريقي) أن تتخلى عنها حقها في الزواج، إذ بات الزواج بالنسبة لكثير منهن رفاهية أو مغامرة غير محسوبة العواقب، لاسيما أنها قد تفقد أسرتهما عائلها الوحيد من جانب، وربما تتعرض لموجات عنف ضدها في ظل انتشار تلك الظاهرة في البلاد من جهة أخرى.⁽²⁾

¹ ينظر، إبراهيم محمد، المرأة الإفريقية، شبكة الألوكة، 2016/6/1، <https://www.alukah.net/spotlight/0/103838/>

² ينظر، رندة عطية، المرأة في جنوب إفريقيا...تحديات وطموحات، نون بوست، (2020/11/13)،

<https://www.noonpost.com/content/38861> (15:00-2022/12/14)

كما تفضل كثير من المعيلات البقاء دون زواج، فالزواج بالنسبة لها ربما يمثل حملاً إضافياً لا تقدر عليه، خاصة أن بعض الذكور لا يحبون العمل أساساً وكثيرون ممن يلجئون للزواج من امرأة عاملة يكون باعثهم الأول الطمع في راتب الزوجة والعيش من خلاله وعليه فإن خوف كثير من النساء من هذه الظاهرة يدفعهن للبقاء في بيوتهن دون الإقدام على تجربة الزواج، لتفني المرأة حياتها كاملة في رعاية الصغار وتنشئتهم وتعليمهم، بل وقد يصل الأمر إلى زواجهم، لتبقى هي وحيدة دون عائل لها حتى تلقى حتفها، كما أن العنف الأسري الذي تتعرض له من الداخل والذي تحول إلى واحدة من أكثر الظواهر المجتمعية في هذا المجتمع سبب آخر إحجام المرأة الإفريقية عن الزواج.⁽¹⁾

إلا أنه وعلى النقيض في بلدان إفريقية أخرى تعيش المرأة قبل الزواج بحرية معينة ذلك أنه لكل قطر ظروفه ومتغيراته التي على أساسها ترسم العلاقات بين الأفراد فنجدها تتعلم وتعمل وتساfer وتبني مستقبلها بنفسها وهذا يكثر في الدول المتحررة من قيد الاستعمار بصفة خاصة ولكن المجتمع بقي يعامل الفتاة على أنها مخلوق ضعيف يجب المحافظة عليه وحتى تعنيفه فصفة الأنوثة جعلت المرأة قابضة دوماً تحت سلطة الرجل، فهو المتحكم والأمر والنهي وهذا يرجع لسببين أولهما؛ صفة المحافظة في المجتمعات الإسلامية خاصة وثاني سبب النظام الأبوي «فطبيعة المجتمع تقتضي تحكم الرجل في أمور الأسرة وسيطرته على المرأة، كما أن حفاظ الرجل على شرفه جعله يبالغ في التشدد على المرأة»⁽²⁾ حتى أن الأم داخل الأسرة تعامل البنت معاملة مختلفة عن الولد فهي تضم ابنتها وتعطف عليها أكثر من الفتى، وبالتالي تبعث فيها هذا الشعور منذ الصغر، تقول سيمون دي بوفوار: "إن الفتى ينشأ ويتزعر تحت إشراف أمه لكنها تكن الاحترام لرجولته، فتتركه طليقاً بعض الشيء فيم تسعى في ضم ابنتها إلى عالمها النسوي"⁽³⁾

¹ المرجع نفسه، <https://www.noonpost.com/content/38861> (15:00 - 2022/12/14)

² صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 39.

³ سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، تر: هنريت عبودي، دار الطليعة، بيروت، شباط فبراير، 1980، ص 11.

2- المرأة الإفريقية في مؤسسة الزواج:

صورة المرأة المتزوجة في قبائل إفريقيا لا تختلف كثيرا عن صورتها كفتاة فهي تعمل وتعمل أسرتها، باستثناء إنجاب الأطفال والقيام بتربيتهم وتحمل المسؤولية، ومن مظاهر الإساءة عند قبائل النيجر أن

109

المرأة بعد زواجها تعيش مع زوجها إلى حين إنجاب طفل تذهب إلى بيت والدتها للبقاء مدة ثلاث إلى أربع سنوات، ففي اعتقادهم أنها بهذا الفعل ارتكبت خطيئة، فلا تستطيع رؤية زوجها، ولا يمكن له التعبير عن اهتمامه بها أو بابنه حتى مرور السنوات تستطيع زيارته فقط، وحتى تعود إليه يجب أن تشتري كل ما يلزم للمنزل.⁽¹⁾

وفي قبائل "النوير" بالسودان لا يكتمل زواج المرأة إلا إذا أنجبت طفلين، وفي حال أنجبت طفلا واحدا يمكن للزوج طلب الطلاق وأخذ الطفل والماشية التي تقدم كمهر للزوجة، أما إذا توفي الزوج فإن أخوه يصبح زوجا جديدا للأرملة⁽²⁾ وهم بهذا يشاكلون نظرة الرومان واليونان للمرأة. تؤمن أغلب القبائل الإفريقية بتعدد الزوجات، ولكن الزوجة الأولى تحظى باحترام الجميع وسلطة نافذة على الزوج، بل تسند إليها الزعامة -إذا كانت زوجة ملك- لمدة أربعين يوما بعد وفاة زوجها الملك.⁽³⁾

3- المرأة الإفريقية بعد فشل تجربة الزواج (المطلقة والأرملة):

تمر المرأة خلال دورة حياتها بمراحل مختلفة تتغير معها حياتها وكذا نظرة المجتمع إليها، ففي مرحلة الطفولة تكون محروسة والكل يسعى للحفاظ عليها وحمايتها وتربيتها تربية سليمة، وبعد أن تصبح شابة تتعلم كيف تكون مسئولة تحضيراً لأن تصبح فيما بعد زوجة صالحة مهما بلغت من التعلم وحصلت على شهادات، وأما تعمل على تربية أبنائها على الأسس الصحيحة، ولكنها في بعض الأحيان قد تفشل داخل مؤسسة الزواج لتخرج منها إما مظلومة عانت الويل والقهر والإساءة مع زوجها فأثرت حريتها وسلامتها وهربت من الذل، أم أنها لم تتحمل مسئوليتها وكانت مقصورة في بيتها، إضافة إلى تدخل الغير في حياتها مما يؤدي إلى التفكك الأسري والطلاق والقصص لا حصر لها ولا عدد، ويكفي الحديث الشريف: «ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم» مع كل هذا تظل نظرة المجتمع دوماً إلى

¹ أماني ربيع، الزواج في إفريقيا... اتصال بالجزور واستمرارية الحياة باتحاد أبدي، مركز فاروس، 2020/02/06،

² ينظر، المرجع نفسه، <https://pharostudies.com/?p=3606> (18:58-2023/01/10)

³ آدم بمبا، المرأة في إفريقيا، قراءة في العادات والتقاليد المحيطة بها، ص96.

المطلقة نظرة ارتياب وشكوك بغض النظر عن الأسباب وراء ما آلت إليه، «ينظر إلى المرأة المطلقة نظرة سلبية على العموم وتعرض إلى تهميش مضاعف لكونها امرأة أولا ومطلقة ثانيا، حيث ينظر إلى فشل الزواج كموت رمزي للمرأة وغالبا ما تتحمل المرأة وحدها النتائج السلبية المترتبة عن الطلاق، إذ أنها وفي أحيان كثيرة ما تتهم بكونها السبب في انفصالها عن الرجل»⁽¹⁾ ولكن ما يجب معرفته أن للمطلقة حقها الإنساني في المجتمع عامة وعلى أسرته خصوصا ألا يكونوا سببا في تعاستها، بل عليهم أن يرفعوا من معنوياتها ففشلها في الزواج لا يعني فشلها في الحياة فطلاقها لم يغير شيئا من دينها أو أخلاقها وسلوكها فلا تزر وازرة وزر أخرى لأن الطلاق قد يكون لظروف خارج عن إرادتها، ونظرا لما في الطلاق من مضرة للمرأة والأولاد شرع الله تعالى الصلح في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَآئِهِمْ يَتَخَذُونَ﴾ سورة النساء - الآية 128.

ما يسري على المطلقة يسري وبشكل أقل حدة على الأرملة، خصوصا إذا كانت شابة جميلة والأغلبية تنهافت عليها طمعا فيها، بالتركيز على الجانب العاطفي لديها بعد وفاة زوجها، وقد تستجيب الأرملة وتتزوج، أو تفضل البقاء من دون زواج لرعاية أولادها بعد وفاة أبيهم.

«في قبيلة "دينكا" مصطلح أرملة لا يطلق فقط على المرأة التي مات عنها زوجها ولكن أيضا يطلق على المرأة التي يتم شراؤها لكي تلد طفلا، فهي أيضا تسمى أرملة، وإذا وصلت مرحلة عمرية تمنعها من الحمل فإنها تشتري إحدى الفتيات ويكون الأطفال الذين تلدهم يحملون اسم الزوج المتوفى بغض النظر عن مدة وفاته وعن والدهم الطبيعي»⁽²⁾

تتعدد أشكال الطلاق في العالم الإفريقي، ففي الدول الإسلامية يكون شفويا وقانونيا من خلال إجراءات يقوم بها المطالب به وتعدد عدة جلسات بغاية الإصلاح بين الزوجين، أما في تقاليد القبيلة الإفريقية «فيحق للرجل والمرأة إنهاء الزواج دون ضغوط من الأهل، كما أن المرأة إذا هجرت زوجها بلا

¹ صالح سويلم الشرفات، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع 7 2011 ص 39.

² سماح دياب، الخطوبة والزواج عند قبائل الدينكا ثقافة إفريقية، ع 47273، (2016/05/11)، www.gate.ahrame.org.eg (17:08 - 2023/01/14)

عودة يرد المهر للرجل حسب المحاكم القبلية، وهناك قبائل لا تعرف الطلاق مثل "الزولو" و"الآزاندي" و"الجوكون"، وإذا مات الرجل عن زوجة خلفه عليها بعض أقاربه»⁽¹⁾

من المجتمعات الإفريقية التي شهدت تضخما في حالات الطلاق الشعب الموريتاني المختلط بين العربية والزنجية، ويرجع ذلك لأسباب متعددة على رأسها رفض المرأة العربية التعدد وميل الرجل لذلك حتى نشأ الزواج العرفي ولكنه سرعان ما يفتضح وينتهي بطلاق الزوجة الأولى، إضافة إلى العادات المنتشرة داخل المجتمع الموريتاني الذي يحتفل بطلاق المرأة بطقوس تسمى "التحراش" بمعنى تعويضها يقوم بموجبها الرجال غير المتزوجين بالتظاهر برغبتهم في الزواج من المطلقة والإقبال عليها فور عودتها إلى بيتها، فضلا عن أن الرجال الذين يطلقون زوجاتهم لا يجدون رفضا من النساء الأخريات حتى لو عرفوا بإدماهم على الطلاق ومن المفارقة أن تكون كثرة زواج المرأة وتعدد طلاقها مصدر فخر للمرأة الموريتانية بل ودليلا على جمالها ورغبة الرجال فيها، الأمر الذي يدفع بعض النساء أحيانا إلى التباهي بعدد زيجاتهن، ويدفعهن ذلك إلى الطلاق بغية إضافة رقم جديد في عدد أزواجهن باعتبار ذلك أمرا تفخر به المرأة، لأن الجميلة هي التي لا تكاد تنتهي عدتها على فراش أهلها إلا وتقدم لها خاطب أو أكثر، وأصبحت بعض النساء يوصفن بأنهن يغيرن أزواجهن كما يغيرن ملابسهن.⁽²⁾

«عند قبائل الدينكا الطلاق أمر بغضب ونادر الحدوث بصورة عامة، وهو يمثل حتى في النواحي الاقتصادية، لما تطرحه شروط إرجاع مهر الزواج من تحديات وتعقيدات، فعندما يكون الزوج هو المخطئ لا يكون من حقه طلب إرجاع المهر إلا بعد زواج المرأة من جديد، وبعد أن يكون زوجها الجديد قادراً على تعويض الزوج السابق، وهو أمر غاية في الصعوبة لأن الأبقار تكون قد تكاثرت حتى ذلك الوقت، أما في الحالات التي يكون فيها الخطأ من جانب الزوجة أو أقربائها فينتظر منهم أن يقوموا في الحال

¹ مجدي إبراهيم، غرائب وعجائب الزواج الإفريقي، المجلة العربية، ع549، دار المجلة العربية للنشر والتوزيع 2012/12/10، مصر.

² محمد محمود أبو المعالي، مراجعة حسن زينند، في استثناء عربي: الموريتانيون يحتفلون بالمطلقات 2010/07/20.

<https://www.dw.com/ar/16:18-2022/12/20>

بإرجاع الأبقار نفسها التي دفعت لهم إذا كان ذلك ممكناً، وإذا كانت هذه الأبقار قد دخلت في زيجات أخرى أو تم توزيعها بصورة ما فيجب اقتفاء أثرها وإرجاعها»⁽¹⁾

4- المظاهر الاجتماعية للمرأة في المجتمع الإفريقي

«تتنتمي شعوب إفريقيا إلى جماعات عرقية وجنسية ولغوية ودينية عديدة، والواقع أن هذا التعدد ينشأ عنه تفاوت كبير في أنماط العلاقات الاجتماعية والأسرية وأنواعها في البيئة الإفريقية»⁽²⁾ ومن المظاهر الاجتماعية التي تربط فئات المجتمع الواحد الزواج؛ الذي يعد «الأساس الذي تقوم عليه الأسرة حيث يعتبر نظاماً اجتماعياً تنطبق عليه أهم خصائص النظم الاجتماعية، فهو يقوم بأداء وظيفة هامة في الحياة الاجتماعية في كافة المجتمعات، وهو نوع من السلوك المقنن ويتمتع بقدرة كبيرة على الصمود في وجه التغييرات التي تحدث في المجتمع»⁽³⁾

تتنوع عادات الزواج في المجتمعات الإفريقية من حيث الإجراءات والاحتفالات، وشروط الزواج من مهر وعقد «فتلعب العروس دوراً خاصاً جداً في حفلات الزفاف، وتعامل باحترام كبير لأنها رابط بين الأسلاف والجيل الجديد من المواليد»⁽⁴⁾... ولإيضاح الصورة أكثر نأخذ عينة من تقاليد الزواج في بعض القبائل الإفريقية الكبرى:

أ- **قبيلة الدينكا:** الدينكا هي مجموعة عرقية في جنوب السودان موطنها الأصلي ينتشر من منطقة بحر الغزال، إلى ولاية جونقلي، ومناطق من ولاية جنوب كردفان، تتمسك قبائل الدينكا بعاداتها وتقاليدها وممارساتها الدينية، لأن الدينكاويين ليس لديهم وسائل لتسجيل العادات والقوانين التي تنظم أمور حياتهم، وعند الزواج يدفع العريس الأبقار المطلوبة لوالد العروس ويكون المهر ثمناً لشراء الفتاة، وتصبح ضمن ملكيته، هي وكل ما تلد من أطفال، وليس من الضروري دفع المهر كاملاً قبل احتفالات الزواج، ويحق

¹ محمد عبد العزيز الهواري، الزواج في إفريقيا... النسق القرابي وطريقة تكوين الأسرة، مجلة قراءات إفريقية، ع5، المنتدى الإسلامي، جمدى الثاني 1431هـ/يونيو 2010م، ص47.

² المرجع نفسه، ص43.

³ المرجع نفسه، ص43-44.

⁴ أماني ربيع، الزواج في إفريقيا... اتصال بالجذور واستمرارية الحياة باتحاد أبدي، مركز فاروس، 2020/02/06،

<https://pharostudies.com/?p=3606> (16:48-2023/01/10)

لمجلس العائلة أن يقرر عدد الأبقار التي يتم دفعها مقدما ومتى يتم دفع بقية المهر ومتوسط المهر خمسة عشر بقرة، وخمسة ثيران توزع على والد الفتاة ووالدتها، وقد تهدى واحدة لخال العروس، وكذلك أقارب الأب، وربما يرد بعضها لأهل العريس، وفي حال عدم اكتمال عدد الأبقار المتفق عليه يظل أطفاله من مسؤوليات أشقاء العروس الذين يتولون تربيتهم.⁽¹⁾ والزواج عند هذه القبيلة يتمثل في النقاط التالية:⁽²⁾

✓ مقاييس اختيار العروس عندهم تبدأ بطولها، وبياض أسنانها، والفتاة التي تتوفر فيها هذه الصفات يكون مهرها أكبر من غيرها، وكذلك مكانة أسرتها ووضعها الاقتصادي والاجتماعي، ويكون سببا لارتفاع عدد أبقار المهر، وفي الآونة الأخيرة باتوا يعطون ميزة لتعليم الفتاة أهمية كبرى.

✓ مراسيم الزواج عندهم بسيطة، فالرجل يبني كوخا للسكن وآخر للطعام وتقوم والددة العروس بدور كبير في الترتيب لزواج ابنتها، حيث تجمع ما تستطيع من الخرز وتصنع فراء مطرز الحواشي بالودع.

✓ إذا توفيت الزوجة خلال أول عامين من الزواج أثناء الولادة أو فشلت في الحمل يتفق الزوج مع والدها على استبدالها بإحدى أخواتها، أو يقوم الأب بإرجاع بعض الأبقار من مهر ابنته كمساعدة للزوج في الحصول على زوجة أخرى. وإذا توفيت الزوجة بعد ولادة طفل فلا تعاد الأبقار إلى الزوج ولا يعوض عنها.

- وعند "البون دو" يأتي أحد الرجال إلى والد الفتاة يسأله يدها نيابة عن أحد أصدقائه فيقول له الأب: «اذهب وتحدث إلى الفتاة» فيذهب الرجل وإذا وافقت تقول: «أود أن أرى الرجل الذي يرغب في أن يكون زوجي» عندئذ يأتي الرجل فتقول له: «كما تحدثت إلى أبي من قبل تحدث إلي»⁽³⁾

¹ سماح دياب، الخطوبة والزواج عند قبائل الدينكا ثقافة إفريقية، ع 47273، (2016/05/11)، www.gate.ahrame.org.eg (22:05 - 2023/01/14)

² المرجع نفسه، www.gate.ahrame.org.eg (11:10-2023/01/15)

³ مجدي إبراهيم، غرائب وعجائب الزواج الإفريقي، المجلة العربية، ع 549، دار المجلة العربية للنشر والتوزيع، 2012/12/10، مصر.

- قبائل إثيوبيا: تشهد هذه القبائل طقوسا أخرى للزواج خاصة قبائل "وادي أومو" الواقع جنوب غربي إثيوبيا التي مازالت تعيش حياة البدائية والتي تحمل وفرة في العادات والطقوس التقليدية والتي تبدو غريبة لقبيلة "الهامر" التي تعيش في وادي "أومو"، تمارس تقليدا عجيبا خاصة مع بدء سن البلوغ، والتي يتسنى للفتى أو الفتاة بحسب قوانينهم الاجتماعية طلب الزواج لكن بشرط النجاح في تنفيذ طقس هذه المرحلة العمرية التي ينتقل فيها من مرحلة الطفولة للشباب، يتمثل هذا الطقس في أن يقوم الفتى بالقفز على أكثر من خمسة عشر إلى عشرين ثورا أو جاموسا، والتي تنتشر تربيتها في هذا الإقليم، وعندما ينجح في مهمته تعطى الفتيات أعوادا رفيعة من "الخيزران" ليضربن بها على جسد من يرغب الزواج بها عدة مرات حتى الإدماء، بيد أن الفتاة التي شاركت في التجربة تكون مهمتها الرئيسية هي تتويج الفتى بالاعتراف بعبوره مرحلة الطفولة، كما يحق لها الزواج من أي شاب آخر داخل القبيلة في مقابل نجاحها هي الأخرى.⁽¹⁾

- موريتانيا: أما في موريتانيا فيجب أن تكون الفتاة ممتلئة بدينة وإلا بقيت عانسا طول عمرها... وفي تقاليد زواج شعب السواحلي تقام حفلة الحناء في الليلة التي تسبق الدخلة وفي عموم منطقة الصحراء الكبرى تحتطف العروس من طرف أترابها ليقوم أصدقاء العريس بالبحث المضني عنها، وبعد إيجادها تبدأ إجراءات تجهيزها للمنزل المؤقت الذي يقضي فيه العريس أسبوعا كاملا قبل انتقالهما لمنزلهما الجديد.⁽²⁾

- في عادات الزواج في قبيلة "ناميبيا" تلطخ العروس قبل يوم زفافها بأعشاب وتقوم عائلة العريس بدهن العروس بالزبدة، وهو ما يعني أن عائلة العريس قبلت بأن تخلط دمها بدم أهل العروس.⁽³⁾

¹ هاني الجمل، طقوس غريبة للزواج بقبائل "وادي أومو" بإثيوبيا... ضرب ودماء، سكاي نيوز عربية، 2021/02/21-11:51 <https://www.skynewsarabia.com/varieties/1416641> (02:14-2023/01/15)

² ينظر، عبد الله مولود، الزواج في إفريقيا: طقوس لا يتصورها خيال ومهور لا يصدقها عقل، جريدة القدس العربي، 2021/02/27، <https://www.alquds.co.uk> (23:16-2023/01/24)

³ عبد الله مولود، الزواج في إفريقيا: طقوس لا يتصورها خيال ومهور لا يصدقها عقل، <https://www.alquds.co.uk> (23:16-2023/01/24)

- في قبائل "البورو" تبدأ العروس فيها ترتيبات زواجها قبل الزفاف بوقت طويل فهي تعد أكثر الأشياء اللازمة لبيتها، فتحيك ملابسها وتصنع الثوب الذي يمكنها من حمل طفلها على ظهرها، وعليها أن تصنع تاج زوجها المزين بالريش المتعدد الألوان ويعقد قران بنات البورو في سن مبكرة جدا (ثمان سنوات) ولكن الزفاف لا يتم إلا بعد سنوات، وحين يقرر العريس الزواج يزور أهل العروس، ويقدم لهم هدية فإذا قبلوها اعتبرت الفتاة مازالت مخطوبة له ويبدأ الاتفاق على المهر الذي يتكون من عدة رؤوس من الأغنام، وفي يوم الزفاف يعود العريس إلى زيارة عروسه ويحمل لها هدية جديدة ويقوم أهل العروس بتزيينها، ولكيلا تصيبها العين يدهنون جسدها كله بالألوان الصفراء والسوداء، ويدهنون رأسها بزيت السمك ووجهها بالفحم الأسود ثم يصطحبونها بعد ذلك إلى بيت عريسها وسط الطبول ورقصات الحرب.⁽¹⁾

- في غرب إفريقيا تسيطر "اليوروبا" وهي مجموعة عرقية تعيش معظمها في نيجيريا وتضم نحو 44 مليون نسمة، ويؤمنون بالقدر باتحاد الروح بين العروسين بمباركة الخالق وتغيرت طقوس الزواج التقليدية بشكل طفيف بعدما آمنت مجموعات منها بالدين الإسلامي والدين المسيحي، وجرى دمج طقوس الأديان مع طقوس القبيلة، وتشتهر احتفالات الزواج في "اليوروبا" بالتزام العروسين بتدوق أربع عناصر؛ الحامض (الليمون)، والحر (الفلفل) والحلو (العسل)، والمر (الخل) وهذا الطقس يستهدف تأكيد العروسين أن بإمكانهما مواجهة تقلبات الحياة معا.⁽²⁾

- ومن التقاليد كذلك في شرق إفريقيا بقبيلة "الكيكويو" يحصل أهل العروس على المهر الذي يمثل ثمنا لما أنفقته العائلة لتربية الفتاة وتعليمها، ويحدد بناء على مؤهلات العروس، ولا يسمح له برؤيتها إلا بعد انتهاء المفاوضات بين العائلتين، ثم بعدها تقام منافسة غنائية تتبادل بعدها النساء الهدايا المصنوعة باليد، والتي تشتهر بها نساء هذه القبيلة، وفي الأخير تقام منافسة نهائية يتم خلالها تنكر العروس وسط

¹ المرجع نفسه، <https://www.alquds.co.uk> (23:16-2023/01/24)

² ينظر، سارة عبد الحميد، رؤوس البهائم وأواني البيرة.. أغرب عادات الزواج في إفريقيا، الأسبوع الرياضي، 5 أكتوبر 2022 - 12:35، <https://www.elaosboa.com/485544> (17:15-2023/01/26)

مجموعة من النسوة وعلى العريس أن يتعرف عليها، سواء بتلميح منها أو بتظليله قصد توفير عدد من العنزات لأهلها.⁽¹⁾

- أما في النيجر فهناك قبيلة تسمى "داي" تقين مهرجانا للزواج حيث يزين الرجال أنفسهم ويسمح لهم بسرقة إحدى النساء من القبيلة، حتى وإن كانت متزوجة بآخر، وفي حال نجاح السرقة تصبح الزوجة له ويتم الاعتراف بزواجها، إلا في حالة رفضها أو قيام زوجها بالإمساك بالرجل قبل نجاحه بسرقة الزوجة.⁽²⁾

وختاما نشير إلى تقاليد الزواج بالدول العربية شمال إفريقيا -وهي دول مسلمة- في كل من (مصر، ليبيا وتونس والجزائر والمغرب إلى جانب الصحراء الغربية) تختلف التقاليد كثيرا إذ تكون على الطريقة الإسلامية مع اختلافات بسيطة في العادات والمراسيم.

خامسا: المظاهر الثقافية للمرأة في المجتمع الإفريقي:

1- التجميل واللباس:

عند الحديث عن التجميل يتبادر إلى أذهاننا ثقب الأذن والوشم والحناء وأدوات الزينة، إلا أن العالم الإفريقي يتفرد بوجود ثقافات غريبة وبعيدة عن المؤلف قمنا بعرضها في النقاط الموالية بهدف الكشف عن أغرب العادات التي تمارسها القبائل المنعزلة في أدغال إفريقيا خصوصا:

- ينزعج الناس حين تترك الجروح علامات على وجوههم ومنهم من يستعين بطبيب للتخلص من آثارها، لكن للبعض في إفريقيا رأي آخر، حيث تشير الندوب في معظم القبائل الإفريقية في المنطقة

¹ ينظر، سارة عبد الحميد، رؤوس البهائم وأواني البيرة.. أغرب عادات الزواج في إفريقيا، <https://www.elaosboa.com/485544/> (2023/01/26-17:15)

² سالي عاطف، نساء من إفريقيا.. أغرب عادات الزواج في القبائل الإفريقية، مجلة حواء، 2021/02/12، <https://hawaamagazine.com/posts/1121597> (2023/01/25-22:54)

الغربية من القارة السمراء التي ترسم بآلة حادة على جانبي الوجه للتمييز بين قبيلة وأخرى وأيضا بقصد الزينة للنساء والرجال على السواء.⁽¹⁾

— أما قبيلة "المرسى" في إحدى زوايا إقليم "أومو" بأثيوبيا فلديهم عادة غريبة تتزين بها النساء حيث تقمن بوضع لوح خشبي أو فخار على الشفاه السفلية، حيث يتم قطع الشفة من قبل أمها أو النساء المقربات عند بلوغ البنت 15 سنة ثم وضع قطع خشبية صغيرة حتى يلتأم الجرح وتركيب قطع أكبر فأكثر على فترات زمنية حتى الوصول إلى الحجم المرجو، وهناك بعض نساء القبيلة يضعن لوحة قطرها 15سم وكلما كبر حجم اللوحة تكون أجمل في نظر شباب القبيلة ويكون مهرها أكبر البقرات في القبيلة.⁽²⁾

على عكس العادة في تقاليد شعب "النوير" يتم حلق رأس العروس بالكامل قبل ذهابها إلى بيت زوجها.⁽³⁾

وعند شعب "نديلي" تقوم والددة العريس بعادة قبل الزفاف تسمى jacolo وهو مئزر خاص مصنوع من جلد الماعز مزين بخرز ملون جميل، ويتم ارتداء هذه الملابس الخاصة من قبل جميع النساء المتزوجات خلال حفل الزفاف، أما شعب "الماساي" فيزين ثوب العروس بالدهون، وفي ثقافة "الشونا" تنتقل العروس إلى بيت زوجها بلباس أبيض من الرأس إلى أخمص القدمين.⁽⁴⁾

¹ أسماء حمدي، الندوب في نيجيريا.. قصص ترويها الوجوه، 2022/06/19، مركز فاروس، <https://pharostudies.com/?p=10815> (14:05-2023/02/24)

² هاني الجمل، طقوس غربية للزواج بقبائل "وادي أومو" بأثيوبيا... ضرب ودماء،

<https://www.skynewsarabia.com/varieties/1416641> (21:30 -2023/01/24)

³ عبد الله مولود، الزواج في إفريقيا: طقوس لا يتصورها خيال ومهور لا يصدقها عقل، <https://www.alquds.co.uk> (2023/01/24) 23:16

⁴ الأمة براس، تقاليد زواج شعوب إفريقيا، 2020/10/01، <https://thenationpress.net/news-69693.html> (22:19-2023/02/25)

- أما في قبيلة "الأمهرة" المنتشرة في أثيوبيا فيرتدي الجميع ملابس مصنوعة من قماش الحبشة خلال احتفالات الزواج، وترتدي العروس زيا أبيض أنيقا مزخرفا اللون الذهبي أو الأحمر أو الأخضر الغامق أو الأزرق الساطع أو الأسود، ويرتدي العريس بذلة غريبة أو معطفا طويلا مصنوعا من القماش المحلي.⁽¹⁾
- تعرف نساء قبيلة "الهيما" بناميبيا بلون شعرهن وبشرتهن البرتقالية، الذي يعد نوعا من أنواع التجميل الذي تبدأه الفتيات في مرحلة مبكرة من العمر، المكون من عجينة محلية الصنع تحتوي على الزبدة والدهن وأكسيد الرصاص الأحمر، وتستخدمه بصفة يومية كغيره من مواد التجميل.⁽²⁾
- وكما أشرنا في موضوع العادات الخاصة بالزواج الإفريقي العربي الإسلامي في الدول الشمالية التي تتميز بالتنوع والتباين فإنه من الطبيعي أن تشهد تنوعا كذلك في تقاليد اللباس والزينة، إذ تكاد تخلو من العادات الغريبة — خاصة بالنسبة للمرأة — ومن النماذج خلال الاحتفالات أن تتجمل العروس قبل ليلة الزفاف وتسمى ليلة الحنة وتتميز بطقوس خاصة كنقش يديها وقدميها، وترتدي العروس أكثر من لباس تقليدي من كل منطقة وتسمى باللهجة المحلية "التصديرة" منها (الشدة في الغرب الجزائري والقندورة في الشرق والكاراكو في الوسط والملحفة في الجنوب واللباس القبائلي والشاوي والقفطان...) وفي المغرب (القفطان، التكشيط، المضمة، الجابادور الشريل والزي الجبلي والملحفة الصحراوية وغيرها...) وفي تونس نجد الفوطة والبلوزة وهو لباس من جزأين تلبسه العروس يوم الحناء، كما تتزين النساء العربيات بالذهب والفضة (الأقراط التي تختلف تسمياتها، والسلسلة والحزام الذهبي والأساور...).

2- الرقص والموسيقى:

¹ سارة عبد الحميد، رؤوس البهائم وأواني البيرة.. أغرب عادات الزواج في إفريقيا،

<https://www.elaosboa.com/485544> (2023/01/26-17:15)

² أسامة عبد العزيز، أغرب العادات والتقاليد الإفريقية، 2019/04/22،

<https://inspiration.rehlat.com/ar/destinations/afric> (2023/03/28-22:28)

الرقص في إفريقيا هو بداية كل شيء، وما على الكلام سوى إتباع الرقصات ليتحول الحديث إلى أنغام وألحان ورقصات، فالرقص والغناء والأقنعة هي تراث القارة الإفريقية، فعندما يذكر الرقص الإفريقي تتعالى في أذهاننا أصوات الطبول القوية والرقصات الجماعية الممتلئة بالحركة والحيوية، والرقص في المجتمعات الإفريقية لا يعتبر نوعاً من الإثارة والترفيه كما هو شائع في المجتمعات الحديثة، وإنما يعبر عن ضرورة واحتياج أساسي، فهو جزء رئيسي من الطقوس الدينية والاجتماعية فهناك رقصات لكل المناسبات حتى أن الكاتبة الزنجية الأمريكية "بيرل بريماس" صنفت الرقصات الإفريقية المختلفة في مجموعات تمثل في تتابعها دورة الحياة الكاملة من بدايتها إلى نهايتها فهناك رقصة للإخصاب ورقصة للميلاد، ورقصة البلوغ والخطبة والزواج وحتى الموت وهي المراحل التي يمر بها كل كائن حي، يقول الكاتب الصومالي "جون فيالي": «الرقص أفضل تعبير عن مشاعر الإنسان العميقة وليس هناك فن يدانيه في هذا التعبير عن الأحاسيس» ويعرف المفكر والفنان الإفريقي "كتافوديا" الرقص في إفريقيا بأنه أحد مظاهر الحياة السحرية الطقوسية، وهو مزيج من الفنون المختلفة التي يعكس الإفريقيون من خلالها الصراع المتبادل بين الإنسان الإفريقي والطبيعة القاسية التي تحيطه، لذلك يعتبر الرقص والغناء الإفريقي انعكاساً صادقاً للظروف التي يعيشها الإنسان في بيئة شرسة تغلب عليها الغابات وتظهر عليها عنف الطبيعة تجاه الإنسان.⁽¹⁾

يستخدم الإفريقيون الرقصات القتالية والحربية في احتفالات الزواج ببعض القبائل مثل الشعب "السواحلي"، وعند قبائل "البورو" تصحب العروس إلى بيت زوجها وسط الطبول ورقصات الحرب وفي قبائل "الزولو" تتنافس عائلة العروسين في مسابقة رقص صاخبة، أما عند شعب "نديبلي" فيتميز الحفل بالرقص والصلوات، وفي عادة غربية يقوم شعب "الشونا" بالاحتفال دون علم العريس حيث تبدأ عائلة العروس بالرقص وعند وصولها إلى بيت العريس ليخبر حين ذاك أن عروسه قد وصلت.⁽²⁾

¹ ينظر، مريم عادل، الرقص الإفريقي.. روح الحياة وإرهاب المستعمر، الجزيرة (2021/07/01، 10:24)،

<https://pharostudies.com/?p=10815> (11:15-2023/02/16)

² ينظر، دعاء، أغرب تقاليد زواج شعوب إفريقيا، المرسال، 16:11-2018/11/06، <https://www.almrsal.com/post/732761>، 15:46-2022/02/05

في قبائل "الماساي" تسمى adumu؛ رقصة القفز عن طريق وقوف المحاربين في دائرة ويدخلون في نفس الوقت المركز ويقفزون بأكثر قدر ممكن من الدقة دون أن تلمس الكعبين الأرض، والذين يقفزون أعلى يعتبرون الأقوى، ويحصلون على الفتيات.⁽¹⁾

كما تشهد الدول الشمالية نوعا من الرقص يشبه القتال ويسمى "بالفرسان" وهو منتشر بالجزائر باستخدام طلاقات بارود وأحصنة ترحيبا بالعروس وأغاني شفاهية من التراث كما أنه لكل بلد منهم تقاليد رقص وموسيقى خاصة به، ففي مصر يسمى الشرقي يستخدم فيه الخصر، وفي تونس يسمى النوبة بواسطة الخصر كذلك، وفي الجزائر الرقص القبائلي عن طريق الخصر والشاوي عن طريق البطن، والنابلي الذي يعتمد أكثر على حركة اليدين والرجلين، والصحراوي... وفي المغرب رقصة كناوة والشيكات وجيدرا...

"لي بغا الجمال يطلع للشمال" (من أراد الجمال ليذهب إلى الشمال) هكذا تردد كلمات إحدى الأغاني الشعبية المغربية، ويتداول هذا المقطع بين المغاربة للإشارة إلى صفات الجمال التي عرفت بها نساء المنطقة الشمالية من المملكة وتحديدًا جباله (الشمال الغربي المغربي)، حيث يعرف عن نساء منطقة الشمال حرصهن على العناية بأنفسهن، ولعل هذا جعلهن حريصات على استعمال القبعة الواقية من الشمس -على غرار الأندلسيات- التي تسمى "الشاشية" (ترازا الجبلية) للحفاظ على بياض بشرتهن، وهي قبعة رأس مصنوعة بطريقة يدوية من الدوم (سعف النخيل) وتتميز بكريات صوفية بلون أزرق داكن تتزين بها السيدات، بينما المزينة بالصوف الملونة تكون خاصة بالفتيات الصغيرات، أما الشاشية الخاصة بالرجال فتكون بسيطة وغير مزينة.⁽²⁾

سادسا: مكانة المرأة في المجتمع الإفريقي:

¹ ينظر، تريند، عادات وتقاليد الشعوب الإفريقية، 2023/04/22، <https://ar.tdtube.net/archives/37627> (2023/05/25) -2023/05/25) (16:00)

² ينظر، مريم التايدي-أذوز-الحسيمة، الشاشية الجبلية.. إرث يزين رؤوس نساء شمال المغرب، الجزيرة، 2019/03/18، <https://www.aljazeera.net/misc/2019/3/18> (23:28-2023/02/28)

تتميز المرأة في شمال إفريقيا بدورها المؤثر في الحياة الاجتماعية وكذلك السياسية، بل يكون وجودها بارزا تمنح فرصا أكثر من الرجل، خاصة في دولة كالجائز، وهي أحد أهم دول شمال إفريقيا التي تحصل فيها المرأة على حقها، وحصلت على ذلك منذ أن قاتلت جنبا إلى جنب الرجل خلال حرب الاستقلال الجزائرية عام 1962، مما جعلهن يحققن إحساسا جديدا بهويتهن وقدرنا من قبول الرجال بهن في الساحة، وفي أعقاب الحرب حافظت النساء على التحرر الجديد الذي حصلن عليه، ثم شاركت النساء في تطوير وبناء الدولة الحديثة وقد أعطت الجزائر للمرأة حق التصويت والترشح للمناصب السياسية، كما أنها تتساوى مع الرجل في الحقوق والواجبات وأمام القانون خلافا للدول الأخرى في المنطقة.⁽¹⁾

تمثل الجزائريات نسبة 70٪ من العاملين في المحاماة، و60٪ من القضاة، كما تهيمن النساء على المجال الطبي والعلوم، لهذا فالمرأة الجزائرية امرأة مثقفة في مجتمع افريقي يصنف أنه متخلف وتنتشر به الأمية بنسب عالية وقد سجلت نسبة الأمية في الجزائر تراجعا مذهلا بالنسبة لسنوات سابقة من خلال فتح مراكز لمحو الأمية.⁽²⁾

في تونس حصلت المرأة التونسية على دور هام في المجتمع التونسي في عهد الرئيس "الحبيب بورقيبة" مثل الوصول إلى التعليم العالي وفرص عمل معينة، كما حصلت المرأة في المغرب وخاصة بعد الإسلام على كيان وحقوق متحررة من العبودية والانكسار فتعلمت وثقفت حتى شغلت المناصب العليا والأعمال التجارية وصارت تتمتع بحقوقها كاملة، وبعد تعرضها للتهميش خلال فترة الاحتلال اكتسحت الساحة الثقافية بكل ما أوتيت من مقدرة، فارتادت المدارس القرآنية لتتطور فيما بعد وتذهب إلى المدارس التي لا تركز فقط على تعليم الدين لتتعلم وتثقف ولو بقدر أقل من مثيلاتها شرقا (تونس والجزائر)⁽³⁾

¹ دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، مركز الدراسات الإفريقية، 2016/11/15، <https://africansc.iq/posts/details/146> (2022/11/29 - 00:15).

² المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (2022/12/05 - 20:25).

³ ينظر، دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، <https://africansc.iq/posts/details/146> (2022/12/15 - 10:14).

— إلا أن دور المرأة في ليبيا ظل محدودا ومحافظا جدا إلى أن قامت ثورة 1969 والتي كان هدفها إعطاء مكانة أعلى للمرأة وقد قال بعض المراقبين أن النظام قد بذل جهودا في موضوع تحرير المرأة واعتبارها عنصرا مهما في القوة العاملة التي تفتقر إليها ليبيا.⁽¹⁾

وفي الآونة الأخيرة تشير بعض الإحصائيات والأرقام إلى تزايد العنف ضد المرأة بما فيها حالات الاغتصاب، وكذا بسبب جرائم القتل نتيجة الحرب الأهلية تزلزلت الكثير من النساء فظللن وحيدات رفقة أبنائهن أو يعشن بمفردهن، وتقلصت فرص شابات كثيرات في الزواج، وغيرها من الظروف المرضية النفسية والاجتماعية التي تعانيها المرأة الليبية.⁽²⁾

يختلف وضع المرأة في السودان من شمالها إلى جنوبها، فالمرأة الشمالية مهمشة ومستضعفة أما نظيرتها في الجنوب فتحظى بمكانة جيدة إذ تشغل النساء الجنوبيات مناصب أعلى ضمن مقاعد البرلمان، كما فكن ممرضات يرعين الجرحى أثناء جهادهم السياسي الطويل فشكلن "كتيبة البنات" كما كن يؤمن الغذاء والمأوى، الأمر الذي ساعد في نيل الاستقلال والحرية من ربة الاستعمار.⁽³⁾

حظيت المرأة وسط إفريقيا بمكانة عالية من نظيراتها في باقي أنحاء القارة، فكانت جمهورية إفريقيا الوسطى «أول دولة إفريقية يكون رئيس مجلس وزرائها سيدة هي السيدة "إليزابيث دوميتين" في الفترة ما بين [1975-1976] تعد بذلك أول سيدة تتولى هذا المنصب في جمهورية إفريقيا الوسطى وفي القارة الإفريقية كلها، كما كانت السيدة "جين ماري روث لاند" أول مرشحة لرئاسة الجمهورية في إفريقيا، أما السيدة "كاثرين سامبا بانزا" الناشطة في مجال حقوق المرأة وخصوصا مكافحة تشويه الأعضاء التناسلية للإناث والعنف بجميع أشكاله، فهي أول رئيسة لدولة إفريقيا الوسطى، حيث تولت رئاسة المرحلة الانتقالية في الدولة منذ 23 يناير 2014 وهي بذلك تعد أول امرأة تتولى منصب الرئاسة في دولتها وفي القارة الإفريقية، وهذا ما أعطى انطباعا على أن دور المرأة في إفريقيا الوسطى أتى

¹ المرجع نفسه، 2016/12/15 <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

² ينظر، علي عبد اللطيف احميدة، دراسة تمهيدية عن المجتمع في ليبيا: الواقع والتحديات والأفاق، الأمم المتحدة، 2020، ص30.

³ ينظر، المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

بثماره»⁽¹⁾ فلولا ثقافة المرأة في هذا البلد وحنكها لما استطاعت التغلب على الرجل وسط قارة أغلب نساءها مستضعفات لتصل إلى كرسي الحكم وتعمل على تكريس نفسها لإنقاذ بنات جنسها من هيمنة النظام الذكوري والتبعية للرجل وجور العادات والتقاليد المضرة بهذا الطائن الضعيف المهمش في ظروف قاسية وواقع مرير وبيئة صعبة للحياة.

كما أولت المرأة التشادية اهتماما كبيرا وإقرارا بالفضل الجزيل كونها هي القلب النابض للاقتصاد في البلاد والدعم الأساسية له، حتى أن عدد النساء بالتشاد يفوق عدد الرجال على عكس مالي غرب إفريقيا التي تعاني القلة في عدد النساء ولكن تشهد المرأة بها مساواة أمام القانون إلى جانب الرجل رغم حضور العادات.⁽²⁾

أما في منطقة الساحل الإفريقي (سيراليون، ساحل العاج، غينيا، ليبيريا) تنتشر جمعية الساندي والتي تحاول أن تحمي المرأة وتؤكد على دورها في بناء المجتمع، فهي تسم في تعليم البنات بعض المهارات، كما أنها تركز على العمل في مجالات التمييز الطبقي بإعطاء النساء الكيبرات في السن السلطة، وفي مجالات العمل والخدمات بشكل عام، وفي مجال البعثات التبشيرية حيث تعيش البنات في مدارس منفصلة لعدة أيام، وتستفيد القيادات النسوية ماديا أيضا من الرسوم التي تدفعها الأسر لالتحاق بناتهم بالمدارس... حتى أن المرأة بساحل العاج وبعد تحسن الأوضاع عقب الاحتلال الفرنسي وكذا بعد وفاة الرئيس "فيليكس هوفويت بواني" تقلدت مناصب هامة وكانت لها مكانة عالية في عالم الأعمال.⁽³⁾

تعيش في دولة النيجر النساء المسلمات بنسبة 98٪ فمعظم التشريعات التي تحمي المرأة في هذا البلد منبعا للإسلام، وهو الذي يتحكم بشكل كبير في مسار حياة المرأة حتى في موريتانيا، إذ يقتصر تعليم بعض الفتيات على حضور بعض المدارس القرآنية لتعلم بعض الآيات من القرآن وتحقيق الحد الأدنى من مهارات القراءة والكتابة، وتتولى الأم تعليم ابنتها بعض الشؤون العائلية المنزلية ورعاية الأطفال،

¹ علي عبد اللطيف حميدة، دراسة تمهيدية عن المجتمع في ليبيا: الواقع والتحديات والأفاق، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

² دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

³ ينظر، دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

أما الأب فيكون اهتمامه الأكبر هو تجهيز بناته للزواج، حيث تتعرض الفتيات المراهقات غير المتزوجات للنقد الاجتماعي الشديد.⁽¹⁾

تأتي جزر القمر في مقدمة الدول العربية الإفريقية من حيث منح المرأة حقوقها والاعتراف بدورها المتميز، حيث تشغل المرأة عدة مناصب حكومية رفيعة، كما تحتفظ الزوجة بالأرض والمنزل في حالة الطلاق، بالإضافة لكون المرأة لا تعاني ضغوطاً لإنجاب الذكور دون الإناث، كما أن تنظيم الأسرة مقبول على نطاق واسع وتدعمه حملات توعية تديرها الدولة، بالرغم من الوضع الاقتصادي المتدني وكون أزواج النساء في جزر القمر هم عادة من المزارعين أو العمال إلا أنهم وفي كثير من الأحيان يتحركن بحرية أكثر من نظائرن في أوساط النخبة الاجتماعية، فالنساء هناك عمومًا لسن منعزلات⁽²⁾، يعود ذلك لديانتهن الإسلامية التي تحفظ للمرأة ولكل شخص حقوقه.⁽³⁾

تتمتع المرأة في جزر سيشل بكامل حقوقها وبالمساواة مع الرجل اقتصادياً وسياسياً ومدنياً، وهذا يرجع لكون النظام الاجتماعي في جزر السيشل نظام أمومي، تسيطر الأم على معظم النفقات اليومية ورعاية الأطفال وهي عادة اجتماعية عندهم، ويتمثل دور الرجل فيها بالدعم المادي، لهذا فالمرأة تحتل مكانة هامة ودورًا أساسياً في الحياة الاجتماعية.⁽⁴⁾

رغم ما تبلغه المرأة من ثقافة وتعليم ومسؤولية فإنها تظل مخلوقاً قاصراً في بعض الأقطار تعاني من التهميش والاستضعاف لكن في بعض الأحيان تقودها ثقافتها لأن تتمرد على مجتمعهما، جميع هذه الصور سنعالج كل واحدة منها على حدة مع بعض النماذج من الدول والقبائل الإفريقية في النقاط التالية:

¹ المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

² المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

³ محمد الجدع، الحياة في جزر القمر، موضوع، 06:26-2022/01/2، <https://mawdoo3.com> (18:29-2023/03/15)

⁴ خريشة، جولة في جزر سيشل وتقاليد وعادات أهلها، - [https://www.kharbsha.com/article/seychelles-](https://www.kharbsha.com/article/seychelles-island_1032.html)

[island_1032.html](https://www.kharbsha.com/article/seychelles-island_1032.html) (10:17-2323/03/03)

1- المرأة المثقفة: تلعب المرأة في دولة سيراليون بجنوب إفريقيا دورا مهما في نظام التعليم وذلك بإنشاء المدارس والكلية، فأقيمت للنساء نصب تذكارية تقديرا لدورهن ومساهمتهن في مجال التعليم والثقافة ومن أشهرهن "حنا بينكا-كوكو"، والسيدة لاتي هادي-فورستر وهي أول امرأة تتخرج من كلية فوره بي، فقد منحت شهادة الدكتوراه في القانون المدني من جامعة سيراليون، ومن النساء الإفريقيات اللاتي تحدين الواقع وولجن عالم الثقافة والكتابة من أوسع أبوابه نجد الكاتبة النيجيرية "تشيما ماندا" من مواليد 1977 حيث كانت هذه المرأة شديدة الثقة بنفسها وكانت من قوة شخصيتها وثقافتها تدافع عن أفكارها وسط مجتمع ذكوري اهتمها بالنسوية حيث تقول: «كنت في الرابعة عشر من عمري عندما وصفتني أحد أقاربي (بالنسوية féministe) لم تخرج الكلمة من فمه بغرض الثناء» هذه الكلمة التي كانت النواة الأولى لاختيارات الكاتبة، حيث دخلت بعدها في تحديات مع نفسها ومع غيرها ممن كانوا يحذرونها من الخوض في هذا المجال "النسوية" التي كانت حسب مفهومهم تعني "المرأة التي تكره الرجال لأنها لا تجد رجلا تتزوجه" فكتبت أول عمل قصصي لها عن رجل يسيء معاملة زوجته تقول: «عندما قرأها محرر إحدى الصحف في لاجوس بدا عليه الانزعاج وهو ينصحي بأن أغير النهاية لتكون نهاية سعيدة حتى لا أتهم بالنسوية قلت أجادله: وما الضرر في ذلك؟ رد علي: سيحكمون عليك بأنك امرأة بائسة لا تحب الرجال ولم تفلح في أن تجد لها زوجا» تضيف الكاتبة بكل ثقة: «منذ تلك اللحظة أطلقت على نفسي لقب "النسوية الإفريقية السعيدة" فالثقافة ليست هي التي تصنع الإنسان ولكن الإنسان هو الذي يصنع الثقافة»⁽¹⁾

هذه المرأة الإفريقية المثقفة صنعت نفسها بيدها وحققت أهدافها ووصلت إلى العالمية بفضل قوتها الداخلية، وكذا بفضل ثقافتها التي حصدت بها عدة جوائز محلية وعالمية عن أعمالها كما تقرأ أنها من خلال كتاباتها تحاول أن تضمجد الجروح وتعيد الثقة والكبرياء المجروحة، ومن أشهر ما كتبت رواية عن الحرب الأهلية النيجيرية التي عرفت بحرب "بيافرا" وقد تحولت إلى فيلم سينمائي، ورشحت لتتحول إلى

¹ ينظر، صخر صدقي، صوت المرأة الإفريقية... نسوية سعيدة، مجلة الأهرام،

فيلم، كان هدفها القضاء على فكرة التمييز بين الجنسين وسعيها لتحقيق المساواة فقد ردت في إحدى حواراتها مع أم تسأل عن طريقة تربية ابنتها على وجه صحيح، فردت قائلة: «لا تداومي على القول لا تفعلي ذلك لأنك بنت، لا تعاربيها بأخيها الذكر، ولا تسخرينيها لخدمته، كأن تقولي لها جهزي الأكل لأخيك، لا تدعيها تنمو ومعها ينمو الشعور بالذنب لأنها أنثى، علميها أن تتصرف كإنسان وليس كنوع وكجنس مختلف»⁽¹⁾

من أشكال الثقافة عند المرأة الإفريقية أن هناك من النساء اللاتي يتناولن القضايا النسائية في كتاباتهن وكذا من الناشطات اللاتي يدافعن عن الحقوق الإنسانية للمرأة الإفريقية، يطلقن أصواتهن من فوق منابر إعلامية مختلفة، فمنهم المرأة الفنانة ومنهم الشاعرة ومنهم من هي عضو في منظمات حقوقية ومنظمات خيرية، كل همهن تغيير النظرة المكبلة لحرية المرأة والمكافحة لإمكاناتها حتى يكون بمقدورها أن توظف كل طاقاتها بشكل فعال يساهم في بناء مجتمع صحي خال من العاهات الاجتماعية، تقول "رنياتوسو" Rainayou Sou، من غينيا إحدى الأعضاء بمنظمة MEWC (Malk Evrery Women) ومعناه "لننظر إلى كل امرأة بعين الاعتبار": «كنت مندهشة لماذا وأنا في مدرستي أجد البنات في مثل عمري 12 سنة يعملن في البيوت مع أمهاتهن ولا يذهبن إلى المدرسة فقررت تعليمهن»... تضيف فيما بعد قائلة أنها قد أوصلتهن للمبتغى فقد أصبحن طالبات مثقفات يرتدن الجامعات وقصص نجاحهن زادت من قوتها وإصرارها على مواصلة الطريق في نشر الثقافة والدفاع عن تعليم الأطفال في بلادها، خاصة بعد إعلان أعوام "المرأة الإفريقية" قائلة في نفسها أن هذه فرصتها في السعي أكثر في هذا الاتجاه ليكون للمرأة دور فعال لو لم تصبح ضمن منظومة صنع القرار ولن يتسنى لهن ذلك بدون تعليم جيد.⁽²⁾

كنموذج آخر عن النساء الإفريقيات المثقفات من كينيا الصحفية والناشطة "بيورتي كاجويريا" التي منحت لقب Akiudada ومعناه بالسواحلية "الأخت العاقلة"، وكانت شغوفة جدا بقضية المرأة

¹ صخر صدقي، صوت المرأة الإفريقية... نسوية سعيدة،

(00:54-2022/08/17)/<https://gate.ahram.org.eg/daily/News/202241/1158/5904322017>

² ينظر، صخر صدقي، صوت المرأة الإفريقية... نسوية سعيدة،

(00:54-2022/08/17)/<https://gate.ahram.org.eg/daily/News/202241/1158/590432>

رافضة للعنف ضدها، إذ وضعت يدها على مواضع الضعف في العلاقة بين الرجل والمرأة من خلال بحث تخرجها وانضمت لمنظمة مناهضة لإيقاع الإيذاء بالنساء، تقول في ثورتها ضد العنف الممارس على المرأة: «الشيء البسيط بالنسبة لي هو ألا تظل المرأة كائنا مفعول به للرجل، فالحياة لا تستقيم إلا بتحقيق التوازن بين الجنسين»⁽¹⁾

ومن غانا السيدة "أما آتا أيدوو" AmaAtaaidoo وهي كاتبة مسرحية وروائية وشاعرة شغلت منصب وزير التعليم العالي في غانا عام 1982، قامت هذه المرأة بتشجيع الفتيات ودعمهن للكتابة ونشر أعمالهن وقد أقيم تكريما لها قسم يحمل اسمها يهدف لصقل المهارات الإبداعية وتعليم فن كتابة السيناريو والقصص القصيرة والمقالات الصحفية والخطابية.⁽²⁾

فعلا هؤلاء النساء وغيرهم كثيرات من بلدان مختلفة داخل القارة الإفريقية خير مثال عن المرأة المثقفة الناجحة في مجالاتها حيث استطعن إخراج المرأة المستضعفة والمهمشة من جهلها وتبعيتها التعسفية للرجل واستطعن تحقيق المساواة ووصلن بالمرأة الإفريقية إلى العالمية من خلال كتاباتهن وتحدياتهن للمجهول، فالإرادة والعزيمة تصنع المستحيل وتحترق المجهول.

2- المرأة المستضعفة والمهمشة: حددت الجمعية العامة للأمم المتحدة في إعلانها العالمي للقضاء

على العنف ضد المرأة الصادر عام 1993م، في مادته الأولى أن العنف هو: "أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى، أو معاناة بدنية أو جنسية أو نفسيين للمرأة، بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء وقع ذلك في الحياة العامة أم الخاصة"⁽³⁾

فالعنف سلوك سيء يشير إلى استخدام القوة التي تسبب الضرر والأذى للمرأة، لهذا فقد أجرمته مختلف المنظمات الحكومية لحماية الإنسان، وقبل ذلك حرمه الدين الإسلامي، وفي هذه الدراسة نركز

¹ المرجع نفسه، <https://gate.ahram.org.eg/daily/News/202241/1158/590432> (00:54-2022/08/17)

² المرجع نفسه، <https://gate.ahram.org.eg/daily/News/202241/1158/590432> (00:54-2022/08/17)

³ حنان قرقوتي، العنف في المجال الأسري، مجلة كتاب الأمة، ع171، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، محرم 1437، ص10.

على صور العنف ضد المرأة الإفريقية بصفة خاصة في القبائل التي تعيش تحت خط الجهل رغم فرض بعض القوانين كالتى تجرم الزوج المعنف لزوجته إلا أن نساء القبائل الإفريقية بدافع العادات والتقاليد والخوف من المجتمع تخفين هذا الأمر مما يجعل الظاهرة تتفاقم وتضرب القوانين عرض الحائط، «ومن هذه القوانين كذلك (الجندر) الذي أعلن عنه عام 1997م عن الجماعة الإنمائية للجنوب الإفريقي وتتضمن ثلاثة عشر دولة هي (أنجولا، بتسوانا، جمهورية الكونغو الديمقراطية، ليسوتو، مالاوي، موريشيوس، موزنيق، ناميبيا، جنوب إفريقيا، سوازيلاند، تنزانيا، زامبيا، زمبابوي) وقد شدد هذا الإعلان على أهمية تدخل الدولة لمنع العنف ضد النساء، وتلاه ملحق صدر عام 1998م جاء أكثر شمولاً من (اتفاقية سيداو) حيث أضاف العنف الاقتصادي إلى أنواع العنف المذكورة سابقاً وهي: (العنف الجسدي والنفسي والجنسي)... وحتى الدساتير التي جاءت فيما بعد حدثت على الدور للإيجابي الذي قامت به المرأة في مختلف الميادين، وحتى الثورية، كما قامت بحظر التمييز والمناداة بمبدأ المساواة»⁽¹⁾

لكن لم تتم ترجمة هذه القرارات إلى تغييرات إيجابية في حياة المرأة الإفريقية إلا بشكل محدود، وفي بعض المجالات - كالمجال السياسي - والتي لا تؤثر في حياة الغالبية العظمى من نساء القارة، فلا تزال النسبة الكبرى من النساء في أسفل الهرم الاجتماعي، سواء في ضعف فرص الحصول على الصحة والتعليم...⁽²⁾ نعرض فيما يلي أبرز صور التهميش والعنف ضد المرأة في دول إفريقيا:

— عاشت المرأة المغربية قبل الإسلام كمملوكة أو جارية، ثم رأت الضوء في فترة ما لتعود مع الاستعمار الفرنسي إلى سنين الظلام والظلم والتعسف فعاشت النساء المغربيات في وحدات الأسرة التي هي الأسرة المغلقة، وعزلت داخل البيوت للقيام بالأعمال المنزلية والتطريز والحرف اليدوية وأحياناً ما يسمح لها بحضور المدارس القرآنية.⁽³⁾

¹ ينظر، سيدة محمود محمد، هل تحمل الحركة النسوية مشعل الحضارة الإفريقية جنوب الصحراء؟، مجلة قراءات إفريقية، ع23، المنتدى الإسلامي، يناير-مارس 2015، ص62.

² افتتاحية مجلة قراءات إفريقية، عشرية المرأة الإفريقية.. ماذا تحقق منها؟، مجلة قراءات إفريقية، ع47، مركز أبحاث جنوب الصحراء، يناير 2021، ص4.

³ دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين <https://africansc.iq/posts/details/146> متباين (10:14-2022/12/15)

— كما تعاني النساء السودانيات من التمييز العنصري خاصة بين الجنسين فواجهت تحديات كبرى في ظل الأنظمة القمعية خاصة شمال السودان كما تعاني المرأة الأثيوبية من صعوبات طول حياتها نظرا لقسوة الأرض والطقس في أثيوبيا حيث تتحمل المرأة المشقة في حمل المواد الثقيلة لمسافات طويلة على ظهرها، لعدم توفر وسائل مواصلات مناسبة، وكذلك القيام بطحن الذرة يدويا، والعمل في المنزل وفي المزارع بالإضافة لتربية الأطفال والطبخ، لأنها المعول عليها بالدرجة الأولى في تكوين العائلة.⁽¹⁾

— كما تعاني المرأة الأثيوبية من تدني الخدمات الصحية فلا تستخدم أغلبية السيدات في أثيوبيا أية وسائل لمنع الحمل، حيث تصل معدلات الخصوبة 5.23٪ طفل لكل سيدة، لذلك تصاب السيدات بمرض الإيدز بمعدلات أكبر من إصابة الرجال، وطبقا لتقرير منظمة الصحة العالمية فإن 59٪ من السيدات في أثيوبيا قد تعرضن للأذى الجنسي والجسدي على مدار حياتهن كاملة، وطبقا لنفس التقرير الصادر عن نفس المنظمة فإن 74.3٪ من إناث أثيوبيا في المرحلة العمرية ما بين 15-49 قد تعرضن لعملية تشويه الأعضاء التناسلية للإناث (ختان البنات)، لذلك نجد المرأة الأثيوبية كثيرا ما تعاني لغياب حقوقها.⁽²⁾

— أما المرأة الأوغندية فكان دورها دائما تابع للرجل بالرغم من تحملها كافة المسؤوليات الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات التقليدية الأوغندية، فكانت تعلم الفتيات منذ طفولتهن الانصياع لرغبات آبائهن وإخوتهن الذكور، وبعدها تتزوجن تنصعن لرغبات أزواجهن مما أنتج تبعيتهن للرجل في معظم مجالات الحياة العامة فمن أشكال الاستضعاف في بعض المناطق الريفية في أوغندا أن تركع المرأة عند التحدث إلى رجل.⁽³⁾

— في البنين غرب إفريقيا كان نفس الأمر تقريبا يحدث مع المرأة البنينية إذ كانت العادات والتقاليد تحط من قدرها وتضعها في مكان غير متكافئ مع الرجل، ومن الصور نجد حالات تعدد الزواج، والزواج

¹ المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

² دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15).

³ المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15).

القسري رغم وجود قانون بتجريم هذه الأفعال إلا أن الفساد يعرقل عمل الشرطة والخوف من وصمة العار الاجتماعية يجعل من القصاص الحقيقي أمرا مستحيلا، ويحدث ذلك أيضا في جرائم العنف المنزلي، فرغم تجريمها قانونيا بعقوبة تصل إلى ثلاث سنوات إلا أن تردد النساء في الإبلاغ عن هذه الحالات يجعلها متكررة الحدوث وعلى نطاق واسع.⁽¹⁾

— تعاني كذلك النساء في الجنوب الإفريقي من عدم المساواة مع الرجل خاصة في أمور التملك وفرص العمل خاصة مدغشقر ومالاوي — هذه الأخيرة تعد أحد أفقر دول العالم — وكذا تعاني النساء من كابوس الزواج المبكر والإنجاب إذ تكثر عمليات الإجهاض وذلك بسبب عدم توفر الوسائل اللازمة لمنع الحمل، تسجل مالاوي أحد أكبر معدلات زواج الأطفال في العالم، فتتعرض الفتيات بدء من سن سبع سنوات إلى تقاليد جنسية عنيفة وفي عام 2015 وضعت مالاوي قرار بتجريم زواج الأطفال تحت سن 18 سنة ومع ذلك فالتقاليد والعادات تدفع الأهل لعدم الالتزام بالقانون وتزويج بناتهم تحت السن القانوني، بالإضافة إلى الدوافع المادية حيث تلجأ العديد من الأسر لتزويج فتياتهن للتخلص من أعباءهن المادية على الأسرة.⁽²⁾

— كغيرها من الدول الإفريقية تتميز دولة جنوب إفريقيا بالذكورية واستضعاف المرأة وتبعيتها للرجل وأنها حسب العادات أقل أهمية من الذكور، حيث يشتغل الرجال جميع المناصب ويهيمنون على جميع مناحي الحياة هناك، حتى أنه من العادات في بعض الأرياف كانت النسوة في تسعينات القرن الماضي يحضر عليهن أن يمشين أمام أو بجانب رجالهن يبضع خطوات، وقد رسخ هذا المفهوم بعض المعتقدات الدينية — كون البلد متنوع الأعراق — التي تركز على الفهم النظري للكتاب المقدس (فكرة أن مساهمات المرأة في المجتمع عادة ينبغي أن يوافق عليها الرجل)⁽³⁾

¹ المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15).

² دنيا العشري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15).

³ المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15).

— ومن أشكال القسوة على المرأة في معظم الدول الإفريقية حرمانها من الميراث، فهو أمر غير وارد ولا يشير ذلك حسبهم إلى هضم حقوقها أو حط من مكانتها، بل اعتبارها بحد ذاتها متاعا يورث كغيره من الأمتعة.⁽¹⁾

2- المرأة المتحررة والمتمردة: تتعرض المرأة في العالم الثالث، وفي إفريقيا على وجه الخصوص إلى الاستغلال الدعائي من قبل حركات ومنظمات نسوية ذات توجهات علمانية، وتجد سندا قويا من المنظمات الدولية، وتحاول تلك الحركات أن تفرض أطروحاتها وأفكارها العلمانية على العالم، ولا تجد بيئة أفضل من مجتمعات العالم الثالث — بمشكلاته المركبة — لتطبق عليها مشروعاتها المتصادمة للفطرة الإنسانية، فالتقارير عن أوضاع المرأة سواء صادرة عن الأمم المتحدة أم عن المنظمات الناشطة في مجال الحركة النسوية كلها تستمد من إفريقيا مادتها وأرقامها عن العنف والاغتصاب، وبتر الأعضاء، والانتهاكات ضد المرأة وتهميشها، وتجعل ذلك كله مدخلا للحديث عن الجندر.⁽²⁾

هذا إضافة إلى محاولة تغريب المرأة الإفريقية عن طريق مجموعة من الوسائل منها: الأفلام والمسلسلات التلفزيونية الغربية الفرنسية أو الإنجليزية التي تعمل على تغيير نظرة المرأة الإفريقية من خلال ما تشاهده من قصص نساء غربيات، أو حتى تشوية الثقافة الإفريقية لدى الأطفال، وكذا الصحافة ومواقع الإنترنت التي تستعمل عادة لهدم شخصية المرأة الإفريقية بجذبها لمحاكاة المرأة الغربية، أو عن طريق المؤتمرات النسائية التي تزعم قيامها بعلاج قضايا المرأة الإفريقية المضطهدة والمظلومة، فتطرح أفكارا تغريبية لتغريب المرأة المسلمة على وجه الخصوص حيث تركز فيها على ما يسمى "تحرير المرأة"، كل هذا من شأنه أن يدفع المرأة الإفريقية نحو التمرد على أوضاع المجتمع وقيمه.⁽³⁾ وهو ما سنعالجه في هذا الجزء:

¹ ينظر، آدم بمبا، المرأة في إفريقيا، قراءة في العادات والتقاليد المحيطة بها، ص 98.

² أحمد إسماعيل، المرأة الأفريقية والدور المنوط بها، السودان أنموذجا، مجلة قراءات أفريقية، ع 4، المنتدى الإسلامي، سبتمبر 2009، ص 83.

³ ينظر، محمد الأمين سوادغو، المرأة الإفريقية في مصيدة التغريب، مجلة قراءات أفريقية، ع 23، المنتدى الإسلامي، يناير-مارس 2015، ص 74-75-76.

— تعد المرأة الجزائرية أحد أول نساء دول إفريقيا في العمل كسائق سيارات الأجرة وحافلات النقل العام، كما تزداد أعداد النساء العاملات في قطاع الأمن والشرطة عاما بعد عام، كما منحت المرأة في تونس الحق في طلب الطلاق، وحقوق أخرى ازدادت منذ يناير 2011 وبداية الثورة في تونس حيث كان للمرأة التونسية دورا غير مسبوق في الاحتجاجات وكأنها تتجرد من أنوثتها لتخرج إلى الشارع مطالبة بزوال الحكم مما أودى بحكم الرئيس زين العابدين بن علي.⁽¹⁾

— أما شرق القارة السمراء فنلاحظ نمطا آخر من التمرد من طرف المرأة والتنديد برفض النظام الذكوري وبطشه، والمرأة الكينية من النماذج التي كانت طريقتها فريدة في التمرد على الرجل، بسبب ما عانته كغيرها من نساء الدول المجاورة من التهميش ونكران الجميل والاحتقار، هذا ما جعل بعضا من النساء الكينيات تلجأن للتخلص من قهرها ودحض دورها بالعيش بعيدا عن الرجل فأنشأن قرية للنساء فحسب يحرم دخول الرجال إليها، وبدأت فكرة القرية بـ 15 امرأة قررن أن يتعدن عن القهر المعنوي والجسدي للرجال، وأطلقوا عليها إسم "أوموجا" أي "الوحدة" باللغة السواحلية وتبتعد عن العاصمة الكينية نيروبي بـ 250 كلم، ويعيش بها حسب إحصائيات عام 2016 -47- امرأة و200 طفل يعقدن مجلسهن اليومي تحت "شجرة الكلام" لاتخاذ كثير من القرارات المهمة بعد أن عانين كثيرا من ظلم أزواجهن، تزعمت هذه القرية سيدة تدعى "ناجوسي لوكيمو" والتي لجأت إلى القرية بعد أن تعرضت للاعتداء على يد ثلاث جنود بريطانيين من عناصر الأمم المتحدة، عندما كانت ترعى الماعز والأغنام، وعندما عادت إلى بيتها أخبرت زوجها عن تلك الجريمة لم يرحمها بل زاد من تعذيبها، ففرت من المنزل لتلقى مرارة الجوع والعطش والخوف لمدة تسعين يوما في الصحراء، وخلال هذه الرحلة التقت بالعديد من النساء اللاتي عشن تجارب مشابهة وتنقلن معا بين المزارع، وحاولن بيع الخضروات من أجل العيش، ثم قررن تأسيس قريتهن على نحو بسيط للغاية، وكسب دخل منتظم يوفر الغذاء والكساء

¹ ينظر، دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

والمأوى للجميع، ومع مرور الأيام أصبحت قرية "أوموجا" ملاذا للنساء المعذبات والهاربات من ظلم الرجال وأصبحن يكسبن عيشهن من رعي الأغنام والماعز وصنع الإكسسوارات وبيعها للسياح.⁽¹⁾

— في حين تمردت المرأة الكينية وأقامت لنفسها قرية خاصة بالنساء، هاهي المرأة في وسط إفريقيا وخاصة: الكامبيرون" تشكل جماعة خاصة تسمى "الأندو" تقوم بإقرار عقوبات ضد الرجال الذين يرتكبون أعمال عنف ضد النساء، فحينما تتعرض امرأة للضرر تطلق صيحات معينة وتردد النساء ذات الصيحات وراءها، ويتركن كل شيء ويذهبن إليها أو يذهبن إلى مكان تواجد الرجل ويبدأن في الغناء والرقص مرددين الصيحات المنددة بذلك الرجل، وفي يوم العقاب تلبس النساء ملابس الرجال ويمسحن وجوههن ويغطين أجسادهن بورق الشجر ويسرن في تظاهرة لمنزل الجاني ويقذفنه بأنواع من الثمار الضارة حتى يعود لها الحق.⁽²⁾

— أما في دولة النيجر التي تنقسم إلى قسمين: شمالي وجنوبي، فيختلف دور النساء في الشمال عن نساء الجنوب بسبب الموقع الجغرافي الذي أسهم كثيرا في هذا التباين إضافة إلى تأثير الدين، حيث أوجدت النساء ما يسمى بجمعية الاعتصام التي تهتم بالتضامن الفطري بين النساء وممارستهن لسلطتهن في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية فالرجل الذي يعتدي على امرأة ولا يأخذ بعين الاعتبار النقد الذي يوجه إليه أو الشكوى منه تقوم مجموعة من النسوة باعتصام ضده كنوع من الحروب الاجتماعية، فتغطين رؤوسهن بغطاء معين وتمسحن وجوههن بالرماد وتلبسن لباسا قصيرا... وغيرها من المظاهر والممارسات... وما إن يدفع الرجل تعويضا حتى ترفع النساء اعتصامهن.⁽³⁾

ختاما نشير إلى أنه على الرغم من محاولات الاختراق التي تهدف إلى التشويش على عقل المرأة الإفريقية من خلال فرض ثقافات قوى الاستعمار على الدول الإفريقية بشكل عام، والمسلمة بشكل خاص فإنها لم تلق قبولا في كثير من أوساط المجتمعات النسائية، وهذا يعود إلى شعور المرأة الإفريقية

¹ دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

² المرجع نفسه، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

³ ينظر، دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، <https://africansc.iq/posts/details/146> (10:14-2022/12/15)

بأهمية الخروج من التبعية، والحفاظ على هويتها خاصة التي تعتبر الإسلام مصدرها الوحيد، وللتقليل من حدة التأثير اقترح بعض الباحثين مجموعة من الحلول للحفاظ على كيان الأسر خاصة بعد أن أدى الاستغلال السيئ للقوانين والتنظيمات إلى هدم العلاقات الزوجية خاصة وإحداث انشقاقات داخل أفراد الأسرة الواحدة، ومنها:⁽¹⁾

- ✓ تغيير العادات السيئة عن طريق التعليم، وزيادة الوازع الديني، ونبد الجهل.
- ✓ عدم الانخداع بالشعارات الزائفة التي يطلقها الغرب عن حرية المرأة.
- ✓ التعاون والتضامن بين النساء، ونبد الطائفية والمذهبية.
- ✓ قيام المرأة بأدوار سياسية مؤثرة.
- ✓ التواصل بين النساء المسلمات وغير المسلمات في المناطق التي ينتشر بها الإسلام، مثل دولة بورندي.

¹ ينظر، ندا موزاني ماجوتو، تحديات تواجه المرأة الإفريقية في بلدان وسط إفريقيا (بورندي أنموذجا)، مجلة قراءات إفريقية، ع23، يناير-مارس 2015، ص80.

فصل رابع

تجليات صورة المرأة الإفريقية في الحكاية
الشعبية

فصل رابع: تجليات صورة المرأة الإفريقية في الحكاية الشعبية

أولاً- الأدب الإفريقي:

هناك إجماع عام بين جمهور المستشرقين على أن الأدب الإفريقي مصطلح يعني أدب المناطق جنوب الصحراء الكبرى حتى التقاء القارة بالمحيط الهندي في أقصى الجنوب والأطلسي، وأن إفريقيا قارة تقسمها الصحراء الكبرى إلى قسمين مختلفين: قسم يقع شمالها ويسمونها إفريقيا العربية الإسلامية، وآخر يقع جنوبها ويسمونه إفريقيا جنوب الصحراء، أو إفريقيا السوداء.⁽¹⁾

إذا صح أن نأخذ بالقسمة الجغرافية السابقة كقسمة مجردة من الأغراض السياسية وغيرها فلا يمكن الأخذ بها على صعيد الأدب، لأن انتشار الثقافة العربية والإسلامية جنوب الصحراء الكبرى وتغلغلها في ثقافات الشعوب الزنجية هناك، قد شكلا مؤثرا مهما من المؤثرات في الثقافة والأدب، وهو ما تبين اليوم بعد تحرير القارة واستغلالها وبداية البحث في تراثها الشعبي خاصة، ومن جهة أخرى لا يمكن أن نسحب الجزء على الكل فنقول إن الأدب الإفريقي يبدأ بعد الصحراء الكبرى ونخرج منه الأدب العربي في الشمال، بحجة أن إفريقيا الشمالية منطقة أدبية منفصلة تماما الانفصال، تنتمي إلى العالم الإسلامي والعربي، كما قال المستشرق الإنجليزي "جيرارد لدور": «حتى إذا سلمنا جدلا بهذه الحجة التي يدحضها وجود عالم إسلامي جنوب الصحراء أيضا، فلا يمكن أن نسلم بأن المعنى الجزئي يشمل المعنى الكلي لأن أدب أي قارة ينبغي أن يشمل أدب هذه القارة كلها كقولنا الأدب الأوروبي والأدب الآسيوي، والأدب الأمريكي الشمالي، والأدب الأمريكي الجنوبي والأدب الأسترالي وهكذا»²

يشير الأديب مازيسى كوني من جنوب إفريقيا إلى معنى الأدب الإفريقي بقوله: «الأدب الذي يصور واقعًا إفريقيا بجميع أبعاده، وهذه الأبعاد لا تضم ألوان النزاع مع القوى صاحبة السيطرة السابقة على القارة وحسب، وإنما تضم أيضًا النزاعات داخل القارة الإفريقية»⁽³⁾

¹ علي شلش، الأدب الإفريقي، ص 11.

² المرجع نفسه، ص 11-12.

³ علي شلش، الأدب الإفريقي، ص 15.

وقد اختلف الشاعر النيجيري كريستوفر أوكيجو مع هذا الرأي، وقال إن: «الأدب الإفريقي هو ببساطة -الأدب الموجود في إفريقيا، ومن السخف أن نتصوره نمطا ذا سمات متينة لها طابعها الإفريقي الخاص، أو ذا قيم خاصة مرتبطة بالحضارة الإفريقية» بل أضاف: «إنه لا يوجد أدب إفريقي وإنما يوجد أدب جيد وأدب رديء، ولا شيء غير ذلك»⁽¹⁾

يفرض بعض الباحثين أنه من الضرورة إثبات أن هذا الأدب أدبٌ قبل الحكم على أنه إفريقي وعلى رأسهم "أوكيجو" نفسه، كما يتفق مع هذا الرأي إلى حد ما الروائي النيجيري "تشينوا أتشيبي" في قوله: لا يمكن أن تحشر الأدب الإفريقي كوحدة واحدة، وإنما أراه مجموعة من الوحدات المرتبطة، تعني في الحقيقة المجموع الكلي للأدب القومية والعرقية في إفريقيا.⁽²⁾

ثانيا- جمع الأدب الإفريقي الشفهي:

ظهرت أول محاولة أوروبية لجمع ألوان هذا الأدب في ألمانيا عام 1896م، أعدها المستشرق الألماني "أوجست سيدل" في صورة منتخب كبير من الأدب الشفوي بعنوان "قصص الإفريقيين وحكاياتهم"، ثم جاء المستشرق الألماني أيضا "ليو فروبنوس فنشر" منتخبا من الحكايات والقصص بعنوان "الديكاميرون" أو "الليالي العشر" وتلاه بعد ذلك زميله "ماينهوف" بكتاب بعنوان "حكايات خيالية إفريقية" نشره عام 1921م، ثم أعاد فروبنوس الكرة فبدأ في نشر منتخبه الضخم "أطلانتس" (القارة المفقودة) الذي ظهر في 12 جزءا حتى عام 1927م، واحتوى على 4128 صفحة، ضم مئات القصص والأساطير والخرافات والحكايات الخيالية.⁽³⁾

ثالثا: علاقة المرأة بالحكاية الشعبية:

المرأة هي محور الحياة الاجتماعية داخل الأسرة والمجتمع ككل، بتباين وظيفتها ومكانتها الاجتماعية فهي أساس بناء الأسرة الناجحة في كل أمور الحياة إن كانت الدينية أو الدنيوية، مما يوفر

¹ المرجع نفسه، ص16.

² المرجع نفسه، ص16.

³ المرجع نفسه، ص27.

الاستقرار والسعادة لها وللمجتمع ككل، ولعل أقوى وسائلها في ذلك ولتحقيق ذلك استخدامها للموروث الثقافي وعلى وجه التحديد الحكاية الشعبية، وهي أول الفنون السردية التي يتلقاها الطفل وهو بالبيت، والتي ترتبط بالمرأة في علاقة دائمة ومستمرة، تتمحور هذه العلاقة عبر مستويين: مستوى خارجي ومستوى داخلي أو بعبارة أخرى علاقتها بالحكاية كرواية وعلاقتها بالحكاية كإحدى شخوصها الأساسية.

1- المستوى الخارجي (المرأة الراوية):

احتكار المرأة لرواية الحكاية عمومًا وداخل أسرتها تحديدًا، راجع إلى كونها مدرسة أساسية أولى ومؤسسة، كما ذكرنا سابقًا إذ على عاتقها تقع مهمة تقويم وتربية النشء، والحكي عملية فاعلة في ذلك تسهم به بشكل تلقائي حال باقي الفنون والموروثات الثقافية التي اتخذتها المرأة وسيلة للتنشئة الثقافية لأبنائها، تلقنهم من خلالها أهم قيم ومعارف وأعراف الجماعة الشعبية، فارتباط المرأة بالمنزل يسمح لها بالسهر مع أبنائها وأحفادها فالجندات خصوصًا حين يحل الليل وبعد انتهاء اليوم تتكرر الصورة النمطية المعتادة، العائلة ملتفة حول الجدة في توق كبير ولهفة ترقب لسماع الحكايات في جو يسوده الظلام والسكوت على ضوء شمعة ودفء الموقد.⁽¹⁾

«وهكذا نقف على قاعدتين أساسيتين تنظمان السرد وملابساته: الأولى تعرف بشخصية الراوي أو بالأحرى جنسه وسنه والثانية تؤكد ضرورة القص ليلاً، فالمرأة المسنة هي القادرة وحدها على السرد لأنها تحقق قواعده وأسسها بحكم التجربة التي اكتسبتها على مر السنين وإيغالها في عالم العادات والتقاليد»⁽²⁾

تقر الباحثة في مجال الأدب الشعبي "فاطيمة قاسم" أنه من خلال بحثها على أرض الميدان وجدت اختلافًا بين روايات كبيرات السن والشابات الصغيرات «حيث تميل الفتيات أكثر لسرد حكايات

¹ فاطيمة الزهراء قاسم، صورة المرأة في الحكاية الشعبية لمنطقة وهران - دراسة سيميائية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، وهران- الجزائر، 2012-2013، ص 101-201.

² دليلة وكراع بطيب، الوظيفة الاجتماعية للحكاية الشعبية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2001-2002، ص 42 عن محمد الناصر البقلوطي، الحكاية الخرافية في تونس مقوماتها ودلالاتها في القطاع الهامشي في السرد العربي، جماعي التأليف، دار البيروني للنشر، ص 52.

الخيال والأحلام الوردية والحب والغيرة وحكايات الفرسان والأمراء والسلاطين، أو تلك الحكايات التي تبرز مدى فطنة وقوة شخصية بطلاتها من النساء، رفضاً منهن ربما لنظرة دونية باهتة من المجتمع ورفضاً لماض وحاضر معسر للمرأة ومحاولاً لترسيخ نظرة جديدة يؤسس لها ذلك التطور الفكري والعلمي الذي وصلن له يستعملن لغة مختلفة في سردهن من مفردات حديثة وتعابير وحتى لغات أجنبية وأسماء لبعض الوسائل الحديثة، أما الراويات الكبيرات يملن لسرد الحكايات ذات المغزى الهادف والبعد الاجتماعي المثقلة بخبرات السنين، وهو ما يتناسب وتجارب الحياة لديهن كما أنهن يمتلكن رصيذاً وافراً من حكايات الأولياء الصالحين والأضرحة، يستعملن لغة بسيطة ومفردات قديمة في سردهن، كما يمتنعن عن الرواية إذا ما شكت إحداهن في نسيانها لجزء من أجزاء الحكاية أو تفصيل من تفصيلاتها، وتضرب لك موعداً آخر بعد أن تعدك بالرجوع إلى مصدر تعرف هي للتحقق من تفاصيل حكاياتها، تحرص المرأة المسنة وهي تروي مسائل متعلقة بخيانة المرأة أو الجنس عموماً، أن لا تسترسل في ذكر التفاصيل وقد تكتفي بالتلميح فقط وذلك لسببين: أولهما أنها تتحدث عن الموضوع باعتباره عملاً محرماً، والثاني: لأنها تعتقد أن الإسهاب في هذا الموضوع من شأنه أن يساعد على أفساد أخلاق السامعين وخاصة إذا كانوا من الشبان والفتيات الصغار، ولا تجزم وهي تحكي بأن امرأة قد خانت أو زنت خوفاً من شبهة القذف بل ترجع كلامها إلى ضمير الغائب هم (قالوا) بينما يتداول الرجال فيما بينهم أو الصبايا فيما بينهن كل فريق على حدة حكايات تتناول الجنس بشكله الصريح والمباشر»⁽¹⁾

2- المستوى الداخلي (المرأة كشخصية في الحكاية):

ليس غريباً أن تحتل المرأة في الحكاية الشعبية تلك المكانة والمساحة كدور فاعل وشخصية محورية، فما ذلك إلا انعكاس للمكانة التي تشكلها على مستوى الحياة اليومية وعلى مستوى الكينونة الاجتماعية، مكانة لها من الثقل ما لها نظراً للدور الذي تؤديه أو العلاقات التي تربطها بمن حولها، إذ

¹ ينظر، فاطمة الزهراء قاسم، صورة المرأة في الحكاية الشعبية لمنطقة وهران - دراسة سيميائية، ص 103-104.

تتغير أدوار المرأة عبر الزمن، فتكون في البداية بنتاً ثم زوجة ثم أما، وتكبر لتصبح حماة أو جدة، وترتبط بعلاقات مختلفة مع أقربائها وأنسابها فتصبح عمّة وخالة أو زوجة أخ أو ابن... إلخ.⁽¹⁾

للمرأة مكانة كبيرة ودور بارز في الحكاية الشعبية الإفريقية، فهي تحتل المساحة الأكبر من شخصياتها وأحداثها، وهي الأكثر حضوراً في عدد الشخصيات وأدوارها ووظائفها، فهي البطلة التي تحرك الأحداث والتي تتقاتل من أجلها الشخصيات الشريرة، وتقوم بمطاردتها، وهي الأم التي تمثل الحنان والدفع الأسري، وهي الأخت التي ترعى إخوتها بعد الأم، وهي الجدة الحنون التي تكن الحب لأحفادها، وهي الصديقة التي تمثل وجه الإخلاص ووجه الخيانة... فهي تمثل سمات الحب والجمال والعفة والشجاعة والذكاء، والغباء والمكر والخداع...

رابعا- الجمال والقبح في الحكايات الشعبية الإفريقية:

الجمال هو قيمة مرتبطة بالغريزة والعاطفة والشعور بالإيجاب، والأهم أن لا وحدة قياس خاصة بالجمال فكل إنسان يراه بشكل مختلف، وينقسم إلى جمال مادي؛ وهو الجمال الحسي المدرك بحواس الإنسان من جمال في طبيعة البشر أو الأشياء التي يمكن رؤيتها والتحقق منها ماديا وفي تناسق الأشياء وتنظيمها، والقسم الثاني هو الجمال المعنوي؛ الذي يعد ذا معنى أعمق وأشمل من الجمال المادي وتعددته أكبر فهو يحمل في معانيه معان سامية مثل الأخلاق والقيم والصدق والحب والكبرياء والشجاعة... وديمومته أكبر من الجمال المادي (جمال الوجه) كما يعد الجمال المعنوي مطلقاً لا يمكن إنكاره بما يتوافق مع الفطرة الإنسانية الحميدة ولكن يمكن رؤيته من زوايا أخرى يجعله يدخل في نطاق النسبية والآراء طبقاً للأفكار وينقسم إلى الجمال الفكري (نتاج أفكار الإنسان ومعاملته ومخططاتها) جمال الروح والنفس (الإيمان بالتقرب من الله وفهم الحياة) كما يعتبر الجمال أحد الركائز الأساسية في الميثولوجيا القديمة للعديد من الحضارات، فمثلاً في الحضارة اليونانية كانت "أفروديت" واحدة من آلهة الأولمب الإثني عشر وهي ربة الحب والجمال والنشوة الجنسية، وربة الإخصاب بسائر أنواعه، إخصاب الخضر والحيوانات وربة الحب ومسرته والزواج والقدرة على هدم وقتل الحب في قلوب البشر، حيث كانت الفتيات غير

¹ المرجع نفسه، ص 105.

المتزوجات والأرامل يصلين لها لكي يحصلن على أزواج، وربة الجمال التي تهب البشر جمال الجسد وفتنته وسبي العقل، أما في الميثولوجيا الإغريقية القديمة فنجد الكرايتات أو الحسنات الثلاثة أو الحسان الثلاثة وهن آلهات الجمال، البهاء، الطبيعة، الخصوبة، الرقص والموسيقى والإبداع، أما بالنسبة لحضارة ما بين النهرين "فعشتار" هي آلهة الحب والحرب والجمال والتضحية في الحروب، وهي نجمة الصباح والمساء (كوكب الزهرة) رمزها نجمة ذات ثماني أشعة منتصبة على ظهر أسد، على جبهتها الزهرة ويدها باقة زهور، ويقابلها لدى السومريين "إنانا" و"عشتار" عند الفينيقين و"أفروديت" عند اليونان، و"فينوس" عند الرومان، وقد تعددت تصوراتها ورموزها وظهرت في معظم الأساطير القديمة وتغنى بحبها الشعراء وتفنن بتصويرها الفنانون بالرسم والنحت.

فمن خلال هذه الإطلالة نلاحظ أن الجمال دوما يرتبط بالأنثى في جميع الفنون، وعادة ما يقترن الجمال بالخير، والقبح بالشر، وفي أحيان كثيرة يرتبط الجمال بالغيرة بين الشخصيات النسائية وهذا ما وجدناه في الحكايات الشعبية موضوع بحثنا، وغالبا ما توصف الفتيات في الحكايات الشعبية بأنهن جميلات حسناوات وأكثر بياضا من النساء الأكبر سنا، فالحكايات الشعبية تبجل عاليا الجمال خاصة إذا اقترن بالذكاء والقوة، والطف والإخلاص «فمن يقرأ الحكايات الشعبية يجد سمة الجمال صفة راسخة يصعب إزالتها عن وجه المرأة، حيث رتبت المعادلة في الذهن الشعبي على أساس أن الجمال والجسد بشكل خاص والذكاء والدهاء والأمومة بشكل عام من أهم الصفات التي تسند لها»⁽¹⁾

يستترسل الراوي في وصف مفاتن المرأة أو بشاعتها وتفاصيل جسدها ووجهها مع خلق أوجه شبه بينها وبين موجودات أخرى في الطبيعة، والغرض من هذا الوصف هو تقديم صورة حقيقية للمتلقي حتى يندمج ويغوص داخل أحداث الحكاية ويعايشها، كما يهدف لخلق الإمتاع والتشويق الذي يعد من الخصائص المميزة للحكاية الشعبية بصفة عامة.

¹ إيمان محمود ذيب محمد، البطل في الحكاية الشعبية الفلسطينية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، 2012، ص 88.

تقتزن سمة الجمال دائما في الحكايات الشعبية الإفريقية بالبطلية إن كانت امرأة، فالراوي يباشر سرده بذكر ملامح البطلية الجميلة التي لها قدرة خارقة على إنجاز ما لا يستطيع أحد إنجازه «فعالم المرأة عالم أنثوي بكل ما تحمله هذه الكلمة من خصب وأمومة وجمال، وسحر، فهي إنسانة من لحم ودم على الرغم من وجود جذور أسطورية لتقديسها، ولكن نتحدث هنا عن جمال المرأة المحسوس فقد وصفت الحكايات الشعبية المرأة وبالتحديد -البطلية- بمجموعة من الصفات الجمالية التي اختصت بها مقابل الشدة والبأس والقوة التي اتصف بها الرجل، فهي بجمالها وفتنتها امتلكت قلوب الأغنياء والملوك»⁽¹⁾ كما هو الحال في حكاية "الغيلم وابنته الفاتنة"⁽²⁾ من جنوب نيجيريا، إذ توضح هذه الحكاية كيف يمكن أن يكون جمال المرأة الساحر لقلب كل الرجال ويكون سببا في العيش بسخاء ورغد وتحقيق كل ما تطمح إليه تلك المرأة وعائلتها وأحبائها (إذ أن الملك كان يأمر بقتل كل فتاة جميلة حتى يقتنع ابنه الأمير بزواجه الخمسين، ولا يرى أجمل منهن على وجه الأرض، إلا أن الغيلم أخفى ابنته الجميلة عن الأنظار حتى كبرت وما إن رآها الأمير حتى وقع في غرامها وأغرم بجمالها، وعندما علم الملك بنية ابنه في الزواج منها أمر بقتلها على الفور إلا أنه عدل عن قراره بمجرد رؤيتها لانبهاره بجمالها) وحكاية "المرأة المزوجة الجلد"⁽³⁾ (التي كان الجميع يسخر منها لأنها قبيحة وحتى الملك لم يعرها اهتماما لبشاعة وجهها، ولكنه حينما رأى جلدها الآخر الجميل وقع في حبها وعاقب زوجته التي ألحقت بها وبأولاده الأذى وكافأ الزوجة المزوجة الجلد بمزرعة مجهزة وعاش معها حياة هانئة)

كما هو الحال مع أغلب صفات البشر يعد الجمال سلاح ذو حدين، فمثلا هو نعمة على صاحبه يعتبر نقمة من جهة ثانية على من تتمتع به، يتجلى هذا التصور بوضوح في الحكايات الشعبية الإفريقية التي تصور كيف تتعرض الجميلة الفاتنة غالبا إلى مخاطر قد تفتك بها وتكاد تودي بحياتها، وغالبا ما تكون من طرف بنات جنسها اللائي تكن أقل جمالا منها بدافع الغيرة كما حدث في حكاية

¹ المرجع نفسه، ص75.

² إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2010، ص11-15.

³ إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 21-30.

"الفتاة الفاتنة والفتيات الغيورات السبع"⁽¹⁾ حيث تعرضت الفاتنة لمحاولة القتل من طرف الأخريات وذلك بعد إصرارهن عليها للخروج معهن تاركات إياها عن قصد بوسط الوادي ليأخذها الجني الذي يسكن هناك، ولكنها تنجو في الأخير لحسن نواياها.

عادة ما يصف الحكوي الشعبي المرأة الجميلة بصفات طيبة وحميدة وبريئة، فقلما نجد المرأة الجميلة داخل الحكاية الشعبية في العالم شريرة أو حقودة، ولكن هذا المعيار لا ينطبق مطلقاً -دائماً- على واقعنا، فجمال الخلق لا يكون معياراً صادقاً للحكم على صفات النساء وأخلاقهن فليس بالضرورة أن تكون أكثر النساء جمالاً هي أحسن خلقاً، والحكايات الشعبية الإفريقية سلطت الضوء على هذه الصورة، فكما جسدت البطلة الجميلة في قالب متكامل خلقاً وحُلماً جسدها بالمقابل شريرة خبيثة في بعض الحكايات مثلما هو الحال في حكاية "الغريبة الفاتنة التي قتلت الملك"⁽²⁾ (حيث تستغل بطلة الحكاية جمالها لتحقيق مآربها الشريرة، إذ وقع الملك في غرام تلك الفاتنة التي لم يكن يعلم أنها مجرد عجوز شمطاء ساحرة من أعداءه تستطيع تحويل نفسها إلى ما تريد بغية تخليصهم من جبروته الذي لم يتغلب عليه أحد...).

تشير الحكايات الشعبية الإفريقية إلى صفة أخرى قد تصاب بها المرأة البطلة الجميلة ألا وهي الغرور والكبر الذي لن تنال منه خيراً، وقد يقودها إلى ما لا يحمد عقباه كما حدث "لأفيونغ" فقد أصيبت بما يسمى بالنرجسية (حب الذات) لإعجابها الشديد بنفسها (فأصبحت ترفض كل من تقدم لخطبتها وعزمها على الزواج بأوسم رجل وإلا فلن تتزوج حتى وقعت ضحية خديعة هيكل عظمي من عالم الأرواح تنكر بهيئة شاب فائق الجمال وقوي البنية، مفتول العضلات تزوجت منه لتفاجأ في آخر المطاف بشكله البشع المخيف)⁽³⁾

¹ المصدر نفسه، ص 118-126.

² المصدر نفسه، ص 41-44.

³ ينظر، إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 51-55.

ومن جانب آخر تحضر صفة القبح في الحكاية الشعبية مقترنة بالشخصيات الشريرة وغالبا ما تكون نساء مثل (زوجة الأب، الساحرات، الستوت، الخادמות الغيورات...) تصف إحدى الحكايات الشعبية التي تحكي قصة عجوز شريرة تسمى في التقاليد الشعبية بـ"ستوت": [أنها امرأة كبيرة لا يوجد أحس منها، وكانت بشعة جدا، ذات خد مشموط (أي به خطوط من كثرة التجاعيد) وحاجب ممقوط وأسنان مكسورة ووجه أتمش، ولحظ أعمش ورأس أغبر، وشعر أشهب، وجسم أجرب ولون حائل، ومخاط سائل، وقد مائل... فهي كما قال الشاعر:⁽¹⁾

عجوز النحس ابليس يراها *** تعلمه الخديعة من سكوت

تقود من السياسة ألف بغل *** إذا نفروا بخيط العنكبوت]

فالمتلقي عندما يسمع أو يقرأ هذا الوصف يرسم صورة بشعة وشريرة عن هذه الشخصية، وأنها تقوم بأفعال تفوق أفعال الشيطان شراً، هذا يؤكد رأي الحكيم الشعبي في اقتران الصفات الذميمة ببشاعة الملامح.

خامسا: صورة المرأة في الحكايات الشعبية الإفريقية:

مما لا شك فيه أن المرأة هي القلب النابض للحياة وأنها عماد كل المجتمعات، إذ تلعب دورا حيويا وفعالا في بناء المجتمع، فهي البنية الأساسية فيه وهي كالبذرة التي تنتج ثمارا تصلح بصلاحها وتفسد بفسادها «فهي تمثل الحياة في مواجهة الموت، والخصوبة مقابل الجذب، وهي التي تحقق للرجل حياة ممتازة، وتكمل ثنائه... وقد وفرت الحكاية الشعبية للمرأة عناصر الجمال والفتنة والسحر والأنوثة لتحقيق لنفسها وجودا أجمل وحياة أعمق تجمع بين القداسة والمتعة وكأنها بذلك قد وحدت بين الجليل والجميل»⁽²⁾

¹ نور الأمل، قصة الستوت، متديات طموحنا، 2013/06/03 www.tomohna.net، 2022/07/23، 16:15.

² إيمان محمود ذيب محمد، البطل في الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص 74-75.

لذلك لا تخلوا الحكايات الشعبية الإفريقية من مواضيع تخص المرأة، هذه الأخيرة تحتل نصيب الأسد من حيث كونها شخصية رئيسية (بطلة) داخل الحكايات تمثل معياراً أميناً لقياس الرؤية المحلية عند المرأة ومكانتها داخل مجتمعها، وتكامل ثنائيتها لأن التصور الشعبي قصد مظاهر تعبير الإنسان. تصور الحكايات الشعبية الإفريقية المرأة في مواضيع مختلفة (بنات، أختا، زوجة، أما، عمّة، خالة، زوجة ابن أو زوجة أب، جدة، حماة، صديقة...) وفي عدة صفات، فنجدتها في أسمى مظاهر الحب والشجاعة والعفة والطهارة والطاعة والكبرياء والصبر... وغيرها من الصفات الإيجابية، لكنها في المقابل قد تحمل صفات دنيئة تؤذي بها غيرها من بنات جنسها أو حتى الرجال مثل: الكيد والخداع والغفلة والغباء... كما تحمل الحكايات الإفريقية سمات الحياة الاجتماعية للمرأة حسب منطقة القص بصفته نتاج المخيلة الشعبية البسيطة، وتتجلى ثيماتها-موضوعاتها- في الصور الآتية:

1- صورة الأم:

المرأة في حقيقة الأمر لبنة أساسية في الأسرة التي تعد عند الكثير من الأمم القديمة الوحدة الاجتماعية الأولى، فقد كانت المرأة دائرة صغيرة في محيط كبير يشكل الأب فيها الرئيس الأكبر وتشكل الأم المرتبة الثانية لأنها المعين الذي يحنو على الأفراد والأسر والجماعات، وهي التربة التي بها ينبت الحب⁽¹⁾ فقد عظمت المرأة بإعطائها قيمة كبيرة لا يعزونها إلا أن تكون أما، فالأمومة تمثل قيمة إنسانية في مواجهة الإحساس بالتناهي والإنجاب يمثل ضرورة في مواجهة الإحساس بالفناء «فالأم مقدمة على الزوجة والبنات لأنها أصل كليهما، وتجتمع فيها صفات ثلاثة فهي ابنة لرجل وزوجة لرجل، وأم لأبنائه»⁽²⁾ اعتبرت المرأة في الطور الأول من تاريخها والدة (أما) تمتلك قوة الإنجاب المكتنفة بالأسرار، تلك التي تسكنها قوة سحرية دينية تعود بعميم الفائدة على البشرية يومئذ كانت المرأة تحاط بضروب الاحترام والتكريم بصفقتها أما ولا سيما إذا أنجبت الذكور.⁽³⁾

¹ محمد أحمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص75.

² المرجع نفسه، ص75.

³ بيتر مونيك، المرأة عبر التاريخ: تطور الوضع النسوي من بداية الحضارة إلى يومنا هذا، تر: هزيين عبودة، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص74.

فوضع الأم لا يكتمل إلا بالأمومة الشيء الوحيد الذي يكسبها السلطة والاحترام في المجتمع والأسرة، وهذه النظرة نجدها سائدة منذ القديم، ففي المرحلة (الطوطمية)⁽¹⁾ من حياة المجتمعات البدائية وجد أن التناسل سر تختص به المرأة دون الرجل فقدسوها لذلك وانتسب الجميع إلى الطوطم المقدس في القبيلة، ففي المجتمعات الزراعية ربطوا بين سر الخصوبة في الأرض فعبدت الأرض بوصفها أما رمزوا لها في طقوسهم وشعائهم بآلهات أمهات، فاتصل معنى الأمومة بمعنى المعبود في حالة الآلهة الأم/الأرض، والآلهة الأم/المرأة.⁽²⁾

إذن وجد الإنسان القديم الأم رديفا للأرض الخصبة المثمرة، فشاكل بين الأشجار المثمرة والمرأة الحامل، لذا فلا يجوز إشعال النار أو إصدار أصوات مرتفعة خوفا من سقوط الثمار قبل نضجها، تماما كما تجهض الحامل.⁽³⁾

علاقة المرأة بالأرض علاقة قديمة في الفكر الإنساني بينهما وشائج مشتركة فهما تلدان وتطعمان وتنشئان وليس غريبا أن يفهم أن حمل المرأة في طقوس الشعوب الزراعية بصفته رمزية لبذرة الحياة وليس غريبا الاعتقاد بأن قوة الإخصاب الأنثوية تنقل إلى الأرض.⁽⁴⁾

وتعد عاطفة الأم تجاه أولادها وعاطفة الأبناء تجاه أمهم هي العاطفة الأصلية، وسواها يأتي بالاكتمال والتعلم والصقل الاجتماعي.⁽⁵⁾

¹ الطوطمية: هي أن يرتبط أفراد الأسرة أو العشيرة برابطة قرابة متحدة الدرجة، ليست قائمة على صلات الدم وإنما هي قائمة على انتماء الأفراد لطوطم واحد، وهو نوع من الحيوان أو النبات تتخذه العشيرة رمزا لها ولقبا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية، وتنزله وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس، فانتفاء مجموعة من الأفراد لتوتم واحد يجعلهم أفراد أسرة واحدة، ويربطهم بقرابة متحدة في درجتها وقوتها أيا كانت صلة بعضهم ببعض من ناحية القرابة الطبيعية ووشيجة الدم.

² قصي الحسين، أنثروبولوجية الأدب، دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان، دار البحار، ط1، بيروت، 2009 ص 114.

³ ديورانت ول، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، م1، ط3، 1965 ص 104-105.

⁴ إحسان الديك، النماذج البدائية في الأغنية الشعبية الفلسطينية- أغنية بكرة العيد وبنعيد أنموذجا، مجلة جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2010، ص21.

⁵ محمد أحمد الخوي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص 76.

والمرأة بدورها بعد زواجها لا تتمنى شيئاً إلا أن تصير أما فهي تستمد جمالها من أمومتها وحنانها وإشفاقها على أبنائها كما تصوره حكاية "لولية"⁽¹⁾ من التراث الشعبي المصري حين رغبت السلطانة أشد الرغبة في حصولها على ولد أو بنت يفرح قلبها ويملاً عليها حياتها فطلت تدعو ربها وتناجيه ليحقق أمنيتها حتى أنها نذرت إن رزقها الله ولداً أن تتصدق بالسمن والعسل لمدة شهر كامل.

المرأة في الحكاية الشعبية كانت الأم المحبة والأم الشريرة، لكن من المتعارف عليه أن الصورة الطبيعية للأم في الحياة الواقعية هي الأم المحبة التي تتبادل وطفلها المحبة والمودة، وهذا ليس مجرد ملمح عاطفي فحسب وإنما هو في الحقيقة من بقايا العصور التي كانت فيها عقيدة الأسر تشكل جزءاً أساسياً من الدين.⁽²⁾

فالأم وضعتها النواميس الكونية والطبيعة في موضع الحارس الأمين، والمربية النشطة الدؤوب لأولادهم حتى إذا ما كبروا ظلت تحرسهم وتحرس مصالحهم، وتزودهم بالنصيحة والمساعدة المادية والمعنوية ما في وسعها، والتي تخاف عليهم ومن الصور التي رصدتها لنا الحكايات الشعبية الإفريقية صورة الأم التي تخاف على أبنائها لدرجة حبسهم في البيت مثل حكاية "الغيلم وابنته الفاتنة"⁽³⁾ (خوف الأم على ابنتها من القتل على يد الملك الذي أمر بقتل كل فتاة تفوق زوجات ابنه الأمير جمالا حتى لا يرغب في الزواج مرات أخرى. إذ عكفت رفقة زوجها على إخفاء ابنتهما عن أعين الجميع... وفي نفس الحكاية خوف أم الأمير على ابنها من أبيه حينما أعلمها أنه وقع في حب ابنة الغيلم الفاتنة ورغبته في الزواج منها...) والأم تحزن إن أصابهم مكروه ما كما في حكاية "المرأة المزوجة الجلد"⁽⁴⁾ صوّرت حزن الأم على فقدان ابنها الوحيد وأقامت حدادا لسنوات، وبكاءها على فقدان ابنتها أشد بكاء وحضور عاطفة الأمومة عند رؤية ابنتها...

¹ ينظر، حكايات شعبية من مصر، أماني العشماوي، دار تحفة مصر للطباعة والنشر، ط1، الجيزة، 2012، ص 13-25.

² فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 1997 ص 32.

³ إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر دنيا فرحات، ص 11-15.

⁴ المصدر نفسه، ص 21-30.

وفي حكاية "الابنة العاصية التي تزوجت هيكلًا عظيمًا"⁽¹⁾ تصور الحكاية رفض الأم إلى جانب الأب تزويج ابنتها من غريب وذلك خوفاً عليها، ولكن لحبها الشديد لابنتها ورغبتها في رؤيتها سعيدة تقبلت الأمر هي ووالدها. وكذلك في حكاية "الفتاة السمينة التي ذابت"⁽²⁾ كذلك رفضت الأم تزويج ابنتها خوفاً عليها من أشعة الشمس لأنها مخلوقة من زيت، فلا أحد سيشفق عليها مثلما تفعل هي لأنها كانت حريصة على إبقائها في الظل فقط حتى أخذت عهدًا من الغريب الذي أحب الفتاة بعدم تعريضها لأشعة الشمس.

صورت حكاية "ودعة مشنة السبعة"⁽³⁾ الأم التي أخفت عن ابنتها وجود إخوة لها بسبب خوفها من أن يصيب ابنتها مكروه إن هي قررت البحث عنهم... ولكن حينما أصرت على معرفة الحقيقة وهددت بحرقها أخبرتها المنجل ليدلها على طريق البحث عن إخوتها.

تستمد المرأة جمالها من أمومتها وحنانها وإشفاقها على أبنائها، فقد قدمت كل ما عليها من جهد وتضحيات لفلذة كبدها، فهي التي تمنحهم الحنان والرعاية، هي التي تسعى جاهدة لتحقيق كل ما يرغبون به، فقد شف جسمها ونخل بسببهم، نعم هي الأم التي لا تبخل على أبنائها بشيء حتى ولو كلفها حياتها، تأخذ من نفسها وتعطيهم.⁽⁴⁾ وقد صورت ذلك حكاية "المرأة التي تحولت إلى أسد"⁽⁵⁾ وفي رواية أخرى "المرأة الفهد" (التي خاطرت بحياتها من أجل إطعام عائلتها حتى لا تموت من الجوع) وهو حال المرأة الإفريقية في الواقع التي تعمل داخل وخارج بيتها لتعيل أسرًا حاملًا طفلها على ظهرها وكأنه انتقل من بطنها إلى ظهرها تأخذه معها أينما ذهبت في لحافها الذي أعدته قبل زواجها لهذا الغرض ليكون قريبًا منها وآمنًا.

¹ المصدر نفسه، ص 51-54.

² المصدر نفسه، ص 92-94.

³ بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشنة السبعة" مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث ع 34، أكتوبر 2017، ص 89.

⁴ يوسف حسني عبد الجليل، الأدب الجاهلي (قضايا وفنون ونصوص)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1421هـ/ 2001م، ص 258.

⁵ عبد الرحمان عبد الرحمان الحميسي، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، المركز القومي للترجمة، ط1، ج1، القاهرة 2010، ص 150.

وفي صورة مماثلة «ظلت الأم الحنون ترعى ابنها وتسهر الليل تمرضه وتدعو الله أن يرفع عنه الضر... وخوفها عليه بعدما صار في عمر الزواج وصمم على الزواج من (لولية) التي كانت من ثامن المستحيلات آنذاك، جهزته بكل ما يحتاج لرحلته مودعة إياه بدعواتها متمنية له السلامة والتوفيق»⁽¹⁾ لكن هذه الصورة لا تخلو من استثناءات وحالات شاذة فنجد في ثنايا الحكايات الشعبية الإفريقية حالات وقفت الأم فيها موقفا متعارضا مع طبيعتها أولا ومع مصالح أبنائها ثانيا، بل وضحت بتلك المصالح في سبيل تحقيق هواها وأغراضها الشخصية مثل حكاية "الربيبية"⁽²⁾ فالأم عندما شاهدت غباء ابنتها وعدم تحملها المسؤولية قامت بخداعها وقتلها، كما رصدت حكاية "الفتاة التي قدمها أهلها قربانا"⁽³⁾ جشع الأم إلى جانب الأب، فالأم كانت قاسية ولم تفعل شيئا من أجل حماية ابنتها التي قدمت قربانا لأجل هطول المطر إذ فضلت هي والوالد الماعز الذي كان يقدم لهما ليغنيهما عن ابنتهما فانجى رو التي ابتلعتها الأرض... وعلى النقيض ترصد ذات الحكاية صورة الأم العطوف على ابنها - منقذ فانجي رو - حين عاملتها بلطف لمعرفة بحب ابنها لها.

وفي حكاية "آدزانومي وأمها"⁽⁴⁾ صورة للأم القاسية التي لم تف بوعدها لآدزانومي التي أصبحت ابنة لها مقابل عدم ذكر ماضيها بأنها حبة بطاطا، لكن الأم نسيت الوعد وعيرتها حين تأخرت عن البيت... فخسرتها إلى الأبد.

كما صورت حكاية "عقاب الأم"⁽⁵⁾ طمع الأم العجوز رغبة في الاستيلاء على أموال زوجها بعد وفاته وأخفت المبلغ الحقيقي عن أبنائها لأنها كانت ترغب في الزواج والتمتع بالأموال... لكنها سرعان ما انكشف أمرها ولقيت جزاءها.

2- البنت:

¹ ينظر، أماني العشماوي، حكايات شعبية من مصر، دار نضرة مصر للطباعة والنشر، ط1، الجيزة، 2012، ص 13-25.

² مريم برياش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، دراسة ميدانية، ص 188-189.

³ عبد الرحمان عبد الرحمان الخميسي، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ص 174.

⁴ ديليو اتش باركر وسيسيليا سينكلير، أنانسي والرعدي، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخ، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010، ص 71.

⁵ عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، الوطن اليوم، سطيف، 2019، ص 78-81.

تظهر البنت دائما في الحكايات الشعبية على أنها الشخصية التي تتصف بالطاعة ولا تخالف الطريق الموصى به ممن هم أكبر سنا أو أكثر تجربة، فهي دائمة الطاعة لوالديها لخوفهم الشديد عليها، وقد صورت الحكايات الشعبية الإفريقية البنت البطلة المطيعة كيف تكون نهايتها والبنت المتمردة كيف تكون نهايتها سيئة، حيث تتعرض للأذى والاعتداء من الغرباء والأشرار يتجسد الدور الأول في النماذج التالية؛ حكاية "آدزانومي وأمها"⁽¹⁾ مثلت البنت صورة الابنة المستقيمة التي تساعد أمها كثيرا (تعد الخبز وتجمع حبات البطاطا وتبيعها في السوق...).

وحكاية "الفتاة التي قدمها أهلها قربانا"⁽²⁾ البنت مطيعة لأبويها الذين قدموها رفقة أهل بلدها قربانا من أجل نزول المطر بعد أن أصابهم الجفاف وهي تتشابه كثيرا مع حكاية "العنجة"⁽³⁾ في الشمال الإفريقي التي خرجت طوعا لأبيها من أجل نزول الغيث بعد انقطاعه لأنها كانت رمزا للطهارة والعفة، وفي كلتا الحكايتين استجابت السماء وهطلت الأمطار وعاد للبلاد الخير والنماء.

صورت الحكاية الشعبية الإفريقية البنت على أنها إضافة إلى نقاوتها وطاعتها لوالديها فقد كانت تمتاز بقدر من الجمال يجعلها تسر كل من رآها ويتمنى الحصول عليها مهما كلفه الثمن فتعود بالخير على والديها كحكاية "الغيلم وابنته الفتاة"⁽⁴⁾ التي كانت سببا في نجاة والديها من الموت المحقق، لأن الملك كان صارما في قراره إلا أن جمالها كسر القوانين ونالت الجزاء الحسن بالزواج من الأمير الذي أحبها فحافظت بذلك على حياتها وحياة والديها.

على عكس البنت في حكاية "الابنة العاصية التي تزوجت هيكلا عظيما"⁽⁵⁾ التي خرجت عن طاعة والديها فأفويونغ بطلة الحكاية كانت ابنة عاصية متعجرفة مغرورة بجمالها لأنها كانت ترغب بالزواج

¹ ديليو اتش باركر وسيسيليا سينكلير، أنانسي والرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخة، ص 71.

² عبد الرحمان عبد الرحمان الخميسي، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ص 174.

³ يونس بورنان، حكايات جزائرية قديمة... أسطورة "العنجة"، العين الإخبارية، 2018/05/25، أبو ظبي.

⁴ www.al-ain.com (23:26-2022/07/25)

⁵ إلفستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر دنيا فرحات، ص 11-15.

⁵ المصدر نفسه، ص 51-54.

من أوسم وأقوى رجل في البلاد، الأمر الذي كاد أن يؤدي بها إلى الهلاك وضياع شبابها بعد أن قام هيكل عظمي من عالم الأرواح الاحتيال عليها وأخذها معه لعالمه، حيث يوجد أكلة لحوم البشر.

يقال: ما لا يرضي الوالدين تكون نهايته غير مرضية، تؤكد حكاية "الفتاة الفاتنة والفتيات الغيورات السبع"⁽¹⁾ هذا المصير، فبعد أن كانت البنت أكيمة محاطة برعاية أبيها وأمها في منزلها لا تختلط بمن يؤذيها ويسيء إليها لأن الجميع كان يغار من جمالها وحسن تربيتها وأخلاقها ولباقتها، تعرضت للاعتداء والإساءة بعد الخروج عن طاعة والديها وذهبت بدون إذنهما إلى الحفل... فحدث لها ما حدث لأفيونغ حيث كادت أن تختفي في عالم الجن خادمة له.

3- الفتاة:

صورت الحكايات الشعبية الإفريقية الفتاة من زوايا مختلفة، فبعد أن كانت تلك البنت الصغيرة التي تعتمد على والديها في تسيير شؤونها، هاهي الآن أصبحت شابة تحظى بنصيب غير قليل من الجمال والأنوثة، قادرة على تحمل مسؤولياتها لأنها تتجهز لأن تصبح زوجة وأما، إلا أنها قد تصاب بالغرور والمكر والغيرة إن وجدت من هي أجمل منها وأوفر منها حظاً.

كما تتميز الفتاة في الحكايات الشعبية الإفريقية بالشجاعة على الرغم من ملاصقة هذه الصفة للطبيعة الذكورية، فكيف نفسر ذهاب الفتيات البطلات وحيدات وسيرهن في رحلات محفوفة بالمخاطر بعيداً عن أسرهن؟ ألا يعد هذا شجاعة؟ نعم فالمرأة قادرة ومستعدة لقطع المسافات الطويلة ومواجهة العديد من الأخطار والقوى الغيبية في سبيل نيل كرامتها أو الحصول على أهدافها أو ملاحقة شخص عزيز عليها أو الإتيان بشيء هي أو عائلتها بحاجة ماسة إليه، مثل ما حدث في حكاية ودعة التي شقت طريقها بحثاً عن إخوتها، وفي بقرة اليتامى كانت الأخت سندا لأخيها الأصغر وشجاعة في مواجهة الأخطار، ولونجا (دلالة) التي فرت من أخيها الذي رغب في الزواج منها لمصير مجهول دفاعاً عن عفتها وطهارتها.

¹ المصدر نفسه، ص 118.

من الصور التي تم رصدها من خلال الحكايات الإفريقية حول الفتاة؛ أنها جميلة وفاتنة تشبه القمر أو الشمس عند الغروب، وغالبا ما يقتزن الجمال بالشعر لأنه نصف جمال المرأة خاصة إذا كان طويلا ومسترسلا والعينين وهو عادة ما يكون سببا في تأجج نار الغيرة والحسد من الجميع كما في حكاية "ابنة الملك التي فقدت شعرها"⁽¹⁾ إذ تصف الحكاية الفتاة بأنها أكثر جمالا على وجه الأرض، فوجهها كان يشبه الزجاج يتألق مثل الأحجار الكريمة المرتفعة الثمن، وكانت عيناها تشبهان الشمس، لكن شعرها هو الذي كان يبهر الناس لأنه كان بالغ الجمال إلى حد كبير، ولونه لم يكن لا أسود ولا ذهبيا لكن بين اللونين، كان شعرها طويلا جدا حتى إنه كان يلامس الأرض عندما تسير، كانت الفتاة في هذه الحكاية مغرورة جدا، ولم تستغل ذكاءها مع الطائر المخيف الذي أسقط عليها لعنته فأصاب شعرها وتساقط كما تتساقط أوراق الأشجار فتحولت صورة الفتاة إلى مجرد فتاة قبيحة بائسة يشفق عليها الجميع حتى دخلت في حالة نفسية يرثى لها وأصبحت ترى منامات غريبة ومستحيلة أملا في استعادة شعرها وأنوثتها، كيف لا وهو واقع الأنثى التي من طباعها الاهتمام بجمالها وتحزن إذا فقدت شيئا منه. ونفس الصورة الجمالية في حكاية "عَنجة" التي صورتها الحكاية الشعبية بأن «جمالها كان يتلأأ كنور الفجر، نقية السريرة، إلا أنها على عكس ابنة الملك كانت متواضعة رغم جمالها الفتان، روحها طاهرة طهر الملائكة... شعرها الغزير الذي انسدل على كتفيها وغطى جسدها حتى بلغ أخمص قدميها، كان جبينها ناصعا كياض الياسمين يطل بين أمواج شعرها كبدر ليلة كماله...»⁽²⁾

في حكاية "لونجا"⁽³⁾ صورت بأنها جميلة بقولها: «هاك البنت هذيك يخلق الله ما يشاء... مزيانة ياسر، وكان شعرها طويل» كما تميزت بالذكاء والعفة وفضلت الهرب من بيت أبيوها بعدما قرر أخوها الزواج منها لأنها تعرف أن هذا حرام ولا يليق.

¹ روجر أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، المركز القومي للترجمة، ط1، ج1، ع1568، القاهرة 2010، ص 131.

² روجر أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، ص 131.

³ عبد الحميد بورايو، دور المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية، دراسة، دار الوطن اليوم، سطيف- الجزائر، 2019 ص 48-51.

أقرت الحكايات أن الفقر لا يخفي جمال الفتاة ولا صلاحها ولا البشاشة من وجهها، وقد تجلّى ذلك في حكاية "غلالة"⁽¹⁾ في أول مقطع: «... وغلالة كانت زينة، لا الفقر خلاها غبينة (مغبونة) ولا الجوع خلاها حزينة، الشعر كالليل كحل (أسود) وطويل، والعينين عسل مصفى والروح خفيفة ولطيفة»⁽²⁾ كما امتازت بالشجاعة حينما فتحت الباب السري واكتشاف الروضة الجميلة خلفه.

الفتيات في الحكايات الشعبية غالبا هن البطلات اللاتي تدور حولهن الأحداث والصراعات، تتميز بصفة الذكاء التي تعد من أهم الشيم والأسلحة المعنوية التي تتسم بها البطلة الأنثى خاصة، وهو حسن الاستفادة من الفرص المتاحة، وهذا السلاح ظهر بوضوح في الحكاية الشعبية الإفريقية، إذ إن العقل الإنساني الذي يمتاز به يكون فاعلاً في صراعه مع غيره للوصول إلى الهدف المنشود وعادة ما تتمتع به المرأة البطلة في البداية ولكنها لا تستعمله من البداية بسبب الكيد الذي تتعرض له من الشخصيات المعتدية فيصيبها الغباء لكنها سرعان ما تتدارك الأمر والخطر المحقق بها فتتخذ نفسها أو غيرها بخطة ذكية، وتكشف الخطط الشريرة المحاكاة لها أو لغيرها.

تتصف الأنثى في الحكايات الشعبية أحيانا بالغيرة أكثر من الرجل، خاصة المرأة التي تجسد الشخصية الشريرة، فالغيرة تسكن بين جوانحها، وبالذات من بنات جنسها، وهذا ما رسمته الحكاية الشعبية الإفريقية في جل مواضيعها، خاصة في موضوع الزواج من شخصية الملك أو الأمير فغالبا ما تتصدى الفتيات الغيورات للفتاة الجميلة المحبوبة حتى لا تصل إلى التتويج بالسلطة ولو كلفهن الأمر قتلها، ففي حكاية "العبداء التي حاولت قتل سيدتها"⁽³⁾ (صورة للفتاة الخادمة الغيورة التي كانت تطمح إلى الزواج من أكبان زوج إيمي، وتهديد أختها بالقتل إن تفوهت بالحقيقة بعدما قامت بالتعدي على سيدتها وهن في طريقهن لمنزل زوجها ورميها في حفرة الماء التي تؤدي إلى بين الجني، إضافة إلى المعاملة القاسية للبنات الصغيرة... لكن المعتدي الشرير في النهاية سيجد طريقه مغلقا ولن ينجو من العقاب

¹ثقافة شعبية، حكاية غلالة... حكاية شعبية مغربية، الانطولوجيا، 2020/05/30 www.alantologia.com (10:30-2022/07/25)

²المرجع نفسه، www.alantologia.com (10:30-2022/07/25)

³إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 141.

وهو ما حصل مع الخادمة التي انتحلت شخصية البطلة، فقد نزع القناع عنها ولقيت حتفها بأبشع الطرق

تتشابه هذه الصورة مع صورة الفتاة الشريرة (الخادمة) في حكاية "ودعة مشتة سبعة"⁽¹⁾ (التي كانت مرافقة لودعة في رحلتها للبحث عن إخوتها إلا أنها كانت مخادعة فاعتدت على الفتاة وسلبتها المنجل الذي كان دليلها وحاميها وذهبت لتحل محلها بين إخوتها بعدما غطست نفسها في العين الحرة لتحظى بالدلال والحب على عكس ودعة التي أصبحت في صورة الخادمة السوداء التي كلفت برعي الإبل).

تستغل الشخصيات الشريرة في الحكاية الشعبية الإفريقية صفة الجمال من أجل الانتقام أو من أجل الحصول على مصالحها فالجمال نقطة من نقاط ضعف الرجل، فالأميرة الزنديل (كانت بصورة فتاة جميلة فاتنة إلا أنها تخفي داخلها نفسا شريرة ترغب في الثأر من سارق ذيلها، ولم تجد من سبيل لذلك إلا بتحويل نفسها من عجوز إلى فتاة حسناء لتستطيع الزواج من الفتى "كويسي" وقتله، فكان لها ذلك بفضل ذكاءها... حتى انتهى به المطاف نسرًا)⁽²⁾

ونفس الصورة للفتاة في حكاية "الغريبة الفاتنة التي قتلت الملك"⁽³⁾ (حينما قامت عجوز ماهرة من شعب إيتو" بالتحول إلى فتاة شابة فاتنة أردت الملك القوي قتيلا مستغلة نقطة ضعفه -حب الجميلات- للتخلص منه)

وهكذا فإن الجمال سلاح ذو حدين، يمكن أن يستعمل في الخير ويعود بالمنفعة على صاحبه وقد يستعمل في الشر ويعود بالخزي على صاحبه، كما أنه قناع قد يخفي نفسا طيبة أو نفسا خبيثة شريرة.

4- الأخت:

¹ بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشتة السبعة"، ص 89.

² ينظر، إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 111-116.

³ المصدر نفسه، ص 41-43.

تبرز العلاقة الأخوية في الحكاية الشعبية بصورتين إيجابية وسلبية، وهذا ينطبق على الأخت ولكن على الرغم من سلبياتها أحيانا إلا أن جانبها الإيجابي يطفو على السطح، كما ظهر في الكثير من الحكايات، فتكون العلاقة ودية بين الأخت والأخ بالذات إذا كانت الأم متوفاة كما في حكاية "بقرة اليتامي"⁽¹⁾ فعلاقة الأخت "مرجانة" بأخيها "ظريف" علاقة طيبة وقوية صورتها لنا الحكاية في أكثر من موقف ابتداء من تركهما في الغابة تائهين... حتى وصولهما إلى الوادي السحري الذي حول الولد إلى غزال... إلى غاية وصولهما عند العجوز، فعلى الرغم من أنه كان لا يسمع الكلام إلا أن أخته لم تتخل عنه وظلت ترعاه، حتى بعدما عرض عليها السلطان الزواج اشترطت عليه الإبقاء على حياة الغزال مقابل الزواج منه.

وفي حكاية "شمسة و غلام الليل"⁽²⁾ اتسمت العلاقة بالحب والتفاهم بين الأخوين فالأخ كان السند لأخته الذي يوفر لها كل شيء، فكانت مدلة جدا حيث طلبت منه مطالب تعتبر مستحيلة لكنه حققها لها.

ومنه فالأخت قوية بأخيها ضعيفة لحالها، إن خرجت عن طاعته تجدد نفسها في عالم الأشرار مثل ما حدث في حكاية "ديمان وديمازانا"⁽³⁾ بعدما فضّل الأخوان الرحيل من منزلهما بعدما كانا يتلقيان معاملة قاسية من زوجة الأب، لينتقلا للعيش في مغارة حيث كان الأخ هو المسئول عن أخته يتكفل بإطعامها مقابل طلب بسيط وهو ألا تقوم بطهو الطعام في غيابه خيفة أن يكتشف آكلوا لحوم البشر أمرهما، لكن الأخت العنيدة خالفت وصية أخيها وكاد أن يأكلها الوحش لولا ذكاؤها بعد اختطافها علّمت الطريق لأخيها حتى ينقذها وينجوا في الأخير.

تمثل الأخت في معظم الحكايات الشعبية الإفريقية صفة العفة والطهارة بشكل واضح لأنها بعفتها تساعد على بناء أسرة متماسكة، زارعة قيما تربوية رفيعة، ويعد موضوع "العرض" من أهم الأمور التي

¹ عائشة بنت المعمورة، رابع خدوسي، بقرة اليتامي - وقصص أخرى - حكايات جزائرية شعبية من التراث الشعبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 12-30.

² مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، دراسة ميدانية، ص 154-160.

³ روجرد أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، ص 84.

يحرص المجتمع المسلم خاصة على الحفاظ عليه، لأنه معيار خلقي يشي بالشرف والإستقامة وكمال الخلق، لأن ارتكاب الفاحشة يعد ذنباً عظيماً لشرف العائلة، وقد بينت الحكايات الشعبية خاصة في المجتمعات الإسلامية مدى خوف المرأة على عفتها والحرص على سمعتها الطيبة الطاهرة أمام الخلق، مثل "ودعة"⁽¹⁾ التي فعلت المستحيل لتبرئة ذمتها وشرفها أمام إخوتها بعدما اتهمتها زوجاتهم بارتكاب الفاحشة.

وقد بينت الحكايات ملامح الاحتشام والتعفف كأن تستر المرأة في بيتها خشية أن يطلع عليها رجال أجانب، أو الخوف ممن لا تعرفهم خشية إلحاق الأذى بها، وهو من شيم المرأة المسلمة ذلك كون الحكاية الشعبية هي انعكاس للواقع المعاش بكل تفصيلاته.

تتسم العلاقة بين الأختين من أم واحدة بالتوافق والتفاهم وهذا ما تم رصده من خلال الحكايات الشعبية الإفريقية، ولعل خير مثال عن هذا التناغم مثلته شخصية الأخت الحنون في كل من حكاية "الفتاة السمينة التي ذابت"⁽²⁾ وحكاية "العبداء التي حاولت قتل سيدتها"⁽³⁾ حيث لعبت الأختان في كلتا الحكايتين دوراً واحداً وهو دور المساعد، ففي النموذج الأول قامت الأخت الصغرى بتنبيه أختها من الخطر المحدق الذي أصاب البنت السمينة التي لم تأخذ بوصية أمها وخرجت إلى الحقول وهناك حدث ما كان في الحسبان وذابت الفتاة تحت أشعة الشمس... لكن الأخت ظلت تمثل الشخصية المساعدة التي أعادت أختها إلى الحياة من جديد بعدما احتفظت بالجزء المتبقي من أختها تحت حزن شديد، وفي النموذج الثاني كانت الأخت الكبرى تساعد أختها لتفלט من عقاب الخادمة الشريرة التي أخذت مكانها وكانت تكلف الصغيرة بأعمال شاقة إلى أن تعبت من سوء المعاملة واشتاقت لأختها مما قادها إلى التفكير بالتخلي عن عالم الإنس واللعن بأختها في عالم الجن... كما صورت الحكاية مدى سعادة الأختين عند اجتماعهما من جديد... ومدى قوة الأخت لما أصبحت برفقة أختها، فبعد

¹ بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشتة السبعة"، ص 89.

² إلفستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر دنيا فرحات، ص 51-54.

³ المصدر نفسه، ص 141.

أن كانت ضعيفة وخائفة هاهي الآن تتحدث بكل جرأة ووقاحة مع الخادمة التي نالت العقاب الذي تستحقه في الأخير.

تجلى خوف الأخت على أختها كذلك في حكاية "الطفلة والفطور"⁽¹⁾ وحزنها الشديد ظنا منها أنها فقدتها تحت عجلات القطار، ومن جانب آخر تصور الحكاية الأخت الغبية التي لم تحسن التصرف في أصعب المواقف لصغر سنها، وهو ما يشير إلى أن الأخت الكبرى دوما تحمل صفات الأم الحنون التي تخاف على الصغار.

«ولعل دافع الحب الأخوي هو الأساس الأول للعلاقة الودية، فالدوافع هي الأسباب التي تدفع شخوص الحكاية للقيام بأفعال محددة، وهذه الدوافع فضلا عن أنها تكسب الحكايات نوعا من التلون الحي، فإنها كثيرا ما تقرب الحكايات إلى واقع الحياة اليومية»⁽²⁾

5- الحبيبة:

يعد الحب طليعة الصفات التي يتصف بها البطل فهو يمثل قيمة أساسية من قيم البشرية لأنه تجربة وجودية عميقة تنتزع الإنسان من وحدته القاسية الباردة، لتقدم له حرارة الحياة المشتركة الدافئة، والحب تجربة إنسانية معقدة، إذ يعد أهم حدث يمر في حياة الإنسان لمساسه بصميم شخصيته وجوهره ووجوده، فيجعله يشعر وكأنه ولد من جديد «والحكاية الشعبية نوع من أنواع الأدب تزخر بوقائع الحب والعشق وحكايات غرامية تختلج بالعواطف، فليس هناك بطل من أبطال الحكايات الشعبية إلا وتقف وراء بطولته امرأة بطريقة أو بأخرى»⁽³⁾

تمتلئ الحكايات الشعبية بأحداث الحب، ليطفو على السطح التكامل الإنساني بين الرجل والمرأة —بغض النظر عن يمتلك الريادة والحزم لنجاح هذه العلاقة— فيصبح الحب بهذا خيطاً أساسياً يمسك

¹ ليون تولستوي، حكايات شعبية، تر: صياح الجهم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص 79-80.

² نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص 40.

³ إيمان محمود ذيب محمد، البطل في الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص 89.

بكل الأحداث بل ويمثل الرابط الحقيقي وراء الدوافع الكامنة والمحركة للأحداث ليسبغ الحكاية بخصوصية فنية، ويعمل في الوقت ذاته على إبراز فلسفة الحياة والوجود الممتزج بمعاني الخير والحب.⁽¹⁾

نلاحظ أن الحكايات الشعبية في هذه المرحلة تبدأ دوماً بإنقاذ البطل أو الحبيب لفتاة ما من الغول أو الجني أو من إنسي لتبدأ بعدها قصة حب تنتهي بالزواج حتى وإن لم يتم ذكر تلك القصة فإنها تظهر فيما بعد عندما تكلل بالزواج سواء بطلب من الشاب نفسه، أو من والد الفتاة الذي يكافئه في النهاية بتزويج ابنته له، مثل حكاية "الإخوة"⁽²⁾ من التراث الشعبي المغربي فبعد أن قام الشاب بإنقاذ ابنة السلطان من الغول وقتله كافأه والدها وزوجه ابنته الأميرة، وفي حكاية "ابنة الملك التي فقدت شعرها"⁽³⁾ يخاطر الفتى الفقير "ميوما" بنفسه مبحراً أياماً وليالي ليساعد البطلة في استعادة شعرها للحصول على المكافأة ليتفاجأ فيما بعد بحصوله أيضاً على قلب الفتاة وتصبح زوجة له.

وفي حكاية "لونجا"⁽⁴⁾ وحكاية "ودعة"⁽⁵⁾ والبنت في حكاية "بقرة اليتامى"⁽⁶⁾ وحكاية "الغيلم وابنته الفاتنة"⁽⁷⁾ وحكاية "الفتاة الفاتنة والفتيات الغيورات السبع"⁽⁸⁾ اللاتي وقع أزواجهن في حبهن بعدما فتنوا بجمالهن وطلبوا منهن الزواج كلها تصور هذا الشعور الجميل الذي يصيب القلب.

كما أن المرأة كذلك قد تقع في حب الرجل وتعرب له عن رغبتها في الزواج منه كما صورت حكاية "الابنة العاصية التي تزوجت هيكلًا عظيماً"⁽⁹⁾ حين أحبت أفيونغ الرجل الوسيم زطلبته للزواج على الرغم من عدم معرفتها حقيقته وأصله.

¹ المرجع نفسه، ص 90.

² شاكور يسري، حكايات من الفولكلور المغربي، دار النشر المغربية، ج 1، دط، المغرب، دت، ص 351-357.

³ روجرد أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، ص 131.

⁴ عبد الحميد بورايو، دور المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية، ص 48-51.

⁵ بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشنة السبعة"، ص 89.

⁶ عائشة بنت المعمورة، رابع خدوسي، بقرة اليتامى - وقصص أخرى - حكايات جزائرية شعبية من التراث الشعبي، ص 12-30.

⁷ إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر دنيا فرحات، ص 11-15.

⁸ المصدر نفسه، ص 118.

⁹ المصدر نفسه، ص 51-54.

يقذف البطل العاشق بنفسه في أتون المعركة والصعاب من أجل إيجاد حبيبته حيث يتخطى الأخطار والعراقيل للوصول إليها والزواج منها، وقد أحصينا من هذه النماذج الصور الآتية التي كانت المرأة تمثل فيها دور الحبيبة التي يضحي البطل بحياته من أجل الوصول إليها؛ "فغلام الليل" خاطر بنفسه ليصل إلى "الجازية" وقام بخداعها ليأخذها إلى بلاده على الرغم من أن ذلك كان مستحيلا وبعدها تزوج منها وعاشت معه وأخته.⁽¹⁾ والبطل "يوسف" في حكاية "لولية"⁽²⁾ قرر ألا يتزوج إلا من لولية التي أحبها بعدما سمع عنها من الستوت، فأعد العدة وسافر بحثا عن محبوبته حيث قام بتنفيذ شروط الغولات الثلاث مقابل السماح له بالعبور ودله على الطريق الصحيح للوصول إليها... وعند وصوله أخبرها بحبه لها وأنه يريد الزواج منها في قوله: «أنا الأمير يوسف ابن سلطان البرين... سمعت عنك وأحببتك، وأريد أن أتزوجك... وبحث عنك حتى وجدتك...»⁽³⁾

يحتفظ البطل بحبه لفتاة معينة منذ الصغر مثل "أكبان" الذي كان مغرما "بإيمي" وعزم على الزواج منها حينما تكبر⁽⁴⁾، والمحارب الشاب الذي كان يحب الفتاة "فانجي رو" التي قدمت قربانا ولكنه قام بإنقاذها والزواج منها فيما بعد.⁽⁵⁾

وبهذا يكون للمرأة الحبيبة دور كبير في حياة البطل الذي يسعى للحصول عليها، فبعد أن كان في بعض الحكايات مجرد شاب فقير أو ضائع يجد نفسه حبيبا وزوجا لابنة السلطان أو الملك أو الفتاة الجميلة التي يرغب الجميع في الحصول عليها.

6- الزوجة:

إذا تفحصنا صورة المرأة الزوجة من خلال الحكايات الشعبية الإفريقية وجدناها تتلون بمجموعة من الصور المتباينة، فهناك الزوجة الصالحة التي ترعى زوجها وتحافظ على أبنائها وأسرتها وتحميها من

¹ ينظر، مريم برياش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص 154-160.

² أماني العشماوي، حكايات شعبية من مصر، ص 13-25.

³ أماني العشماوي، حكايات شعبية من مصر، ص 13-25.

⁴ ينظر، إلفستون داريل، الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 141.

⁵ ينظر، عبد الرحمان عبد الرحمان الحميسي، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ص 174.

كيد الكائدين وهو الواجب الفطري للزوجة الذي خلقت لأجله، وفي المقابل نجد الزوجة المهملة لزوجها وأبنائها لا تهتم إلا لنفسها، فالنوع الأول مثلتها مجموعة من النماذج الحكائية الإفريقية تشير إليها الأسطر الموالية؛ (أفيونغ جسدت صورة الزوجة المطيعة لزوجها بعد زواجها من الهيكل العظمي -دون معرفة حقيقته- اختارت المغادرة معه إلى المجهول، فهي لم تكن تعلم حتى أين سيأخذها وأين هو بلده أو أهله...) ⁽¹⁾ كما مثلت الزوجة في حكاية "المرأة التي تحولت إلى أسد" ⁽²⁾ نفس الصفة عندما طلب منها زوجها التحول لأسد من أجل الإتيان بالطعام وإنقاذهم من الموت جوعاً ففعلت كما طلب منها. كما صورت "أديا يونين" صورة الزوجة التي تسر زوجها كلما رآها حتى أنها أصبحت مثل ظله ومرافقته التي تلعب معه وتسليه حتى أنسته أن له زوجات أخريات. ⁽³⁾

تمثل الزوجة في الحكايات الشعبية الإفريقية صفة الوفاء والإخلاص للزوج وتحفظه في غيابه، وحتى بعد وفاته، فحكاية "الزوجات الثلاثة" ⁽⁴⁾ اللاتي لم تشأ أياً منهن ترك زوجها فاخترت الأولى نفس مصير زوجها، والثانية ظلت تحرس جثته حفاظاً عليها من النسور والضباع، والأخرى كانت سببا في إعادته للحياة مرة أخرى.

يقال: "الصبر مفتاح الفرج" والصبر هو تغلب المرء على الشدائد، وعلى الملح والفرح في المصاعب وما قد ينزل به من خطوب ونوائب وهو الحقيقة التي أثبتتها جميع الحكايات الشعبية التي بين أيدينا فقد كلل شقاء البطلات في النهاية بالانتصار والوصول إلى المراد أو التخلص من الأعداء، فالزوجة في الحكايات الشعبية لا تشكو بل تتجرع الألم بصمت، مستمدة قوتها من ذاتها في الأغلب لتغلب على القوى المعادية، لأن المرأة بصفة عامة أكثر صبراً وتحدياً من الرجل تتخيل فرحاً مصطنعاً إلى أن تصل إلى الفرج الحقيقي، وكمثال واحد من جملة الأمثلة يتراءى ذلك في حكاية "شمسة وغلالم الليل" ⁽⁵⁾، في

¹ ينظر، إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 51-54.

² عبد الرحمان عبد الرحمان الخميسي، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ص 150.

³ ينظر، إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 11-15.

⁴ روجرد أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، ص 262.

⁵ مريم برياش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص 154-160.

صبر الأم على السجن الذي وضعت فيه من قبل زوجها مع الحيوانات بسبب كيد النسوة وستوت لتصل الحكاية في النهاية إلى الجزاء الذي نالته حين وجدت فلذات كبدها وعاشت معهم في عز وسلطان بعد تعب وعناء طويل.

تظهر الزوجة بصفة المكر أحيانا وبصفة الغباء أحيانا أخرى؛ أما المكر فقد جسده كل من الزوجة في حكاية: "دهاء امرأة"⁽¹⁾ التي كانت داهية وذات أفكار شيطانية إضافة إلى أنها كانت خائنة لزوجها المسكين المغلوب على أمره فقد كانت تخرجه في كل مرة أمام الناس بدهاءها حتى أنها في الأخير قادتته لمستشفى المجانين حتى لا ينكشف أمرها بأنها ذات أخلاق سيئة، وفي حكاية "الفتاة السمينة التي ذابت"⁽²⁾ لأنها لم تكن صالحة ومخادعة قام زوجها بإرجاعها إلى أهلها الذين قاموا ببيعها وإعادة المهر لزوجها، وزوجة الملك "أيامبا" التي كانت شريرة تقوم بأعمال السحر والشعوذة بسبب الغيرة من أديها، فقد أعمى حب التملك بصيرتها فأذت زوجها بهدف إبعاده عن زوجته وأولاده.⁽³⁾

أما صفة الغباء فمثلتها كل من زوجة ماكوماو، وزوجة المزارع ماييرو، (فالأولى قادها جشعها وطمعها في الحصول على المكافأة إلى التحايل على زوجها لمعرفة مكان الخاتم، فكان هذا غباء كاد أن يؤدي بحياة زوجها الذي أنجته نيته الطيبة)⁽⁴⁾ (والثانية لم تسمع كلام زوجها فقامت بالإساءة إليه دون شعور فأردته صفر اليدين)⁽⁵⁾

7- زوجة الأب:

تظهر زوجة الأب في معظم الحكايات الشعبية الإفريقية متسلطة ظالمة، تحاول دائما التخلص من أبناء زوجها، ولا يوجد ملمح إيجابي فيها، وربما يكون انعكاس للمثل الشعبي القائل: «زوجة الأب سخطة من الرب لا بتحب ولا بتنحب»⁽⁶⁾ وقد وصفت بالمكر والخداع وقوة الحيلة والدهاء، وتظهر

¹ شاكر يسري، حكايات من الفولكلور المغربي، ص 351-357.

² إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر دنيا فرحات، ص 92-94.

³ ينظر، المصدر نفسه، ص 21-30.

⁴ ديليو اتش باركر وسيسيليا سينكلير، أنانسي والرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخة، ص 121-126.

⁵ المصدر نفسه، ص 163-166.

⁶ إيمان محمد ديب، البطل في الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص 148.

الكثير من الحكايات الشعبية هذه الصفة بشكل أو بآخر مع اختلاف الحيلة والسيطرة من امرأة لأخرى، ومن المكائد التي رصدناها في حكاياتنا الشعبية الإفريقية مكر زوجة الأب في حكاية "بقرة اليتامى"⁽¹⁾؛ إذ تمعن في معاملة أبناء زوجها معاملة سيئة، فذبحت بقرتهم التي تركتها والدتهم لتكون عوناً لهم، وتركتهن وحيدتين من دون رقيب في الديار المهجورة وتغادر رفقة ابنتها وزوجها الذي تجرد من عاطفة الأبوة، وهي دلالة رمزية إلى عدم اهتمام الوالد بأبنائه وانصياعه التام لمطالب زوجته وذوبان شخصيته ووقوعه التام تحت سيطرتها، إضافة إلى محاولتها فيما بعد القضاء على ابنة زوجها لتحل ابنتها محلها وتصبح الملكة، كما تلجأ زوجة الأب في بعض الحكايات الإفريقية لأعمال خارقة كالسحر والشعوذة للتخلص من أبناء زوجها ولو على حساب حياته كحكاية "المرأة المزدوجة الجلد"⁽²⁾ حين أقنعت الزوجة زوجها بأن ابنه من الزوجة الثانية هو السبب في سقمه وكرهه وعليه التخلص منه، وفي حكاية "غلالة"⁽³⁾ أيضاً كانت زوجة الأب هي السبب في ضياع البنت ومحاوله قتلها ودفنها من شدة الغيرة إذ لم تجد بداً للتخلص من وجودها بالبيت إلا من خلال المكر والخداع.

قد تتشارك في الجريمة مجموعة من النسوة اللاتي عادة ما تكن سلائف أو ضرائر تشتعل نار الغيرة والحقد في نفوسهن كما حدث للأخوين في حكاية "شمسة وغلالم الليل"⁽⁴⁾ اللذين تأمرت زوجات أبيهما على الأم وقمن برمي طفليهما في النهر دون علمهما.

تصور الحكاية الشعبية الإفريقية مدى قسوة زوجة الأب على أبناء زوجها مما يجبرهم على الرحيل في بعض الأحيان وتفضيل العيش بعيداً عن منازلهم للتخلص من جبروتها، ومن النماذج الحكائية ما صورته حكاية الأخوين "ديمان وديمازانا"⁽⁵⁾ اللذين أجبرهما الظلم من زوجة أبيهما على الخروج من بيت والدهما والتوجه للعيش في كهف مظلم مع الوحوش البرية.

¹ عائشة بنت المعمورة، رابع خدوسي، بقرة اليتامى - وقصص أخرى - حكايات جزائرية شعبية من التراث الشعبي، ص 12-30.

² إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 21-30.

³ ثقافة شعبية، حكاية غلالة... حكاية شعبية مغربية، الانطولوجيا، 2020/05/30 www.alantologia.com (16:05-2022/07/28)

⁴ مريم برياش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص 154-160.

⁵ روجرد أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، ص 84.

في حكاية "الأخوان"⁽¹⁾ كانت زوجة الأب تحاول بشتى الطرق التفريق بين ابنها وابن زوجها المتوفية، فتدبر المكائد للتخلص من ابن زوجها رغم حب الأخوين لبعضهما والشبه الكبير بينهما مما جعل خطط الأم تفشل دوماً.

تظهر الحكايات الشعبية الإفريقية أن زوجة الأب لا تحل محل الأم مهما حدث، فمهما كانت غير قاسية أو مؤذية فإنها لن تحب ربيبتها كما تحب ابنتها ولن تعلمها أو ترشدها أو تعطيها نصائح في الحياة كما تفعل مع ابنتها، بل وتتعمد إبقاءها جاهلة بواجباتها المستقبلية، وقد رصدنا من هذه الصورة النموذج التالي: «...أخذت الأم توصي ابنتها كيف تعامل زوجها وكيف تكون له المعينة وكيفية تسيير بيتها دون إعطاء قيمة للرغبة التي كانت تسمع تلك النصائح خلصة من وراء الباب»⁽²⁾ وهذا ما يدل على أن زوجة الأب لم تشأ أن تكون ربيبتها أكثر نجاحاً في حياتها الزوجية من ابنتها، إلا أن الحيلة سرعان ما تعود على صاحبها، وهو ما حدث فقد كانت الرغبة أكثر ذكاء وفطنة من ابنتها الغبية التي نالت جزاءها من أمها، لكن زوجة الأب في هذه الحكاية لم تعاند وتدبر المكائد لابنة زوجها للتخلص منها وإنما عادت نادمة وطلبت منها العفو.

8- الضرة:

من الطبيعي أن نجد لتعدد الزوجات صدى واسعاً في الحكايات الشعبية، وهذا التعدد لا يظهر بصورة إيجابية ماعداً بعض الحالات الشاذة، ففي حكاية "الملك الذي تزوج ابنة الديك"⁽³⁾ نجد علاقة طيبة بين الضرائر، حيث كانت إحدى زوجات الملك صديقة لأديها يونين بالرغم من أنها كانت مبعجلة عند الملك، فكان لها الفضل في كشف أمر الزوجة الغيورة صاحبة الخدعة الماكرة، والتي كان مصيرها التشرد، وفي حكاية "الأخوان"⁽⁴⁾ كذلك تميزت العلاقة بين الضرتين بالتفاهم والاستقرار حتى أنهما كانتا تربيان طفليهما مثل التوأم حتى في الرضاعة يرضعان منهما الإثنين إلى حين وفاة إحداها.

¹ شاكر يسري، حكايات من الفولكلور المغربي، ص 351-357.

² ينظر، مريم برياش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص 188.

³ إلفستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 55-58.

⁴ شاكر يسري، حكايات من الفولكلور المغربي، ص 351-357.

إلا أن الصورة الغالبة بين الضرائر في أغلب الحكايات الشعبية قائمة على الصراع والاستحواذ على الزوج وكذلك الكراهية، وغالبا ما يظهر الاضطهاد من الزوجة الأولى ضد الزوجة الجديدة التي تكون محبوبة أكثر من قبل الزوج، مثلما تظهره النماذج التالية: فقد رصدت حكاية "الملك الذي تزوج ابنة الديك"⁽¹⁾ مدى غيرة الزوجة الأولى من الزوجة المحبوبة والتفكير في إلحاق العار بها، حيث أمرت الزوجة الكبرى من الخادمة بأن تقوم بغسل حبات الذرة وتضعها في وعاء، لتنتشرها أمام الزوجة المحبوبة لأنها بفطرة الدجاج ستنقب الحبوب وتفقد كرامتها أمام صغار القوم وكبارهم، ومن ثم يغضب الملك من تصرف زوجته ويطردها، وفي حكاية "الفتاة السمينة التي ذابت"⁽²⁾ غيرة الضرة من الزوجة الجديدة لأنها لا تستطيع القيام بالأعمال خارج المنزل، وهو الشرط الذي على أساسه قبلت أمها تزويجها، حيث قامت ضررتها الماكرة بإخراجها دون مبالاة لما سيحدث للمرأة المسكينة، وحكاية "شمسة وغلام الليل"⁽³⁾ كذلك كادت الضرائر للزوجة السابعة حين تحقق وعدها.

تكثُر الغيرة عند الضرائر خاصة إذا كانت واحدة أجمل من الأخرى ففي حكاية "المرأة المزوجة الجلد"⁽⁴⁾ صورة للغيرة من الزوجة الجميلة وتدبير المكائد لإبعادها عن زوجها والتخلص منها لأن الملك كان يحبها ومعجب بها كثيرا.

وفي حالات قليلة نجد أن الزوجة الجميلة هي من تكون شريرة وقاسية مع ضررتها، لأنها عادة ما تكون محبوبة لدى زوجها الذي يعشق الجمال، مثل زوجة نزامبي الجميلة «فبالرغم من أنها لم تنجب له أولادا فإنه كان يفضلها على زوجته أم أطفاله لأنها كانت تفوقها جمالا، وتظهر أمامه وجهها البريء، في حين أنها كانت شريرة جدا ذات قلب أسود حقود، انكشف ذلك بعد وفاة ضررتها الكبيرة في السن حيث أصبحت ترقص فوق قبرها وتغني فرحًا ببقائها مع زوجها دون وجود ضرة تشاركها حياتها، ولكن

¹ إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 55-58.

² إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 92-94.

³ مريم برياش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص 154-160.

⁴ إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 21-30.

الشر لن يدوم كما تصوره الحكايات الشعبية دوماً، حيث سرعان ما يكشف الساحر أفعال الزوجة الشريرة فتنال العقاب من زوجها رغم محبته لها»⁽¹⁾

فالمرأة الشريرة دائماً تقع في فخ أفعالها فرغم ما تدعيه من مكر وحيلة ومكائد إلا أنها تقع نتيجة شر أفعالها، فيتحول دهاؤها لغباء، كما حدث مع زوجات الآباء في كل مرة، ومع زوجات الإخوة، ومع الأخوات الغيورات، والضرائر الغيورات...

9- الحماة والكنة:

يعتبر العداء بين الأم وزوجة الابن أو بعبارة أخرى بين الحماة والكنة أمراً مفروغاً منه، فهذه الظاهرة موجودة في مجتمعاتنا الإفريقي، وفي المجتمعات الأخرى من أقدم العصور، ويمكن إعادة هذا العداء لغريزة الأمومة التي تبين مدى تعلقها بابنها، وتفانيها في حبه واعتقادها أن الزوجة ستأخذ مكانها عند ابنها فتشدد قبضتها عليه للاحتفاظ به ملكاً لها، هذا من جانب الأم، أما الزوجة فهي بحاجة إلى رجل يربها ولما كان الابن يميل إلى زوجته عاطفياً من جهة، ومن جهة أخرى للاستقرار، بهذا يقوم العداء بينهما، بل وكثير من العلاقات الزوجية تنتهي بالفشل بسبب هذه الصراعات وبسبب تدخل الحماة.

من العلاقات الزوجية التي عالجتها الحكايات الشعبية الإفريقية علاقة الحماة والكنة، فهي تشكل القاعدة الأساسية لحبكة الكثير منها، فالزواج يمثل نقلة نوعية للأم "الحماة" وللفتاة "الكنة"، فهما يدخلان علاقة جديدة ومن هنا يفرض على الرجل واجبات عائلية لعائلتين؛ الأسرة الأم والأسرة الصغيرة "الجديدة"، فيبدأ الصراع بين القطبين المتناحرين ويكون في الغالب التحكم من الحماة التي تمعن في تعذيب زوجة الابن بشتى الوسائل، وهذا يظهر بوضوح في حكاية "عقاب الأم"⁽²⁾ تسيء الحماة لكنائنها فتجعل منهن خادמות لهن كما تؤذي كنتها بلسانها وتعيرها كونها لم تنجب الأولاد.

¹ ينظر، عبد الرحمان عبد الرحمان الخميسي، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، 103.

² عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص 78-81.

لم تغفل الحكايات الشعبية الإفريقية الصورة العكسية لعلاقة الحماة والكنة، أي أن زوجة الابن هي الشريرة التي تسيء لحماها فهذه حكاية "عيشة أم الزبايل"⁽¹⁾ التي كانت السبب وراء موت حماها وحماها بكل مكر ودهاء تمثل صورة سيئة للكنة.

وفي نماذج قليلة صورت الحكايات الإفريقية العلاقة الطيبة بين الحماة والكنة، والتي تتصف باللين والمعاملة الطيبة، خاصة إن كانت الزوجة على قدر من المسؤولية والطيبة في بيت زوجها مثل ذلك النموذجين التاليين: في حكاية "الابنة العاصية التي تزوجت هيكلًا عظيمًا"⁽²⁾ حيث أن حماها عاملتها بكل طيب خاطر ولم تخف عنها حقيقة العالم الذي أحضرها إليه زوجها ومساعدتها على العودة إلى أهلها والخروج من عالم الأرواح لأن وجودها فيه يشكل خطرا على حياتها. والنموذج الثاني في حكاية "الفتاة التي قدمها أهلها قربانا"⁽³⁾ عاملت الأم فانجي رو بكل لطف والتي صارت فيما بعد زوجة لابنها التي كانت تعلم بحبه لها.

10- العجوز:

يتميز العجوز سواء كان رجلا أو امرأة بتجارب حياتية غنية، وهذا بدوره يصقل شخصيته ويمنحه الحكمة وسداد الرأي والحنكة والذكاء، إلا أن الحكايات الشعبية تفضل شخصية العجوز المرأة لاكتناز شخصيتها وقابليتها للتشكيل الفني، وكذا قدرتها على التلون في الأدوار، فهي تفعل الفعل ونقيضه، وتنطق بالحكمة والهرطقة، وتقوم بالتصرف الحسن والقبيح من غير أن يكون ذلك شذوذا في شخصيتها، وكثيرا ما توظف العجوز أو تستخدم في كثير من الحكايات الشعبية الإفريقية كوسيلة لتغطية مشكلة أو لدفع حركة الأحداث إلى الأمام، ولا تطل برأسها في الغالب إلا حينما تكون مشكلة أو مأزق تتعرض له إحدى شخصيات الحكاية، فهي تقدم النصيحة والارشادات للشباب حديثي التجربة، تجلت هذه الصورة في حكاية "لولية"⁽⁴⁾ حينما أخبرت الأم بالعلاج الصحيح للطفل "يوسف" وحين دعت على

¹ المصدر نفسه، ص 84-91.

² إلفنستون داريل: الصيد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 51-54.

³ عبد الرحمان عبد الرحمان الخميس، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ص 174.

⁴ أماني العشماوي، حكايات شعبية من مصر، ص 13-25.

يوسف بحب لولية، فقد كانت السبب في ذهابه للبحث عنها وطلب يدها للزواج، وكذا في حكاية "ذيل الأميرة الزندبيل"⁽¹⁾ حين قامت العجوز بمساعدة الفتى في الحصول على ذيل الأميرة الذي لم يستطع أحد الوصول إليها من قبل حينما دلّته على الطريقة الصحيحة للوصول إلى هدفه والنيل منه، كما قامت العجوز في حكاية "الابنة العاصية التي تزوجت هيكلًا عظيمًا"⁽²⁾ بمساعدة الفتاة على الخروج من عالم الأرواح وتقديم النصيحة لها بأن تبرّ والديها حتى تنجح في حياتها، وفي حكاية "العبدّة التي حاولت قتل سيدتها"⁽³⁾ تقوم العجوز بتخليص إيمي من قبضة الجني بفضل مهارتها وخبرتها حيث قدمت له القربان مقابل الفتاة، وإعادة لم شملها مع زوجها وتدير مكيدة للإيقاع بالخدامة التي كانت وراء ما حصل للعروس.

وللعجوز دور سلبي، فهي امرأة شريرة في الذهن الشعبي سلبت الأيام منها قدرتها الجسدية فانتقلت إلى قدراتها العقلية بكل مكر فتسخر مواهبها لتحقيق أهداف شخصية أو لإدخال الفتنة بين القوم ونجدها في الحكايات الشعبية يطلق عليها كذلك تسمية "ستوت" وقد تم ذكر أوصافها قبل هذا العنصر حيث أنها تفوق الشيطان مكرًا ودهاءًا وتزرع الفتنة والتفرقة بين الناس ومن الحكايات التي شاعت في الأوساط الشعبية «القصة التي تروي أن الستوت تشاطرت مع الشيطان في القيام بفعل لم يستطع القيام به، أما هي فلم يصعب عليها الأمر وفرقت بين الزوج وزوجته وبين العائلتين بإحداث فتنة وإدخال الشك في قلب الزوج ورحلت»⁽⁴⁾ وفي حكاية "ودعة جناية السبعة"⁽⁵⁾ كانت وراء اختفاء الإخوة، وفي حكاية "شمسة وغلّام الليل" مثلت نفس الصورة باتحادها مع زوجات الملك وإبعاد توأم الزوجة السابعة... لتعود مرة أخرى وتحاول التحايل على الولدين للاستحواذ على قصرهما، إلا أنها في هذه المرة تقع في الحفرة التي حفرتها بنفسها حين كُشف أمرها من طرف الجازية الذكية التي قامت شخصيًا

¹ ديليو اتش باركر وسيسيليا سينكلير، أنانسي والرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخة، ص 111-116.

² إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 51-54.

³ المصدر نفسه، ص 141.

⁴ نور الأمل، قصة الستوت، متدييات طموحنا، 2013/06/03 www.tomohna.net (09:58-2022/08/02)

⁵ بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشنة السبعة"، ص 89.

بإطلاع الأخوين على وجودها، نظرا لأن العجوز قد خارت قواها الجسدية وبقي دهاؤها وخبرتها هما من يحرران الأحداث داخل الحكاية الشعبية وجدنا في بعض النماذج شخصية العجوز الأنانية التي ترغب في الحصول على الراحة فقط دون مقابل، إضافة إلى قبح لسانها وسلطتها، مثل العجوز التي كانت تعير كتنها بالعقم، والعجوز التي من عليها الله بفضل الشجرة السحرية التي أشفقت لحالها «فوهبتها الكثير من الأولاد الذين يعملون ليلا ونهارا لجلب قوتها مقابل أن تقوم بإطعام الفتاة الصغيرة فقط... ولكن جشعها ورغبتها في الراحة طوال الوقت جعلها تفقد حياة الترف بسبب لسانها»⁽¹⁾

11- الصديقة:

قليل في الصداقة الكثير والكثير، فهي تلك العلاقة التي تجمع بين شخصين أو أكثر لا تربطهم صلة القرابة، يظهر معدنها بالمواقف فتتسم بالوفاء والحب يشعر من خلالها الإنسان بالأمان ويتخلص من همومه وفواجع الأقدار فتتلاشى الآلام وتظهر الآمال إذا كانت من نفوس طيبة المعشر، وصداقة مزيفة هدفها المصالح وتنتهي بانتهاهم وتصدر عن نفوس أنانية خبيثة المعشر.

من الأشكال الأدبية عامة والشعبية خاصة التي تضمنت هذه العلاقة الإنسانية الحكايات الشعبية ولكننا لن نتحدث عن الحكاية الشعبية بصفة عامة بل سنكتف بالحيز الجغرافي الإفريقي -موضوع دراستنا- فالحكاية الشعبية الإفريقية مليئة بروابط إنسانية متعددة تمثلها شخصيات خيرة وأخرى شريرة، تمثل فيها الصداقة أسمى العلاقات إن بنيت على أسس نقية وصحيحة، وقد تجلّى المعنى الجيد للصداقة في حكاية "الابنة العاصية التي تزوجت هيكلا عظيما"⁽²⁾ حيث أن رفيقات أفيونغ حضرن للاحتفال بعودتها بعد أن كادت تختفي للأبد في عالم الأرواح.

كما تحظى الحكايات الشعبية الإفريقية بنصيب من الصور السيئة حول الصداقات خاصة بين البطلة الجميلة وفتيات بلدتها، سواء كانت فتاة عادية أو أميرة فإن صفة الغيرة لا تكاد تنعدم في معظم الحكايات الشعبية، فكل واحدة تتمنى أن تحظى بإعجاب الأمير أو الملك أو صاحب النفوذ كما حدث

¹ ينظر، روجرد أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، ص 129.

² إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر دنيا فرحات، ص 51-54.

مع «أكيم الفتاة الفاتنة التي غارت منها فتيات مدينتها وكوّن معها صداقة لكسب ثقتها والوصول إلى رضاها لتسهيل النيل منها وعندما سنحت لمن الفرصة للإيقاع بها أخفين عنها وجود الجني الذي يقبع عند النهر ولا يدع أحدا يمر من هناك إلا مقابل إطعامه، فقمّن بإقناعها بالخروج في غياب والديها لحضور الحفل ومن ثم التخلص منها في حفرة الجني الذي جعل منها خادمة في بيته، إضافة إلى الافتراء على أبويها وإخبارهما أنها وصلت إلى مدينتهم بسلام وأنهن لا يعلمن ما حدث بعد ذلك»⁽¹⁾

وفي حكاية "الأربعون فتاة"⁽²⁾ طغت صفة الغيرة بين الصديقات الأمر الذي أوصلهن للتخلص من الفتاة الجميلة ودفنها حية في الحفرة.

تصور الحكايات الشعبية الإفريقية أن من الصداقات من تدوم لفترة طويلة جدا من الزمن فعلاقات الصداقة الحقيقية لا تنسى مهما حدث من مناوشات بين الأصدقاء وهو ما صورته الحكاية النيجيرية التي عنوانها "لا تدفع السيئة بالسيئة"⁽³⁾ فالصديقتان "دولا" و"بابي" نظرا لأن صداقتهما كانت وطيدة جدا فحينما غلب عليها طبع الغيرة لم تنزل ولم تنجل لأن معدنها أصيل ودامت لآخر العمر.

12- المرأة الساحرة:

السحر هو كل أمر خفي سببه وتخيّل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، وقد حرمه الإسلام فهو من كبائر الذنوب وبعضه كفر، ومن أدلة تحريمه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" قالوا يا رسول الله وماهن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"، وفي اللغات واللهجات الإفريقية عدة مصطلحات تدل على السحر والأعمال الطقوسية التي يعد الاتصال بالأرواح وعالم ما وراء الطبيعة خاصة من خواصها، وهذه الكلمات تختلف من قبيلة لأخرى منها إطلاق مصطلح إدان (Idan) بلغة اليوروبا في كل من نيجيريا

¹ ينظر، إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر دنيا فرحات، ص 118.

² عبد الرحمان عبد الرحمان الخميسي، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ج2، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2012، ص 111-114.

³ أحسن دواس، حكايا سمراء، مختارات من الحكايات الشعبية الإفريقية، جمعية البيت للثقافة والفنون (منشورات البيت) الجزائر، 2009، ص 167-171.

وبينين، مصطلح سُويا (Soya) ومصطلح دباري أودبالي (Dabani-Dabali) بلهجة جولا أومبارا بكل من بوركينافاسو ومالي، وساحل العاج...⁽¹⁾

تتجلى مظاهر السحر في إفريقيا من خلال الحكايات الشعبية الإفريقية بكثرة حيث تظهر هذه الحكايات مدى حضور السحر في إفريقيا خاصة من جانب المرأة بسبب الاعتقادات التي كانت سائدة عند الشعوب البدائية التي كان عالمها هو السحر وهدف الإنسان كان التعرف على أعمال هذه القوة البديعة الموجودة في كل مكان والحصول على جزء منها ثم استخدامها والسيطرة عليها فانعكس ذلك في حكاياتنا الشعبية كونها تصوير للواقع المعاش بطريقة يغلب عليها الخيال الشعبي.

يضم كتاب "الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا" في جزئه الثاني، خمسين حكايات حول السحر والسحرة من بينها حكاية "الفتاة التي جلبت الماء من خواريمو"⁽²⁾ إذ تعرضت هذه الفتاة إلى العمى بعد أن نسيت حزامها في العين وعادت لإحضاره فأصيبت في عينها وفقدت البصر، فما كان من أخيها إلا أن توجه إلى الساحر فأشار عليه هذا الأخير بتعويدة فعلها فاستعادت الفتاة بصرها في الحال، وكذلك هو الحال في حكاية "الأربعون فتاة"⁽³⁾ حين قامت الفتيات بإعداد خطة لقتل صديقتهم الأكثر جمالا منهن، وبعد أن أوقعنها في الفخ، قمن بإعداد عقار سحري وشربن منه جميعا وكان مفعول العقار كالتالي: ما إن تحكي واحدة من الفتيات ما جرى حتى تفارق الحياة في الحال، وفي حكاية مشابهة من كتاب "الصيد المخطوط لإلفنستون داريل" الذي جمع فيه حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية نجد حكاية "المرأة المزدوجة الجلد"⁽⁴⁾ والتي رسمت صورا متعددة للمرأة التي تستعمل السحر والشعوذة بدافع الغيرة للتخلص من الزوجة الجميلة مرات متعددة، وللإشارة فإن الحكاية صورت حتى الرجال يستعينون

¹ ينظر، عبد الرحمان شيتو علاوي، السحر في السياق الافريقي، مجلة قراءات افريقية، ع46، أكتوبر 2020، ص6.

² عبد الرحمان عبد الرحمان الخميسي، الخرافة والحكايات الشعبية الإفريقية، ج2، ص 158-159.

³ المصدر نفسه، ج2، ص 111-114.

⁴ إلفنستون داريل: الصيد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 21-30.

بالسحرة والمشعوذين على حد السواء مع النساء لقضاء مصالحهم ومآربهم ومنافعهم كما فعل الملك في كل مرة، وكذا والد الفتاة أكيم الذي قصد المشعوذ ليعرف ما حل بابنته.⁽¹⁾

تصور الحكايات الإفريقية كيف أن العجوز الساحرة تتحایل على غيرها لتحقيق غايتها أو تنتقم ممن آذاها عن طريق السحر، فهاهي العجوز في حكاية "ذيل الأميرة الزنديل"⁽²⁾ تنتقم من سارق ذيلها بالتحول إلى فتاة شابة جميلة حتى تتزوج الفتى وتقتله، أو أنها تتحول إلى حيوان مثل "المرأة التي تحولت إلى أسد"⁽³⁾ من أجل إحضار الطعام لابنها وزوجها، وقد يحدث العكس فتتحول الكائنات الأخرى إلى إنسان مثل الأزهار التي تحولت إلى أطفال لمساعدة المرأة العجوز.⁽⁴⁾

ولما عرف عن الملوك حبهم للمرأة الجميلة كان ذلك سلاحا تتخذه الساحرات لإيقاعهم فريسة لنزواتهم للنيل منهم كما فعلت عجوز شعب "إيتو" الساحرة «التي حولت نفسها إلى فتاة فاتنة تزوجت من ملك "كالابار" الذي لا يهزم وقامت بقطع رأسه بكل سهولة»⁽⁵⁾

يستعمل السحر أحيانا في الحكايات الشعبية الإفريقية كعنصر مساعد للبطل أو البطلة، إلا أن السحر الذي يكون من أجل المساعدة وفعل الخير يكون من طرف مخلوقات غير بشرية أو غيبية كالجنيات أو الأرواح الطيبة كما هو في حكاية "المزارع مايبرو والجنيات"⁽⁶⁾ اللاتي كن يساعدن الفلاح في استصلاح وغرس أرضه، ونجد كذلك من الشخصيات الغريبة في الحكايات الشعبية بكثرة شخصية "الغول/ الغولة": وهي ساحرة الجن، تتصور في صور شتى وتتمثل في صورة إنسان تتكلم مثله، لكننا لا نستطيع أن نصنفها على أنها إنسان، كما لا يصلح أن نصنفها كحيوان، ولا حتى كجان لأنها تظهر بجسدها وتتجاوز مع الإنسان... لذا يمكننا القول أنها كائنات -خرافية- صورتها الحكايات الشعبية بصورة مخيفة وأنها آكلة للحوم البشر تقول الباحثة أماني العشماوي في كتابها "حكايات شعبية من

¹ ينظر، إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 141.

² عبد الرحمان عبد الرحمان الحميسي، الخرافة والحكايات الشعبية الإفريقية، ص 150.

³ ينظر، إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 41-43.

⁴ روجر أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، ص 129.

⁵ ينظر، إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر دنيا فرحات، ص 41-43.

⁶ ديليو اتش باركر وسيسيليا سينكلير، أنانسي والرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخ، ص 163-166.

مصر": «... شعرها أشعث وأسنانها بارزة والشرر يتطاير من عينيها... ابتسمت الغولة، فظهرت أسنانها كلها وقالت: لولا سلامك سبق كلامك لكنت أكلت لحمك وممصصت عظامك...»⁽¹⁾ وهو دليل على مدى قبح شخصية الغولة وشرها، إلا أننا حين نتأمل جيدا قولها: "لولا سلامك سبق كلامك..." فإننا نعلم أن هذه المخلوقات تتصف بصفات خيرة يستطيع البطل بذكائه الوصول إليها والحصول على مساعدتها بعد تنفيذ طلب ما يعد بمثابة اختبار لجدارة البطل في الحصول على المساعدة، كما حصل مع الشاب (يوسف) في طريق بحثه عن (لولية) حيث أنه بعد نجاحه في الاختبارات من الغولات الثلاث قدم له أمشاط سحرية تساعده في الوصول إلى محبوبته بكل أمان.

ومن الأدوات السحرية المذكورة في الحكايات الشعبية الإفريقية التي تجلت من خلال النماذج المختارة نجد: "العصا السحرية" في حكاية "شمسة وغلالم الليل"⁽²⁾ التي وهبها لهما الشيخ لتتحول فيما بعد إلى قصر رائع الجمال، "الوادي السحري" الذي يتحول الشارب منه إلى حيوان مثلما حدث للأخ في حكاية "بقرة اليتامى"⁽³⁾ وحكاية "لونجا (دلالة)"⁽⁴⁾ حين تحول إلى غزال، وفي حكاية "ودعة"⁽⁵⁾ حينما انقلبت ضدها الخادمة وزوجها وقاما بغطس الخادمة في العين الحرة لتصبح سيدة والفتاة ودعة في العين البرهوشة لتصبح خادمة، وكذا "النسيم العليل" الذي حمل الفتاة أفيونغ بإشارة من العجوز الساحرة فساعد البطلة للعودة إلى الديار.⁽⁶⁾

إضافة إلى "التعويذة السحرية" التي كانت تخلص البطل كويسى في كل مرة من الأميرة الزنديل أثناء الصراع الذي دار بينهما.⁽⁷⁾

و"العقار السحري" الذي حول الزوج إلى عطاءة لمعرفة من يقوم بالرقص على قبر زوجته.⁽⁸⁾

¹ أماني العشماوي، حكايات شعبية من مصر، ص 16.

² مريم برياش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، دراسة ميدانية، ص 154-160.

³ عائشة بنت المعمورة، رابع خدوسي، بقرة اليتامى - وقصص أخرى - حكايات جزائرية شعبية من التراث الشعبي، ص 12-30.

⁴ عبد الحميد بورايو، دور المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية، دراسة، ص 48-51.

⁵ بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشنة السبعة"، ص 89.

⁶ ينظر، إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 51-54.

⁷ ينظر، دبليو اتش باركر ويسييليا سينكلير، أنانسي والرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخ، ص 111-116.

⁸ ينظر، عبد الرحمان عبد الرحمان الحميسي، الخرافة والحكايات الشعبية الإفريقية، ص 103.

و"البقرة السحرية" في حكاية "الزوجات الثلاثة"⁽¹⁾ التي أعادت الحياة للزوجين المتوفيين. ومن الأدوات كذلك "الأغنية السحرية" التي فتحت الباب السحري لايجاد شجرة الشعر التي كان "ميوما" يبحث عنها أياما وليال من أجل أن تستعيد ابنة الملك شعرها.⁽²⁾ وفي ختام هذا العنصر نستطيع القول أن الحكاية الشعبية «تجسد الصراع الأبدي بين الخير والشر وتعين المتلقي على التمييز بينهما بدقة، وذلك عن طريق التركيز على مرحلة الجزاء، وهكذا فإن عمل الشر يؤدي إلى أسوأ العواقب»⁽³⁾ والخير ينصف المظلوم وينصره في النهاية، لأن الحكاية الشعبية بشكل عام لا تقبل أن يظل المعتدي بدون عقاب.

جسدت الحكاية الشعبية الطرق التي حاولت فيها المجتمعات إسكات وإخضاع المرأة بجعلها كائنا سلبيا، فمعظم الحكايات الشعبية الإفريقية تعزز فكرة أن المرأة يجب أن تكون زوجة وأما خاضعة ومضحية بالنفس، والمرأة الصالحة في القصص الشعبية هي المرأة الصامتة، السلبية دون أي طموح يذكر، وهي جميلة وتوافق للزواج، وهو لسان حال القبائل الإفريقية فههدف الفتيات في بعض أدغال إفريقيا هو الزواج منذ صغر سنهن.

التقينا في الحكايات الشعبية الإفريقية بمجموعة متنوعة من الشخصيات النسائية، فهناك الشخصية الشجاعة والبارعة مثل: (الأميرة الزنديل، العجوز التي قتلت الملك، لونجة، مرجانة، عيشة...). والشخصية الداهية الماكرة مثل: (ستوت، زوجات الآباء، الحماوات الساحرات...). والشخصيات الطيبة التي تمثل الخير والطباع الهادئة مثل: (الربيبة، أديها، شمسة غلالة، الغنجة، إديت أكيم...). والشخصية التي تمثل الضحية مثل: فانجي رو، والشخصية المتكبرة والمتعجرفة مثل: أفيونغ... وغيرها من الشخصيات.

¹ روجر أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، ص 262.

² ينظر، المصدر نفسه، ص 131.

³ محمد فخر الدين، الحكاية الشعبية المغربية، بنيات السرد والمتخيل، دار نشر المعرفة، دط، ص 29.

سادسا: المرأة في الأساطير من خلال الحكايات الشعبية الإفريقية

1- مفهوم الأسطورة:

175

يعرف فراس السواح الأسطورة بأنها: نص أدبي وضع في أبهى حلة فنية ممكنة وأقوى صنعة مؤثرة في النفوس، وهذا مما زاد في سطوتها وتأثيرها، وكان على الأدب والشعر أن ينتظرا فترة طويلة قبل أن ينفصلا عن الأسطورة.⁽²⁾

لكن السواح قد فرق بين هذه النصوص الشعبية بقوله: «ممتزج تعبير الأسطورة في أذهان الكثيرين بتعبير (الخرافة) و(الحكاية الشعبية) رغم البعد الشاسع بين هذه النتاجات الفكرية الثلاثة، فالخرافة حكاية بطولية ملاءم بالمبالغات والخوارق إلا أن أبطالها الرسميين هم من البشر أو الجن، ولا دور للآلهة فيها... بينما يثبت لنا القرآن الكريم علاقة كلمة (أسطورة) في اللغة العربية بالتصورات الدينية

←Ⓢ②🔍↻🕒🖼️🌀📁📖

☎️✂️✅📁➦🗑️🧹💠♦️📁🌀والاتحادية

“🔍💧♦️◻️ 🧸🖼️🐉♦️🏢📱😬♦️👉↓📄🧹✂️ 🧘◻️✓🔍🗑️📁📁👉🌸🧹✂️

♣️🗑️0🔍🕒📁📖♦️📁🔄📁♦️②↓🕒←📖 🔍○🗑️0■❓♦️🔍 📄7■🗑️↑↓😊→🗑️

سورة الفرقان - الآية 5.

² فراس السواح، مغامرة العقل الأول، دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين، دار علاء الدين، ط11، دمشق 1996 ص 20.

³ سعد رفعت، الموسوعة العالمية للأساطير الشعبية، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1422هـ/2011م، ص6.

في هذه الآية إشارة إلى قول أعداء النبي (صلى الله عليه وسلم) أن ما يأتي به محمد في القرآن هو أساطير الأقوام السابقة تملى عليه وهو بدوره يستكتبها، أما الحكاية الشعبية فإنها كالخرافة لا تحمل طابع القداسة ولا يلعب الآلهة أدواراً، كما أنها لا تتطرق كما هو شأن الأسطورة إلى موضوعات الحياة الكبرى، وقضايا الإنسان المصيرية، بل تقف عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية، وذلك كمكر النساء ومكائد زوجات الرجل الواحد، وقسوة زوجة الأب على الطفلة المسكينة التي تدخل العناية الإلهية لإنقاذها، وما إلى ذلك من موضوعات، هذا وقد تتداخل الحدود بين الخرافة والحكاية الشعبية أما الأسطورة فتبقى نسيجاً متميزاً ورغم أن كلا من الخرافة والحكاية الشعبية والحكم والأمثال الشعبية قد تلعب دوراً ثقافياً شبيهاً بدور الأسطورة إلا أنها لا تمتلك قوة التأكيد الذاتي التي تمتلكها الأسطورة والنابعة من قداساتها وطابعها الإعتقادي والإيماني ومنشأها وقالبها الفني ونبالتها.⁽¹⁾

تهدف الأساطير إلى تفسير ما في الطبيعة كنشوء الكون أو أصل الرعد أو الزلزال أو العاصفة أو الشجرة أو الورد، ومن هذا التفسير العلمي الأولي البدائي للعالم المحيط دفعت الإنسان حاجته إلى السيطرة على بيئته ووجوده إلى إقامة عبادات أساسية غالباً ما تكون بمساعدة الشامانات والكهنة أو المطبيين وبرضا ذوي التأثير الكبير في حياته أو في محيطه، وتقوم أساطير أخرى بتفسير التقاليد والعادات الاجتماعية والممارسات الدينية وأسرار الحياة والموت، فالخيال والخرافة والزخرفة اختلطت بالملاحظة اختلاطاً كبيراً، فبعض الأساطير وضعت للتعليم وبعضها الآخر لم يكن يهدف إلا للمتعة والتفنن في رواية القصص.⁽²⁾

يحتفي دارسو الفولكلور بحكايات الحيوانات والطيور والنباتات والزواحف احتفاءً خاصاً، هذا على الرغم من إيجازها الشديد، بل واقعيتهما الشارحة المحددة، وهناك من يرى أن حكايات الحيوان هي بداية الأساطير وأنها أكثر قدماً وبدائية منها، إذ أنها كانت وعاء لشرح وتقديم الأفكار والمعتقدات أي أن أكثر هذه المعتقدات كان يتجسد في شكل حيوانات وطيور، فالإله زيوس كان نسراً، والإلهة أثينا

¹ فراس السواح، مغامرة العقل الأول، دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين، ص 21.

² ماكس شايبرو، رودا هندريكس، معجم الأساطير، تر: حنا عبود، دار علاء الدين، ط3، دمشق - سوريا، 2008، ص 7.

كانت بومة، وهيرا كانت بقرة، والإله النوردي ثور كان طائر جنة صغيرا، والإله تيركان ذئبا مثله في هذا الإله الروماني مارس وضربيه السليبي ديباتر، كما أن هناك شبه إجماع من جانب دارسي الفولكلور على أن قصص الحيوان الشارحة هي المصدر الأم أو الأصل التي منها انحدرت الخرافات، وقصص الحيوان الشارحة هي تلك القصص التي فسر بمقتضاها الأقدمون الفرق بين حيوان وآخر، بين طبيعة ولون وخصائص الذئب عن الحمل، ولون الحمامة الأبيض المخالف للون الغراب الأسود... وفي واحدة من الحكايات السودانية -التي موطنها النيل الأبيض- تكشف لنا الحكاية كيف أن الدينكا لا يضربون الكلاب اعتقادا منهم في أن الكلب هو أول من جاء بالنار لقبيلة الدينكا، فلقد عاش الدينكا حقبة طويلة لا يعرفون النار، وكان الرجل منهم إذا صاد سمكة قطعها قطعاً ووضعها في ماعون وتركه تحت وهج الشمس.⁽¹⁾

2- الميثولوجية:

أما الميثولوجية (Mythology) التي اصطلح على ترجمتها إلى «علم الأساطير» فمصطلح معرب عن اليونانية، ويطلق على العلم الذي يعنى بدراسة منشأ الأسطورة وتطورها، وبدراسة أساطير الشعوب والعلاقات المتبادلة بين هذه الأساطير، كما يطلق المصطلح على مجموعة الأساطير التي تختص بالتراث الديني فقط.⁽²⁾

كانت الميثولوجيا تسمى "الفلسفة المعمرة" لأنها أرشدت المجتمعات إلى الأساطير والطقوس والتنظيم الاجتماعي قبل مجيء حداثتنا العلمية، وما تزال تأثيراتها منتشرة في العديد من المجتمعات التقليدية المعاصرة، بحسب الفلسفة المعمرة فإن هناك عالم ألوهة مواز ومماثل لكل ما يحصل في عالمنا وما نسمعه ونراه فيه، لكنه أكثر غنى وقوة وديمومة من عالمنا.⁽³⁾

¹ شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشعبية العربية، مؤسسة هنداوي سي آي سي، مصر، 2017، ص 105-106.

² سعد رفعت، الموسوعة العالمية للأساطير الشعبية، ص 6.

³ المرجع نفسه، ص 10.

لكل ثقافة أساطيرها الخاصة والتي تم صياغتها لمساعدة الناس على فهم الظواهر التي تؤثر على حياتهم اليومية على المستوى العالمي، وهناك موضوعات ورموز مشتهرة من بين جملة الأساطير المختلفة «فلو عدنا إلى خصائص الأسطورة عامة لأمكننا القول أنها تتألف من رواية أفعال قامت بها كائنات عليا، نجم عن هذه الرواية قصة حقيقية مقدسة كونها ترتبط بحقائق قامت بها كائنات عليا مقدسة وهي تتعلق - كما هو متعارف عليه بالخلق - خلق الكون والإنسان والكائنات الأخرى... وأصل الأشياء ومنشؤها، والطقوس التي بالإمكان أداؤها من أجل الوصول إلى مبتغى معين»⁽¹⁾

هذه الميزات والخصائص متواجدة في معظم أساطير الشعوب المختلفة كالبابلية والإغريقية والمصرية... فلا تكاد تخلو منها، ولكن لو عرجنا على الأسطورة الإفريقية وتلمسناها بتمعن لتبين لنا أمر في غاية الأهمية يثير فضولنا، فهي تنفرد بميزة خاصة بها تتمثل في السحر الذي لا مثيل له، والذي شاع وتجدد في المجتمع الإفريقي البدائي وتغلغل بكل قوة في تفاصيل الحياة والممات.⁽²⁾ حتى أن القرآن الكريم ذكر قصة النبي موسى وسحرة فرعون في مصر فكان يتحدى معجزات موسى بالسحر حتى غلب السحرة وألقوا ساجدين لرب موسى في الأخير، لهذا نرى أن المصريين برعوا في السحر منذ القديم «حتى صار علما يتقنه العلماء ويتفننون فيه وأصبح لهؤلاء السحرة النفوذ الأكبر والمقام الأسمى أمام الفراعنة، يدعونهم لتأويل أحلامهم والانتصار بهم على أعدائهم بخارق ما يقدمون من معجزات»⁽³⁾

فالأساطير الإفريقية تعمل كجزء هام من الحياة اليومية، فتتعامل بعضها مع موضوعات عالمية مثل أصل العالم ومصير الفرد بعد الموت، ينبع بعضها من بيئات القارة التاريخية فتعكس أساطير الشعوب الإفريقية طريقة حياتهم ووجهات نظرهم الكونية.

إن السحر الكامن في الأساطير الإفريقية هو انعكاس طبيعي للسحر في إفريقيا الذي يتصف بطابع خاص وقد عرف بنوعيه (السحر والشعوذة) فالسحر هو عمل التعويذات لمساعدة الإنسان في

¹ ينظر، مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، سوريا، 1991، ص 21.

² وردة لواتي، الأسطورة الإفريقية، مجلة إشكالات، ع7، المركز الجامعي - تامنغست - الجزائر، ماي 2015، ص 242.

³ سليمان مظهر، أساطير من الشرق، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1420هـ/2000م، ص 35.

مروره بضائقة ما منها عدم الإنجاب والمرض وعدم التوافق الأسري، أو لنيل شيء عزيز المنال، أو عودة الغائب، أو حفظ المولود، أو سعة الرزق، وغير ذلك من أمور لا تضر بأحد، في حين أن الشعوذة تختلف عنه في كونها طقوس شيطانية الغرض منها إيقاع الأذى بالآخرين بدافع الحقد والحسد أو الكراهية والغبن، أو محاولة تغيير قدر إلهي، ومن هنا يتبين للوهلة الأولى أن الإنسان الإفريقي البدائي يميز بين نوعين من السحر (السحر النافع والسحر الضار) وقد ربط بين هذا الأخير وبين المرأة، حيث وصمها بالشعوذة والأذى كونها الوحيدة -حسب اعتقاده- التي تلجأ لمثل هذه الممارسات المشينة التي ينبذها المجتمع، ويرى فيها عيبا وعارا يلحق بممارسته ويتضح ذلك من خلال الأساطير التي توثق هذا الرأي، حيث لا نكاد نلمس أسطورة واحدة تلحق الشعوذة بالرجل.⁽¹⁾

من الأساطير الإفريقية التي مجدت المرأة وأعلت مكانتها على سبيل المثال لا الحصر «أسطورة جبال كيرنياغا في كينيا والتي عرفت بعد دخول الأوروبيين إليها بجبال كليمنجارو، فهي أسطورة عند قبائل كيكويو تروي كيف كانت مسيرة السلف منذ الخلق الأول الذي بدأ بثلاثة رجال وهم كامبا، وماساي، وكيكويو حتى صاروا قبائل وعشائر وبطون، ومنهم قبيلة كيكويو التي كانت فيها المرأة تحظى بمكانة مرموقة، مما أدى إلى ظهور المجتمع الأمومي في بداية عهد المجتمعات الإفريقية»⁽²⁾

كما تمتلئ الميثولوجيا الإفريقية بالحيوانات التي لعبت دورا بارزا في الأساطير بسبب عيش الشعوب الإفريقية على مقربة من الحيوانات البرية التي تشتهر على أراضيها، ففي الكثير من الأساطير الإفريقية ينسب الناس مشاعر ورغبات الإنسان إلى الحيوان ويستمدون السلوك الأخلاقي من تصرفات الحيوانات، ومن الحيوانات الشعبية تضم الثعبان، والعنكبوت والحرباء والظباء، والأبقار... وغالبا ما يكون الثعبان والثور مؤلهين أو ينسبان إلى قوى إلهية في الأساطير الإفريقية، فالمصريون الأوائل عبدوا آلهة محلية أكثر شبها بالحيوان من الإنسان، وفي عملية التجسيم التي عملت عملها عبر القرون صار بعض الآلهة أشبه بالإنسان أكثر من غيرها، إلا أن القليل منها كانت ذات رؤوس بشرية، كآلهة ممفيس وطيبة وبوسيريس

¹ ورده لواتي، الأسطورة الإفريقية، 242.

² المرجع نفسه، ص 246-247.

وهيليبوليس... وظهرت المعابد والكهانة الكبيرة لإقامة الشعائر المستوجبة والتقدمات، فتطورت الأضاحي، ومع الزمن صارت الأرباب المحلية آلهة قومية متخذة سمات وأسماء جديدة.⁽¹⁾

من الأساطير الإفريقية التي ظلت راسخة في بعض القبائل ما تذكره أسطورة "الأمازونات" والتي تناولتها الأساطير الإغريقية «وتذكر المصادر القديمة أن إسم الأمازونات ينقسم إلى مقطعين الأول يبدأ بحرف (A) والثاني مازون (Mazon)، والذي يعني "منزوعة الثدي" وهذا هو السبب الذي درج فيه الإغريق على تسميتهن الأمازونات، ذلك أن الأمازونات إذا ما حدث أن أنجبن أنثى فإن ثدييها يتم كيها حتى لا ينموان عندما تصل إلى سن البلوغ حتى تستطعن رمي القوس بكل سهولة»⁽²⁾

يصف لسنوفون (Xenophon) الكاتب التاريخي والفيلسوف الأثيني حوالي (143-354 ق م) في إحدى كتاباته عن إدارته الشؤون المنزلية، العادات التي تتبعها الأمازونات فيقول: "يذكر أنه توجد في الأطراف الغربية من ليبيا على تخوم العالم المعروف، أمة أو شعب تحكمه النساء اللاتي يتبعن أسلوب حياة مختلف عن نمط حياتنا، وكان من عادة تنيك النساء أن يشاركن في الحرب ويلزمن بالتطوع في الخدمة العسكرية، وأثناء هذه الفترة يحتفظن بعذريتهن، وبعد سنوات الخدمة يدنين من الرجال لإنجاب الأطفال، وكانت كل شؤون الدولة تديرها النساء..."⁽³⁾

يضيف الباحث فوزي عبد الله الكيلاني أن «هذا يشير إلى أن مجتمع الأمازونات كان معروفا لدى الإغريق منذ زمن بعيد في الأطراف الغربية من ليبيا قديما (إفريقيا) ويشير الشاعر "أبولونيو روديوس" أيضا إلى إحدى القبائل التشادية باعتبارها من مجتمع الأمازونات، ويذكر هيروودوتس أنه من نهر تربتون زمنه باتجاه الغرب تكون أرض الفلاحين ذات الطبيعة الوعرة والتي يوجد بها النساء المتوحشات، كما أن العادات التي كانت تمارسها الأمازونات هي عادات تذكر بما يرويه هيروودوتس من أن إحدى العادات الطقسية لقبيلتي الأوسيس والماخليس الليبية هي أن تنقسم فتياهم خلال حفل سنوي يقام لأثينا إلى

¹ ماكس شابيرو، رودا هندريكس، معجم الأساطير، تر: حنا عبود، ص 10.

² فوزي عبد الله الكيلاني، ليبيا القديمة (إفريقيا) في الأساطير الإغريقية، رسالة ماجستير، كلية الآداب - قسم التاريخ - جامعة بنغازي، 2011/12/1، ص 118.

³ فوزي عبد الله الكيلاني، ليبيا القديمة (إفريقيا) في الأساطير الإغريقية، ص 120.

مجموعتين تحارب إحداهما الأخرى بالحجارة والمراوات وهم يعدون الفتيات اللاتي يمتن نتيجة للجروح غير عذاري، وقبل أن يسمح لهن بالقتال يقومون بتزيين إحدى العذاري ويلبسونها خوذة كورنثية وعدة سلاح إغريقية متكاملة، ويركبونها عربة ويتجولن بها حول بحيرة تريتونيس، ويضيف هيرودوتس أيضا أن نساءهم تكن مشتركة بينهم ولا يتزوجون بل يعيشون كالحیوانات وعندما يكبر الطفل لأي امرأة فإن الرجال يجتمعون في الشهر الثالث في مكان ما وإذا تشابه الطفل أحدا من الرجال فإنه يعد ابنا له.⁽¹⁾ شهدت الأساطير الإفريقية تغييرا في تركيبها ذلك أنها لم تسجل كلها وبقيت مجرد مرويات شفوية قابلة للتحريف، إضافة على بعض المنقوشات التي تخلفت بعد الغزو الأوروبي والبعثات التبشيرية التي أظهرت فيها مهاراتها الكتابية على غرار «الأدب الضخم لليونان والرومان والإيدتين السكندنافيتين: الكبرى والصغرى مستودعا لميثولوجيات تلك الثقافات المدونة دون تزييف»⁽²⁾

استخلصنا من خلال متابعتنا للدراسة واستخلاص جوهرها أن الباحث لم يركن إلى منطقة معينة من قارة إفريقيا ينسب إليها أسطورة الأمازونات وموقعهم حسب المؤرخين والجغرافيين في الأساطير الإغريقية، لهذا فقد أشار في نهاية البحث أنه: «من خلال الأدلة التي يوردها هيرودوتس وغيره من المؤرخين والجغرافيين يتبين أن اسم ليبيا جغرافيا كان يطلق على قارة إفريقيا بأكملها»⁽³⁾

ومن الأساطير الإفريقية أيضا أسطورة (سيرين أو قورينا): وهو اسم ليبي (أمازيغي) مشتق منه اسم المدينة التاريخية قورينا والتي سكنها الإغريق، اسم قورينا يرتبط بسيرين وهو اسم امرأة كانت قوية شجاعة رآها الإله أبولو وهي تقتل أسدا بيديها في عمل بطولي أبهره فأراد الزواج منها.⁽⁴⁾

3- المرأة في الأساطير من خلال الحكايات الشعبية الإفريقية:

¹ فوزي عبد الله الكيلاني، ليبيا القديمة (إفريقيا) في الأساطير الإغريقية، ص 120-121.

² ماكس شابيرو، رودا هندريكس، معجم الأساطير، تر: حنا عبود، ص 8.

³ فوزي عبد الله الكيلاني، ليبيا القديمة (إفريقيا) في الأساطير الإغريقية، ص 186.

⁴ ينظر، روعة قاسم، شحات الليبية أو قورينا الإغريقية: حورية أبولو في الجبل الأخضر، القدس العربي، 2018/03/10،

<https://www.alquds.co.uk/> (23:05-2022/08/29)

تحتوي الحكايات الشعبية الإفريقية في مجملها على أساطير تدوب وتمتزج مع أحداثها فتصبح من صميم تركيبها، فلا يستطيع أيا كان التمييز بينهما، ذلك أن الحكاية الشعبية ربما تكون وليدة الأسطورة، فمعظم النصوص الحكائية مستقاة من وقائع أسطورية، فكلاهما يعتمد الخيال للتعبير ويكمن الاختلاف في تدخل الآلهة في الأساطير لمساعدة الشخصيات أو لإلحاق الضرر بها ومن الشخصيات التي تبلور حضورها جليا ولا يكاد يخلو نص شعبي سواء حكاية أم خرافي أم أسطوري منها ألا وهي المرأة، فكما سبق الحديث عنها فهي ذلك الكائن الذي كان سبب الوجود أنيس الرجل، ففي الحكايات الشعبية لا يقدر الرجل على الحياة دون المرأة، وكذلك الشأن في الأسطورة فحتى الآلهة لا تقوى على العيش دون إلهة أنثى، وهو ما اصطلح عليه بالثنائية، فتجسد الوجود والحب/الأمومة، والبعث/الموت، ومصدرا للخوف/الأمان، وكذا العذاب، الخصب/النماء... وغيرها من الأوصاف التي تليق بجنس الأنثى.

يعود حضور الأنثى في الأساطير منذ الخلق والنشأة الأولى مع سيدنا آدم عليه السلام «ويرى البعض أن الله خلق الرجل والمرأة على صورته في اليوم السادس، ووهبهما صيانة كل العالم، إلا أن حواء لم تكن قد وجدت بعد، وطلب الله من آدم أن يسمي كل حيوان وطائر وكل الأشياء الحية، وعندما مروا من أمامه في ازدواج الذكر والأنثى، بدأ آدم على الفور كرجل في العشرين مختالا من حبه لهم، واختبر نفسه مع كل أنثى على التوالي لكن دون أن يكتفي، ولهذا صرخ شاكيا: لكل مخلوق قرينه إلاي، وتوسل إلى الله أن ينقذه من هذا الإجحاف، فشكل له الله "ليليث" أول امرأة على شاكلة آدم، إلا أن الله استعمل القاذورات والأوساخ والرواسب الطفيلية في صنعها بدلا من طين العمق، وباتحاد آدم بهذه الشيطانة، ومع أخرى على شاكلتها تدعى "نعمة" أخت قابيل (قايين) التي نثرت ما لا يعد ولا يحصى من الشياطين التي لا زالت آفة ووباء الجنس البشري»⁽¹⁾

وقد هجرت ليليث آدم وذهبت للبحر الأحمر واستقرت هناك حيث تنتشر الشهوات الشيطانية حيث يعتقد أنها متربعة كأميرة سمرقند، كما اعتقدوا أنها ملكة سبأ وأنها كانت الشيطانة التي حطمت أولاد يعقوب، وهي التي جاءت بالموت إلى العالم من قبل السقوط، فهي تقوم بمعية أختها نعمة بخنق

¹ شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشعبية العربية، ص 77.

الأطفال حديثي الولادة وإغواء الرجال النائمين، وخاصة العازبين منهم، وهو المعتقد الذي لا يزال ساريا إلى أيامنا، وتكشف عنه الحكايات الخرافية المصرية والعربية بكثرة واضحة وتسمى "النداهة" في الخوارق المصرية.⁽¹⁾

وفي القرن الرابع عشر وحد هورنيموس بين الليليث واللاميا اليونانية، واللاميا أميرة ليبية هجرت من زيوس بعد أن سرقت من زوجته هيرا أولادها، فواصلت انتقامها بأن راحت تسرق زوجات الآخرين من ذويهم، وهكذا تمثلت في اللاميا التي تغوي الرجال النائمين وتمتص دماءهم وتلتهم لحمهم، مثلما تفعل الليليث وتابعاتها من العفاريت، ووجد في الرسوم الحائطية (رليف) الهلينية اللاميا تفترس أحد المسافرين وهو مضطجع على ظهره.⁽²⁾

من الأساطير التي تجسدت في الحكايات الشعبية الإفريقية أسطورة البعث التي بطلها "سيزيف" الذي عاد من العالم السفلي لأجل اختبار حب زوجته حين «طلب منها أن تلقي بجثته غير المدفونة وسط الساحة العامة»⁽³⁾ وقد تجلت بالضبط في حكاية "الابنة العاصية التي تزوجت هيكلًا عظيمًا"⁽⁴⁾ فكل من سيزيف والهيكول العظمي عادا من العالم السفلي (عالم الأموات) من أجل المرأة ولكن لكل منهما هدفه المنشود، فسيزيف عاد من أجل معاقبة المرأة (زوجته) والهيكول العظمي عاد من أجل حب المرأة التي سمع عنها كثيرا فقرر الزواج منها وأخذها معه، وفي حكاية الفتاة السمينة كذلك إحياء لذات الأسطورة حينما عادت للحياة بفضل أختها.

تجلي أسطورة "دوموزي وإنانا" التي عادت من العالم السفلي حين أوقفته الآلهة (الآنونا) وهي في طريق الخروج، فتصف عذابات دوموزي وموته، يقول عنها فراس السواح في كتابه "الأسطورة والمعنى" تحت عنوان "أكثر البكاء حرارة" «يصل دوموزي إلى ضفة نهر الفرات فيخلع ثيابه ويسبح إلى الضفة

¹ ينظر، شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشعبية العربية، ص 78.

² شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشعبية العربية، ص 81.

³ ألبير كامو، أسطورة سيزيف، تر: أتين زكي حسين، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، دت، ص 139.

⁴ إلفنستون داريل: الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 51-54.

الأخرى، حيث يكون في انتظاره أمه وزوجته، ولكن التيار كان أقوى منه وأن قوى العالم الأسفل قد سخرت مياه النهر لاقتناص الإله الهارب من قدره: (1)

عند شجرة التفاح المنتصبه التي تنمو على الراية

عند شجرة التفاح في صحراء إيموش

الماء الدافق الذي يحطم القوارب

حمل الفتى إلى العالم الأسفل

الماء الدافق الذي يحطم القوارب

حمل زوج إنانا إلى العالم الأسفل

الماء الدافق الذي يحطم القوارب

حمل الفتى إلى العالم الأسفل

هناك يأكل طعاما ليس بالطعام

ويشرب شرابا ليس بالشراب

هناك مرابط الماشية ليست مرابط

وهناك سقوف للزرائب ليست سقوفا

هناك تحف به العفاريت بدلا من الصحب والخلان

تماما كما حصل مع البنت "إيمي" فقد قُدم القربان مقابل تحريرها من عالم الجن والفتاة "أفيونغ"

حين أخذها الجني إلى العالم السفلي ولم تعد منه إلا بعد تقديم القربان.

استوحت حكاية الفاتنة التي قتلت الملك أسطورة (العرش المقدس) التي استخدم فيها السحر

للقضاء على الملك حيث «تروي حكاية الملك الذي فُهر من طرف ملك آخر لكن بفضل ممارسات

¹ فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ط2، دمشق، 2001، ص 167-168.

الساحر»⁽¹⁾ وهو الأمر الذي حصل مع ملك "كالابار" الذي هزم من طرف نده شعب "إيتو" عن طريق قوى السحر التي قامت بها عجوز ساحرة حولت نفسها إلى فتاة فاتنة استطاعت النيل منه.

أما مسألة القربان، فإنها تعود إلى الأساطير القديمة حيث يرى الباحثون أنها تبلورت من رأيين، يشير إليهما سيد القمني في كتابه الأسطورة والتراث؛ أن القربان في بدايته تمثل في تقديم الثمار للآلهة، ثم ارتأى الإنسان -إمعانا في تملق الآلهة- أن يذبح لها من ماشيته باعتبار اللحم أعلى مرتبة من النبات، وزيادة في المغالاة، تحول الإنسان نحو الدماء البشرية بشكل جزئي، حيث كان يسيل بعض دماءه - بجروح مقصودة- على مذابح الآلهة تقربا وفداء لنفسه وأولاده وممتلكاته، ثم تحول الأمر إلى ما يشبه النذر، فكان يذبح واحدا من أبنائه لآلهته إن هي استجابت لرجائه في أمر يرجوه أو دفعا لشر محتمل الحدوث، والرأي الآخر الذي ذكره القمني يعكس الرأي الأول كلية حيث يقول أن البداية كانت بالضحايا البشرية، ومع تطور العقل استبدله بالحيوان إن توفر وفي حال احتياجه له دون الآلهة استعان بالنبات.⁽²⁾

ومن هذين الرأيين نرى أن مسألة القرابين وجدت منذ وجود البشر، وقد تطورت واختلفت بتطور العقل البشري وما يملكه الإنسان من أجل الحصول على فائدة أو بدافع الخوف من تحقق نبؤة معينة أو انتشار نفسه من مأزق حال بينه وبين صفاء حياته، حتى تجسدت في الأساطير وصارت جزءا لا يتجزأ منها، وكذلك التصقت بالحكايات الشعبية الإفريقية، كون القبائل الإفريقية معظمها يقع في عالم منفصل عن التطور البشري الحاصل وعن الدين الإسلامي فإنها لازالت تؤمن بمسألة القرابين والدماء وتقديمها لموجودات طبيعية سواء أشجار مقدسة، أو حيوانات، أو تماثيل...

عرفت المرأة حضورا كبيرا في الأساطير الفرعونية والتي كانت سببا في تحريك أحداثها وانتقالها للحكايات الشعبية ولعل أسطورة "الأخوين" أبرز مثال استقت منه الحكاية الشعبية عنوانها وبعضا من أحداثها، حيث تروي الأسطورة "أن أخوين في عهد الإله "رع حورس" فرقتهما امرأة خائنة (زوجة

¹ وردة لواتي، الأسطورة الإفريقية، ص 246.

² ينظر، سيد القمني، الأسطورة والتراث، مؤسسة هنداوي، دط، المملكة المتحدة، 2017/01/26، ص 86.

أحدهما) فسلك كل منهما طريقه على أن يضع أحدهما علامة يعرف من خلالها أخوه أنه في مأزق وعليه أن يهرب لإنقاذ حياته، والتي جاء نصها كما يلي: «سأضع قلبي على إحدى زهرات الطلح بقوة السحر، فإذا حدث وقطع أعدائي ساق الشجرة فسيقع قلبي على الأرض وعندئذ ستفور الجعة في كأسك وتتعكر، وستحس بمرارة كالنار في حلقك، فإذا أردت أن تنقذني في تلك اللحظة، فألق بالكأس على الأرض وأسرع إلى وادي الطلح باحثاً عن قلبي الذي سيكون قد غاص واختفى... فإذا وجدته فضعه في إناء بارد، وعندئذ تترد إلى جسدي الحياة، وأنهض لأنتقم بنفسي من كل من أراد لي الموت...» تتواصل الأحداث ويقع الأخ ضحية الخيانة مرة أخرى من امرأته التي خانتها وأصبحت ملكة فرعون، فتحاول في كل مرة التخلص منه بعد عودته للحياة على يد أخيه إلى أن قضى عليها بالسيف كما تنبأت ربات الجمال السبع⁽¹⁾ أما في الحكاية الشعبية فقد كانت المرأة - الأم - كذلك هي السبب في تفريق الأخوين بعد أن كانا ينعمان بحياة هائلة تتدخل زوجة الأب لتفريق بين ابنها وأخيه من الأب ليسعى كل منهما في أرض الله شرط أن تبقى الشجرة علامة يعرفان بها أحوال بعضهما، وأنها إذا ما قدر الله وييسر حين ذاك يعرف الأخ أن أخاه بحاجة للمساعدة فيذهب بنفس الطريقة الأسطورية وينقذ أخاه من الموت.⁽²⁾

في حكاية "لولية"⁽³⁾ تصوير لأسطورة "رحلة إلى الآخرة"⁽⁴⁾ التي جسدها (ساتني) ابن الفرعون (أوزيناريس) وزوجته (ماهى) اللذان كانا يرغبان في إنجاب طفل يضيء حياتهما واعتكاف الزوجة على الدعاء والتضرع لأجل أن ترزق ولداً.

تتشابه أسطورة زوجة بايتي (ابنة الإله حورس) التي وقعت خصلة من خصلات شعرها في مغتسل فرعون الذي كان يمتد من جانب الشط حيث جلست المرأة، لم يأب إلا الزواج منها بعدما أثارت

¹ سليمان مظهر، أساطير من الشرق، ص 28.

² شاكر يسري، حكايات من الفولكلور المغربي، ص 351-357.

³ أماني العشماوي، حكايات شعبية من مصر، ص 13-25.

⁴ سليمان مظهر، أساطير من الشرق، ص 35-45.

الرائحة الطيبة القادمة من الخصلة أعصابه، وأمر بإحضار سر هذه الرائحة⁽¹⁾ مع حكاية "لونجا"⁽²⁾ صاحبة الشعر الجميل التي رسمت صورة خالدة عن سر جمال المرأة.

كما تلتقي ذات الحكاية مع أسطورة الغورغونات اللبية مع البطل بيرسيوس في جزئية تخلص ابنة الملك من الوحش الذي قدمت له كقربان، فالأخ الذي شق رحلته مثل بيرسيوس الذي كان يشق طريقه من أجل البحث عن الغورغونات لتقديمها للملك بوليدتكس الذي تولى رعايته بعد رميه وأمه داناي في اليم على يد جده الملك أكريسيوس، حيث قطع وعدا على نفسه بألا يرفض طلبا للملك ولو كان رأس الغرغونة ميدوسا (Medusa)، وقد فعل ذلك بمساعدة أثينا (التي انتقمت من ميدوسا التي أبدت افتخارها بجمالها عليها) وفي رحلته إلى أثينا التي كان يحكمها الملك سيفوس وجد أن ابنته أندروميذا (Andromeda) قد قدمت قربانا لوحش البحر كيتو الذي أرسله بوسيدون، وعندما رآها بيرسيوس وقع في حبها وقام بإنقاذها وقتل الوحش وأعادها إلى بلادها وطلب منها الزواج.⁽³⁾

تطرقنا في فصل صورة المرأة في الحكايات الشعبية الإفريقية لحكاية "المزارع مايرو والجنيات" التي كانت المرأة سببا لتعاسة زوجها بفعل غبائها حين رفضت الانصياع لأوامره حين نهاها عن التحدث مع الصوت الذي تسمعه في الحقل، هذه الحكاية مستقاة من أسطورة "مزرعة الشيطان" التي كانت المرأة كذلك هي سبب غضب زوجها حتى أنها كانت السبب في اوشاكه على فقدان حياته بسبب الشيطان الصغير الذي كان يسكن المكان وأصدقائه، حين ساعدوه على حرث الأرض وزراعتها ولما جاءت الزوجة لحراستها من الطيور قاموا بمساعدتها على إبعادها وتقليدها في كل أمر حتى أنها همت بنزع عود من الذرة فكانت الكارثة، حيث قاموا باقتلاعها عن آخرها قبل نضوجها، مما أدى إلى غضب الزوج ومعاقبة زوجته، لكنه بعدما عرف أنها ليست من قام بالفعل ندم وأخذ يضرب رأسه فلما رآته تلك المخلوقات الصغيرة أرادت تقليده وبصعوبة تخلص منها بعد أن كادت تحطم رأسه.⁽⁴⁾

¹ ينظر، سليمان مظهر، أساطير من الشرق، ص 29.

² عبد الحميد بورايو، دور المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية، ص 48-51.

³ ينظر، وردة لواتي، الأسطورة الإفريقية، ص 97.

⁴ ينظر، سليمان مظهر، أساطير من الشرق، ص 56.

في حكاية "الابنة العاصية التي تزوجت هيكلًا عظيمًا"⁽¹⁾ إسقاطات للأسطورة الإفريقية "الفرس العجوز"⁽²⁾ التي تروى عن ابنة الملك الأميرة (فتيما) التي كانت شديدة الجمال ولما سمع عنها ملك الثعابين قرر إلا أن يذهب ويتزوجها متنكرا في هيئة أمير وسيم وأنيق بفعل السحر الذي منحه إياه الإله (ويندي) تماما كما تخفى الهيكل العظيم في صورة شاب وسيم وقوي، وبالفعل فالأميرة أعجبت كثيرا بالأمير الشاب ولم تعارض طلبه للزواج منها، رغم رفض الأم وخوفها على ابنتها وهي نفس الصورة التي صورتها الحكاية الشعبية، فالأم كذلك لم تشأ تزويج ابنتها أفيونغ للشباب الغريب.

تُظهر الأسطورة كذلك صورة المرأة المساعدة والمتمثلة في الفرس العجوز التي استبدلتها الحكاية الشعبية بالمرأة العجوز الطيبة والددة الشاب المتنكر، فكان لهما نفس الدور في تقديم المساعدة للعودة إلى الأهل هروبا من العوالم المتوحشة التي وصلت إليها الفتاتين؛ الغابة وبعدها المملكة التي تقتل فيها النساء ولا تبقى سوى هياكلها في الأسطورة، وعالم الأموات حيث تعيش الهياكل العظمية ويقتل كل إنسي يصل إليها في الحكاية الشعبية كإشارة إلى ذات الأسطورة.

وما يؤكد على حضور هذه الأسطورة الرحلة التي ذهبت فيها الفتاة أفيونغ إلى العالم السفلي، والفتاة (فتيما) إلى السماء، أما الأداة التي ساعدت كل من بطلة الأسطورة والحكاية الشعبية فهي النسيم العليل الذي حمل (أفيونغ) لمنزلها والهواء الذي رفع الفرس العجوز وعلى ظهرها (فتيما) في رحلة العودة للديار.

تصور حكاية "الفتاة التي قدمها أهلها قربانا"⁽³⁾ أسطورة "تلاغنجا" وهي نوع من الطقوس المعروفة في شمال إفريقيا منذ القدم، ويمارس عادة عند شح المياه وجفاف الأرض، وتختلف ممارساته من منطقة لأخرى، إلا أن الاختلاف لم يكن كبيرا، فقد ظلت تلك الطقوس المتعلقة به محافظة على هيكلها العام، فالشخصية الرئيسية استبدلت بعدما كانت فتاة عارية حافية أصبحت ملققة خشبية تعرف بيوغنجة

¹ إلفنستون داريل: الصيد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 51-54.

² سليمان مظهر، أساطير من الشرق، ص 73-86.

³ عبد الرحمان عبد الرحمان الحميسي، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ص 174.

وهي كلمة أمازيغية أصلها aghnja (اغنج) التي تعني المغرفة (الملقعة) ويسمى المرق بـ arwa أي ارتوت الأرض بدل dzwa وهو أمل، لتحسين الوضعية الزراعية والاقتصادية وتحقيق لمزيد من الاستقرار والعيش الكريمين بمعنى أن الكلمة تحمل دلالة السقي والخير وهذه هي وظيفة الطقس، فالتسمية إذن أخذت من الوظيفة وبالعودة إلى لسان العرب نجد: «غنج؛ امرأة غَنجة: حسنة الدل، وغنجها وغناجها، شكلها الأخيرة من كراع، وهو الغنج... وقيل الغنج ملاحاة العينين...» كما تعني المرأة العفيفة الزاهدة⁽¹⁾ وهو الوصف الذي وصفت به في الحكاية الشعبية المتوارثة في المناطق الأمازيغية شمال إفريقيا وتعود الأسطورة إلى أن تلك البنت العفيفة أحبها إله المطر (أنزار) وفتن بجمالها وروحها التي كانت قريبة إلى الروح الإلهية، وهي القربان الذي يقدم للآلهة كلما حبست السماء دموعها، وتسمى أيضا "تيسليت أنزار" أي عروس المطر أو "طاسيليا" وتروي الأسطورة تفاصيل الحكاية بين إله المطر "أنزار" والفتاة "تاسيليت" تقول:

كان في زمان لما كانت الأشياء تتكلم

أنزار كان ملك (إله) المطر

يظهر للناس في شكل قوس قزح

غدا إذا بقين قلوبنا صافية سوف نراه في السماء

في يوم من الأيام أنزار شاهد على ضفة النهر

فتات تستحم عارية في ماء النهر

فشغف قلب أنزار بجمالها الخلاب

كلما رآته الفتاة الجميلة تحرب من نظراته

وفي ذات يوم استعمل أنزار الحيلة

فأغلق مخبأها وقال لها

¹ ينظر، أمال ماي، استدعاء طقس الاستسقاء "تلاغنج/ عروس المطر" في ديوان طاسيليا للشاعر "عز الدين ميهوي" مجلة النص، مج 7، ع 1، جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي (الجزائر)، 2021، ص 122.

أيتها الجميلة تعالي معي كي أسعد
فاختلطت الأمور على الفتاة الشابة
فقالت: وماذا سيقول الناس يا أنزار؟
ليست السماء مسكني

واختفى أنزار غاضبا، وفي الغد جفت كل الأنهار
فجاء الناس من كل البلاد يحملون الهدايا
يترجون الفتاة أن ترضى بسيد المياه
يا أنزار يا سيد الماء أعطنا ماء
لكي تعطينا النبات والبراعم فواكهها
في جمال وحلاوة نبت سيدنا

لتنقل بعدها محبوبة أنزار للعيش في كنفه مضحية من أجل أهلها لتعود المياه إلى مجاريها وتعود
معها الحياة.⁽¹⁾ وبهذا يكون للمرأة دور في الأساطير الشعبية والتي تنقل دورها إلى الحكايات الشعبية
لتصل إلينا مشافهة لتخليد الأسطورة الأصلية.

¹ أمال ماي، استدعاء طقس الاستسقاء "تلاغنجا/ عروس المطر" في ديوان طاسيليا للشاعر "عز الدين ميهوي، ص 121.

خاتمة

خاتمة:

لا يسعنا في الأخير إلا أن نردد مع نبيلة إبراهيم قولها: «إن الأدب الشعبي ليس مجرد تعبير يحتفظ به الشعب لنفسه، بل هو صرخة عالية تدعونا إلى أن نستمع إليها، وأن نتفهمها وأن نتعاطف معها، فإذا فعلنا ذلك أمكننا أن ندعي أننا نضع بقدراتنا العلمية شيئا إيجابيا يسهم في الكشف عن نفسية الشعب وما يختلج بها من آلام وآمال»¹ فالبحث في التراث الشعبي شيق وممتع، وكثيرا ما يتسلى الباحث وهو يغوص في مواده ويزداد تشعبا بمعارف جديدة تفتح له آفاقا لبذل كثير من الجهد وتحصيل الإجابات لما يطرحه من إشكالات، والحكاية الشعبية صندوق سحري فيه المعتقد والفكر والفلسفة والتاريخ، وفيه فنية راقية لكشف عادات وتقاليد الفئة التي تعبر عن حالها فهي مصدر ومنبع تراثي، هذا ما جعلنا نسافر معها في أنحاء القارة السمراء مستشفين أجناسها وطريقة تفكيرهم ومقدساتهم واعتقاداتهم من خلال المرأة الإفريقية كون هذه الأخيرة لصيقة بالحكايات الشعبية داخليا وخارجيا، فهي الراوي وكذا والمحرك الرئيس للأحداث، لذا كان لزاما أن نقف ونلخص أبرز ما عرض حولها من قضايا ونتائج خلصنا إليها:

- تمثل الحكاية الشعبية مكونا مركزيا لمخزوننا الذاكراتي والجمعي الثقافي، فهي تسهم في رصد مجموعة من القيم والرؤى التي يتيحها خيال السارد، وينقلها إلى المتلقي بغرض التأثير فيه، وتحقيق المتعة الفنية لديه.
- ميزة الشفوية للحكاية الشعبية هي السر لاستمراريتها
- تعدد أبعاد الحكاية الشعبية من اجتماعية، ودينية ونفسية وتربوية وتاريخية يخلص إلى بوتقة من النصائح والمواظظ والإرشادات جراء تجارب الأسلاف.
- فاعلية الجنس الحكائي الشعبي في بث الوعي واليقظة في المتلقي.
- مضامين الحكاية تنفس عن المتلقي وتمده بالراحة والاطمئنان وقت تسرح بخياله بعيدا عن الواقع وحين تعاقب الشخصيات.

¹ نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 19.

- كان للمرأة حضور قوي في شتى أنواع الموروث الشعبي الإفريقي، فنظمت فيها القصائد، وأنشدت عنها الأغاني الشعبية، واختصرت قصص حياتها الأمثال...
- تعد إفريقيا قارة متنوعة الأعراق والأجناس مما أدى إلى تنوع اللغات والديانات والعادات والتقاليد.
- تعيش بإفريقيا قبائل لا تزال تحتفظ بالبدائية في العادات والتقاليد الغريبة، خصوصا طقوس الزواج والطلاق والتجميل واللباس والرقص والموسيقى، مثل (شق الشفة ومط الأذن وندب الوجه ودهن جسم العروس بزيت كبد الحوت والطين والأعشاب...)
- تشهد مكانة المرأة الإفريقية تباينا كبيرا من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، فنجد المرأة المثقفة التي تصنع مكانتها الراقية بنفسها، والمرأة المستضعفة والمهمشة التابعة للرجل ولا تحظى بالمساواة، كما نجد المرأة المتحررة والتمردة التي ثارت ضد قوانين القبيلة وتعسف وظلم الرجل.
- تمكنت المرأة من اقتحام عالم الولاية رغم ما اعترضها من صعوبات وعراقيل، فبرزت العديد من النسوة اللاتي عرفن بقدراتهن الخارقة، وكرامتهن، فنسجت حولها قصص لازالت الذاكرة الشعبية الشفاهية تحتفظ بالكثير منها.
- تعتبر الحكايات الشعبية الإفريقية لسان حال الشعوب والقبائل الإفريقية بعاداتها وتقاليدها التي تمثل فيها المرأة الحيز الكبير.
- من العبر التي استخلصناها بناء على توظيف آليات المنهج الموضوعاتي، والوقوف على قيمة المرأة من خلال النماذج الحكائية الشعبية الإفريقية نذكرها في النقاط الموالية:
- ✓ أن الراوي في الحكايات الشعبية الإفريقية يعمد إلى ربط الجمال بالأخلاق الفاضلة الطيبة والقبح بالشر، ثم يبين لاحقا أن هذه القاعدة غير ثابتة فالجمال الخارجي ليس دائما معيارا للجمال الداخلي والطيبة، فلا ينقاد الإنسان وراء غريزته وأن يفكر في العواقب.
- ✓ من الصفات التي صورتها المرأة في الحكاية الشعبية الإفريقية: الحب والطاعة والعفة، والمكر والخداع والكيد...

✓ تعد المرأة نموذجاً إنسانياً أكثر من كونها فرداً يطرح همومه الشخصية، فالقضايا التي تطرحها هي قضايا جمعية، مثل قضية الأخت التي تحافظ على شرف العائلة والابنة التي تجعل والديها فخورين بها، والزوجة التي يتقلب مزاجها بين امرأة حنونة وأخرى شريرة خصوصاً إذا مثلت دور زوجة الأب، وقد تفعل أي شيء لتحصل على ما تريد، فهي تكيد وتدبر الخطط للقضاء على أبناء زوجها أو التخلص منهم، وقد تكون الأم المثالية التي يتمناها أي شخص، فهي التي تتغاضى عن الأخطاء التي يرتكبها أبنائها تتميز بالحنان والعطف على عائلتها.

وبذلك اتسمت هذه الحكايات بإعلاء القيم العليا والمثل والأخلاق النبيلة في العلاقات الأسرية، وقد تكون الحبيبة التي يتبارى من أجلها العشاق، أو يخاطر من أجلها البطل لينقذها من القوى الشريرة ويتزوجها، كما تمثل الصديقة المحبة التي تخلص لصديقتها وتتمنى لها الخير وقد تمثل الصديقة الغيرة التي تحون الصداقة فتوقع برفيقتها الأكثر حظاً منها أو التي تفوقها جمالاً وذكاءً.

✓ تمثل المرأة العجوز القلب النابض في الحكايات الشعبية الإفريقية، كونها العقل الكبير والحكمة المنشودة التي يستمع إليها البطل وينفذ وصاهاً لأنه يعتبرها أكثر حكمة وذكاءً من خلال تجربتها الطويلة في الحياة الأمر الذي يجعلها ذات مكر ودهاء كبيرين يمكنها من تحقيق مآربها بكل سهولة

✓ تتقن المرأة في الحكايات الشعبية الإفريقية السحر، فلا نكاد نجد حكاية واحدة تخلو من عنصر السحر الذي يقترن عادة بالمرأة فتعين به أحياناً البطل/البطلة، وأحياناً تستعمله في الإساءة لأحد شخوص الحكاية والذي عادة ما تكون البطلة الطيبة.

✓ تحمل الحكايات الشعبية الإفريقية تهديداً ضمنيًا للظالم الذي سيهزم يوماً ما على يد المظلوم، ويتجسد ذلك في الحكاية الشعبية من خلال انتصار البطل في النهاية على السلطان أو الحاكم، فالسلطان رمز السلطة والقوة الشريرة...

✓ الحكاية الشعبية وليدة الأسطورة تستقي أحداثها من وقائع أسطورية، فلا يستطيع أياً كان التمييز بينهما، وقد كان للمرأة حضور مكثف في الأساطير الإفريقية انعكس دورها في الحكايات الشعبية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

أولاً- قائمة المصادر:

1. أبو الأعلى المودودي، الحجاب، دار الفكر الإسلامي، ط1، دمشق، 1959.
2. أحسن دواس، حكايا سمراء، مختارات من الحكايات الشعبية الإفريقية، جمعية البيت للثقافة والفنون (منشورات البيت) الجزائر، 2009.
3. إلفنستونداريل: الصياد المحظوظ، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2010.
4. أماني العشماوي، حكايات شعبية من مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، الجيزة، 2012.
5. ديليو اتش باركر و سيسيليا سينكلير، أنانسي والرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخة، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010.
6. روجر أبراهامز، حكايات شعبية إفريقية، تر: عامر عزت، المركز القومي للترجمة، ط1، ج1، ع1568، القاهرة 2010.
7. شاكور يسري، حكايات من الفولكلور المغربي، دار النشر المغربية، ج1، دط، المغرب، دت.
8. عائشة بنت المعمورة، رابع خدوسي، بقرة اليتامى - وقصص أخرى - حكايات جزائرية شعبية من التراث الشعبي، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
9. عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، الوطن اليوم، سطيف، 2019.
10. عبد الحميد بورايو، دور المرأة في الحكاية الشعبية الجزائرية، دراسة، دار الوطن اليوم، سطيف - الجزائر، 2019.
11. عبد الرحمان عبد الرحمان الخميس، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، المركز القومي للترجمة، ط1، ج1، القاهرة 2010.

12. ليون تولستوي، حكايات شعبية، تر: صياح الجهيم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، بيروت، لبنان، 1999.

ثانياً- قائمة المراجع العربية:

1. أحمد شلي، اليهودية، مقارنة الأديان، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، 1988.
2. أحمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط2، 1383هـ-1963م.
3. أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا، دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، مطبعة الانتصار، الاسكندرية، د.ت.
4. أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دط، مصر، 1968.
5. إدريس بودية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ددن، ط1، قسنطينة-الجزائر-2000.
6. باسمه كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م.
7. بكر أيمن، السرد في مقامات الهمداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.
8. التلي بن الشيخ، منطلقات التعبير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، الجزائر، 1990.
9. توفيق عزيز عبد الله، الحكاية الشعبية، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، المملكة الأردنية الهاشمية، 2012.
10. جودة حسنين جودة، جغرافية إفريقيا الإقليمية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
11. حبيب الزيات، المرأة في الجاهلية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، القاهرة-مصر، 2012.
12. حسن بحراوي، بنية التشكيل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي، ط1، 1990.
13. حميد حميداني، بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط1، 1991.

14. زكى على السيد أبو غضة، المرأة في المسيحية واليهودية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، المنصورة، 1424هـ-2003م.
15. سعد رفعت، الموسوعة العالمية للأساطير الشعبية، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1422هـ/2011م.
16. سليمان مظهر، أساطير من الشرق، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1420هـ/2000م.
17. سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للنشر، دت.
18. سيد القمني، الأسطورة والتراث، مؤسسة هنداوي، دط، المملكة المتحدة، 2017/01/26.
19. سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ددن، ط1، بيروت، 1985.
20. شوقي عبد الحكيم، الحكايات الشعبية العربية، مؤسسة هنداوي سي آي سي، مصر، 2017.
21. الشيخ أبي الحسن الندوي، أدب المرأة، دراسة نقدية، الهيكان، ط1، الرياض، 1427هـ/2008م.
22. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر.
23. صفوتكمال، التراث الشعبي وثقافة الطفل، المركز القومي لثقافة الطفل، القاهرة، 1995.
24. طلال حرب، أولية النص (نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي) المؤسسة الجامعية للدراسات.
25. عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن الكريم، نخبة مصر للطباعة والنشر، مصر، دت.
26. عبد الحليم نور الدين، المرأة في مصر القديمة (محاضرة)، مكتبة الإسكندرية.
27. عبد الحميد بوراوي، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر، دط، الجزائر، 2006.

28. عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1986.
29. عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1968.
30. عبد الرحمان برقوقي، دولة النساء، معجم ثقافي اجتماعي لغوي عن المرأة، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2004.
31. عبد السلام حيمر، مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب، كتاب الجيب، منشورات الزمن، 1999/11/8.
32. عبد القادر مصطفى المحيشي وآخرون، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، 2000م.
33. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر.
34. عبد المنعم خفاجي، عبقرية الإبداع الأدبي، أسبابه وظواهره، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، دط 2001.
35. علي شلش، الأدب الإفريقي، عالم المعرفة، دط، الكويت، مارس 1993.
36. علي عبد اللطيف حميدة، دراسة تمهيدية عن المجتمع في ليبيا: الواقع والتحديات والأفاق، الأمم المتحدة، 2020.
37. علي عثمان، المرأة العربية عبر التاريخ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، دت.
38. عمر الطالب، أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ، بغداد، 1981.
39. عمر عبد الواحد، السرد والشفاهية، دراسة في مقامات بديع الزمان الهمداني، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط2، 2003.
40. غراء حسين مهنا، أدب الحكاية الشعبية، دار بونار للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1999.

41. غسان الحسن، الحكاية الخرافية في ضفتي الأردن، ط 1، دار الجبل، دمشق، 1988، ص 11.
42. فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية إفريقيا —دراسة إقليمية، دار المعرفة، الإسكندرية، 1987.
43. السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 1997.
44. فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ط2، دمشق، 2001.
45. فراس السواح، مغامرة العقل الأول، دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين، دار علاء الدين، ط11، دمشق، 1996.
46. فوزي العنتيل، علم الحكايات الشعبية، دار المريخ للنشر، دط، الرياض، 1983.
47. قاسم عبده قاسم، بين الأدب والتاريخ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1986.
48. قصي الحسين، أنثروبولوجية الأدب، دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان، دار البحار، ط1، بيروت، 2009.
49. محمد الجوهري، علم الفولكلور (الأسس النظرية والمنهجية)، دار المعارف، ط4، ج1، مصر، 1981.
50. محمد الجوهري، علم الفولكلور، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف، مصر، 1975.
51. محمد جميل بيهم، المرأة في التاريخ والشرائع، دط، ددن، بيروت، 1339هـ/1921م.
52. محمد رياض، كوثر عبد الرسول، إفريقيا... دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.
53. محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.

54. محمد عبد النبي سعودي، الوطن العربي-دراسة لملامحه الجغرافية، دار النهضة العربية، بيروت، 1967.
55. محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري مع ملحق بنصوص مختارة- قصص- حكايات-أحاجي-أمثال-نواذر شعبية، دار العلوم للنشر والتوزيع، ج1، عنابة، 2013.
56. محمد فخر الدين، الحكاية الشعبية المغربية، بنيات السرد والمتخيل، دار نشر المعرفة، دط، دت.
57. محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر الشعبي العربي في القرن 2هـ، دار المعارف، دط، 1963.
58. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر، ط1، بيروت، 1996.
59. محمود عبد الحفيظ الزيتاوي، إضاءات من التراث الفلسطيني، دار عمار، عمان، 2005، ص 286.
60. مرسي السيد الصباغ، الأدب الشعبي العربي تأصيل تراثي، الوراق للنشر والتوزيع، دط، عمان، 2019.
61. مرسي الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء، دط، الإسكندرية، 1999.
62. من أعمال المهرجان الثقافي الإفريقي الأول للثقافة الإفريقية، ملتقى الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 21 أوت 1969، الجزائر.
63. منيب محمد البورمي، الفضاء الروائي في الغربية، الإطار والدلالة، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، ودار النشر المغربية-الرباط، 1983.
64. منية بلعافية، المرأة في الأمثال المغربية، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب.
65. موسى سلامة، المرأة ليست لعبة الرجل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بيروت، حزيران 1956.
66. نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، دار الأمل للطباعة والنشر، ط1، 2008.

67. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1981، ص 133-134.
68. نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، دط، بيروت، 1974.
69. نمر سرحان، الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ماي 1974.
70. نوال السعداوي، المرأة والجنس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1972.
71. وفيق حسين الخشاب وآخرون، الجيو مرفولوجية، ج1، مطابع جامعة بغداد، 1978.
72. يوسف الخليفة أبو بكر وآخرون، اللغات في إفريقيا، مقدمة تعريفية، ملتقى الجامعات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية ط1، الخرطوم، 2006.
73. يوسف حسني عبد الجليل، الأدب الجاهلي (قضايا وفنون ونصوص)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1421هـ / 2001م.

ثالثا- المراجع المترجمة:

1. إفريل كاميرون، إميلي كوهرت، صورة المرأة في العصور القديمة، تر: أمل رواش، المركز القومي للترجمة، ط1، 2016.
2. ألبير كامو، أسطورة سيزيف، تر: أتين زكي حسين، منشورات دار مكتبة الحياة، دط، بيروت، دت.
3. ألكسندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، تر: رشدي صالح، دار الكاتب العربي، 1967.
4. برونو بتلهام، التحليل النفسي للحكاية الشعبية، تر: طلال حرب، دار المروج للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
5. بيتر مونيك، المرأة عبر التاريخ: تطور الوضع النسوي من بداية الحضارة إلى يومنا هذا، تر: هزيين عبودة، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1979.
6. ديورانت ول، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1، م1، ط3، 1965.

7. سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، تر: هنريت عبودي، دار الطليعة، بيروت، شباط فبراير، 1980.
8. فريدريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية، تر نبيلة إبراهيم، دار النهضة للطبع والنشر، ط1، لبنان، 1973.
9. كولنتاي ألكسندرا، محاضرات حول تحرر النساء، تر: هنريت عبودي، دار الطليعة، بيروت، شباط، فبراير، 1980.
10. ليون تولستوي، حكايات شعبية، تر: صياح الجهيم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، بيروت، لبنان، 1999.
11. ماكس شابيرو، رودا هندريكس، معجم الأساطير، تر: حنا عبود، دار علاء الدين، ط3، دمشق- سوريا، 2008.
12. مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، ط1، سوريا، 1991.

رابعاً- المراجع الأجنبية:

1. Karin barber, popular arts in Africa, African Studies Review, Vol. 30, No. 3 (Sep., 1987).
2. Peter pauper press, compiled by Charlotte, wolf leslau and with, African proverbs, new York, 1962.

خامساً- الرسائل والأطروحات:

1. أحسن دواس، صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين -مقاربة سوسيوثقافية-مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المقارن، شعبة أدب الرحلة، 2007-2008، الجزائر.
2. آدم بمبا، المرأة في إفريقيا، قراءة في العادات والتقاليد المحيطة بها، مجلة قراءات إفريقية، ع23، المنتدى الإسلامي جانفي-مارس 2015.
3. إسماعيل بوزوينة، تمثلات الأغنية الشعبية في شخصيات الأنبياء والرسل والأولياء الصالحين، مذكرة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015-2016.

4. إسماعيل زغودة، بنية المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة، عبد الجليل مرتاض أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر - 2013-2014.
5. إيمان محمود ذيب محمد، البطل في الحكاية الشعبية الفلسطينية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، 2012.
6. التيجاني الزاوي، بناء الحكاية الشعبية في الجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة وهران -الجزائر - 2007-2008.
7. ثريا التيجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في الجنوب الجزائري-وادي سوف أنموذجا- دار هومة، الجزائر دط، دت.
8. حورية بن سالم، الحكاية الشعبية في منطقة بجاية، دراسة ميدانية، جامعة تلمسان(مذكرة ماجستير)، 1993.
9. دليلة وكراع بطيب، الوظيفة الاجتماعية للحكاية الشعبية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2001-2002.
10. دليلة وكراع بطيب، الوظيفة الاجتماعية للحكاية الشعبية، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2001-2002.
11. ديانا ماجد حسين، الأسطورة والموروث الشعبي في شعر وليد يوسف، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، 2012.
12. شريط سنوسي، بطل الحكاية الشعبية في المسرح المغاربي، دكتوراه دولة، 2008/2009.
13. فاطيمة الزهراء قاسم، صورة المرأة في الحكاية الشعبية لمنطقة وهران - دراسة سيميائية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، وهران - الجزائر، 2012-2013.
14. فوزي عبد الله الكيلاني، ليبيا القديمة (إفريقيا) في الأساطير الإغريقية، رسالة ماجستير، كلية الآداب - قسم التاريخ - جامعة بنغازي، 2011/12/1.

15. كريمة نسان، الحكاية الشعبية في الجزائر، مقارنة سيميائية- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الشعبي، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانيا-وهران (الجزائر)، 2013/2012.
16. لخضر حليتي، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة، 2009-2010.
17. مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف-التشكيل الفني والوظيفي (جمع ودراسة)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري-قسنطينة-الجزائر، 2003-2004.
18. مرسي السيد الصباغ، القصة والحكاية والحدوتة الشعبية في محافظة الشرقية (أطروحة دكتوراه)، جامعة الزقازيق 1991.
19. مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة-دراسة ميدانية-رسالة ماجستير، كلية معهد الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة المسيلة، الجزائر 2011-2012.

سادسا- المجلات والدوريات:

1. إحسان الديك، النماذج البدائية في الأغنية الشعبية الفلسطينية- أغنية بكرة العيد وبنعيد أنموذجا، مجلة جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2010.
2. أحمد إسماعيل، المرأة الإفريقية والدور المنوط بها، السودان أنموذجا، مجلة قراءات إفريقية، ع4، المنتدى الإسلامي، سبتمبر 2009.
3. أحمد التيجاني سي كبير، الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، مجلة الأثر، ع19، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر) جانفي 2014.
4. افتتاحية مجلة قراءات إفريقية، عشرية المرأة الإفريقية.. ماذا تحقق منها؟، مجلة قراءات إفريقية، ع47، مركز أبحاث جنوب الصحراء، يناير 2021.
5. أمال ماي، استدعاء طقس الاستسقاء "تلاغنجا/ عروس المطر" في ديوان طاسيليا للشاعر "عز الدين ميهوبي" مجلة النص، مج 7، ع 1، جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي (الجزائر)، 2021.

6. بابكر رحمة الله محمد أحمد، مكانة المرأة وواقعها قبل الإسلام مقارنة بواقعها ومكانتها في الإسلام، المؤتمر الدولي الأول، سيرة النبوية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم- السودان، صفر 1434/2013.
7. بشير عبد العالي، دلالة الفضاء في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، كتاب الملتقى الخامس عبد الحميد بن هدوقة.
8. بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشقة السبعة" مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث ع 34، أكتوبر 2017.
9. حنان قرقوتي، العنف المرأة في المجال الأسري، مجلة كتاب الأمة، ع 171، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر، محرم 1437.
10. سومية أمزيان، مضامين الحكاية الشعبية الجزائرية، مجلة الحوار الفكري، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران.
11. سيدة محمود محمد، هل تحمل الحركة النسوية مشعل الحضارة الإفريقية جنوب الصحراء؟، مجلة قراءات إفريقية، ع 23، المنتدى الإسلامي، يناير-مارس 2015.
12. صالح سويلم الشرفات، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الأردنية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع 7، 2011.
13. عبد الرحمان شيتو علاوي، السحر في السياق الإفريقي، مجلة قراءات إفريقية، ع 46، أكتوبر 2020.
14. عبد المجيد إبراهيم قاسم، الحكاية الشعبية... أهميتها، عناصرها، ووظائفها، مجلة الحوار، الاثنين 2 نوفمبر إقليم كوردستان، العراق، 2015.
15. فاطمة يوسف العلي، المرأة في المأثورات الشعبية الكويتية، مجلة البيان، ع 355، فبراير 2000، ص 24-32.
16. قاسم حسين صالح، صورة المرأة في الشعر العربي، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، ع 10-11، 2006، بغداد- العراق.

17. لطيف أونيرتي إبراهيم، عيسى ألي أبو بكر، الأدب العربي في ظل إمارة الورد الإسلامية في نيجيريا، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع41، ج1، جامعة بغداد، 2015.
18. م. م. بان صلاح الدين محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية مج11، ع1، جامعة الموصل، 2011/6/9.
19. مالية بصال، مكانة وواقع المرأة في الحضارات القديمة ومقارنتها مع واقعها في الإسلام، مجلة تافرا للدراسات التاريخية والأثرية، مج1، ع0، 2021-04-29.
20. مباركة خمقاني، توظيف الحكاية الشعبية في المسرح الجزائري، مسرحية - كل واحد وحكمه لعبد القادر ولد كاكي أنغودجا مجلة العلامة، ع2، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2016.
21. مجي إبراهيم، غرائب وعجائب الزواج الإفريقي، المجلة العربية، ع549، دار المجلة العربية للنشر والتوزيع 2012/12/10، مصر.
22. محمد الأمين سوادغو، المرأة الإفريقية في مصيدة التغريب، مجلة قراءات إفريقية، ع23، المنتدى الإسلامي، يناير-مارس 2015.
23. محمد المعتصم إبراهيم وآخرون، معالجة بيلا بارتوك للألحان الشعبية (دراسة تحليلية)، مجلة بحوث التربية النوعية، ع47، جامعة المنصورة، 2017.
24. محمد عبد العزيز الهواري، الزواج في إفريقيا... النسق القرابي وطريقة تكوين الأسرة، مجلة قراءات إفريقية، ع5، المنتدى الإسلامي، جمادى الثاني 1431هـ/يونيو 2010م.
25. محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقيا، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 1980.
26. محمود بوكفوسة، تمثلات المرأة في النكتة الشعبية الجزائرية، بين القبول والرفض، مجلة روافد، مج2، ع1، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018.
27. مرع مؤيد حسن، الواقع الاجتماعي للحكاية الشعبية (دراسة ميدانية في مدينة الموصل)، مجلة دراسات موصلية، ع24، جمادى الأولى 1430هـ أيار 2009م.

28. نادر قاسم وديانا ندى، الحكاية الشعبية في شعر وليد سيف، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج 30 ع6، نابلس، فلسطين، 2016.
29. ندا موزاني ماجوتو، تحديات تواجه المرأة الإفريقية في بلدان وسط إفريقيا (بورندي أنموذجا)، مجلة قراءات إفريقية، ع23، يناير-مارس 2015.
30. وردة لواتي، الأسطورة الإفريقية، مجلة إشكالات، ع7، المركز الجامعي - تامنغست - الجزائر، ماي 2015.

سابعاً- المواقع الالكترونية:

1. إبراهيم محمد، المرأة الإفريقية، شبكة الألوكة، 2016/6/1
<https://www.alukah.net/spotlight/0/103838/>
2. أسامة عبد العزيز، أغرب العادات والتقاليد الإفريقية، 2019/04/22
<https://inspiration.rehlat.com/ar/destinations/afric>
3. أسماء حمدي، الندوب في نيجيريا.. قصص ترويحها الوجوه، 2022/06/19، مركز فاروس.
<https://pharostudies.com/?p=10815>
4. أسينات، أغنية جزائرية، أغاني البندير، (2021/11/12).
<https://www.youtube.com/watch?v=GwlgZnibP2Y>
5. أماني ربيع، الزواج في إفريقيا.. اتصال بالجنود واستمرارية الحياة باتحاد أبدي، مركز فاروس.
2020/02/06
<https://pharostudies.com/?p=3606>
6. الأمة براس، تقاليد زواج شعوب إفريقيا، 20203/10/01
<https://thenationpress.net/news-69693.html>
7. أمين يهوذا، الشعر الإفريقي العربي بين الاتباع والانتماء: مفاهيم ومحددات، قراءات إفريقية، 2022/06/07
<https://www.qiraatafrican.com/home/new/>
8. ثقافة شعبية، حكاية غلالة... حكاية شعبية مغربية، الانطولوجيا، 2020/05/30
www.alantologia.com
9. خربشة، جولة في جزر سيشل وتقاليد وعادات أهلها

https://www.kharbsha.com/article/seychellesisland_1032.html

10. دعاء، أغرب تقاليد زواج شعوب إفريقيا، المرسال، 2018/11/06-16:11،

<https://www.almrsal.com/post/732761>

11. دنيا العشيري، المرأة في إفريقيا... دور اجتماعي متباين، مركز الدراسات الإفريقية، 2016/11/15،

<https://africansc.iq/posts/details/146>

12. رندة عطية، المرأة في جنوب إفريقيا... تحديات وطموحات، نون بوست، (2020/11/13)،

<https://www.noonpost.com/content/38861>

13. روعة قاسم، شحات الليبية أو قورينا الإغريقية: حورية أبولو في الجبل الخضر، القدس العربي، 2018/03/10،

<https://www.alquds.co.uk/>

14. سارة عبد الحميد، رؤوس البهائم وأواني البيرة.. أغرب عادات الزواج في إفريقيا، الأسبوع الرياضي، 5 أكتوبر 2022 - 12:35،

<https://www.elaosboa.com/485544>

15. سالي عاطف، نساء من إفريقيا.. أغرب عادات الزواج في القبائل الإفريقية، مجلة حواء، 2021/02/12،

<https://hawaamagazine.com/posts/1121597>

16. سماح دياب، الخطوبة والزواج عند قبائل الدينكا ثقافة إفريقية، ع 47273، (2016/05/11)،

www.gate.ahrame.org.eg

17. الشاعر، الشعر الشعبي الليبي في وصفه للنساء، الساعة 25، 2018/10/18،

www.saa25org

18. صخر صدقي، صوت المرأة الإفريقية... نسوية سعيدة، مجلة الأهرام، ع 47618، 2017

<https://gate.ahram.org.eg/daily/News/202241/1158/590432/>

19. صلاح سليمان، الشعر الإفريقي: رصد أدبي لمعاناة القارة السمراء، جريدة إيلاف الإلكترونية، ع 18، 2018/05/8056،

<https://elaph.com/Web/Culture/2013/5/811487.html>

قائمة المصادر والمراجع

20. عبد الله مولود، الزواج في إفريقيا: طقوس لا يتصورها خيال ومهور لا يصدقها عقل، جريدة القدس العربي، 2021/02/27،

<https://www.alquds.co.uk>

21. ليوبولد سيدار سنغور (ديوان غناء الظل)، نقلا عن المترجمة نجاة محمد علي، الجمعية السودانية للدراسات والبحوث في الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.

https://sudanforall.org/sections/tarjimat/pages/nagat_pome01.html

22. محمد الجدع، الحياة في جزر القمر، موضوع، 2022/01/2-06:26،

<https://mawdoo3.com/>

23. محمد قروكركيش، تمثلات المرأة في الشعر الشعبي الجبلي بشمال المغرب، الحوار المتمدن، ع15، 2014/01/4335،

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=395914>

24. محمد محمود أبو المعالي، مراجعة حسن زينند، في استثناء عربي: الموريتانيون يحتفلون بالمطلقات، 2010/07/20،

<https://www.dw.com/ar/>

25. محي الدين خريف، أغراض الشعر الشعبي التونسي، مجلة الثقافة الشعبية، ع6، البحرين.

www.folkculturebh.org/ar

26. مريم التايدي-أذوز-الحسيمة، الشاشية الجبلية.. إرث يزين رؤوس نساء شمال المغرب، الجزيرة، 2019/03/18،

<https://www.aljazeera.net/misc/2019/3/18>

27. مريم عادل، الرقص الافريقي.. روح الحياة وإرهاب المستعمر، الجزيرة (2021/07/01)، (10:24)،

<https://pharostudies.com/?p=10815>

28. نور الأمل، قصة الستوت، منتديات طموحنا، 2013/06/03

www.tomohna.net

29. هاني الجمل، طقوس غريبة للزواج بقبائل "وادي أومو" بإثيوبيا... ضرب ودماء، سكاي نيوز عربية، 2021/02/21-11:51

<https://www.skynewsarabia.com/varieties/1416641>

30. الهيئة العامة للاستعلامات، الأغنية الشعبية في مصر، الأحد 29 نوفمبر 2015.

<https://www.sis.gov.eg/Story/115374>

31. يونس بورنان، حكايات جزائرية قديمة... أسطورة "العنجة"، العين الإخبارية،

2018/05/25، أبو ظبي.

www.al-ain.com

ملاحق

ملحق: نماذج من الحكايات الشعبية الإفريقية

1. آدزانومي وأمها:

فيما مضى عاشت امرأة لديها أمنية واحدة كبيرة كانت تتوق لأن يكون لها ابنة، لكنها وا حسرتها، ظلت بلا أطفال وبسبب هذه الأمنية التي لم تتحقق فإنها لم تعرف السعادة قط، كان هذا الأمر يشغل بالها حتى في غمرة العيد فتقول لنفسها: "آه لو كانت لي ابنة تشاركني هذه الفرحة"، كانت ذات يوم تجمع حبات البطاطا الحلوة، وصادفت أنها اقتلعت حبة ذات استقامة شديدة وشكل جميل ففكرت في نفسها: "آه! كم سأكون سعيدة لو أن حبة البطاطا الجميلة تحول ابنة لي"، ذهلت بشدة حين سمعت حبة البطاطا تجيبها: "لو أصبحت ابنتك بالفعل هل تعيديني بألا تعيريني يوما بأي كنت حبة بطاطا؟"، وبلهفة شديدة أعطتها وعدا، فتحولت حبة البطاطا حينئذ إلى فتاة رقيقة و جميلة، فرحت المرأة كثيرا وكانت لطيفة جدا مع الفتاة وأسمتها آدزانومي، كانت الفتاة تساعد أمها أكثر من المتوقع، فهي تعد الخبز وتجمع حبات البطاطا وتبيعها في السوق، وذات يوم تأخرت الفتاة أكثر من المعتاد، شعرت أمها بالقلق بسبب غيابها فقالت بغضب: "أين يمكن لآدزانومي أن تكون؟ إنها لا تستحق هذا الاسم الجميل، فهي لست إلا حبة بطاطا"، سمع عصفور كان يغرد في الجوار كلمات الأم فطار مباشرة إلى الشجرة حيث آدزانومي تجلس تحتها، وهنا بدأ يغني: "آدزانومي يا آدزانومي! أمك قاسية القلب، تقول إنك حبة بطاطا وإنك لا تستحقين اسمك آدزانومي يا آدزانومي"، سمعت الفتاة فعدت إلى البيت وهي تبكي بمرارة، سألتها أمها حين رأتها: "يا ابنتي! يا ابنتي! ما الأمر؟". فأجابتها آدزاني: "آه يا أمي، يا أمي! لأني حبة بطاطا عبت علي قلت إني لا أستحق اسمي وبهذه الكلمات اتخذت طريقها نحو حقل البطاطا، فما كان من أمها التي ملأ قلبها الخوف إلا أن تبعتها وهي تنتحب: "لا يا آدزانومي! يا آدزانومي! لا تصدقي هذا، لا تصدقيه فأنت ابنتي، يا ابنتي غاليتي يا آدزانومي" لكنها تأخرت كثيرا، فسرعان ما تحولت إلى حبة بطاطا وهي لم تنزل تغني أغنيتهما القصيرة الحزينة. لما

وصلت المرأة إلى الحقل رأت حبة البطاطا على الأرض، ومهما فعلت أو قالت، فلا شيء يمكن أن يعيد إليها ابنتها التي طالما تمنيتها، ولكنها عاملتها بلا أي مراعاة.⁽¹⁾

2. ذيل الأميرة الزنديل:

كانت هناك امرأة تعيش مع أبنائها الثلاثة، وكان الأبناء شديدي الارتباط بأهمهم ويسعون دائما لإرضائها ومع مرور الوقت تقدمت بالسن وأصابها الوهن، بدأ الأبناء الثلاثة بالتفكير فيهم يمكنهم فعله كي يشعروها بالسعادة، فوعد الابن الأكبر بنحت ضريح لها في الصخر حين توافيها المنية، وقال الابن الثاني إنه سيصنع لها تابوتا جميلا، أما الأصغر فقال: "سوف أذهب وأحضر ذيل الأميرة الزنديل وأضعه معها في التابوت"، وكان هذا الوعد هو الأصعب تحقيقا من بين الوعود الأخرى. ماتت أمهم بعد ذلك بفترة قصيرة، فبدأ الابن الأصغر على الفور رحلته للبحث، وهو لا يعلم أين يمكنه إيجاد الذيل، مع نهاية ثلاث أسابيع من السفر وصل إلى قرية صغيرة، وهناك التقى امرأة عجوزا بدت متعجبة لرؤيته وقالت له إنه لم يسبق لمخلوق بشري أن وصل إلى هنا، فاخبرها الشاب بحكاية بحثه عن الأميرة الزنديل وأجابته بأن هذه القرية هي موطن كل الفيلة، وأن الأميرة تنام هناك كل ليلة لكنها حذرته أنه في حالة رآته الحيوانات سوف يقتل، توصل الشاب إليها بأن تحبأه في حزمة كبيرة من الخشب، كما أخبرته بأن عليه الاستيقاظ حين تنام كل الفيلة والذهاب إلى الزاوية الشرقية حيث سيجد الأميرة هناك، وبأن عليه أن يدوس عليها بجرأة وبأن يقطع ذيلها ثم يعود بذات الطريقة، وأنه إذا ما سار خلصة فإن الفيلة ستصحو وتقبض عليه. عادت الحيوانات عند الظلام، وقالت إنها تشم رائحة إنسان، إلا أن العجوز أكدت أنها مخطئة كانت وجبة العشاء جاهزة فأكلت وأوت إلى النوم.

في منتصف الليل استيقظ الشاب ومشى إلى حيث تنام الأميرة قطع ذيلها وغادر مثلما دخل، ومن ثم بدأت رحلة العودة إلى الديار وهو يحمل الذيل بحذر شديد، استيقظت الفيلة مع بزوغ ضوء النهار قال أحدهم إنه رأى في الحلم أن ذيل الأميرة قد سرق، فما كان من الآخرين إلا أن ضربوه عقابا له

¹دبليواتش باركر وسيسيليا سينكلير، أنانسي و الرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخة، ص 71-73.

على التفكير بمثل هذا الشيء، وقال ثان إنه أيضا رأى ذات الحلم فتعرض للضرب أيضا اقترح حكيم الفيلة أن من الأفضل الذهاب والتحقق من صحة الحلم، فذهبت الفيلة ووجدت الأميرة مستغرقة في نومها وهي تجهل تماما أنها فقدت ذيلها، فما كان منها إلا أن أيقظت الأميرة، ثم بدأ الجميع بملاحقة الشاب. قطعت المسافات بسرعة هائلة لدرجة أنها لم تحتاج لأكثر من ساعات قليلة لتجده. شعر بالخوف حين رأى الفيلة تتجه نحوه وصاح مناديا على إلهه المفضل-والذي يحمله دائما في شعره- قائلا: "يا ديبور يا تعويذتي! ماذا أفعل؟"، فنصحته التعويذة بأن يضع غصن شجر على كتفه، ففعل ذلك وسرعان ما تحول الغصن إلى شجرة ضخمة سدت الطريق على الفيلة التي توقفت وبدأت بأكل الشجرة، الأمر الذي تطلب الوقت، تابعت الفيلة طريقها، وصاح الشاب ثانية: "يا ديبور يا تعويذتي! ماذا أفعل الآن؟"، فأجابته التعويذة: "ارم كوز الذرة خلفك"، وهكذا فعل الشاب فتحول الكوز على الفور إلى حقل كبير من الذرة، أكلت الفيلة من الحقل ما يفسح لها طريقا، وحين انتهت وجدت أن الصبي قد وصل إلى بيته. اضطرت الفيلة للاستسلام والعودة إلى القرية، لكن الأميرة رفضت ذلك قائلة: "لن أعود حتى أعاقب ذلك الرجل الوقح"، لذا فقد حولت نفسها إلى فتاة جميلة جدا ودخلت القرية وهي تحمل صنجا مصنوعا من يقطينة جافة، وخرج كل الناس ليرؤ هذه الفتاة الجميلة، أعلنت لأهل القرية أنها ستتزوج من الرجل الذي سينجح في إصابة الصنج بسهم، حاول كل الشباب إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، كان يقف بالقرب منهم شيخ فقال: "لو أن كويسى قاطع ذيل الأميرة الزنديل كان هنا لتمكن من إصابة الصنج"، فردت الفتاة "إذن كويسى هو الرجل الذي سأتزوج منه، سواء أصاب الصنج أم لم يصبه"، نادى الناس على كويسى من الحقل الذي كان يحرثه واخبروه بحظه السعيد، إلا أنه لم يبتهج بسماع ذلك بسماع ذلك البتة، وقد ساوره شك أن ثمة خدعة تقوم بها هذه الفتاة، لكنه ذهب ورمى بسهم أصاب وسط الصنج، وعليه تم زواجه من الأنسة التي كانت تخطط طوال الوقت لمعاقبته، وفي الليلة التي أعقبت زواجهما تحولت إلى زنديل بينما كان كويسى نائما، وبدأت تحضر لقتله، لكن كويسى استيقظ في الوقت المناسب ونادى: "يا ديبور يا تعويذتي! أنقذيني!" فحولته التعويذة إلى حصير عشبي على السرير فلم تتمكن الأميرة من العثور عليه الأمر الذي أزعجها كثيرا واستوضحت منه في

اليوم التالي أين كان طوال الليل، فأجابها كويسى: "بينما كنت أنت زنديلا كنت أنا الحصر الذي تنامين عليه"، فما كان من الآنسة إلا أن أخذت كل الحصر عن السرير وأحرقته، وفي الليلة التالية تحولت الأميرة مجددا إلى زنديل واستعدت لقتل زوجها، وفي هذه المرة حولته التعويذة إلى إبرة فلم تتمكن زوجته من العثور عليه. من جديد سألته صباح اليوم التالي أين كان، وحين سمعت أن التعويذة ساعدته مجددا قررت أن تأخذ التعويذة لتتلفها. هم كويسى في اليوم التالي بالذهاب إلى مزرعته كي يحرق الحقل، وطلب من زوجته أن تحضر بعض الطعام إلى مكان استراحته، أصرت هذه المرة على ألا تترك له مهربا، وحين انتهى من طعامه قالت له: "ضع رأسك في حضني ونم" فعل كويسى ما طلبت ونسى تماما أن التعويذة مخبأة في شعره. ولما استسلم للنوم أخذت التعويذة من شعره في الحال ورمتها في نار كبيرة كانت قد أعدها مسبقا، عندما استيقظ كويسى وجد أنها تحولت إلى زنديل مجددا فصرخ وقد ملأه الرعب: "يا تعويذتي ياديور! ماذا أفعل؟"، لكن الإجابة الوحيدة التي سمعها جاءت من بين ألسنة اللهب تقول: "إنني أحترق، إنني أحترق، إنني أحترق"، استنجد كويسى مرة أخرى فأجابته التعويذة: "ارفع يديك تماما كما لو كنت تطير" ففعل وتحول إلى صقر، ولهذا عادة ما نرى الصقور تحلق في الدخان المنبعث من النار تبحث عن تعويذتها الضائعة⁽¹⁾.

3. ماكو ماو وماكو فيا:

حدث في زمن بعيد أن عاش رجلان كانا صديقين حميمين لدرجة أنهما يمشيان معظم الوقت معا، وإذا رأى شخص ما أحدهما فمن المؤكد أن الآخر ليس بعيدا عنه، أسميا بعضهما أسماء خاصة كانت سرا يستخدم بينهما فقط، كان احد الاسمين هو ماكومو ومعناه «سأموت بإرادة الله» والاسم الآخر هو ماكوفيا ويعني «سأموت بإرادة الملك» لكن عرف أهل القرية هذين الاسمين مع مرور الوقت، واعتاد الجميع بشكل تدريجي على مناداة الصديقين كل بلقبه بدلا من اسميهما الحقيقيين، حتى وصلت الأسماء في النهاية إلى مسامع الملك الذي أبدى رغبته برؤية هذين الرجلين اللذين اختارا اسمين غريبين كهذين الاسمين، أرسل إليهما لحضور مجلسه فحضر معا، كان معجبا أكثر بالذي اختار اسم «ماكوفيا»

¹ دبلو اتش باركر وسيسيليا سينكلير، أنانسي والرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخة، ص 111-116.

لكنه كان منزعجا من اختيار الآخر، وأخذ يتحين فرصة لإيقاع العقاب به، بعد أن تحدث إليهما بإيجاز دعاهما إلى وليمة كبيرة حدد موعدها بعد ثلاثة أيام، وعندما هما بالمغادرة أعطى ماكوماو حبة بطاطا كبيرة بينما أعطى الشخص المفضل لديه حجرا صغيرا دائري الشكل لا غير، شعر الأخير بالظلم لحصوله على حجر فقط بينما حصل صديقه على حبة بطاطا رائعة، وسرعان ما نطق قائلا: "أوه يا عزيزي لا أعتقد أن حمل هذا الحجر إلى البيت سوف يجلب أي فائدة، آه كم أتمنى لو أنه أعطاني حبة بطاطا كي أطهوها للعشاء!"، ولأن ماكوماو يتصف بالكرم فقد أجابه على الفور: "لنتبادل إذن لأنني تعبت كثيرا من حمل البطاطا الكبيرة"، وبعد أن تبادلا ذهب كل منهما إلى منزله. قطع ماكوفيا حبة البطاطا وطبخها، أما ماكو ماو فقد كسر الحجر إلى نصفين ووجد بداخله زينة جميلة كان الملك قد أخفاها هناك، ففكر بأن يخدع الملك، لذلك لم يخبر أحدا عما رآه في الحجر، في اليوم الثالث ارتدى الملابس لحضور وليمة الملك، ووضع ماكوماو كل الزينة التي أخرجها من الحجر، بينما ارتدى ماكوفيا ملابس كالمعتاد، حين وصلا إلى القصر دهش الملك حين رأى الرجل الخطأ يرتدي زينته وقرر أن يعاقبه في المرة القادمة بطريقة أكثر نجاعة. سأل ماكوفيا عما فعله بالحجر ف أخبره الرجل أنه استبدلها بحبة البطاطا التي يملكها صديقه، لم يستطع الملك في بادئ الأمر التفكير في أي طريقة تمكنه من عقاب ماكوماو لأن الرجل لم يرتكب أي خطأ، إلا أنه سرعان ما خطرت بباله فكرة، تظاهر الملك بالرضا الكبير عن الرجل المسكين فأهداه خاتما جميلا نزع من إصبعه، وطلب منه أن يعده بالعودة بعد سبعة أيام كي يريه الخاتم فيؤكد أنه لم يفقد. أدرك ماكوماو مخطط الملك فقرّر أن يخفي الخاتم. قام بعمل حفرة صغيرة في جدار غرفته وخبأ الخاتم هناك، ثم رمم المكان بإتقان حتى لا يكون بمقدور أي أحد أن يرى ما حل بالجدار على الإطلاق.

وبعد ذلك بيومين أرسل الملك بطلب زوجة ماكوماو وطلب منها أن تجد الخاتم ووعدا بمبلغ كبير من المال لقاء ذلك، وبالطبع فإنه لم يخبرها ما سيحل بزوجها إن فقد الخاتم، عادت المرأة للمنزل وبحثت بحذر لكنها لم تجد شيئا، فأعادت الكرة في اليوم التالي ولم تكن النتيجة أفضل، ثم سألت زوجها

عما فعل بالخاتم فأجابها بحسن نية أنه مخبأ بالجدار، بحثت جيدا أثناء غياب زوجها في اليوم التالي حتى تمكنت من إيجاده.

انطلقت مسرعة إلى قصر الملك وهي في غاية السرور فأعطته الخاتم وحصلت على المال الموعود ثم عادت إلى بيتها، غير أنها لم تتخيل قط بأنها في الواقع قد باعت حياة زوجها.

أرسل الملك برسالة إلى ماكوماو في اليوم السادس وطلب منه أن يتحضر لليوم التالي، تذكر الرجل المسكين الخاتم فذهب كي يتأكد من أنه لا يزال آمنا في مكانه لكنه شعر باليأس حين رأى الحفرة فارغة، سأل زوجته وجيرانه فأنكروا جميعا أن يكونوا قد رأوه فارتأى أنه حان موعد موته، في غضون ذلك كان الملك قد وضع الخاتم في أحد الصحنون في قصره ونسي أمره، وكان صباح اليوم السابع حين بعث برسله إلى كل مكان حتى يستدعوا الناس ليروا عقاب الرجل الذي لم يطع أوامر الملك، ثم أمر خدمه أن يقوموا بترتيب القصر وبأن يأخذوا كل الصحنون من غرفته كي يغسلوها.

أخذ الخدم المتهاونون الصحنون -من دون أن ينظروا إن كانت تحوي شيئا أم لا- إلى بحيرة صغيرة قريبة، كان من بينها الصحن الذي وضع فيه الخاتم. وبالطبع فقد سقط الخاتم في الماء عندما غسل الصحنون دون أن يلاحظ أحد من الخدم ما حدث.

عندما أصبح القصر جاهزا ذهب الملك لإحضار الخاتم فلم يجده في أي مكان، واضطر حينها لحضور المجلس من دونه، ولما حضر الجميع دعي الرجل المسكين ماكوماو كي يتقدم للأمام ويرى الخاتم، فسار بجرأة نحو الملك وانحنى أمامه قائلا: "لقد ضاع الخاتم وها أنا مستعد للموت، أمهلني بضع ساعات كي أرتب شؤون بيتي"، في البداية كان الملك رافضا لأن يمنحه أي شيء حتى لو كان هذا المعروف الصغير، لكنه نطق أخيرا وقال: لا بد من أن أتناول بعض الطعام قبل أن أموت، سوف أذهب وأصطاد سمكة قبل أن أموت من البحيرة".

لذا، أخذ شبكة الصيد وثبت الطعام فيها ثم ذهب إلى البحيرة التي غسلت فيها أطباق الملك وسرعان ما اصطاد سمكة كبيرة فقطعها كي ينظفها، ويمكن تخيل الآن مدى ابتهاجه حين وجد الخاتم الضائع في أحشائها، ومسرعا ركض إلى قصر الملك وهو يصيح: "ها قد وجدت الخاتم! ها قد وجدت

الخاتم!"، ولما سمعه الناس هتفوا جميعا بفرح: "لقد اختار اسمه بدقة (ماكوماو) وسوف يموت بالطريقة التي يختارها الله له" وهكذا لم يكن للملك حجة بأن يؤذيه فأطلق سراحه.⁽¹⁾

4. المزارع ماييرو والجنيات:

ذات يوم كان المزارع ماييرو يبحث عن قطعة أرض مناسبة كي يحولها إلى حقل، إذ رغب بزراعة الذرة والبطاطا، اكتشف موقعا جميلا يقع بالقرب من غابة كبيرة كانت تسكنها الجنيات، وشرع في العمل لإعداد الحقل.

شحن سكينه الكبير وبدأ بقطع الشجيرات، فلم يكد يلمس واحدة منها حتى سمع صوتا يقول: "من ذا الذي يقطع الشجيرات؟" لم يقدر ماييرو أن يجيب لشدة ذهوله، أعيد عليه السؤال وعندها أدرك المزارع أن هذا الصوت لا بد من أن يكون لإحدى الجنيات، فأجاب: "أنا ماييرو، جئت لكي أعد الحقل"، ولحسن حظه كانت الجنيات يتمتعن بحس الفكاهة، فسمع واحدة تقول: "هيا بنا جميعا لنساعد المزارع ماييرو لقطع الشجيرات"، وافقت الأخريات وشعر ماييرو بفرح غامر حين رأى كل الشجيرات قد قطعت بسرعة وبأقل مجهود من طرفه، عاد إلى بيته مسرورا جدا بإنجاز يومه، وقرر أن يحافظ على البستان سرا يخفيه حتى عن زوجته.

في بداية يناير، ولما حان وقت حرق الشجيرات الجافة ذهب إلى الحقل ذات ظهيرة وهو يحمل ما يلزم لإشعال النار كان يأمل في أن تساعد الجنيات مرة أخرى، فعمد إلى ضرب جذع الشجيرة، وعلى الفور جاءه السؤال: "من ذا الذي يضرب الجذوع؟" فأجاب بسرعة قائلا: "أنا ماييرو، جئت لأحرق الشجيرات"، وبناء عليه حرقت كل الشجيرات الجافة وأصبح الحقل نظيفا في وقت قياسي. حدث الشيء ذاته في اليوم التالي، إذ جاء ماييرو ليقطع جذور الشجيرات ويحولها إلى حطب ويجهز الحقل للحرق. وفي وقت قصير جدا كانت حزم الحطب جاهزة والحقل خاليا تماما.

¹ دبلو اتش باركر وسيبيليا سينكلير أنانسي والرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايحة، ص 121-126.

استمر الأمر على هذا الحال ثم قسم الحقل إلى نصفين: نصف للذرة وآخر للبطاطا، ساعدت الجنيات كثيرا في جميع مراحل التحضير من حفر وبذر وغرس، وفي غضون ذلك استطاع المزارع أن يحفظ خبايا حقله سرا عن زوجته والجيران.

بدت المحاصيل واعدة جدا إذ تم تحضير التربة بعناية كبيرة، كان ماييرو يزور المكان من وقت لآخر وهنأ نفسه على الحصاد الرائع الذي سيحصل عليه.

و ذات يوم بينما كانت الذرة والبطاطا لا تزال خضراء فجأة جاءت زوجة ماييرو إليه وكانت ترغب في معرفة مكان حقله كي تذهب هناك وتأخذ منه بعض الحطب، رفض أن يخبرها في بادئ الأمر، لكنها أصرت ونجحت في الحصول على المعلومات تحت شرط واحد وهو ألا تجيب أي سؤال يحتمل أن تسمعه يطرح عليها، فوعدت بذلك وذهبت إلى الحقل، حين وصلت إلى هناك أذهلتها وفرة الذرة والبطاطا، إذ لم تر محاصيل يمثل هذه الروعة من قبل، بدت الذرة مغرية وهي لا تزال غير ناضجة فهتت بقطع كوز منها. بينما كانت تفعل ذلك سمعت صوتا يقول: "من ذا الذي يحاول قطع الذرة؟" فردت بخنق: "ومن يجرو أن يسألني هذا السؤال؟". قالت هذا ونسيت أمر زوجها لها تماما. ثم انتقلت إلى حقل البطاطا واقتلعت واحدة منها فسمعت الصوت يسألها ثانية: "من ذا الذي يقتلع حبات البطاطا؟" فأجابت: "إنها أنا زوجة ماييرو، إنه حقل زوجي ولي الحق في أن آخذ منه ما أشاء"، عندئذ خرجت الجنيات وقلن معا: "هيا لنساعد زوجة ماييرو في قطف الذرة والبطاطا"، وقبل أن ترد المرأة المذعورة بكلمة واحدة كانت كل الذرة والبطاطا ملقاة على الأرض، وفسد المحصول تماما لأن الزرع كان لا يزال أخضر فجاء، فبكت الزوجة بمرارة، ولكن بلا جدوى، مشت ببطء عائدة للبيت وهي لا تعرف ما تقول لزوجها عن هذه المصيبة الرهيبة، فقررت الصمت إزاء ذلك.

وفي اليوم التالي توجه الرجل المسكين وهو مسرور إلى حقله ليرى كيف تسير الأمور، ويمكننا تصور مدى غضبه ويأسه حين رأى حقله وقد أتلّف تماما ضاع كل عمله ومستقبله بسبب نسيان زوجته لوعدها.⁽¹⁾

¹ دبلو اتش باركر وسيبيليا سينكلير، أنانسي والرعد، حكايات شعبية من غرب إفريقيا، تر: حنان شرايخة، ص 163-166.

5. الغيلم وابنته الفاتنة

كان في قديم الزمان ملك قوي طاول سلطانه الوحوش والحيوانات البرية جميعها، وكان الغيلم الأذكى بين الحيوانات والبشر، وكان للملك ابن يسمى "إكبانيون"، زوجه من خمسين شابة إلا أن أيا منهن لم تستحوذ على إعجاب الأمير، فغضب الملك أيما غضب، وأصدر قرارا بقتل كل والد ووالدة وابنتهما إن كان نصيبها من الجمال أكبر من زوجات الأمير ولقيت استحسانا في عينه.

وفي ذلك الحين، كان للغيلم وزوجته السلحفاة ابنة فاتنة الجمال. ففكرت أمها أن من غير الآمن الاحتفاظ بابنة بهذا الجمال، إذ أن الأمير قد يقع في غرامها، وأخبرت زوجها أن من الممكن أن تقتل ابنتهما وترمى في الغابة، إلا أن الغيلم كان عنيدا فخبأ ابنته حتى بلغت الثالثة من عمرها، وذات يوم كان الغيلم وزوجته بعيدين عن مزرعتهم، وتصادف أن كان ابن الملك يصطاد على مقربة من منزلهم، فرأى عصفورا جاثما على سور المنزل، يتأمل الفتاة الصغيرة مأخوذا بجمالها الفتان حتى إنه لم يلحظ قدوم الأمير، أصاب الأمير العصفور بسهم من قوسه فأرداه أمام السور وأرسل خادمه ليحضره له، وفيما الخادم يبحث عن العصفور وقع نظره على الفتاة الصغيرة التي أسرته بجمالها، فما كان إلا أن عاد إلى سيده وأخبره بما رأت عيناه. تجاوز الأمير السور ورأى الفتاة فأسرت قلبه من النظرة الأولى فما برح يتحدث إليها حتى وافقت في النهاية على الزواج منه، فعاد إلى المنزل لكنه أخفى عن والده وقوعه في غرام ابنة الغيلم الفاتنة.

في صباح اليوم التالي استدعى الأمير أمين الصندوق وطلب منه إحضار ستين قطعة من القماش وثلاثمائة قضيب نحاسي وإرسالها إلى الغيلم، وبعد الظهر قصد بيت الغيلم وأبلغه برغبته بالزواج من ابنته، رأى الغيلم أن أكثر ما يخشاه قد حصل فشعر أن خطرا يتهدد حياته، وأخبر الأمير أنه لو عرف الملك بهذا الحب فسيقتله وزوجته وابنته، فأجاب الأمير بأنه لن يسمح بذلك إلا على جثته، وبعد نقاش طويل وافق الغيلم على تزويج ابنته من الأمير عندما تبلغ السن المناسبة للزواج. فعاد الأمير إلى المنزل وأخبر والدته بما جرى فقلقت أيما قلق من أن تخسر ابنها الحبيب لأنها تعلم أنه حالما يدرك الملك عصيان ابنه فسيقتله لا محالة، لكنها بالرغم من يقينها هذا أرادت أن يتزوج ابنها فتاة يحبها فما كان

منها إلا أن قصدت الغيلم حاملة له بعض المال والكساء والبطاطا الحلوة وزيت النخيل عبارة عن مهر من جانب ابنها يضمن عدم تزويج الغيلم ابنته لرجل آخر. بقي الأمير خمس سنوات مغرماً بابنة الغيلم، وكان اسمها "إديت" وعندما حان وقت وضعها في حجرة السمينة أخبر الأمير والده أنه سيتزوج من "إديت"، فاستشاط الملك غضباً وأبلغ الجميع في مملكته بضرورة الحضور إلى السوق لسماع النقاش، وفي الموعد المحدد عجب السوق بالناس وتوسطه عرشان للملك والمملكة.

وصل الملك والمملكة فوق الجميع وحياتها وبعد ذلك جلسا على عرشيهما، توجه الملك إلى أعوانه وطلب منهم جلب "إديت" للمثول أمامه وما كادت هذه تطل حتى ذهل الملك بجمالها. فقال للناس إنه كان ينوي أن يخبرهم بغضبه الشديد من ابنه الذي عصى أمره وقرر الزواج من "إديت" من دون علمه، لكنه الآن بعد أن رآها بنفسه وانبهر بجمالها، فإنه يعترف بأن ابنه قد أحسن الاختيار ولذلك لا بد أن يسامحه.

وعندما رأى الحشد الفتاة، لم يبق منهم أحد لم ينبهر بجمالها، وأجمعوا على أنها الأجدر بالزواج من الأمير، فرجوا الملك أن يبطل المرسوم الذي أصدره فوافق. وبما أن هذا المرسوم كان خاضعاً لرؤساء الإغبيو، فقد استدعى الملك ثمانية منهم وأخبرهم بأن المرسوم قد أبطل وأن أحداً لن يقتل لأن ابنة الغيلم تفوق زوجات الأمير جمالاً، ثم أعطى الرؤساء بعضاً من شراب النخيل والمال لإبطال المرسوم، بعد ذلك أعلن الملك أن إديت ابنة الغيلم ستكون زوجة لابنه، وقد زوجهما في اليوم نفسه.

استمرت الاحتفالات بزواج الأمير خمسين يوماً وقد ذبح الملك خمس بقرات ووزع البطاطا الحلوة المسلوقة وزيت النخيل على أهل المملكة، ووضع أقذاراً من شراب النخيل على الطريق ليشرب الناس على سجيتهم. أما النساء فقد وصلن الليل بالنهار يرقصن ويغنين في بلاط الملك، كما اتخذ الأمير وصحبه من السوق مكاناً للاحتفال وعندما انتهت الاحتفالات تنازل الملك عن نصف مملكته للغيلم ليحكمها ووهبه ثلاثمائة عبد ليعملوا في مزرعته. وقد عاش الأمير وزوجته سنوات سعيدة طويلة وعندما

مات الملك استلم الأمير الحكم بدلا منه. وكل هذا يؤكد أن الغيلم هو بالفعل أذكى الحيوانات والبشر على حد سواء.⁽¹⁾

6. المرأة المزدوجة الجلد

كان هناك ملك قوي اسمه "أيامبا" تمكن من غزو جميع البلدان المجاورة والانتصار عليها قاتلا العجزة من الرجال والنساء، ومتخذًا من الشبان الأقوياء البنية عبيدا له، يعملون في مزارعه حتى الموت. وكان لذلك الملك مائتا زوجة، لكن أيا منهن لم تنجب له ابنا، ورأت رعيته أنه يتقدم في السن فرجته أن يتزوج من إحدى بنات العنكبوت، فهن غالبا ما ينجبن الكثير من الأولاد، لكن عندما رأى الملك ابنة العنكبوت لم تعجبه بسبب قبحها الشديد، ويقال إن السبب وراء ذلك يعود إلى أن أمها أنجبت الكثير من الأولاد في آن واحد معا، إلا أن الملك ومع ذلك وبهدف إرضاء رعيته تزوج من الفتاة القبيحة ووضعها مع زوجاته الأخريات غير أنهن اشتكين من قبحها، كما أعربت هي الأخرى عن عدم مقدرتها على العيش معهن، فما كان من الملك إلا أن بنا لها منزلا مستقلا، وكانت تأكل وتشرب من مأكّل الزوجات الأخريات ومشربهن نفسه كان الجميع يسخر منها لقبحها لكنها في الواقع لم تكن قبيحة بل جميلة جدا، إلا أنه كان لها جلدان، وقد تعهدت أمها ألا تزيل الجلد القبيح إلا خلال الليل على أن تعيده قبل الفجر.

علمت كبيرة زوجات الملك بالأمر، وخشيت أن يكتشف زوجها ذلك فيقع في حبها، فما كان منها إلا أن قصدت مشعوذا وأعطته مائتي قضيب نحاسي مقابل أن يحضر تعويذة تنسي الملك أن ابنة العنكبوت زوجته، بعد المساومة على الثمن وافق المشعوذ على ثلاثمائة وخمسين قضيب بالمقابل، مزجته الزوجة مع الطعام، أنسى الدواء الملك ابنة العنكبوت بضعة أشهر، حتى أنه كان يمر بالقرب منها دون أن يعرفها، انقضت أربعة أشهر لم يطلب الملك خلالها رؤية أدياها (ابنة العنكبوت) فسئمت وعادت إلى منزل والديها.

¹ إلفينستون داريل، الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 11-15.

أخذ الوالد العنكبوت ابنته إلى مشعوذ آخر وبعد الكثير من البحث والتدقيق، اكتشف أن كبيرة زوجات الملك لجأت إلى مشعوذ آخر وسحرت الملك كي لا ينظر إلى أدياها، فقال المشعوذ للعنكبوت إن على ابنته إعطاء الملك دواء سيحضره بنفسه فيتذكرها على الفور، حضر المشعوذ العقار ودفع العنكبوت لقاءه مبلغا طائلا، وفي اليوم ذاته حضرت أدياها الطعام للملك ووضعت فيه الدواء وقدمته له، ما كاد الملك يتناول طعامه حتى رأى زوجته وتذكرها وبعد الظهر توجهت أدياها إلى النهر واغتسلت، وعندما عادت ارتدت أجمل ما لديها من الثياب وتوجهت إلى القصر.

ما كاد يحل الظلام وتطفأ الأنوار حتى خلعت أدياها جلدتها القبيح، فرأى الملك مدى جمالها وفرح كثيرا. ولكن عند صياح الديك وضعت جلدتها القبيح وعادت إلى منزلها.

بقيت أدياها على هذه الحال أربع ليالٍ تخلع جلدتها القبيح في الليل وتغادر قبل بزوغ الفجر، بعد مضي فترة قصيرة ذهل الجميع وبخاصة زوجات الملك المائتين، عندما ولدت أدياها للملك ابنا، وأكثر ما أثار دهشتهم هو أنها ولدت ابنا واحدا في حين أن أمها كانت تلد الكثير من الأولاد في آن واحد معا، حتى عددهم كان يبلغ الخمسين.

عندما أنجبت أدياها ولدا ازدادت غيرة كبيرة زوجات الملك أكثر من أي وقت مضى، فما كان منها إلا أن توجهت إلى المشعوذ مرة أخرى ليحضر لها تعويذة تصيب الملك بالكرب وينسيه ابنه، ويقوده إلى مشعوذ آخر يخبره أن ابنه هو السبب وراء السقم الذي أصابه لأنه يريد الاستيلاء على الحكم من بعده. وسيقول أن الحل الوحيد هو رمي ابنه في المياه البعيدة، وبالفعل تناول الأب العقار وذهب إلى المشعوذ الذي أخبره بالأكاذيب تماما كما اتفق مع كبيرة الزوجات، في البداية لم يرد الملك قتل ابنه، إلا أن رعياه رجوه رميه وقالوا له انه في غضون سنة سيولد له ابن آخر، فوافق الملك في النهاية ورمى ابنه في النهر، وبأمه في بحر من الأحزان والدموع.

عادت كبيرة الزوجات إلى المشعوذ وأحضرت مزيدا من العقار الذي أنسى الملك أدياها طيلة ثلاث سنوات كانت خلالها في حالة حداد على ابنها، فعادت إلى والدها الذي أحضر لها عقارا من المشعوذ، قد أعطته أدياها بدورها للملك، بفعل العقار عرف الملك أدياها وطلب منها الحضور إليه

فعادت وعاشت معه تماما كما في السابق، وقد كان المشعوذ الذي ساعد والدها مشعوذا مائيا وكان حاضرا عندما رمى الملك ابنه في الماء فخلصه وأخذه معه إلى بيته، فكبر الولد وأصبح شابا قوي البنية. بعد مضي فترة قصيرة أنجبت أدياها ابنة للملك غير أن الزوجة الغيورة أقنعتة برميها. صحيح أن إقناعه يستلزم وقتا أطول هذه المرة لكن في النهاية وافق الملك ورمى ابنته في الماء، ونسى أدياها مجددا. لكن المشعوذ المائي كان حاضرا هذه المرة أيضا فأنقذ الفتاة وفكر أنه حان الوقت لمعاقبة الزوجة الغيورة على أفعالها. فتوجه إلى بعض الرجال وأقنعهم بإقامة مباراة مصارعة في ساحة السوق كل أسبوع. وبالفعل هذا ما حدث، وقد أقنع المشعوذ المائي ابن الملك الذي أصبح قوي البنية، يشبه والده أيما شبه، أقنعه بالذهاب و المصارعة إذ لن يتمكن أحد من التغلب عليه، وقد تم التحضير لمباراة المصارعة دعي للمشاركة فيها أقوى الرجال ووعد الملك بحضور المباراة مع زوجته الرئيسة، في يوم المباراة قال المشعوذ المائي لابن الملك انه لا مجال لهزيمة فسحره قوي جدا، حضر المباراة ناس من أنحاء البلد، ووعد الملك بتقديم الهدايا للفائز، عندما رأى المصارعون ابن الملك ولم يكن احد يعرفه ضحكوا منه وقالوا: "من هو هذا الصبي الصغير؟ لا يمكنه التغلب علينا"

لكن عند بداية المصارعة اكتشفوا أنه لا مجال لمنافسته. كان الشاب أيما قوة ووسيمًا أيما وسامة، وقد دهل الناس لرؤية مدى الشبه بينه وبين الملك.

بعد مباراة دامت طول النهار أعلن فوز ابن الملك، وقدم له الملك المال والكساء ودعاه إلى العشاء في ذلك المساء، فقبل الدعوة بكل سرور وبعد أن قصد النهر واغتسل فيه، ارتدى ثيابه وتوجه إلى القصر حيث وجد قادة البلد وبعض الزوجات المفضلات لدى الملك.

جلس الجميع إلى المائدة وقد جلس بالقرب من الملك ابنه الذي كان يعلم بالأمر وإلى الجانب الآخر من الشاب جلست الزوجة الغيورة التي هي السبب في كل المشكلات وقد حاولت في ذلك المساء التقرب من الشاب إذ أنها وقعت في غرامه لوسامته وقوته وجعلت تحدث نفسها: "سأزوج من هذا الشاب فزوجي أوغل في العمر ولا بد أنه سيموت قريباً" لكن الشاب لم يكن قويا فحسب بل كان ذكيا أشد ذكاء، عالما بكل ما فعلته المرأة الغيورة وبالرغم من أنه ادعى الامتنان الكبير لزوجة الملك

إلا انه لم يتفاعل معها بل عاد إلى منزله حالما استطاع، عندما عاد إلى منزل المشعوذ المائي اخبره بكل ما حدث، فقال له المشعوذ: "بما أنك لقيت استحسانا كبيرا من الملك فعليك إن تذهب إليه غدا وتطلب منه خدمة وهي إن يدعو أهل البلد جميعا وتقام محاكمة وعند انتهائها يقتل الإغبو المذنب، أرجلا كان أم امرأة أمام الناس أجمعين".

وفي صباح اليوم التالي قصد الشاب الملك الذي وافق فوراً على مطلبه، وعين يوماً للمحاكمة. عاد الشاب إلى المشعوذ الذي اخبره إن يقابل أمه ويخبرها من يكون ويطلب منها أن تخلع جلدتها القبيح في يوم المحاكمة، لتطل بأبهى شكل، فقد حان الوقت لذلك، وبالفعل هذا ما فعله الابن.

في يوم المحاكمة جلست أدياها في إحدى زوايا الساحة لكن أحدا لم يعرف إن الفاتنة الغريبة هي ابنة العنكبوت، جلس ابنها بالقرب منها وقد احضر معه أخته، ولما رأتها قالت له: "لا بد أن هذه هي ابنتي التي بكيت على موتها اشد بكاء" ثم عانقتها أيما عناق، وصل الملك وكبرى زوجاته وجلسا على عرشيهما وسط الساحة فرحب بهما الناس وحيوهما كالمعتاد. بعد ذلك توجه الملك واخبر الناس عن سبب حضورهم وانه بناء على طلب من الشاب الفائز في المصارعة، والذي وعد بأن يسمح للإغبو بقتله في حال خسر المحاكمة، ومن جهة أخرى قال الملك إنه لو فاز الشاب بالمحاكمة فسيقتل الطرف الآخر حتى وإن كان هو نفسه أو إحدى زوجاته، وافق الجميع وكانوا متحمسين لما سيقوله الشاب، الذي نزل إلى الساحة وقال: "ألا أستحق أن أكون ابن أي قائد في هذا البلد؟" فأجابه الناس جميعا: "بلى!".

فأمسك الشاب بيد أخته وقادها إلى وسط الساحة، وقد كانت الفتاة رائعة الجمال فأنشدت جميع الأنظار إليهما بينما قال الشاب: "ألا تستحق أختي أن تكون ابنة قائد؟"، فأجاب الناس أنها تستحق أن تكون ابنة أرفع الناس شأنًا، حتى أن تكون ابنة الملك، ثم طلب من أدياها فحضرت إلى وسط الساحة بكامل أناقتها وجمالها وأذهلت الجميع فلم يسبق أن رأوا امرأة بحسنها، فسألهم الشاب: "ألا تستحق هذه المرأة أن تكون زوجة الملك؟" فأجاب الناس بصوت مرتفع أنها تستحق أن تكون زوجة الملك وإن تنجب له الكثير من الأبناء الأصحاء، بعد ذلك أشار الشاب إلى الزوجة الغيورة

الجالسة قرب الملك، وأخبر الناس قصته، وأن أمه مزدوجة الجلد هي ابنة العنكبوت، وأخبرهم كيف تزوجت من الملك وكيف أن الزوجة الغيورة حضّرت للملك تعويذة أنسته زوجته، وكيف أقنعت الملك برميهِ وشقيقته في النهر وهذا ما حصل بالفعل إلا أن المشعوذ المائي أنقذها ورباهما، ثم قال الشاب: "سأترك للملك والحاضرين الحكم في قضيتي إن كنت مخطئاً فليقطع الإغبو رأسي وإن كانت تلك المرأة مخطئة فلتنزلوا بها العقاب المناسب".

سرّ الملك كثيراً لمعرفة أن المصارع ابنه، وطلب من الإغبو معاقبة المرأة الغيورة وفقاً لقوانينهم، واعتبر هؤلاء أن المرأة ساحرة فأخذوها إلى الغابة وربطوها بجذع شجرة، وجلدوها مائتي جلدة بسوط من جلد فرس النهر، ثم أضرموا النار فيها وهي حية، كي لا تتسبب بالمزيد من المتاعب، ثم ألقوا برمادها في النهر عانق الملك زوجته وابنته وأخبر الناس أن أدياها هي زوجته وستكون هي الملكة من الآن فصاعداً، فحملها خدام الملك إلى القصر وأقام الملك احتفالات دامت مئة وستة وستين يوماً، وأصدر الملك قراراً بقتل أي امرأة تحضّر التعاويذ لزوجها ثم أمر ببناء ثلاث مزارع وتزويدها بالعبيد رجالاً ونساءً، ووزعها على زوجته وابنة وابنته، وعاشوا معاً حياة هائلة، وعندما مات الملك خلفه ابنه في الحكم.⁽¹⁾

7. الغريبة الفاتنة التي قتلت الملك

كان هناك ملك مشهور في مدينة "كالابار القديمة" اسمه "مبوتو" وقد دأب على خوض الحروب والانتصار فيها بفعل جسارته واضطلاعه بفنون الحرب وكان يتخذ من أسرى الحرب عبيداً له مما جعله غنياً جداً واكسبه في الوقت نفسه الكثير من الأعداء، ولاسيما شعب "إيتو" الذين أرادوا قتله، لكنهم لم يكونوا أقوياء بما فيه الكفاية للتغلب عليه بالحرب فما كان منهم إلا أن لجئوا إلى المكر والخداع. وكان من بين شعب "إيتو" عجوز ساحرة تستطيع تحويل نفسها إلى أي شيء تريده، وعندما تطوعت لقتل الملك "مبوتو" سرّوا كثيراً، ووعدوها بالكثير من المال والكساء إن هي نجحت في تخليصهم

¹ إلفينستون داريل، الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 21-30.

من عدوهم اللدود، حولت الساحرة نفسها إلى شابة فاتنة، وتسلحت بسكين حاد أخفته في صدرها، ثم توجهت إلى مدينة "كالابار القديمة" بحثاً عن الملك.

حين وصلت الساحرة إلى المدينة، تصادف وجود مهرجان حضره الناس من المناطق المجاورة للرقص والاحتفال، توجهت الساحرة "أويايكان" إلى ساحة المهرجان، فرآها الجميع وذهلوا بجمالها الذي شبهوه بجمال الشمس عندما تصبغ السماء بالحمرة عند الغروب، علم الملك "مبوتو" بأمر الفاتنة، ولما كان مشهوراً بحبه للجذبات، فقد أرسل بطلبها في الحال وأجمع الناس على أنها تستحق أن تكون زوجة له. ذهل الملك عند رؤية الفاتنة حتى إنه طلب منها الزواج في اليوم نفسه، سرت "أويايكان" لسماع ذلك أيما سرور، إذ لم تتوقع أن يحصل ذلك بهذه السرعة، فحضرت للملك طعاماً وضعت له فيه منوماً، ثم ذهبت إلى النهر لكي تستحم، عندما انتهت "أويايكان" من الاستحمام، كان الظلام قد حل، فعادت إلى قصر الملك حاملة الوعاء على رأسها، وحالما رآها عانقها بسعادة، بعد ذلك قدمت له الطعام قائلة إنه من صنع يديها. تناول الملك طعامه كله، وسرعان ما شعر بالنعاس، فلمنوم كان قويا جداً وقد وقع فوراً تحت تأثيره.

دخل الملك والساحرة إلى غرفة الملك حيث نام هذا الأخير على الفور، عند منتصف الليل بعدما عم الهدوء المدينة استلقت "أويايكان" السكين من صدرها وقطعت رأس الملك ثم وضعت في حقيبة وتسلمت إلى خارج القصر بعد أن أقفلت الباب خلفها. مشيت الساحرة في المدينة من دون أن يراها أحد، حتى وصلت إلى "إيتو" حيث وضعت رأس الضحية أمام ملك "إيتو".

عندما سمع شعب "إيتو" أن الساحرة نجحت في قتل عدوهم اللدود، اعتزاهم الفرح وقرر ملكهم مهاجمة مدينة كالابار القديمة، فجمع المحاربين وعبروا النهر بالزوارق إلى المدينة القديمة، وقد حرصوا على ألا يعلم سكان كالابار بقدمهم.

في صباح اليوم الذي تلا مقتل الملك، تفاجأ الناس بعدم ظهور الملك في وقته المعتاد فقرعت كبيرة زوجاته بابه، لكنها لم تلق جواباً، فنادت على الحراس كي يخلعوا الباب. عندما دخلوا الغرفة وجدوا الملك ميتاً على السرير الملطخ بالدم، مقطوع الرأس، علا الصراخ في القصر وعم الحزن والحداد أرجاء

المدينة، صحيح أنهم لاحظوا اختفاء الغريبة الفاتنة إلا أنهم لم يربطوا ذلك بمقتل ملكهم، كما لم يتوقعوا أي خطر، ولم يكونوا مستعدين لأي قتال، وفي وسط حدادهم فاجأهم ملك "إيتو" وجنوده وهاجموا المدينة القديمة وتغلبوا على شعب "كالابار" فقتل الكثيرون منهم وأسر الكثير الكثير.⁽¹⁾

8. الابنة العاصية التي تزوجت هيكلًا عظيمًا:

كان هناك رجل من مدينة "كوبهام" اسمه "إفيونغ إيديم"، وكان له ابنة فاتنة اسمها "أفيونغ" وقع جميع رجال البلد في حبها ورغبوا في الزواج منها، إلا أنها رفضتهم جميعا على الرغم من توسلات والديها وإلحاحهما، فقد كانت "أفيونغ" متعجرفة جدا، حتى إنها قالت أنها لن تتزوج إلا من أوسم شبان البلاد وأشداهم باسا، وكان معظم الرجال الذين أراد والدها تزويجها منهم طاعنين في السن قبيحين، على الرغم من ثرائهم الفاحش، فبقيت الابنة تعصي أوامر والديها زارعة بذلك الحزن في قلوبهما.

سمع الهيكل العظمي الذي في يعيش في أرض الأرواح بجمال فتاة "كالابار" تلك ورغب في الحصول عليها، فقصده أصدقاؤه واستعار منهم أفضل ما لديهم من أعضاء الجسد، أخذ من الأول رأسا جميلا، ومن الثاني جسما، أما الثالث فأعطاه ذراعين قويتين، والرابع ساقين قويتين، حتى أصبح في النهاية رجلا وسيما، بعد ذلك غادر أرض الأرواح واتجه إلى سوق "كوبهام" حيث رأى "أفيونغ" فوقع فورا في غرامها، وحين رأت "أفيونغ" أنه يفوق جميع أبناء القرية وسامة وقوة وقعت في غرامه ودعته إلى منزلها، عند وصولهما إلى المنزل، عرفت الفتاة والديها عليه ولم يتردد هو في طلب يدها للزواج، في البداية رفض الوالدان إذ لم يرغبوا في تزويج ابنتهما من غريب، لكنهما وافقا في النهاية.

عاش الهيكل العظمي يومين مع "أفيونغ" في منزل والديها، وبعد ذلك أعرب لها عن رغبته في اصطحاب زوجته إلى بلاده البعيدة، انصاعت الفتاة لرغبة زوجها لشدة إعجابها بوسامته وقد حاول والداها إقناعها بعدم الذهاب، لكنها أصرت على رأيها وقررت الذهاب مع زوجها وانطلقا معا، بعد مرور أيام قليلة على رحيلهما، قصد الوالد مشعوذا واكتشف أن زوج ابنته ينتمي لأرض الأرواح، مما يحتم موت الابنة، فغرق الوالدان في الحزن والحداد عليها.

¹ إلفينستون داريل، الصياد المحظوظ، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 41-43.

بعد أيام من السير اجتازت أفيونغ والهيكل العظمي الحدود بين أرض الأرواح وبلاد البشر، وما كادت رجالها تطآن أرض الأرواح حتى سارع رجل نحو الهيكل العظمي وطالبه بساقيه ثم أتى رجل آخر وطالب باستعادة رأسه، وبعد ذلك رجل ثالث وطلب استعادة جذعه، وهكذا دواليك حتى عاد الزوج في غضون دقائق معدودة هيكلا عظيما قبيحا، ارتعبت الفتاة وأرادت العودة إلى منزلها لكن الهيكل العظمي لم يسمح لها بذلك بل أمرها بمرافقته، وعند وصولهما إلى منزله، استقبلتهما والدته وهي امرأة طاعنة في السن عاجزة عن القيام بأي شيء، حاولت أفيونغ مساعدتها بشتى الوسائل، فكانت تعد لها الطعام، وتحضر لها الماء والخطب، فشعرت العجوز بالامتنان لاهتمام أفيونغ بها وأحببتها حبا جما.

وذاث يوم أعربت العجوز عن أسفها لأفيونغ، فالتاس في أرض الأرواح هم جميعا من آكلي لحوم البشر، وعندما يعلمون بوجود أحد البشر في بلادهم فسيسرعون إلى قتله واكله، وبالتالي حرصت على إخفائها والاعتناء جيدا بها، ووعدتها أن تعيدها إلى بلادها في أسرع وقت ممكن مقابل وعد من أفيونغ بإطاعة والديها، فوافقت أفيونغ على شرط العجوز، بعد ذلك استدعت العجوز العنكبوت الذي كان مزين شعر "ماهر"، وطلبت منه تسريح شعر أفيونغ وفقا لآخر صيحات الموسوعة، ثم قدمت لها الخلاخل وما إلى ذلك من عربون شكر على لطفها، وفي النهاية حضرت العجوز تعويذة، فاستدعت الرياح لتحمل أفيونغ وتعود بها إلى منزلها، في البداية وصل الإعصار، يرافقه الرعد والبرق والمطر، فطرده والدته الهيكل العظمي إذ لم يكن صالحا للمهمة، بعد الإعصار وصل النسيم العليل فطلبت منه العجوز حمل أفيونغ إلى منزل والدتها ثم ودعتها. ولم يمر الكثير من الوقت حتى وضع النسيم أفيونغ أمام منزلها حيث تركها وغادر.

سر الوالدان برؤية ابنتهما أيما سرور بعد أن فقدوا الأمل في العثور عليها منذ بضعة أشهر، غطى الوالد الأرض بجلود الحيوانات من الموضع الذي وقفت فيه ابنته وصولا إلى المنزل حتى لا تغبر قدميها. مشت أفيونغ إلى المنزل وقد دعا والدها رفيقائها للمجيء والرقص احتفالا بعودتها، واستمرت الاحتفالات ثمانية أيام بلياليها. وعندما انتهت الاحتفالات، قصد الوالد القائد الأعلى في المدينة واخبره

بما جرى، فأصدر القائد قرارا يقضي بعدم سماح الأهل لبناتهم بالزواج من غرباء قادمين من بلاد بعيدة، بعد ذلك طلب الوالد من ابنته أن تتزوج من أحد معارفه فوافقت وعاشت معه سنوات طويلة وأنجبت منه الكثير من الأولاد.⁽¹⁾

9. الملك الذي تزوج ابنة الديك:

كان هناك ملك في مدينة "كالابار" اسمه "إفيوم" اشتهر بولعه بالفتيات الجميلات، وكان كلما علم بوجود فتاة فائنة أرسل بطلبها إذا أثارت إعجابه اتخذها زوجة له، وكان الملك قادرا على اتخاذ الكثير من الزوجات له، لأن ثراه الفاحش يؤهله لدفع أي مهر يطلبه الوالدان، كما أنه قادر على إنفاق الكثير من المال على شراء العبيد وبيعهم، كان "إفيوم" مئات الزوجات لكنه لم يكن سعيدا وأراد الحصول على فائتات البلد كلهن وقد أخبر بعض أصدقاء الملك الذين كانوا دائما يبحثون عن الفائتات، بأن ابنة الديك تفوق جميع زوجاته جمالا وما كاد يعلم بذلك حتى أرسل بطلب الديك وأخبره بأنه ينوي اتخاذ ابنته زوجة له، كان الديك فقيرا جدا ولم يتمكن من لرفض طلب الملك، فاحضر ابنته الفائتة ونالت استحسان الملك الذي وهب الأب ستة براميل من زيت النخيل مهرا لابنته، فحذره الديك ألا ينسى أن لابنته غريزة دجاجة وعليه ألا يلومها إن نقرت حبوب الذرة أينما رأتها، فأجابها الملك أنه لا يمانع أن تأكل أديا يونين (الابنة). تزوج الملك "أديا يونين" وأحبها كثيرا، حتى إنه أهمل زوجاته الأخريات وعاش معها وحدها، فقد كانت الزوجة المناسبة له وأسعدته أكثر من زوجاته الأخريات، كما كانت تسليه وتلعب معه وتجذبه بطرق متعددة مختلفة حتى لم يعد قادرا على العيش من دونها، وصار يصطحبها معه دائما على عكس زوجاته الأخريات اللواتي لم يعد يكلمهن أو يلحظ وجودهن، غضبت الزوجات المهملات غضبا شديدا وكرهن ابنة الديك أيما كره فمئذ أن تزوجها الملك أهملهن بعد أن كان يوزع اهتمامه عليهن جميعا، لذلك عزم على إلحاق العار على أديا يونين، وبعد مشاورات طويلة قالت إحدى زوجات الملك -وقد كانت المفضلة عند الملك قبل أن تأتي ابنة الديك وتحتل مكانها-: "هذه الفتاة التي نكرها جميعا ليست سوى ابنة ديك، لذا يسهل علينا أن نلحق بها

¹ إلفينستون داريل، الصياد المحظوظ، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 51-54.

العار في نظر الملك، إذ أنني سمعت والدها ينبّه الملك إلى أنها لا تستطيع منع نفسها من نقر حبوب الذرة أينما وجدتها"

بعد قليل من اعتزام زوجات الملك من إلحاق العار بأديا يونين وصل أهل الملك كلهم لزيارة الملك، وكانت هذه المناسبة تتكرر ثلاث مرات في السنة يحمل الناس فيها الهدايا للملك من البطاطا الحلوة إلى الدجاج والماعز ومحاصيل الذرة، وفي المقابل يقيم لهم الملك مأدبة من البطاطا واللحم بزيت النخيل وشراب التومبو، كذلك كانت تقام الحفلات الراقصة التي كانت غالبا ما تمتد لأيام وليال، في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم طلبت كبيرة زوجات الملك من خادمتها أن تغسل حبوب الذرة وتضعها في وعاء، ثم عندما يأتي الناس جميعا أن تنثرها على الأرض وتغادر، وكان من المفترض أن تنثر حبوب الذرة أمام "أديا يونين" لكي يراها صغار القوم وكبارهم.

عند الساعة العاشرة تقريبا عندما اجتمع القادة والناس أجمعين وترجع الملك على كرسيه الخشبي الكبير دخلت الخادمة ونثرت حبوب الذرة على الأرض تماما كما طُلب إليها، وما كادت تفعل ذلك حتى سارعت أدياها يونين نحو حبوب الذرة تنقرها وتأكّلها، ضحك الناس جميعا لرؤية ذلك، أما الملك فقد تلظى غضبا وتملكه الخجل، وقالت زوجات الملك كما الكثير من الناس إن من شأن أجمل زوجات الملك أن تتعلم التصرف بلباقة بدلا من نقر حبوب الذرة عن الأرض. وقال آخرون: "وماذا تتوقعون من ابنة ديك؟ لا يمكن لومها على خضوعها لغرائزها الطبيعية"، بيد أن الملك استشاط غيظا وطلب من إحدى الخادومات توضيب أغراض "أدياها يونين" وإعادتها إلى منزل والدها، وبالفعل هذا ما حصل وعادت الفتاة ذليلة إلى منزل والديها.

في تلك الليلة جاءت زوجة الملك الثالثة التي كانت صديقةً لأديا يونين وأخبرت الملك بما جرى وشرحت له أن العار الذي لحق بأديا يونين لم يكن سوى نتيجة غيرة كبيرة زوجاته منها وأن ما حصل كان مدبرا لدفعه للتخلص منها، طار الملك غضبا وقرر طرد كبيرة زوجاته وإعادتها إلى منزل والديها خالية الوفاض، عندما وصلت إلى منزل والديها رفضا استقبالها إذ أنهما خسرا الكثير من ماء الوجه بسبب فعلتها المشؤومة، فكان مصير الزوجة الغيورة التشرّد في الشوارع فقيرة بائسة، وبعد مدة ماتت

على هذه الحال، حزن الملك لأنه أجبر على إبعاد زوجته المفضلة أدياها يونين، حتى قضى هو الآخر حزنا بعد سنة، وعندما رأى الناس أن ملكهم مات منفرط الفؤاد أصدروا قانونا يحظر الزواج من أي طائر أو حيوان.⁽¹⁾

10. حكاية الفتاة السمينة التي ذابت:

كانت هناك فتاة سمينة جدًا مخلوقة من زيت، كانت جميلة جدًا، وقد تقدم الكثير من الرجال لطلب يدها من والديها، كما عرضوا دفع مهر للزواج منها، إلا أن الوالدة كانت ترفض دائمًا تزويج ابنتها لأنها تعرف أن من المستحيل أن تعمل ابنتها في مزرعة خوفا من أن تذوب تحت حرارة الشمس، في النهاية وقع رجل غريب من بلاد بعيدة في غرام الفتاة السمينة ووعد أن يقيها في الظل إذا ما قبلت والدتها تزويجها به، فوافقت الوالدة وغادر الغريب آخذًا زوجته معه.

عندما وصلا إلى منزل الزوج، شعرت زوجته الثانية بالغيرة، فقد كانت وحدها تقوم بجمع الحطب وحمل الماء، في حين تبقى الفتاة السمينة في المنزل خوفا من الحرارة.

ذات يوم كان الزوج غائبا، فبقيت الزوجة الغيورة تلح على المرأة السمينة حتى وافقت هذه الأخيرة على الخروج والعمل في المزرعة، بالرغم من أن شقيقتها الصغرى التي أحضرتها معها من المنزل رجتها عدم الخروج وذكرتها أنه لطالما حذرتها أمها من الخروج تحت أشعة الشمس لأنها ستذوب، في الطريق إلى المزرعة حرصت المرأة السمينة على البقاء في الظل حتى وصلن إلى المزرعة حيث كانت الحرارة شديدة، فبقيت في ظل شجرة كبيرة، عندما رأت الزوجة الغيورة ذلك بدأت تنكد على المرأة السمينة مجددا وتطالبها بمساعدتها في العمل وعندما لم تعد المرأة السمينة قادرة على تحمل إلحاح الزوجة الغيورة، راحت تعمل تحت أشعة الشمس متجاهلة تحذيرات شقيقتها، ولم يمض إلا القليل من الوقت حتى بدأت تذوب، ولم يبق منها إلا إصبع رجلها الذي كانت تغطيه ورقة سقطت من الشجرة، عندما رأت الشقيقة الصغرى ذلك، اقتربت والدموع تملأ عينيها وأمسكت بالإصبع الذي كان كل ما تبقى من المرأة

¹ إلفينستون داريل، الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 55-58.

السمينة، ثم غطته جيداً بأوراق الشجر ووضعت في أسفل سلتها، وعندما عادت إلى المنزل وضعت الإصبع في قدر من الفخار مليء بالماء وغطته بالطين.

عندما عاد الزوج إلى المنزل سأل: "أين زوجتي السمينة؟" فأخبرته الشقيقة الصغرى وهي تبكي بكاءً مريراً بأن المرأة الغيورة أجبرت شقيقتها على الخروج تحت أشعة الشمس مما تسبب في ذوبانها، ثم أحضرت القدر الفخارية وأرته ما تبقى من شقيقتها، وقالت له: إن زوجته ستعود إلى الحياة بعد ثلاثة أشهر، إلا أن عليه طرد زوجته الغيورة كي لا تتسبب بالمزيد من المتاعب، وأضافت أنه إن رفض الزوج ذلك فستأخذ القدر إلى والدتها وعندما تعود شقيقتها إلى الحياة بجسدها الكامل ستبقى معها في منزل والديها، فما كان من الزوج إلا أن أعاد زوجته الغيورة إلى منزل والديها اللذين باعها عبدة وأعاد المهر للزوج ليتمكن من دفعه مهراً لزوجته الجديدة أخذ الزوج المال إلى المنزل حيث احتفظ به ثلاثة أشهر إلى أن فتحت الشقيقة الصغرى القدر فخرجت منه المرأة السمينة جميلة وسمينة تماماً كما من ذي قبل، سر الزوج أبما سرور برؤية زوجته وأقام مأدبةً دعا إليها الأصدقاء والجيران وأخبرهم بما فعلته زوجته الغيورة.

ومنذ ذلك الحين، كلما أساءت زوجة التصرف مع زوجها أعادها إلى والديها وهما بدورها باعها عبدة وأعطيا الزوج ثمن بيع ابنتهما مهراً لزواجه التالي.⁽¹⁾

11. حكاية الفتاة الفاتنة والفتيات الغيورات السبع:

كانت هناك فتاة رائعة الجمال اسمها "أكيم" وكانت من مدينة "إيبينيو" ويعود اسمها إلى جمالها الباهر إذ ولدت في فصل الربيع وكانت "أكيم" وحيدة والديها فكانا يجبانها حبا جما أما الناس في تلك المدينة ولاسيما الشابات فكن يغرن منها كثيراً بسبب جمالها الأخاذ وجسمها الرائع القوي ورشاققتها ولباقتها حتى إن والديها ما كانا يسمحان لها بالانضمام إلى جمعية الشابات في تلك المدينة، وقد جرت العادة في ذلك الوقت أن ينظم جميع الشبان أو الشابات المولودين في العام نفسه جمعية.

¹ إلفينستون داريل، الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 92-94.

كان والدا أكيـم فقيرين إلا أنها كانت فتاة صالحة ولم تتسبب لهما بأي متاعب وذات يوم ذهبت أكيـم إلى النبع فالتقت سبع فتيات كان من المفترض أن تكون معهن في الجمعية نفسها لو لم يمنعها والداها من ذلك، وأخبرنها بأنهن سيعرضن مسرحية في المدينة بعد ثلاثة أيام وطلبن منها الانضمام إليهن فأسفت لعدم تمكنها من ذلك وقالت للفتيات السبع إن والديها فقيران وليس لديهما غيرها يساعدهما، لذا فهي لا تملك الوقت للرقص والمسرحيات ثم تركتهن وعادت إلى المنزل.

في المساء التقت الفتيات السبع وقد كن يغرن غيرة شديدة من أكيـم وقررن الانتقام منها لأنها رفضت الانضمام إلى جمعيتهم ورحن يبحن في كيفية تعريضها للخطر أو معاقبتها في النهاية اقترحت إحداهن الذهاب إلى منزلها كل يوم ومساعدتها في العمل حتى يصبحن صديقات لها فيتمكن عندئذ من الانتقام منها لأنها تفوقهن جمالا، وبالفعل صارت الفتيات السبع يذهبن إلى منزلها كل يوم ويساعدنها في العمل إلا أن الوالدين أدركا أن تلك الفتيات يغرن من ابنتهما فحذرهما مرارًا من الذهاب معهن لأنهن غير جديرات بالثقة.

في نهاية السنة كانت ستقام مسرحية ضخمة في مدينة تبعد عن منزل أكيـم زهاء ساعتين سيرا على الأقدام وقد دعي إليها والدا أكيـم وكانت الفتاة متحمسة جدًا للذهاب إلى المسرحية والمشاركة في الرقص إلا أن والديها أوكلا إليها الكثير من العمل قبل أن ينطلقا إلى المدينة الأخرى لحضور المسرحية ظنا منهما أن ذلك سيمنعها من الذهاب إذ كانت فتاة مطيعة تقوم بعملها على أكمل وجه.

في صباح ذلك اليوم الذي ستعرض فيه المسرحية جاءت الفتيات السبع الغيورات وطلبن من أكيـم مرافقتهن فقالت لهن إن والديها أوكلا إليها الكثير من العمل من ملء الجرار بالماء إلى دهن الجدران وتنظيف الأرض، ثم التخلص من الأعشاب الضارة حول المنزل، وأضافت أنه من المستحيل أن تغادر المنزل قبل إتمام الأعمال كلها، فما كان من الفتيات إلا أن حملن الجرار وتوجهن إلى النبع فملأنها وعدن بها ثم بدأن بدهن الجدران وتنظيف الأرض وبعد ذلك تخلصن من الأعشاب الضارة في الخارج ونظفن مكانها وعندما أنهين الأعمال كافة قلن لأكيـم: "تعالى معنا لم يعد لديك أي عذر فقد أنجزت الأعمال كلها". كانت أكيـم راغبة بشدة في الذهاب إلى المسرحية وبعد أن أنجزت الأعمال التي أوكلها والداها

إليها وافقت على مرافقة الفتيات، وفي منتصف الطريق إلى المدينة التي تقام فيها المسرحية ثمة نهر صغير يبلغ عمقه نحو خمسة أقدام إلا أنه لا يوجد جسر لعبور هذا النهر ولا طريقة لعبوره سوى السير فيه وفي ذلك النهر جن يفرض على كل من يمر بذلك النهر ذهابا وإيابا في اليوم نفسه تقديم بعض الطعام له وفي حال لم يفعل يسحبه ويأخذه إلى منزله حيث يحتجزه ويجبره على العمل لديه، كانت الفتيات السبع يعلمن ذلك فغالبا ما اجتزن ذلك النهر من مدينة لأخرى إذ كانت لهن صديقات في كل مكان، لكن الفتاة الصالحة أكييم ما كانت تعلم بشأن الجن فهي لم تذهب إلى أي مكان من قبل.

أنهت الفتيات العمل وانطلقن مع أكييم في سبيلهن واجتزن النهر من دون أي مشكلات. وعند الضفة الأخرى من النهر، رأين عصفورا صغيرا واقفا على شجرة عالية يتأمل أكييم بإعجاب ويزقزق إجلالا لجمالها، فغضبن كثيرا لكنهن أكملن طريقهن من دون أن يتفوهن بكلمة حتى وصلن إلى المدينة التي تقام فيها المسرحية. لم تبدل أكييم ملابسها، وعندما وصلت إلى المدينة جذبت أنظار الشباب كلهم بالرغم من أن الشابات الأخريات كن يرتدين أجمل حللهن، وقد اتفق الجميع على أنها كانت أجمل فتاة في ذلك الحفل، وأعطوها الكثير من شراب النخيل والبطاطا الحلوة وكل ما أرادته، فتفاقم غضب الفتيات السبع وازددن غيرة بقي الناس يغنون ويرقصون طيلة الليل، لكن أكييم حرصت على البقاء بعيدة عن نظر والديها حتى صباح اليوم التالي، عندما سأها والدها كيف تجرأت على عصيان أوامرهما وإهمال عملها، فأجابت أن صديقاتها أنجزن الأعمال كلها وأنهن دعونها لمرافقتهن إلى المسرحية. عندئذ طلبت منها والدتها العودة إلى المنزل على الفور وألا تبقى في تلك المدينة لحظة إضافية.

عندما أخبرت أكييم صديقاتها بذلك قلن لها: "حسنا سنتناول وجبة صغيرة ومن ثم نعود معك" ثم جلسن معا وأكلن وقد خبأت كل من الفتيات الغيورات السبع كمية صغيرة من البطاطا والسمك في جيبتها لتعطيها لجن النهر أما أكييم التي ما كانت على علم بشأن الجن والتي نسي والدها أن يخبرها عنه لأفهما لم يفكرا بأنه سيكون على ابنتهما اجتياز النهر فلم تأخذ شيئا للجن.

عندما وصلن للنهر رأت أكييم الفتيات يقدمن تضحياتهن فرجتهن أن يعطينها القليل لتقدمه للجن ولكنهن رفضن واجتزن النهر بسلامة، وعندما حان دور أكييم لتجتاز النهر تقدمت ووصلت إلى

وسط النهر حيث أمسك بها الجن وسحبها تحت الماء فاخفت عن الأنظار، شاهدت الفتيات السبع ذلك فأكملن طريقهن فرحات بنجاح خطتهن وقالت الواحدة منهن للأخرى: "الآن وقد اختفت أكيـم للأبد لن يقول لنا أحد أنها تفوقنا جمالا" اعتقدت الفتيات أن أحدا لن يكتشف عملهن المشين فعدن إلى المنزل سعيدات ولم يلحظن وجود العصفور الصغير الذي كان يزقزق إجلالا لجمال أكيـم وهن في طريقهن لحضور المسرحية، شعر العصفور الصغير بالأسى على الفتاة المسكينة وقرر أن يخبر والديها بما رآه عندما يرى الوقت مناسباً عليهما يستطيعان إنقاذها، سمع العصفور الصغير أكيـم تطلب القليل من الطعام لتقدمه تضحية للجن كما سمع الفتيات يرفضن إعطاءها الطعام.

في صباح اليوم التالي عندما عاد والد أكيـم إلى المنزل تفاجأ بأن الباب مقفل وأنه لا أثر لابنتهما في الجوار فسألا الجيران عنها لكن أحدا منهم لم يكن يعرف شيئا عنها، فذهبا إلى الفتيات السبع وسألأهن عما حل بابنتهما فأجبنهما بأنهن لا يعرفن ما جرى لها لكنهن متأكـدات أنها وصلت إلى مدينتهن بسلام ثم قالت لهن إنهما ستعود إلى المنزل، فما كان من الوالد إلا أن قصد مشعوذا تمكن بعد الكثير من البحث من معرفة ما جرى، فأخبر الوالد أن أكيـم في طريقها من المسرحية، عبرت النهر من دون أن تقدم تضحية لجن المياه، مما أغضب الجن فخطفها وأخذها إلى منزله بعد ذلك طلب المشعوذ من والد أكيـم أخذ ماعز وسلّة مليئة بالبيض وقطعة بيضاء من الملابس إلى النهر في الصباح وتقديمها لأضحية لجن المياه، فيقوم هذا الأخير بقذف الفتاة من المياه سبع مرات لكن عن فشل والدها في التقاطها في المرة السابعة، تختفي إلى الأبد.

عاد والد أكيـم إلى المنزل وعندما وصل أخبره العصفور الصغير بما جرى مؤكدا بذلك كلام المشعوذ كما أضاف العصفور أن ذلك حصل سبب الفتيات السبع اللواتي رفضن إعطاء أكيـم طعاما تقدمه أضحية لجن النهر.

في صباح اليوم التالي توجه الوالدان إلى النهر وقدا الأضحية تماما كما نصحهـما المشعوذ وما كادا يفعلان ذلك حتى رمى جن المياه بأكيـم خارج الماء من وسط النهر فالتقطها والدها على الفور وعادا إلى المنزل ممتنين.

لم يخبر الوالد أحدا أنه عثر على ابنته وقرر أن يعاقب الفتيات الغيورات السبع فحفر حفرة صغيرة وسط منزله ووضع فيها أوراق نخيل جافة ومسامير حادة ثم غطاها بسجادة صغيرة بعد ذلك دعا والد أكيم الناس لإقامة مسرحية فرحا بعودة ابنته من أرض الأرواح، كثر كانوا الذين لبوا الدعوة فرقصوا وغنوا ليلا و نهارا إلا أن الفتيات الغيورات السبع لم يظهرن لأنهن كن خائفات وعندما علمن بأن الأمور جرت على خير ما يرام في اليوم السابق توجهن إلى منزل أكيم في صباح اليوم التالي واختلطن بالراقصات إلا أنهن لم يملكن الجرأة للنظر إلى أكيم التي جلست وسط حلقة الرقص.

عندما رأى الوالد الفتيات السبع ادعى الترحيب بهن على أنهن صديقات ابنته ثم وضع لهن قلادات نحاسية حول أعناقهن كما قدم لهن شراب النخيل بعد ذلك طلب منهن الجلوس على الجهة الأخرى من الحفرة التي حفرها لهن، وما كدن يطان السجيدات التي كانت تخفي الحفرة حتى وقعن فيها فأسرع والد أكيم إلى إحضار رماد أحمر ساخن من النار ورماها على الفتيات السبع اللواتي رحن يصرخن من الألم، وعلى الفور اشتعلت أوراق النخيل الجافة وأوردت بحياة الفتيات حرقا.

عندما سمع الناس الصراخ ورأوا الدخان هرعوا إلى المدينة في اليوم التالي توجه أهالي الفتيات السبع إلى القائد وأخبروه أن والد أكيم قتل بناتهم فأرسل القائد بطلب والد أكيم وطلب منه تفسيراً فذهب والد أكيم إلى القائد وأخذ معه المشعوذ الذي كان الجميع يصدق أقواله كما أخذ معه العصفور الصغير شاهدا على ما جرى.

عندما سمع القائد القصة كاملة قال لوالد أكيم إنه كان عليه أن يقتل فتاة واحدة لا السبع للانتقام لابنته ثم طلب منه أن يحضر أكيم للمثول أمامه.

عندما رأى القائد جمال أكيم الأخاذ قال إن والدها كان محقا بقتل الفتيات السبع انتقاما لها فرفض الشكوى وطلب من أهالي الفتيات السبع أن ينصرفوا ويحدوا على بناتهم اللواتي كن شريرات وغيورات واللواتي لقين عقابا مناسبا لمعاملتهن المشينة لأكيم.⁽¹⁾

12. العبداء التي حاولت قتل سيدتها:

¹ إلفينستون داريل، الصيد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص118-126.

كان "أكبان" من مدينة "أوكو" في بلاد "إيببيو" مغرما بفتاة اسمها "إيمي" ويرغب في الزواج منها لأنه يرى بأنها الفتاة الأجمل والأروع، وقد اقتضت العادة في تلك الأيام أن يطلب الوالدان مهرا عاليا لابنتهما وإن فشلت الابنة بعد الزواج بإرضاء زوجها يكون مصيرها أن تباع عبدة، دفع أكبان مبلغا طائلا مهرا للزواج من إيمي التي وضعت في غرفة السمينة حتى حان وقت الزواج.

طلب أكبان من والدي إيمي أن يرسلها إليه عندما تصبح جاهزة للزواج وقد وعدها بذلك وكان والد إيمي رجلا ثريا وبعد مرور سبع أعوام وقد حان الوقت لتذهب إيمي إلى زوجها رأى والدها فتاة جميلة خرجت لتوها من غرفة السمينة وصارا يريدان بيعها عبدة، فاشتراها والد إيمي وأعطاه لابنته لتكون خادمة لها، في اليوم التالي كانت شقيقة إيمي الصغرى متحمسة جدا للذهاب معها فوافقت والدتها على ذلك وذهبت الفتاتان مع العبدة حاملة كيسا كبيرا من الثياب والهدايا من والد إيمي، وكان منزل أكبان يبعد مسيرة يوم عن منزل والد إيمي، عندما وصلت الفتيات الثلاث إلى خارج المدينة رأين نعبا يشرب منه الناس لكن لا يسمح لأحد أن يستحم فيه. لم تكن إيمي تعرف شيئا عن ذلك فخلعت الفتيات الثلاث ثيابهن بالقرب من المنبع وكان في ذلك المكان حفرة تودي إلى منزل جن المياه، كانت العبدة تعرف بشأن ذلك الجن وفكرت أنها إن تمكنت من إقناع سيدتها بالاستحمام فسيأخذها الجن وتتمكن هي بالتالي من احتلال محلها والزواج من أكبان، وما كادت الفتيات الثلاث يقتربن من ماء المنبع حتى دفعت العبدة سيدتها إلى الماء فاخفت على الفور، بدأت شقيقة إيمي الصغرى بالبكاء لكن العبدة قالت لها: "إن استمرت بالبكاء فسأقتلك وأرمي بك في الحفرة مع أختك".

وطلبت من الفتاة ألا تتفوه بكلمة لأحد لاسيما لأكبان لأنها كانت ستأخذ دور أختها وتزوجه وقالت لها إنها إن أخبرت أحدا بما رآته فسيكون الموت مصيرها. وبعد ذلك أجبرت الفتاة الصغيرة على حمل الأغراض إلى منزل أكبان.

عندما وصلت الشقيقة الصغرى والعبدة على منزل أكبان، شعر هذا الأخير بالخيبة من شكل العبدة لأنها لم تكن جميلة كما توقع، لكنه لم يشك بأنها ليست إيمي فقد مرت سبع سنوات لم ير فيها إيمي التي دفع مبلغا طائلا مهرا للزواج منها، دعا أكبان أصدقاءه للاحتفال لكنهم تفاجئوا عند رؤية

العبدة وقالوا لأكبـان: "هل هذه هي المرأة التي دفعت مهرا عاليا للزواج منها والتي أخبرتنا الكثير عنها؟" لكن أكبان عجز عن الإجابة عن هذا السؤال.

عاملت العبدة شقيقة إيمي الصغرى بالسوء حتى إنها أرادت قتلها لكي تعيش بأمان مع زوجها وصارت تضرب الفتاة الصغيرة كل يوم وتجرها على حمل أكبر جرة ماء إلى النبع وعلى وضع إصبعها في النار كما لو كان حطبا وعندما يحين وقت الطعام تأتي بقطعة حطب صغيرة من النار وتحرق بها جسد الصغيرة، سأل أكبان العبدة عن سبب معاملتها المريعة للفتاة الصغيرة فأجابته أنها عبدة قدمها والدها لها.

وذات مرة أخذت الفتاة الصغيرة الجرة الكبيرة إلى النبع لتملأها ماء لكنها كانت ثقيلة جدا فعجزت عن حملها على رأسها مما أخرها فما كان منها إلا أن بدأت تنادي أختها إيمي لمساعدتها، عندما سمعت إيمي أختها الصغيرة تبكي وتناديها توسلت إلى جن المياه ليسمح لها بالذهاب ومساعدتها فسمح لها بذلك بشرط أن تعود إليه بسرعة، رأت الفتاة الصغيرة أختها لم ترد أن تتركها وطلبت منها أن تسمح لها بالذهاب معها إلى منزل الجن وأخبرتها عن معاملة العبدة السيئة لها فطلبت منها إيمي أن تصبر وتنتظر لأن موعد الانتقام سيحين عاجلا أم آجلا، عادت الفتاة الصغيرة إلى منزل أكبان والفرحة تملأ قلبها لرؤية شقيقتها، لكن عندما وصلت إلى المنزل سألتها العبدة: "ما الذي أخرجك كل هذه الوقت؟" ثم أخذت قطعة حطب ملتهبة وأحرقت الفتاة وتركته من دون طعام.

استمر الوضع على هذه الحال فترة قصيرة إلى أن ذهبت الفتاة الصغيرة في أحد الأيام إلى النبع بعد أن غادر الناس كلهم وراحت تبكي وتنادي أختها كالعادة لكنها لم تلق جوابا لأن جن الماء منع إيمي من الخروج لأن صيادا من مدينة أكبان كان محتبئا في الجوار يراقب الحفرة، لكن الفتاة استمرت في البكاء فأقنعت إيمي الجن بالسماح لها بالذهاب ووعدته أن تعود بسرعة، عندما خرجت إيمي من الماء بدت فاتنة الجمال مع أشعة الشمس تلوح على جسدها اللامع ساعدت شقيقتها الصغرى بحمل جرة الماء ثم اختفت في الحفرة من جديد.

دهش الصياد مما رآه وعندما أخبر أكبان بأن امرأةً فاتنة الجمال خرجت من الماء وساعدت الفتاة الصغيرة على حمل جرة الماء كما أخبره بأنه يعتقد أن الفتاة التي رآها عند النبع هي زوجته إيمي وأنه لابد من أن جن الماء قد خطفها.

قرر أكبان أن يذهب ويرى بنفسه ما يجري، وفي صباح اليوم التالي جاء الصياد وتوجها على النهر واختبأ في الغابة على مقربة من حفرة الماء.

عندما رأى أكبان إيمي تخرج من الماء عرفها وراح إلى المنزل يفكر في طريقة تمكنه من تحريرها من قبضة جن الماء، وقد نصحه بعض أصدقائه أن يذهب إلى امرأة عجوز غالبا ما كانت تقدم التضحيات لجن الماء وأن يسألها عما يستطيع فعله.

قصد أكبان العجوز فسألته أن يحضر لها عبدا أبيض وماعزا بيضاء وقطعة بيضاء من الثياب ودجاجة بيضاء وسلّة بيض.

وقالت له إنه عندما يحين الوقت ستذهب إلى الجن وتقدم له هذه الأضاحي وفي اليوم التالي سيعيد الجن إيمي للمرأة العجوز وهي بدورها ستعيدها إلى أكبان.

اشترى أكبان العبد وكل ما طلبته العجوز وعندما حان يوم التضحية ذهب مع صديقه الصياد ليشهد على أن العجوز قدمت التضحية لجن الماء، نزل العبد في الحفرة فنادت العجوز على جن الماء ثم قطعت رأس العبد بسكين حاد ودفعته إلى الحفرة وأعادت العمل نفسه مع الماعز والدجاجة ثم رمت بالبيض وقطعة الثياب في الحفرة.

بعد ذلك عاد كلٌّ إلى منزله ومع بزوغ فجر اليوم التالي توجهت العجوز إلى الحفرة بالقرب من النبع لتجد إيمي واقفة بالقرب من النبع فقالت لها إنها صديقة لها وإنها ستأخذها إلى زوجها ثم أخذت العجوز إيمي إلى منزلها وخبأتها في غرفتها وأرسلت بطلب أكبان للمجيء إلى منزلها مع الحرص على عدم معرفة العبد بأي شيء.

غادر أكبان منزله سرا من الباب الخفي ووصل إلى منزل العجوز دون أن يلتقي أحدا في الطريق.

عندما رأت إيمي أكبان سألته عن شقيقتها الصغرى فما كان من أكبان إلا أن أرسل صديقه الصياد إلى النبع فرأى هذا الأخير الفتاة الصغيرة تملأ الجرة ماءً لتأخذها إلى المنزل فأتى بها إلى منزل العجوز.

عانت إيمي شقيقتها الصغرى وطلبت منها أن تذهب إلى المنزل ثم تحرب بأسرع ما يمكنها إلى منزل العجوز فلا بد من أن تلحق بها العبدة حينئذ وتجد الجميع عند العجوز وترى إيمي التي تعتقد أنها قتلتها.

نفذت الفتاة الصغيرة ما طلب إليها فذهبت إلى منزل أكبان وقالت للعبدة: "هل تعلمين أنك شريرة وأنتك عاملتني أسوأ معاملة؟ لست سوى عبدة شقيقتي و ستنا لين عقابا تستحقينه" ثم هربت على جناح السرعة إلى منزل العجوز، وما كادت العبدة تسمع ما قالته لها الصغيرة حتى تملكها غضب شديد فأخذت جمرةً ملتهبةً من النار ولحقت بالفتاة الصغيرة لكن هذه الأخيرة وصلت إلى المنزل قبلها وكانت العبدة على بعد خطوات منها حاملة الجمرة بيدها.

خرجت إيمي من المنزل وواجهت العبدة التي عرفتها من الوهلة الأولى و التي كانت تظن أنها قتلتها فتسمرت أمام سيدتها مذهولة.

عاد الجميع إلى منزل أكبان وعندما وصلوا سأل أكبان العبدة عن سبب ادعائها أنها إيمي وعن سبب محاولتها قتلها، لكن العبدة لم تعرف ما تقول.

دعي الكثير من الناس إلى الاحتفال بعودة زوجة أكبان وعند حضورهم أخبرهم أكبان بما فعلته العبدة بعد ذلك عاملت إيمي العبدة تماما كما عاملت هذه الأخيرة شقيقتها الصغيرة فأجبرتها على وضع أصابعها في النار وأحرقتها بالجمر حتى أنها ربطتها بشجرة وتركها تموت من الجوع.

ومنذ ذلك الحين كلما أراد رجل الزواج من فتاة توجب عليه الحضور إلى غرفة السمينة وأخذها بنفسه حتى لا تتكرر المأساة التي أصابت إيمي وشقيقتها الصغرى.⁽¹⁾

13. الطفلة والفطور(قصة حقيقية):

¹ إلفينستون داريل الصياد المخطوط، حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية، تر: دنيا فرحات، ص 141-148.

كانت طفلتان عائدتين إلى بيتهما ومعهما فطور وكان عليهما أن تحتازا السكة الحديدية. اعتقدتا أن القطار ما يزال بعيدا فتسلقتا الردم ودلفتا إلى السكة الحديدية وفجأة سمعتا صوت القطار. فعادت أكبرهما سنا إلى الوراء وهي تركض أما الصغرى فعبرت الخط. صاحت الكبيرة بأختها: "ابقي حيث أنت!"

لكن عربة القطار كانت شديدة القرب منهما وكان لها ضجيج عظيم حتى إن الصغرى لم تسمع ما قالته لها أختها وظنت أن أختها تأمرها بالجري إليها فعادت أدراجها على عجل وتعثرت فأسقطت الفطور وأخذت تلمه اقتربت العربة منها وأخذ سائقها يطلق صفارته بكل قواه. صاحت الكبرى: "دعي الفطور!" لكن الصغرى ظنت أن أختها تأمرها بلمها فظلت تلمه وهي تزحف على ركبتيها على طول الخط.

لم يكن السائق قادرا على التحكم في عربته فأدرك الطفلة وهو لا ينفك يطلق صفارته. أخذت الكبرى تصرخ وتبكي وأخذ المسافرون جميعا ينظرون من النوافذ، أما مدير القطار فجرى إلى العربة الأخيرة ليرى ما الذي حل بالطفلة.

بعد أن مر القطار رأى الجميع الطفلة مستلقية بين خطوط القطار لا ترفع رأسها ولا تتحرك. لكن الطفلة رفعت رأسها بعن أن ابتعد القطار وجثت ركبتيها وملت الفطور ثم ركضت نحو أختها.⁽¹⁾

14. زوجتا نزامبي:

كان نزامبي متزوجا بامراتين: إحداهما عجوز غير محبة لديه و الأخرى محبوبة وكان يحتقر زوجته الأولى التي أنجب منها جميع أبنائه وعاشوا جميعا معا: الأبناء، والزوجتان نزامبي. كانت الزوجة الأولى العجوز تشعر بالحزن والهم لان زوجها لم يحبها وبعد أن ماتت قاموا بدفنها في فناء منزلهم.

¹ليون تولستوي، حكايات شعبية، تر: صباح الجهم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص 79-80.

وظل نزامبي مع زوجته المحبوبة التي صارت ترقص فوق قبر المتوفاة وتغني: كي كي كي، ارقدي في قبرك أيتها الراحلة.

كي كي كي، وأنا المحبوبة أغني في ثيابي رافلة.
كان نزامبي يذهب إلى القبر كل يوم، وشاهد القبر وقد وطأته الأقدام فقال: ما هذا؟ من الذي وطأ بأقدامه القبر؟

وذهب نزامبي طالبا النصيح لدى سيسبول، الذي أشار إليه قائلاً: اذهب واسأل نلو مون.
ذهب نزامبي إلى نلو مون قال له: إنها زوجتك التي تقوم بالرقص فوق القبر ولو أردت الإمساك بها هناك فخذ هذا العقار معك وامسح به جسمك فتتحول إلى عطاءة ثم تزحف إلى حفرة متظاهرا بالنوم وعندما تأتي زوجتك للرقص فوق القبر تنهض وتمسك بها.
أخذ نزامبي العقار وعاد إلى القرية. ومرت بضع أيام وذات مرة انتهت زوجته من أعمالها المنزلية، وذهبت إلى القبر حيث بدأت في الرقص فوقه.

في ذلك الوقت حمل نزامبي العقار ومسح به جسمه فتحول على عطاءة ثم زحف إلى الحفرة متظاهرا بالنوم.

ورأى زوجته التي مضت ترقص فوق القبر فهتف قائلاً لها: أيتها المرأة! إنك أنت إنك من أردت موت زوجتي، فلماذا لا تعرفين كيفية تربية أبنائها؟

وأمسك رمحا وقذف به محبوبته فماتت الزوجة، وقام بدفنها في نفس المكان الذي ضم مقبرة زوجته الأولى.

ولم يتزوج نزامبي بعد ذلك.⁽¹⁾

15. حكاية المرأة التي تحولت إلى أسد:

ذات مرة خرج إلى السافانا "جوتنتوت" وزوجته "بوشين" ومعها طفلها تحمله على ظهرها، كانوا قطعوا طريقاً طويلاً عندما ظهر فجأة قطيع من الأفراس البرية.

¹عبد الرحمان عبد الرحمان الخميس، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ج 1 ص 103-105.

قال الرجل للمرأة: "إني اعرف أن بوسعك التحول إلى أسد، فتحولي الآن لتصيدي لنا أحد الأفراس، وذلك حتى يمكننا تناول الطعام حيث أنني أشعر بالجوع الشديد".
اعترضت المرأة قائلة: "لكنك ستصاب بالذعر لو تحولت".
لا، لا، إني سأصاب بالذعر أكثر لو إني مت من الجوع، ولن أخاف منك.
وبينما الرجل يتحدث أخذت تنمو لبدة من الوبر حول رقبة المرأة، وتحولت قدمها إلى قوائم وأخذ وجهها يتبدل متحولاً إلى وجه أسد.

انفض الرجل مفزوعاً وقفز يتسلق إحدى الأشجار أما المرأة فوضعت طفلها على الأرض وحدقت نظرها نحو الرجل ثم ابتعدت جانبا وقامت بنزع تنورتها الجلدية وهي تسير في أعشاب السافانا كالأسد الحقيقي وسرعان ما تسلل الأسد من بين الأحرش وانقض يهاجم القطيع حتى امسك بأحد الأفراس، وقع الفرس ومضى الأسد يشرب من دمه بنهم في ذلك الوقت صرخ الطفل يبكي فاستدار الأسد عائدا نحوهم عندئذ صرخ الرجل من فوق الشجرة: "أرجوكي لا تقتربي مني وهيا أسرعي بخلع جلد الأسد ولن اطلب منك التحول إلى أسد مجددا".

نظر الأسد إلى الرجل وزأر عاليا فقال الرجل: "إن لم تعودني إلى هيئتك السابقة كامرأة فلن اهبط من فوق الشجرة حتى أموت من الجوع".
حينئذ بدأت لبدة الأسد وذيله في الاختفاء تدريجيا ثم ركض الأسد إلى الأحرش حيث خلع تنورته الجلدية وهناك قام بارتدائها ثانية وعاد إلى هيئته كامرأة عادية وقامت بحمل طفلها فهبط الرجل من فوق الشجرة وجلسا يتناولان اللحم معا.

ومنذ ذلك الحين لم يطلب من زوجته ثانية أن تتحول إلى أسد كي تصيد له.⁽¹⁾

16. حكاية الفتاة التي قدمها أهلها قربانا:

ذات مرة حلت مجاعة كبيرة في البلاد فاشتدت الحرارة ولم تهطل الأمطار وماتت كل المحاصيل، وتكرر نفس الأمر في العام التالي وفي العام الثالث لم تنزل السماء قطرة واحدة من المطر عندئذ خرج

¹عبد الرحمان عبد الرحمان الخميس، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ص 150-151.

الناس إلى التلال حيث كانوا يجتمعون عادة للرقص وأخذوا يفكرون: لماذا لم يأت المطر كل هذا الوقت؟ ثم ذهب الناس إلى المنجم وسألوه قائلين: "لماذا توقف المطر عن النزول حتى هلكت محاصيلنا؟ ولماذا ينبغي علينا الموت جوعاً؟"

حمل المنجم وعاءه ونثر منه قليلاً من عقاره وبعد أن أعاد الكرة بضع مرات صاح قائلاً: "توجد فتاة من بينكم ينبغي التضحية بها وتقديمها قربانا وبهذه الطريقة فقط يمكن إنزال المطر واسم هذه الفتاة هو "فانجي رو"، وبعد غد عليكم الحضور إلى هذا المكان جميعاً من كبيركم إلى صغيركم ويحضر كل منكم معه عنزة كي تمنحوها إلى والدي فانجي رو.

في اليوم المحدد وصل الناس إلى هناك وكل منهم يسوق عنزة معه ثم صنعوا دائرة وضعوا في منتصفها فانجي رو، أخذت أقدام الفتيات تغطس في الأرض تدريجياً حتى وصلت إلى ركبتيها فصرخت الفتاة: "إني أموت!"

كذلك صرخ والدا الفتاة: "إننا نموت!"

لكن الناس قاموا بتضييق الدائرة من حولهم أكثر فأكثر وهم يدفعون بالماعز نحو والدي الفتاة، في ذلك الوقت مضت فانجي رو تغطس في الأرض حتى هبطت إلى خصرها وهي تصرخ عالياً: "إني أموت، لكن المطر العظيم سوف يهطل!"

غطست فانجي رو في الأرض حتى صدرها ولم يبدأ المطر في الهطول بعد، عندئذ صرخت مجدداً: "سوف يهطل المطر العظيم!"

وعندها غطست الفتاة في الأرض حتى رقبتهَا بدأت أول قطرات الماء في النزول، اندفع والدا فانجي رو حتى ينقذاها لكن الناس دفعوا نحوها الماعز أكثر فأكثر فلم يمكنهما التحرك.

وغطست فانجي رو في الأرض حتى عينيها وهي تقول: "لقد قتلتني والداي!"

استمرت الفتاة في الهبوط إلى جوف الأرض وعندما كان أحد أفراد أسرتها يتقدم لإنقاذ فانجي رو كانوا يدفعون الماعز نحوه فيتسمر في مكانه.

وأطلقت الفتاة آخر صيحاتها: "إني أموت وأنتم المذنبون في هذا الأمر!"

التحمت الأرض من فوق فانجي رو واختفت الفتاة عن الأنظار.
وفي هذه اللحظة -آه لو أنكم رأيتم هذا- انهمر سيل عنيف من المطر فوق الأرض وبدأ كشلالات
لا تتوقف من المياه، وركض الجميع نحو بيوتهم يهتمون بها.
كان هناك محارب يعيش في قرية فانجي رو وكان يحب الفتاة حبا عظيما ولم يتوقف عن بكائها
وصرخ يقول: "لقد ماتت فانجي رو والمذنب في ذلك هما والداها لكنني سوف اعثر على فانجي رو حمل
الفتى رمحه ودرعه وأنطلق يبحث عن فانجي رو طول الليل وطول النهار وعندما هبط الظلام وصل الفتى
أخيرا إلى نفس المكان الذي ابتلعت فيه الأرض فانجي رو وبدأت أقدامه هو الآخر تغطس في الأرض
وظل يهبط أعمق فأعمق حتى ابتلعت الأرض تماما والتحمت من فوقه.
شاهد الفتى دربا طويلا يمتد تحت الأرض فمضى يسير فيه حتى رأى أخيرا فانجي رو لكن فرحته
لم تكتمل عندما شاهد الفتاة التعيسة في حالة مزرية وقد تمزقت ملابسها، فقال الفتى لفانجي رو: "لقد
قدموك قربانا حتى ينزل المطر والآن غطت السيول الأرض وها أنا قد جئت كي أعيدك مرة أخرى.
وضع الفتاة المنهكة فوق ظهره مثل الطفل ومضى يسير في نفس الدرب حتى عاد بها من تحت
الأرض وقرر الفتى قائلا: "ينبغي عليك عدم العودة إلى بيت والديك فهما اللذان أساءوا إليك.
وطلب من الفتاة الانتظار حتى هبوط الليل وعندما لف الظلام المكان اصطحبها إلى بيت أمه لم
يرغب أن ترى أمه الفتاة لهذا قال لأمه: "لقد أحضرت شيئا ما هنا ولكن لا ينبغي على أي إنسان أن
يرى هذا الشيء لذلك أرجو منك الخروج"، اعترت الدهشة أم الفتى وقالت: "لماذا تريد إخفاء هذا
الأمر عني؟ إنني أمك وأنت ابني المحبوب".
عندئذ كشف الفتى لأمه عن فانجي رو وطلب منها ألا تخبر أحدا بعودة الفتاة.
صارت الفتاة تعيش مع الفتى وأمه وقاموا بذبح بعض الماعز وإطعام الفتاة باللحم الثمين ثم صنعوا
لها ثيابا من جلد الماعز، وهاهي الآن ترفل في ثيابها الجديدة الجميلة للغاية.

وذات يوم أقيم في القرية احتفال كبير وخرج الفتى مع جميع الناس إلى حلقات الرقص وانتظرت أمه مع فانجي رو حتى وصل الجميع ثم خرجا من البيت في هدوء وحذر وانخرطا بين حشود الناس لكن والدي الفتاة تعرفا عليها: "أليست هذه هي فانجي رو التي قدمناها قربانا؟" قالوا عبارتهما بفرح واندفعوا يعانقان الفتاة.

لكن الفتى قام بدفعهما جانبا قائلا لهما: "لقد قمتما ببيعها!" واصطحب الفتاة إلى بيت أمه، ولكن بعد أربعة أيام جاء أهل الفتاة مرة أخرى إليها وفي هذه المرة أشفق الفتى عليهم مفكرا في نفسه: "إنهما والدها وأخواتها" وقام الفتى بدفع مهر فانجي رو لأهلها وتزوج من الفتاة التي أحبها.⁽¹⁾

17. ديمان وديمازانا:

في يوم من الأيام اضطر أخ وأخت توأمان وديمان بعد تلقي معاملة سيئة في البيت أن يهربا من أقاربهما كان اسم الولد "ديمان"، واسم البنت "ديمازانا". ذهبوا ليعيشوا في مغارة لها فتحتان ليدخل منهما الهواء والضوء وكان المدخل محميا بباب بالغ القوة مع كلاب للتشيت من الداخل كان ديمان يخرج إلى الصيد في النهار ويطلب من أخته ألا تشوي اللحم في غيابها حتى لا يكتشف آكلو لحوم البشر ملاذهما من خلال الرائحة. وعندما يعود في أي وقت فإنه يغني هذه الأغنية فتفتح له أخته ليدخل:

ديمازانا، ديمانانا

طفلة أُمي

افتحي لي هذه المغارة.

طيور السنونو يمكن أن تدخلها.

فلها فتحتان.

لكن حدث بعد ذلك أن سمع أحد آكلي لحوم البشر هذه الأغنية بالمصادفة.

¹عبد الرحمان عبد الرحمان الخميس، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ص 174-177.

كان من الممكن أن تظل الفتاة آمنة تماما لو أنها فعلت ما أمرها أخوها، لكنها كانت عنيدة وفي يوم ما حملت بعضا من لحم الجاموس ووضعتته على النار لتشويهه، شم آكل لحوم البشر رائحة اللحم وهو يطهى واقترب من المغارة لكنه وجد الباب مغلقا لذلك حاول تقليد صوت ديمان وطلب أن يسمح له بالدخول بأن غنى الأغنية:

ديمازانا، ديمازانا

طفلة أُمي

افتحي لي هذه المغارة.

طيور السنونو يمكن أن تدخلها

فلها فتحتان

قالت ديمازانا: "لا لست أخي، لأن صوتك لا يشبه صوته بأي حال".

غادر آكل لحوم البشر المكان لكن بعد وقت قليل عاد مرة أخرى وتحدث بنغمة صوت أخرى:

"دعيني أدخل يا أختي":

ديمازانا، ديمازانا

طفلة أُمي

افتحي لي هذه المغارة.

طيور السنونو يمكن أن تدخلها

فلها فتحتان

قالت ديمازانا: "ابتعد يا آكل لحوم البشر صوتك أجش لست أخي" لذلك ابتعد وتشاور مع آكل لحوم بشر آخر وسأل: "ما الذي علي أن أفعله للحصول على ما أرغب فيه؟" كان خائفا من الكلام حول ما يرغب فيه حتى لا يرغب آكلو لحوم البشر في مشاركته في الفتاة قال صديقه: "يجب أن تكوي حنجرتك بحديد شديد السخونة".

فعل ذلك ولم يعد يتكلم بصوت أجش بعد ذلك ومن جديد قدم نفسه أمام باب المغارة وغنى:

ديمازانا، ديمازانا

طفلة أُمي

افتحي لي هذه المغارة.

طيور السنونو يمكن أن تدخلها

فلها فتحتان.

تم خداع الفتاة وصدقت أن أخيها عاد من الصيد وفتحت الباب دخل آكل لحوم البشر وأمسك بها لكن أثناء حمله لها بعيدا أسقطت بعض الرماد هنا وهناك عبر الطريق وبعد قليل عاد ديمان الذي لم يكن قد وجد أي شيء يأكله في ذلك اليوم سوى سرب نحل وعسله ليجد أن أخته اختفت توقع ما حدث وبواسطة الرماد تتبع الطريق حتى وصل إلى حيث يعيش آكل لحوم البشر "زيم" كانت عائلة آكل لحوم البشر في الخارج تجمع الحطب لكنه كان في البيت وقد وضع ديمازانا منذ لحظة في كيس كبير حيث كان ينوي الاحتفاظ بها حتى تتقد النار.

عند دخوله إلى الغرفة قال ديمان: "أعطني ماء لأشرب أيها الأب".

أجاب زيم: "سوف أعطيك إذا وعدتني ألا تلمس كيسي" ووعد ديمان بذلك.

عندئذ ذهب زيم لإحضار بعض الماء وبينما كان بعيدا أخرج ديمان أخته من الكيس ووضع النحل مكانها وبعد ذلك اختفيا.

وعندما عاد زيم بالماء كانت زوجته وابنه وابنته قد جاءوا أيضا بالحطب قال لابنته: "هناك شيء لذيذ في الكيس هيا أحضره" ذهبت ووضعت يدها في الكيس لكن النحل لسع يدها وصاحت: "إنها تلدغ" أرسل ابنه وبعد ذلك زوجته لكن كان دائما يحدث الشيء نفسه غضب منهم وطردهم من منزله وضع كتلة من الخشب في المدخل حتى لا تهرب ديمازانا ثم فتح الكيس بنفسه اندفع سرب النحل خارجا ولسع رأسه وتورمت عيناه فلم يعد يستطيع الرؤية.

كانت هناك فتحة صغيرة في النباتات التي تغطي السقف فشق طريقه خلالها، وقفز منها ينتحب من الألم ثم جرى وسقط برأسه في المقدمة في بركة حيث أنغرز رأسه بسرعة في الطين وأصبح كتلة من

الخشب مثل أصل شجرة بعد قطع جذعها حيث اتخذها النحل مأوى له لكن لا أحد يمكنه الحصول على عسل هذا النحل لأنه عندما يحاول أن يفعل ذلك فسوف تنغرز يده على الفور. عندئذ أخذ ديمان وديمازانا كل أملاك زيم والتي كانت متعددة وضخمة وأصبحت من الأغنياء.⁽¹⁾

18. حكاية امرأة عجوز:

ذات مرة كانت هناك امرأة عجوز ليس لديها زوج ولا أقارب وليس لديها مال ولا طعام وفي يوم ما حملت بلطتها وذهبت إلى الغابة لقطع القليل من الحطب لتبيعه حتى تستطيع شراء شيء تأكله وسارت مسافة طويلة جدا حتى صارت في قلب الدغل واقتربت من شجرة ضخمة مغطاة بالأزهار وكان اسم الشجرة "ماسيوا" رفعت المرأة بلطتها وبدأت في قطع الشجرة قالت لها الشجرة "لماذا تقطينني؟ ما الذي فعلته ضدك؟" قالت المرأة للشجرة: "أنا أقطعك لجمع بعض الحطب لبيعه حتى يمكنني الحصول على بعض المال لكي اشتري طعاما حتى لا أموت جوعا لأنني فقيرة جدا وليس لي زوج أو أقارب" قالت الشجرة: "دعيني أعطيك بعض الأطفال ليكونوا أطفالا لك يساعدونك في عملك، لكن يجب ألا تضربهم أو تؤذيهم"، قالت المرأة: "حسنا لن أؤذيهم" عندئذ تحولت أزهار الشجرة إلى كثير من الأولاد واصطحبتهم المرأة إلى منزلها.

كان لكل طفل عمله الخاص البعض يفلح الأرض للزراعة وآخرون يصطادون الأفيال ويبقى آخرون لصيد السمك، وكانت هناك بنات يقمن بأعمال قطع الحطب، وبنات يقمن بجمع الخضراوات، وبنات يسحقن الدقيق ويطبخنه ولم يكن على المرأة العجوز أن تعمل بعد ذلك حيث إنها أصبحت مبيجلة. من بين البنات كانت واحدة هي أصغرهن جميعا وقال الآخرون للمرأة يجب ألا تعمل هذه الفتاة الصغيرة وعندما تكون جائعة وتبكي طالبة الطعام أعطيه لها ولا تغضبي منها بسبب ذلك قالت المرأة لهم: "حسنا يا أطفال، أيا كان ما تطلبونه مني فسوف أفعله."

¹ روجرد أبراهامز، حكايات شعبية أفريقية، تر: عزت عامر، ص 84-87.

وعاشوا معا على هذا النحو لبعض الوقت لم يكن على المرأة أن تعمل إلا لإطعام الفتاة الصغيرة عندما ترغب في الأكل، وفي يوم ما قالت الفتاة للمرأة: "أنا جائعة جدا أعطني بعض الطعام" وبخت المرأة الطفلة قائلة لها: "تزعجونني كثيرا، أنتم يا أطفال الدغل! خذيه من الإناء بنفسك" بكت الطفلة لأن المرأة وبختها وجاء بعض من إخوتها وأخواتها وسألوها عما حدث فأخبرتهم قائلة: "عندما قلت إنني جائعة وطلبت بعض الطعام قالت لي أمي: (كم أنا منزوعة من أطفال الدغل هؤلاء)" عندئذ انتظر الإخوة بقية الأولاد والبنات حتى عادوا من الصيد وأخبروهم عما حدث لذلك قالوا للمرأة: "حيث انك تقولين إننا أطفال الدغل فسوف نعود إلى أمنا ماسيوا وستصبحين وحيدة" توسلت إليهم المرأة بكل الطرق لكنهم لم يرغبوا في البقاء عادوا جميعا إلى الشجرة وأصبحوا أزهارا من جديد كما كان الأمر من قبل وسخر الناس من المرأة وظلت في فقر حتى ماتت لأنها لم تنتبه للوصية التي أوصتها بها الشجرة.⁽¹⁾

19. ابنة الملك التي فقدت شعرها:

منذ زمن بعيد جدا كان يوجد ملك لديه ابنة واحدة قال كل الناس في مملكته إنها أكثر البنات جمالا على وجه الأرض كان وجهها يشبه الزجاج يتألق مثل الأحجار الكريمة مرتفعة الثمن وكانت عيناها تشبهان الشمس، لكن شعرها هو الذي كان يبهل الناس لأنه كان بالغ الجمال إلى حد كبير ولونه لم يكن لا أسود ولا ذهبيا ولكن بين اللونين، كان الشعر طويلا جدا حتى إنه كان يلمس الأرض عندما تسير.

أحب الملك ابنته كثيرا وتعود أن يهب لها اللؤلؤ والماس لأنها مولعة بهما وكانت تحب أيضا الزهور وفي كل صباح كان يتم إحضار الزهور النظرة إلى حجرتها فتضع بعضا منها في شعرها وتضع الأخرى في زهرية على المائدة وكل من ذهب إلى قصر الملك كان يصيح كم سيكون من المثير للأسى لو أنها فقدت شعرها في أي وقت؟!.

عندئذ، وفي صباح ما بينما كانت الفتاة تقف بالقرب من النافذة في حجرتها تنجز بعض المهام جاء طائر يطير عابرا كان طائرا كبيرا جدا وقبيحا طائرا لونه ضارب إلى الخضرة وله عينا حمراوان

¹ روجرد أبراهامز، حكايات شعبية افريقية، تر: عزت عامر، ص 129-130.

مروعتين بعد برهة قصيرة عاد طائرا في ذهاب وإياب أمام نافذتها وفي النهاية حط على شجرة قريبة وحدث في الفتاة الجميلة ولم تره حتى تحدث الطائر إليها وعندئذ اندهشت كثيرا قال الطائر: "مساء الخير أيتها الفتاة المحبوبة! إن لك شعرا جميلا جدا جدا سمعت عنه في كل مكان والآن أصدق ما قيل!"، ابتسمت الفتاة وشعرت برضا حميم وهي تسمع الطائر يصف شعرها عندئذ قالت: "كم هو رائع أن يكون لي شعر هو الأكثر جمالا في مملكة أبي! لدي شعر أكثر جمالا من كل ما لدى النساء في العالم!". قال الطائر للأميرة: "والآن لديك ما يكفيك من الشعر لذلك في وسعك بالتأكيد أن توفي لي بعضا منه ليس لدي ما أبني به عشا احتاج شيئا يمثل رقة ونعومة هذا الشعر لأضع بيضي عليه وحيث أن لديك الكثير من الشعر ألا تعطيني فقط خصلة صغيرة سوف أكون في غاية السعادة، أجابت الفتاة: "شعري؟ شعري الجميل؟ مثل هذا الشعر المحبوب يوضع في عشك ويهدر! أنا ابنة ملك وأحب شعري أكثر من أي شيء على الأرض!" قال الطائر: "أستطيع أن أدفع لك مقابل إعطائي بعضا من شعرك،" أجابت: "لن أعطيك ولا حتى شعرة واحدة لم أسمع مثل هذه الحماقة من قبل ابتعد وإلا فسوف أنادي الجنود ليأتوا ويقتلوك"

عندئذ ابتسم الطائر وقال: "لا يمكنهم قتلي! ومن الأفضل ألا تناديهم لأنهم لن يستطيعوا فعل ذلك حتى لو أرادوا والآن ولآخر مرة أيتها الأميرة هل تعطيني بعضا من شعرك؟" استشاطت ابنة الملك غضبا وصاحت: "لن أفعل ذلك!" وبمجرد أن أوشكت على البكاء علّق الطائر قائلا: "حسنا، لا تعترضني على ما سيحدث إذن" وطار محلقا حول الشجرة وهو يغني:

كما تسقط الأوراق في موسم الجفاف

دع شعر هذه الفتاة يسقط كذلك.

تعود الأوراق في موسم الأمطار

لكن متى ستستعيد شعرها؟

عندما انتهى الطائر من الغناء تكلم مرة مع الفتاة وطار مبتعدا، تاركا إياها مذهولة ومذعورة.

والآن كفت الأمطار عن الهطول وأتى موسم الجفاف بدأت ريح تعصف وبدأت الشجرة خارج غرفة الأميرة تفقد أوراقها حتى أصبحت الأوراق خلال وقت قصير كلها على الأرض بنفس طريقة سقوط هذه الأوراق بدأ يسقط شعر الأميرة، وكما يمكن أن نتخيل كانت غاضبة ثم أصبحت مكتئبة رمت بنفسها وهي في كرب شديد ثم ذهبت لتخبر أبائها وعند سماعه قصتها انفجر الملك ضاحكا وقال: "كيف يمكن لطائر أن يتسبب في فقدك الكثير من شعرك؟! لم تكن الفتاة بالتأكيد سعيدة تماما برد فعل والدها وواصلت البكاء واستمر شعرها في التساقط كانت بائسة إلى حد كبير وحاولت الفتيات الأخريات اللاتي أتين لتنظيف وتمشيط شعرها أن يلطفن عنها لكنها لم تتوقف عن البكاء، اختفى كل شعرها وبدأت قبيحة إلى أقصى حد.

أمر الملك بجمع كل الحكماء والسحرة في مملكته، وقال لهم: "أي شخص سيعيد الشعر لرأس ابنتي فسوف أعطيه قطعة كثيرة من الذهب" لكن كل هؤلاء الحكماء والسحرة فشلوا في إعادته. ذات ليلة بينما كانت ابنة الملك نائمة رأت في حلمها شجرة تطرح شعرا ورأت شابا رقص بمهارة وغنى هذه الأغنية:

حيث لا عشب

ولا بذور نبات في التربة،

قد ينمو هناك بعض العشب.

وفي الحلم رأت أن هذا الشاب عندما غنى هذه الأغنية أخرج بذرة من كيسه وألقى بها على الأرض وفي المكان الذي سقطت فيه البذرة نمت شجرة على الفور، وعندما كبرت الشجرة طرحت فواكه وعندما نضجت هذه الفاكهة طرحت الكثير من الشعر وغطى الشعر الشجرة بالكامل، وعندما استيقظت الفتاة في الصباح فكرت كثيرا في الحلم وفي الشجرة التي طرحت شعرا، لم تستطع التفكير في أي شيء آخر طوال اليوم.

خرجت ونادت على أبيها الملك وقالت: "في الحلم رأيت شجرة ينمو منها الشعر، والآن عليك إحضار حكمائك وسحرتك وعليك أن تأمرهم بالبحث عن بذور هذه الشجرة. وهكذا استدعى الملك

حكماؤه وسحرته من جديد، وقال إنه سيعطي الكثير من القطع الذهبية لمن يمكنه إحضار بذور الشجرة التي تطرح شعرا، بحث كل الناس عن الشجرة، لكن لا أحد استطاع أن يعثر عليها أو على بذورها، وفي الحقيقة لم يكن أحد قد رآها أبدا أو سمع عنها.

في ذلك البلد كان هناك شاب شديد الفقر ووحيد تماما كان اسمه "ميوما" وكانت لديه إصابة صغيرة في ساقه، وعندما سمع أن الملك طلب من الناس البحث عن شجرة تطرح شعرا قرر أن يحاول العثور عليها، لأن مثل هذه الكمية الضخمة من الذهب ستجعله ثريا، لم يكن له أب ولا أم، ولا أخ ولا أخت، ولا أقارب على أية حال، قال لنفسه لا أعرف لما لا أذهب للبحث عن هذه الشجرة، لذلك شرع في رحلة للبحث عنها، لكن اتضح أنها رحلة حمقاء تماما!.

خلال سفر الرجل وصل إلى مكان حيث تتكلم فيه الطيور مثل البشر، ومكان وآخر تتكلم فيه الحيوانات مثل البشر أيضا، رأى شجرة ذات أصابع وعيون مثل البشر، وشعر أنه من المخرج تماما أن يجد الشجرة التي يريد، بالطبع أيا كان المكان الذي يصل إليه كان يسأل كل الطيور والحيوانات والأشجار عن الشجرة التي ينمو عليها شعر واستمر يرحل لشهور كثيرة بهذه الطريقة ظن أنه سيصل إلى المكان المطلوب بسرعة لكنه وصل إلى البحر دون نجاح صنع لنفسه زورقا وبدأ في الإبحار وطوال الوقت الذي سافر فيه كان يتجه نحو الشرق.

أبحر ميوما ثم أبحر حتى وصل إلى جزيرة ومن مركبه كان يرى أنها جزيرة صغيرة جدا وجرداء وكان عليها ثلاث أشجار فقط إحدى هذه الأشجار تحمل حبات بسلة حمراء والثانية ذات لون رمادي أخضر يجعلها تشبه شجرة الفضة والثالثة ذهبية ومدهشة جدا كانت هذه الشجرة الثالثة شديدة الارتفاع وكانت قممتها تشبه قبة ذهبية وجه زورقه إلى شواطئ الجزيرة وخرج من زورقه وسار ثم وقف أسفل القبة الذهبية وفجأة سمع انفجارا صاخبا جدا تشققت القبة إلى اثنتي عشرة قطعة سقطت كلها على الأرض في اللحظة نفسها وعلى الفور شب حريق في كل الشجرة واحرقها حتى سطح الأرض.

أصيب ميوما بالفرع إلى أقصى حد وهز رأسه ونظر إلى الأرض بينما كانت تجري كل هذه الأحداث وبعد أن تلاشى الصوت وانطفأ الحريق التقط حبة بسلة حمراء من الأرض ووضعها في كيسه

ثم التقط حبوبا أخرى أيضا وحملها إلى زورقه ثم أبحر من جديد وقد تأكد حينئذ أنه كان على الطريق الصحيح وأنه سرعان ما سيرى الشجرة التي يريدها.

بعد أن أبحر بعض الوقت سمع صوتا مرعدا في السماء نظر إلى أعلى ورأى طائرا ضخما حط على زورقه وحقق في وجهه سأل الطائر ما إذا كان قد أحضر حبات البسلة الحمراء من الجزيرة الصغيرة وأجاب بأنه فعل ذلك عندئذ قال الطائر: "أزل غلاف حبة بسلة افتحها وأعطني حبة بسلة" عندما أكل الطائر البسلة قال للشاب: "إلى أين أنت ذاهب؟" حكا للطائر ما حدث لابنة الملك وكيف فقدت شعرها وكيف أصبحت تواقا لاستعادته.

بعد أن سمع الطائر القصة قال: "أتذكر عندما ذهبت إلى بلدكم وتحدثت مع ابنة الملك عن شعرها وأنا الذي قلت لها أنها ستفقد شعرها لأنها رفضت أن تعطيني القليل منه لأصنع عشي طلب الطائر من ميوما حبة حمراء أخرى وشرع في أكلها بينما كان ميوما يحكي له كيف حلمت ابنة الملك بحلم عن شجرة ينمو فيها الشعر وكيف وعد الملك بإعطاء جائزة ضخمة للشخص الذي يمكنه العثور على الشجرة قال له الطائر: "سوف تبحث عن هذه الشجرة لوقت طويل لو أن الفتاة كانت في انتظار هذه الشجرة أنا متأكد أنها ستنتظر وقتا أطول بكثير برغم ذلك! وكان عليها أن تكون أكثر حكمة لو أنها كانت سخيّة معي!" ثم أعطاه الطائر إرشادات للعثور على الشجرة.

واصل ميوما الإبحار وظل مبحرا أياما كثيرة أخرى حتى وصل إلى أرض جديدة كانت الشجرة التي رآها هناك تتحرك هنا وهناك مثل الكائنات البشرية لكنه لم يجد بشرا يعيشون هناك ولا حيوانات وبينما كان يسير في البلد الغريب مر بالقرب من زهرة كانت تمد يديها بعيدا كما لو كانت تريد أن تمسك به وصار مستعدا للقضاء عليها بقوسه وسهامه لكن الزهرة قالت له: "لا تقض عليّ لم أؤذك!" توقف ميوما بالقرب منها ثم واصلت الزهرة كلامها: "من أين أتيت؟ لم أر كائنا بشريا في هذه المنطقة من قبل أنت أول إنسان يزور هذه الأرض" أجاب ميوما: "جئت في زورقي الكانو للبحث عن شجرة تطرح شعرا، اسمي ميوما،" قالت الزهرة: "ما الذي تريد أن تفعله بهذه الشجرة؟ قل لي بما أنك نجحت في الوصول إلى هنا حيا فسوف أساعدك،" هكذا حكى ميوما للزهرة عن ابنة الملك وعن رحلته إلى

هذا البلد الجديد، قالت الزهرة: "الحبات الحمراء التي كنت تحملها من الجزيرة الصغيرة هي التي أنقذتك لو لم تكن لديك، فإن الطائر الذي هبط إلى زورقك كان سيفترسك، احتفظ بما تبقى لديك منها لأنها سوف تساعدك أمام الأخطار الكثيرة القادمة"، ثم بدأت الزهرة في البكاء وتحير ميوما وسألها: "ما الذي يمكنني أن أفعله لأساعدك؟" أجابت الزهرة: "أعطني واحدة من الحبات الحمراء التي معك لأنني أتضور جوعا لكن احتفظ بالباقي لأنها سوف تنقذك من الخطر"، ثم انطلق على الطريق نفسه وسوف تجد الشجرة التي تحمل شعرا بشريا". أعطى ميوما الزهرة إحدى حباته الحمراء ثم انطلق في طريقه.

عندئذ، بينما كان في رحلته بدأ الطريق يصبح أكثر ضيقا والصخور التي بدت حتى ذلك الحين بعيدة أصبحت أقرب، واصل رحلته حتى وصل إلى منطقة لا توجد فيها سوى صخور جرداء، بدأت الرياح تهب بشدة وتثور كما لو أنها قد انتابها غضب شديد ثم سمع صوتا صاخبا مرعب في كل مكان حوله كما لو أنه يأتي من شلال، وظل يسير حتى وصل إلى جلمود هائل يسد طريقه، توقف ونظر بجذر ورأى بابا صغيرا، وعلى الباب كانت هناك كتابة بأحرف ذهبية:

وحده الذي يعرف يمكنه الدخول

لا أحد غيره، ينجو الذي لا يخاف.

عندما رأى هذه الكتابة، تذكر ميوما إرشادات الطائر فيما يتعلق بهذه الصخرة والباب، لذلك همس بالكلمات التي علمه إياها الطائر:

أنا الذي يعرف، يعرف،

إن الريح تهب، تهب،

إن الماء يتدفق، يتدفق،

هنا تنمو شجرة الشعر، تنمو،

أنا الذي يعرف، يعرف،

بمجرد أن انتهى من هذه الكلمات، انفتح الباب الصغير بنفسه وتسلق ميوما داخل الصخرة، وهناك في داخلها رأى الشجرة التي تحمل شعرا بشريا وعندما رآها شعر بفرح غامر لأنه عرف أنه قد

وصل إلى نهاية رحلته الطويلة، اقترب والتقط أقصى ما يحتاج إلى أخذه معه وأخذ بعضا من ثمارها وبذورها أيضا ثم بدأ رحلة العودة إلى بلده.

عندما وصل ذهب مباشرة إلى الملك وأعطاه الشعر لابنتها عادوه على رأسها ونما فوقه وظهرت جميلة كما لم تكن أبدا من قبل، ابتهج الملك وابنته وكل الناس في المملكة أياما كثيرة وأعطى الملك لميوما الكثير من الذهب، وابنته أيضا أصبحت زوجة له، وهكذا عاش ميوما وابنة الملك سعيدين معا أياما كثيرة.⁽¹⁾

20. الزوجات الثلاث:

يحكى انه في سالف العصر والأوان انه كان هناك رجل له ثلاث زوجات وحدث أنهن كن على وشك الولادة بأطفال له، وسألنه الإذن بالرجوع إلى بيوت أهاليه، وافق على ذلك وفي اليوم المحدد خرج معهن لإرشادهن إلى الطريق.

وفي ذلك الوقت وصلوا إلى مكان حيث يتفرع الطريق إلى ثلاثة اتجاهات، استدار الرجل إلى نسائه وقال: "هنا سوف أترككن حيث ها هنا سوف تتخذ كل منكن طريقا مختلفا" وعندما قال ذلك سقط ميتا.

عندئذ بدأت النسوة يصنعن ضجة كبيرة، قالت المرأة الأولى إنها لن تترك زوجها بهذه الطريقة لكنها ستتبعه ثم مضت وشنقت نفسها، وقالت المرأة الثانية إنها لا يمكنها ترك جثة زوجها للنسور والضباع لتلتهمها، وبقيت بجانب الجثة وأبعدت كل شيء عنها، وجرت الثالثة في الدغل وهي تتفجع على مقتل رجلها، وهناك رأت رجلا سألها عما حدث، وعندما عرف الأمر قال إنه قد يقدم مساعدة، ورجع مع المرأة إلى تقاطع الطرق، وهناك أخرج من لديه البقرة السحرية ونقر على المرأة والرجل الميتين، وبعثهما من الموت وأعاد لكل منهما حياته.⁽²⁾

¹ روجرد أبراهامز، حكايات شعبية أفريقية، تر: عزت عامر، ص 131-138.

² المصدر نفسه، ص 262.

21. المرأة الفهد: (حكاية شعبية من ليبيريا)

كان هناك رجل وامرأة قاما برحلة صعبة في الدغل وكان لدى المرأة طفل صغير مثبت على ظهرها وهي تسير عبر درب يصعب المرور فيه مغطى بالنباتات المتسلقة والشجيرات ولم يكن من بينها ما يمكنهما أكله ومع استمرارهما في الرحلة أصبحا جائعين جدا.

فجأة بعد خروجهما من الغابة المليئة بالأشجار الكثيفة إلى أرض منبسطة مغطاة بالعشب عثرا على قطع من أبقار الدغل ترعى في هدوء، قال الرجل للمرأة: "لديك القدرة على تحويل نفسك إلى أي شيء ترغبين فيه، غيري نفسك الآن إلى أنثى فهد وأمسكي بإحدى أبقار الدغل حتى يكون لدي شيء آكله ولا أهلك" نظرت المرأة إلى الرجل بطريقة ذات مغزى، وقالت: "هل تعني بالفعل ما تطلبه أو أنك تمزح؟" "أعني ما قلت"، قالها الرجل لأنه كان يعاني من جوع شديد.

فكت المرأة الطفل من فوق ظهرها ووضعتة على الأرض بدأ الشعر ينمو على رقبتها وعلى جسمها أسقطت مئزرها واعتري وجهها تغيرات، تحولت يداها وقدمها إلى مخالب وفي لحظات قليلة كانت أنثى فهد شرسة تقف أمام الرجل تحديق فيه بعينين ناريتين، خاف الرجل المسكين وأوشك على الموت وتسلق شجرة لحماية نفسه، وعندما أوشك على الاقتراب من القمة رأى الطفل الصغير المسكين على وشك أن يصبح بين فكي أنثى الفهد لكنه كان بالغ الخوف حتى إنه لم يستطع دفع نفسه إلى الهبوط لإنقاذه.

عندما رأت أنثى الفهد جعلت الرجل مطيعا بالفعل وخائفا ومملوءا بالرعب انطلقت إلى القطيع المحتشد لتفعل من أجله ما طلب منها أن تفعله، أمسكت بقرّة صغيرة ضخمة وسحبته عائدة بها إلى أسفل الشجرة عند الجذع والرجل الذي كان لا يزال بعيدا على القمة بقدر ما استطاع أن يصل صاح وتوسل إلى أنثى الفهد بطريقة مثيرة للشفقة أن تحول نفسها وتعود امرأة من جديد.

بيطء انحسر الشعر واختفت المخالب حتى وقفت المرأة في النهاية أمام الرجل مرة أخرى لكنه كان لا يزال خائفا أنه لم يستطع أن يهبط إلا عندما رآها ترتدي ملابسها وتربط طفلها على ظهرها وعندئذ قالت له: "لا تسأل امرأة أبدا أن تقوم بعمل الرجل مرة أخرى".

يجب على النساء أن يقمن برعاية المزارع ويجعلن عجينة الخبز تنتفخ ويصطدن الأسماك... الخ، لكن الصيد وإحضار اللحم للعائلة من عمل الرجال.⁽¹⁾

22. حكاية بقرة اليتامى: (حكاية شعبية جزائرية)

في كل بيت في كل قرية ومدينة يتذكر الكبار والصغار حكاية الأوائل الذين صنعوا الحياة بأفراحها وأتراحها وبين مئات الحكايات التي ترددها الجدات من ذاكرة لأخرى ومن حكاية لحكاية نستلطف أعذب القصص وأغربها عبر سالف الأزمنة، تتداولها الألسن لتكون جلسة من جلسات التسلية والإثارة، نقضي بها الساعات الطوال من الليل قرب الجدة "زينب" التي ما فتئت ذاكرتها المشحونة بصور حوادث مؤلمة ومفرحة يستعيد تذكرها زفير الزمن، يتهيج لها الصبية المجتمعون حولها في صبر وشوق وهي تسرد عليهم هذه الحكاية قائلة: آه يا أبنائي سأقص عليكم حكاية "بقرة اليتامى" القصة التي أبكت الأجيال، قصة الإنسان الذي لعبت به الأقدار في سخرية دامعة، يردون عليها: نعم، نعم، يا جدتي هيا بسرعة.

الجدة : تغمر السعادة قلب الرجل الساكن الكوخ تحت زقزقة العصفير وزقزقة السماء، ومع اخضرار الأرض تداعبه بسمات زوجته الحنون وهي ترعى طفليها "ظريف ومرجانة" مع بقرتهما الصغرى، ذاك رزقهما في الدنيا ينتفعان بحليهما... يجلسان بقرهما، فتلامس بلسانها وجه "ظريف"، هذه سعادتهما تتضاعف، وفهقهاتهما تتعالى والفرح يحيط عالمهما وهما يترعرعان في حضن أبويهما الكريمين، وتمر الأيام والليالي والقدر يكن للعائلة الصغيرة الهادئة أموراً أخرى، وفجأة تخور قوى الأم الرءوم فتصبح طريحة الفراش، تمزقها سكاكين الوجع، تزيدها حرقة دموع طفليها وحسرة زوجها، كانت الفتاة تسهر بجانب والدتها تحفف حرارة جسمها، واضعه قطعة القماش مبللة بالماء البارد على جبينها، وما عسى "ظريف" أن يفعل سوى ذرف دموع حارقة شفقة على أمه التي قد يفقدها إلى الأبد!! وتزداد الحمى ويشتد

¹ روجرد إبراهيم، حكايات شعبية إفريقية، تر: عزت عامر، ص 303-304.

مرضها، فتسلم روحها إلى بارئها تاركة وراءها طفلين للوحدة والاغتراب، لليتم والأحزان الحزن دخل البيت دون استئذان، شقاء وآلام مرة مرارة العلقم ودموع من فيضها تجري كالوديان... ما أقساك يا زمن الفراق، صحيح أن فراق الأحبة غربة، وهكذا صار الطفلان كالعصفورين الصغيرين يحثان عن أمهما في قلب أبيهما، وأضحى الكوخ حزيناً مكفهاً الظلام الدامس يسكنه في رابعة النهار كما سكن أفئدة العائلة الجريحة كأنها طائر مهيبض الجناح، الحزن الأسود يخيم على الجميع، حتى البقرة أحست بفقدان صاحبته فندر الحليب في ضرعها.

مرت السنون والعائلة بائسة تكاد رياح الشقاء تعصف بها، رغب الأب عن الزواج بامرأة أخرى لأن زوجته الأولى لازالت تحتل قلبه وتفكيره لكن حرصه على ولديه، ورعايتهما وتدير شؤون البيت جعله يفكر في الأمر مرة ثانية. وتزوج الشيخ من امرأة ظن الخير في ناصيتها لكنها كانت تخفي تحت جمالها قلباً أسود أقسى من الحجر، قلباً لا يرحم ولا يلين.

أنجب الشيخ من زوجته بنتاً سماها (عسلوجة) فتضاعف حقد زوجة الأب على الطفلين (ظريف ومرجانة) اللذين كان يقضيان وقتيهما في النهار مهملين جائعين، وعند المبيت يفترشان الشرى أو التبن قرب بقريتهما، يستمدان العطف والحنان من نظراتهما كما يستمدان الغذاء من حليبها الدسم فما جسماهما وتوردت خدودهما صحة وعافية وكان ذلك العطاء الحيواني تعويضاً للحرمان الإنساني... احتارت زوجة الأب في أمر (ظريف ومرجانة)، رغم حرمانها وإهمالها لهما، يزدادان نمواً وجمالاً، وفي المقابل يعتري (عسلوجة) شحوب وهزال رغم عنايتها الفائقة بما غذاء ولباساً ودلالاً. فسهرت لذلك الليالي تفكر باحثة عن جواب شاف كاف للأسئلة المتهاطلة عليها كسيل الأمطار، لكنها لم تجد حلاً للغز المفارقة التي تراها تزداد يومياً.

وفي أحد الأيام أوصت بنتها (عسلوجة) قائلة: رافقيهما إلى المرعى وارصدي حركاتهما لتخبريني من أي مصدر يسترزقان، من أين يأكلان، لم تكن عسلوجة أقل من أمها حقداً وغيره تجاه أخويها (ظريف ومرجانة) مما جعل نار الحسد تشتعل في قلبها الصغير فيصعد دخان اللهب إلى وجهها ليحعله أسود وهكذا ورثت (عسلوجة) من أمها صفة قبيحة تميّت صاحبها ببطء.

استجابات عسلوجة لطلب أمها بلهفة وراحت ترقب الطفلين عن بعد...!!

كانت دهشتها كبيرة وهي ترى البقرة في منتصف النهار تقترب منهما فيجتوان على ركبتيهما ثم يمسان بضرعها لينهلا منه الحليب الصافي، يرضعان مثل الصبيين التوأمين كأنهما يمتصان ثدي أمهما، يا له من مشهد رباني،،، ياله من موقف غريب عجيب،،، حادث رائع يدعو إلى التفكير في أسرار هذه الحياة وسخرية الأقدار بيني الإنسان.

اندهشت البنت (عسلوجة) لما رأت ذلك، لكنها سرعان ما حاولت تقليدهما، تقدمت نحو البقرة وقبل أن تضع رأسها قرب الضرع صكتها البقرة بحافرها فأصابت عينها اليمنى، وكان ذلك جزء التجسس على الأبرياء.. وعادت البنت (عسلوجة) إلى أمها مغمضة العين باكية الأخرى فأخبرت والدتها بما حدث لها وما شاهدت طول النهار.

اغتاظت الزوجة لما رأت وسمعت واشتد غضبها فعاقبت الطفلين (ظريف ومرجانة) عقاباً شديداً وقررت التخلص من البقرة (أم اليتامى).

ها قد شرعت تفكر في حيلة تنصب شراكها لتنفيذ قرارها. بدأت توحى بذلك إلى زوجها تمهيداً لإبلاغه القرار، وبعد ذلك بأيام طلبت منه ذلك جهاراً نهاراً، قائلة: أيها الزوج العزيز يا شيخي الكريم، نحن لسنا في حاجة إلى البقرة .

رد عليها في دهشة وغضب: ماذا تقولين أيتها الحمقاء؟ أجننت؟ أنسيت حليبيها ولبنها وسمنها؟! قالت وهي تلح في جرأة وقحة: بعها واشتر لنا حمراً نركبه فيريحنا، إني كرهتها إنها متعبة، لا أريد رؤيتها بعد اليوم.. وباتا ليلتهما متخاصمين، يتجرعان مرارة الخلاف ...

وجاءت الأيام ومع إصرار الزوجة على رأيها تفتت موقف الشيخ الصلب وانصاع لرغبة "زوجته".... في السوق الأسبوعي حيث ينعقد مؤتمر التجار والفلاحين ويلتقي الغني بالفقير والفلاح بالأمير والأمين بالغزير، كان الناس يحملون السلل الحافلة بمختلف أنواع الخضر والفواكه الشهية التي منت بها عليهم الأرض... فواكه لذيذة أنتجتها أيدي خشنة متجعدة، كما عرضت في السوق أواني طينية أبدعتها

أنامل النساء القرويات في أشكال منقوشة ومظاهر منحوتة وصور مزركشة قشبية أخذت من أمانا الأرض زخرفتها.

تقول الجدة "زينب" ضاحكة: "لو كان ما لسانى لحلاح ما خذيت المداح" هذا حال الدنيا يا أكبادي، وهذه طبائع البشر كمعادن الأرض، فيها الذهب والفضة وفيها النحاس والرصاص توجد نساء عطوفات كالأمهات أو أكثر، لا تخافوا يا صغاري، يتسم الأطفال وتواصل الجدة سرد الحكاية، وهي تتشاءب واضعة راحة كفها على فمها من حين لآخر: من مطلع الفجر لبس الزوج عباءته البيضاء ورمى برنوسه البني الطويل على كتفه ثم اتجه نحو الإسطبل ماسكاً الحبل بيديه المرتعشتين ليضعه حول قرني بقرة اليتامى...

كانت البقرة في طريقها إلى السوق الأسبوعي تبكي بلا دموع وكأنها عرفت مصيرها، بل أنها كانت تبدو حزينة لفراق الطفلين الأبدي.

عندما ابتسم الصبح حزناً ذهباً إلى مكانها كالعادة لشرب حليب الصباح فوجدا المكان خالياً... لم يجدا الكنز الذي تركته لهما أمهما فشعرا بموت أمهما مرة ثانية، وكأنها توفيت مرتين، فبكيا كثيراً... كان الشيخ في طريقه يردد في نفسه كلمات يقصد بها زوجته: هي تقول وأنا أقول... هي تقول وأنا أقول حتى غلبتني بالقول، لقد صدق من قال لكل داء دواء يستطب به إلا الحمافة من يداويها يا ليتني تزوجت بالضواوية بنت المداح المرأة الكريمة أعييت العطوفة.

وفي باب السوق وجد الشيخ جزاراً يسوم الناس أبقارهم، فباعه البقرة بأدنى ثمن وعاد إلى بيته حزناً يدعو الله اللطف والرحمة بصغيريه اللذين وجدتهما مكان البقرة في حداد ينظران نحوه نظرات غريبة ممزوجة بالعتاب والاستفهام... استلقى الشيخ على فراشه ليلاً وبعد أرق وسهاد حرماً على جفونه النعاس استسلم للنوم فرأى في الحلم زوجته الأولى أم الطفلين تزوره دامعة العينين وهي تقول له: ساحك الله.... لقد ضيعت الأمانة، ثم تطلب منه الذهاب إلى الجزار لاسترجاع ضرع البقرة وقرنيها ووضعهم على قبرها في أقرب وقت لاحق.

قام الشيخ من نومه مفزوعاً ولبس عباءته في منتصف الليل، ثم غادر بيته صامتاً وفي سرعة عجيبة هرولاً نحو دار الجزار، وأكمل الهزيع الأخير أمام باب الجزار ينتظر خروجه.

استيقظ الجزار على نباح الكلب فوجد الشيخ على عتبة البيت يرتعد من البرد، استغرب لحاله واستفسره عن رغبته، تعلق الشيخ بملابس الجزار يقبل يديه ملتصقاً منه إعطائه ضرع البقرة وقرنيها. كان الطلب غريباً لكن قلب الجزار رغم قسوته رق لحال الشيخ واستجاب لرغبته وقدم له ما أراد في تلك الصبيحة... بيديه حمل الشيخ ضرع البقرة والحليب يسيل منه ممزوجاً بالدم، ووضع قرنيها داخل قلمونة برنوسه، وسار في اتجاه المقبرة التي تنام فيها زوجته الأولى، عندما وصل إلى قبرها حياها في حسرة وأسف، ثم وضع الضرع على قبرها قرب حجر الشاهد، وغرس قرني البقرة بالقرب من القبر ثم انصرف إلى بيته مسروراً بإرضاء زوجته معاً.

يشد الزمن على الطفلين بمراته المتوالية مع الأيام، لقد حزنا حزناً عميقاً لغياب بقرتهما وهما هو الجوع يضيئهما وزوجة أبيهما ترفض الاستجابة لتوسلاتهما المنبعثة من معدتيهما الخاويتين، شحب لون وجهيهما وهزل جسمهما حتى صارا لا يعرفان عند الناس...

في يوم من الأيام اشتد شوقهما لرؤية أمهما، فذهبا خفية إلى مقبرة القرية يزوران قبر حبيبتيهما ويشكوان لها حالهما، وصلا إلى القبر جائعين يلهثان من العطش فوجدا عليه ضرع البقرة يفيض حليباً دافئاً، كان ينتظرهما كالعادة وبالقرب منه نخلتين باسقتين كثيرتا العراجين التمرية، تأتي أكلها كل حين، احتضنا قبر أمهما فرحين مسرورين بلقائهما وكأتهما يسمعان صوتها ينبعث من تحت التراب ثم بكيا حتى تبلل تراب قبرها حينما تذكرنا حضنها الدافئ الحنون، شربا الحليب وأكلا التمر حتى شبعوا وارتويا ثم تحولوا بنظراتهما يتطلعان إلى السماء وإلى النخلتين في صورتهم الشبيهتين بقرني البقرة، وبقي الطفلان اليتيمان طوال النهار يناجيان أمهما في مظهر إنساني لامثيل له.

قدم الطفلان إلى المكان مرة ثانية وثالثة، يرتادانه وقت الحاجة حتى عادت النظرة إلى وجهيهما والسحر إلى محبيهما والعافية لجسميهما فعاود زوجة أبيهما الحسد والضغينة وطلبت من ابنتها (عسلوجة) إعادة الكرة مرة ثانية، قبلت (عسلوجة) المهمة بغبطة وكأنها خلقت لفعل التجسس، رافقت عسلوجة شقيقها

المغضوب عليهما إلى حيث يسيران كانا يتعمدان التمويه في سيرهما بين المزارع والحقول يريدان التخلص من أسئلتها التحقيقية لكنها كانت مصممة على بغيتها، وبمر النهار عسيراً على الطفلين رغم اللعب والمرح بعض الأحيان، ينتظران عودة (عسلوجة) إلى البيت وقد أخذ منهما العياء والجوع... طلباً منها الرجوع فلم تقتنع حذراها من مهالك الطريق الذي يسلكانه فلم تأبه لكلامهما... حاولا العودة إلى البيت لكن الشوق والجوع والظماً أرغموهما على الاتجاه نحو المقبرة... كان الوقت أصيلاً وخلال قهرهما الجوع فلم يستطيعا صبراً وتوجها نحو الضرع والنخلتين يهزان جذعيهما فيتساقط الحب رطباً شهياً وانكشف السر... تقدمت (عسلوجة) من الضرع المدرار وتجرعت خلسة قليلاً من الحليب وأبقت جرعة في فمها، كما وضعت تحت شفتا السفلى شق ثمرة ثم عادت نحو البيت مسرعة لتجد أمها في انتظار التقرير الكامل المفصل عن المهمة الموكلة لها، باتت زوجة الأب تفكر في الأمر أرهقها التفكير ولم تجد للموضوع حيلة ومع الصباح المشرق في ربوع القرية سمعت مناديا ينادي لبيع ما لديه من كسوة وعقاقير، إنه الدلال... ها قد جاء في موعده... هرعت إلى بوابة الكوخ تسأله: ما في حوزتك لقطع النخلة؟ أجاب والعرق يتصبب من جبينه: القطران في عروق النخل، يقتل الجذور فتصبح سواكا وبخوراً، أطربها جواب الدلال فاشتريت منه ما يكفيها للفتك بالنخلتين واتجهت صوب المقبرة لاهثة، تحمل القطران في يدها والمكر في قلبها، وما إن وصلت إلى النخلتين حتى بحثت عن جذورهما ودست فيهما القطران، ثم أخذت ضرع البقرة ورمته خارج المقبرة للكلاب التي التهمت في الحين، بعد عودتها إلى البيت مكثت صامتة صمت المذنبين لا يرى الرائي في عينيها الغائرتين غير علامات المكر والدهاء، أقبل الشيخ من عمله متعباً وقد ضعف بصره وابيض شعره واحدودب ظهره، وقبل أن يستريح وقفت في وجهه صارخة تتصنع الغضب: هيا أبعدهما عني إني كرهتهما؟ يتساءل العجوز في حيرة: من تقصدين؟ قالت: هما اللذان تسببا في تعوير عين ابنتي عسلوجة.

مع الصباح الباكر يجهز الشيخ ابنه ظريف وابنته مرجانة للرحيل، قصدوا الغابة ترافقهم الدموع وفي نهاية الدرب الزراعي الملتوي قرب سفح الجبل ودعهما الشيخ بشهقات حزينة وهو يضع في أيديهما قطعاً من الخبز وكيساً مملوءاً بألبستهم وفراشهم... وعاد إلى البيت كئيباً، عاد وحده يكي حرقه الوداع

الأبدي... ويسير الطفلان قاطعين الوهاد والجبال والأدغال، خارجين بلاداً داخلين أخرى، هائمين على وجهيهما لا يعرفان لرحلتهما اتجاهاً معيناً أو نهاية محدودة... كان التعب قد أخذ موضعه منهما فجف ريقهما عطشاً والتوت أمعاؤهما جوعاً وكادا يموتان عياء وظمأ لولا إشرافهما على نهر جار يسمى وادي السحر بدا لهما من بعيد أمل يائس وبسمة فائظ ومائدة نزلت من السماء... وعندما وصلا لاحظت مرجانة سائلاً سحرياً يختلط بالماء فتذكرت قصة الوادي السحري الذي يغسل الأبدان من الدنس ويحول شاربي مائه إلى غزلان!!

أسرع أخوها ظريف نحو النهر وانكب على الماء يريد إطفاء نار العطش الملتهبة في حلقة لكن أخته منعتة من الشرب وبصعوبة أبعدته عن الماء وواصلت طريقهما... توقف الطفل ظريف عن المشي وأخبر أخته بضياح قلادته عند الوادي، قلادة الذكرى والتذكارات المهداة له من أمه العزيزة... سمحت له أخته بالعودة للبحث عن قلادته وأوصته بالامتناع عن الشرب، ورجع الطفل إلى النهر للبحث عن ضالته لكن انسياب الماء بين الحصى زللاً صافياً أفقده الصبر فلم يتمالك نفسه وانحال على الماء يعبه عباً، وفي لحظة في رمشة عين صار العجب! لقد تحول الطفل ظريف إلى مخلوق آخر... يشبه الغزال! اندهشت لذلك أخته وبكت بكاء مرا ثم حزنت لذلك حزناً عميقاً، واشتدت حيرتها على أخيها... هاهي "مرجانة" جالسة تحت الشجرة تمشط شعرها والطفل الغزال أمامها يرتشف جرعات الماء لا يدري ولا يدرك حاله... انسلت من شعرها الذهبي واحدة، كانت طويلة في امتداد سالفها الطويل، سقطت الشعرة في مجرى النهر فجرفها التيار وسرى يتلاعب بها مسافات بعيدة حتى توقفت فجأة بين أنامل يد بشرية، إنها يد سلطان البلاد منذ حين كان السلطان يتجول في رحلة صيد يصحبه الجند وسط الأدغال والأحراش وعند الظهيرة أراد الاستحمام بماء النهر الدافئ استعداداً لتناول وجبة الغذاء الدسمة، جلس على ضفة النهر ووضع يده في الماء يعاكس التيار الجاري مستلذا بانسياب الماء بين أصابعه كسريان النسيم العليل بين السنابل، عندما حمل السلطان الشعرة في كفه كانت أشعة الشمس تنعكس عليها فتماوجت ألوانها في منظر سحري بديع، تفحص وتمحص الشعرة الذهبية كثيراً وبفراسة الأذكاء عرف أن الشعرة لفتاة رائعة الجمال كريمة النسب عالية الخلق. وقف الملك صامتاً ثم اعتلى

صهوة جواده الأصيل، فاجتمعت حاشيته حوله تنتظر الأوامر، قدم لهم الشعرة قائلاً: جاءت الماء أريد رؤية صاحبها في أقرب وقت.

وبعد هنيهة من الزمن كان الجند يسلكون ضفتي النهر قاصدين منابع الماء للوصول إلى صاحبة الشعرة الذهبية، وجدوا في طريقهم نساء كثيرات يغسلن ثيابهن وينشرها على الشجيرات القريبة من النهر كما شاهدوا فتيات عذارى يستحممن بماء النهر وقد أفزعهن قدوم الجند بغتة من حيث لا يدرين، وظل الجنود يسعون يقارنون الشعرة الذهبية بشعر كل أنثى يصادفونها في طريقهم حتى اشتغل الناس بالأمر واحتارت النساء لذلك وتوقفت خطوات الجند على رأس النهر، حيث منابعه الأولى ولم يجدوا لصاحبة الشعرة الذهبية سبيلاً ولا أثراً فعادوا إلى السلطان خائبين.

بعد أسبوع من البحث الدقيق والاستطلاع الواسع اغتم السلطان لما علم بالأمر واستسلم لتفكير طويل سائل نفسه ويعاتب تاجه ووزرائه عن عجز سلطانه في الوصول إلى شيء بسيط في مملكته وهو الأمر النهائي... ومرت الأيام فانشغل بأمور الرعية محاولاً تسلية نفسه لنسيان صاحبة الشعرة الذهبية الغريبة لكنه لم ينس إخفاء الشعرة في صندوقها الخاص مع لوازمه السرية.

هاهي الفتاة مرجانة تمشي وأخوها الطفل الغزال ظريف يتبعها في مشهد غريب حقاً، وفي غمرة حيرتها الكبرى شاهدت كوخاً قديماً يتوسط الأشجار فأسرعت بها قدماها نحوه، إنه لعجوز طيبة تعيش من الأعشاب والعقاقير التي تحضرها إلى الدلال كل صباح، عندما يأتي وعلى كتفه "الشوال" وهو ينادي: غداؤك دواؤك، هات ما عندك أعطيك ما عندي، البيع لا والمبادلات نعم، فتقدم له العجوز الحشائش والعقاقير النافعة للعلاج مستبدلة إياها بالقمح والشعير والزيت.

رحبت بالطفلة التي جاءت تريد الخبز والماء لها ولأخيها، تستغرب العجوز ثم تسأل: أين أخوك؟ وقصت عليها مرجانة الحكاية من البداية إلى النهاية.

أسرعت العجوز إلى مربوط الجديان وأطلقت الغزال من ربة القيد بعد أن عرفت قصته فجاء مسرعاً ليقف قرب أخته وقدمت لهما العجوز الخبز والعسل والتفاح ثم قالت لهما: لا تيأسا من رحمة الله أنا

أمكما الآن ... ثم نظرت إلى السماء وهي تقول: شكراً أيتها العناية الإلهية لقد حققت حلمي، حلمي الدفين منذ سنين.

عم الخير البلدة بحلوهما على بيت العجوز فنزل الغيث وتفجرت الينابيع المائية واخضرت الأرض الفلاحية وغمرت خيمتها الأرزاق ويأتي الدلال يأخذ طبق الأعشاب فيجد بداخله ذهباً، استمر الحال شهوراً والدلال فرح ومتعجب، لكن الاستغراب كان يملأ خاطره ويشغل باله فقرّر بعد سنين اطلاع السلطان على هذا السر العجيب... الأعشاب تصير ذهباً والصيف يصبح ربيعاً؟؟؟؟...

زوجة الأب وابنتها عسلوجة يقرران الرحيل والشيخ يمانع وقد ظن أن يد الأقدار تعيد له طفليه حاول الامتناع لكن إصرار زوجته وتهديدها له بتظليمه لدى الحاكم زورا والوشاية بأنه لا يدفع الضريبة السنوية على أفراد عائلته أخضعاه للأمر الواقع... وسافرا الثلاثة إلى غير رجعة تاركين البيت أطلالاً جدراناً طينية تتلاعب الرياح بسقفها النباتي.

أصبح الدلال من الأغنياء لكنه لم ينقطع عن الدلالة، ها هو يدخل قصر السلطان الواسعة أرجاؤه ويطلب من الحرس السماح له بمقابلة السلطان بعد محاولات كان له ما أراد يطأطي رأسه محيياً من السلطان بقوله: العظمة والجلالة لمولانا السلطان (يشير عليه السلطان بيده اليمنى قائلاً: هات ما عندك أيها الرجل إن كنت مظلوماً فأنا منصفك وإن كنت مسلوب الحق أنا راده لك... انشر ما في صدرك، الدلال مبتسماً: عفوك أيها السلطان لا هذا ولا ذاك، إن سبب حضوري واقعة أذهلتني وأطلب من مولاي السلطان السماح بسرد قصة العشب الذهبي.

(يشجعه السلطان بإيحاء من ملامحه فيطلق الدلال العنان للسانته يصول ويجول واصفاً الزمان والمكان بأوصاف شتى أثارت فضول السلطان وحركت فيه سلطة القرار فأمر أحد حجابه بإحضار العجوز ومن معها قبل غروب شمس ذلك اليوم).

وغابت الشمس في الأفق وفي القصر أشرقت شمس أخرى إنها الفتاة مرجانة رفقة العجوز وأخيها الغزال أدخلهم حاجب القصر فبهت السلطان لجمالها الباهر كان سحرها يسري في النفوس كالموج في امتداده، جاء السلطان في الحين بالشعرة الذهبية وقارنّها بشعر الفتاة فإذا بها تشبهه... يا لها من صدفة

عجيبة!! قالها السلطان وهو يهش لوجودهم بالقصر... ثم أكرم حضورهم وطلب منهم الإقامة في جناح الضيافة ثلاثة شهور لعلاج الغزال.

وجاء يوم الصباح الثاني ومعه وفود الأطباء والعلماء والعارفين بعلوم الدين، كانوا يصلون زرافات ووحيدانا تلبية للنداء العاجل الذي أصدره السلطان إلى عماله في الأقاليم، ومع الأصيل كانت ساحة القصر تعج بذوي الإفهام والعقول النيرة والعارفين بسداد الرأي في الطب والحكمة، ها هم ينتظرون ظهور السلطان أعناقهم تشرئب إلى الشرفة المهيأة له لمعرفة سر جمعهم.

وبعد زمن قصير أطل السلطان وحياهم بإشارة من يده ثم أمر حاجبه إحضار الغزال فأحضره في الحين، توجه السلطان بخطاب مطول للحاضرين تحدث فيه عن الحياة وأسرارها والخالق وقدرته، ثم طلب من الجميع البحث عن علاج للطفل الغزال كي يعود لصفته البشرية خلقة وخلقاً، لم يخف الحاضرون اندهاشهم وراحوا يسبحون ويحوقلون... تناظروا فيما بينهم وشرعوا في التفكير والبحث وإجراء التجارب خلال فترة العلاج والضيافة أعجب السلطان بالفتاة مرجانة سلوكاً وجمالاً وتعلق قلبه بها، فعرض عليها الزواج... وافقت الفتاة مرجانة لكن مهرها كان غالياً، إذ طلبت من السلطان الوعد بعلاج أخيها حتى الشفاء التام وقبل السلطان شرطها فأقاما عرساً بهيجاً رقص فيه الغزال كثيراً وعاشا أياماً سعيدة وعيشاً رغيداً تملؤه المودة والرحمة ويزينه التفاهم...

من مرافق القصر الترفيهية المتحف الحيواني الذي يجمع في أروقه أصنافاً عديدة من الحيوانات الأليفة والمتوحشة، زاره السلطان رفقة زوجته، فسرت بما رأت وقالت في نفسها عندما مرت بجناح الغزلان: ربما يوجد في هذا السجن الحيواني من كان إنساناً وشرب الماء السحري فتحول إلى غزال، وصارت تتردد على هذا الجناح كل أسبوع تبحث عن سر ما.

وفي يوم من الأيام اضطر السلطان للسفر فأخبر زوجته بعزمه ثم وضع في أصبع من يدها اليسرى خاتم السلطنة وأوصاها باستعماله عند الضرورة... ودعها ومشى فشيخته بنظرات ينبعث منها الحب والاعتزاز ثم عادت إلى جناحها كي تستريح قليلاً ولتختلي بنفسها فتتظر إلى بطنها المنتفخ مبهورة بالحمل فخورة متشوقة للمولود الأول، الذي ستأتي هدية إلى السلطان بعد عودته..

في غياب السلطان عن قصره جاء فقير في ثياب بالية يطلب صدقة، كان الوقت أصيلاً إنه الزمن الذي تخرج السلطانة إلى شرفتها تتأمل الكون وتودع الشمس وهي تلبس عباءتها الصفراء مستعدة للنوم خلف الأفق، وقع بصرها على السائل يرفع يده نحوها، فاقشعر جسمها وأحست بشعور غريب يغمرها، طلبت من الحراس إدخاله إلى الساحة... نزلت من الطابق العلوي مسرعة واقتربت منه فتعرفت عليه... نعم هو أبوها العجوز... عانقته فاحتضنها وبكيا، أطعمته حتى شبع وسقته حتى ارتوى وألبسته أزهى الثياب حتى دفئ وشعر بالراحة والطمأنينة، وحدثته كثيراً عن رحلة العذاب والمتاعب فقال لها بصوت حنون: إن دوام الحال من المحال، وإن الله مع الصابرين، وعندما أراد مغادرة القصر وضعت مرجانة في يده كيس فطائر محشوة باللحم ثم التمسست منه عدم فتح الكيس قبل الوصول إلى البيت مع حفظ سر وجودها عن زوجته وابنته، وعاد الشيخ إلى زوجته وابنته فرحاً مسروراً وحائراً في أمر ابنه الغزال ظريف... فتحت الزوجة وابنتها الكيس فإذا الذهب يتدفق من بين الفطائر، قطع تتساقط فتحدث رنيناً وتلمع فيتحول البريق إلى توهج يثير النفوس الطامعة.

طلبت المرأة من زوجها الذهاب إلى السلطانة لشكرها رغبة منها في المزيد من الذهب، ولم يمانع الشيخ لأنه تعود الطاعة والانصياع وعلم أن مقاومته لها ستبوء بالفشل لا محالة... وفي اليوم الموالي ذهباً ترافقهما ابنتهما (عسلوجة)، وكم كانت المفاجأة كبيرة للزوجة وابنتها عندما تعرفا على السلطانة التي أكرمت ضيافتهم جميعاً، ندما وطلبا منها على العفو وكان لهما ذلك.

وبعد ضيافة ثلاثة أيام قرر الشيخ العجوز أخذ زوجته وابنته (عسلوجة)، ومغادرة القصر خشية وقوع ابنته السلطانة ضحية مكر جديد تدبره لها زوجته... وعندما علمت السلطانة مرجانة بقراره وافقته لكنها طلبت منه السماح لعسلوجة بالبقاء معها في القصر أياماً... فكان لها ما أرادت... ذات ضحى يوم جلست السلطانة مرجانة في حديقة القصر على حافة البئر تتأمل هندسته الرائعة وبجانبتها أختها عسلوجة، ثم شرعت مرجانة في تسريح الشعر الذهبي المتماوج الألوان، وأثناء ذلك استيقظ في قلب عسلوجة هاجس المكر القديم واشتعلت نار الغيرة في فؤادها فأظلمت الدنيا أمام عينيها، ولم تشعر بالراحة إلا بعد أن دفعت بالسلطانة إلى أعماق البئر ثم عادت إلى جناح الخدم بالقصر هادئة النفس

كأنها لم تفعل شيئاً، بل طلبت منهم سبع قدور لتقديم الغزال وجبة شهية توضع على مائدة السلطان العائد من سفره البارحة فقط، لكن الغزال عندما رأى ما رأى من قدور نطق فزعاً وأسرع نحو جناح السلطان فأيقظه من نومه وهو يقول: دعوني... دعوني... أودع أختي، أذهب إليها في البئر، ثم افعلوا ما شئتم!! وأغمي عليه لعدة ساعات (يا خويا، يا ولد أما وبابا سبع قدور تتغالى سبع مواس تتسانى، هكذا كانت السلطانة ترثي أخاها الغزال من داخل البئر باكية شاكية في حزن، بعدما سمعت الحرس يتحدثون في أمر ذبح الغزال دون أن ينتبهوا لها) حاولت مناداتهم لكن حنجرتها لم تقو على التصويت لهول ما وقع لها عند رميها في البئر... حتى إنها وضعت حملها توأمين داخل البئر وبقدر فرحها الشديد بهما كانت خائفة عليهما من أذى الماكريين... أعلن السلطان حالة الطوارئ في البلاد وأخبر الجيش بالكارثة فהלج كل من سمع الخبر، توجه الجميع للبحث عن زوجة السلطان في آبار المدينة، بينما ذهب بنفسه إلى بئر عتيقة مخوفة بالحشائش في إحدى حدائق القصر وقف ينظر داخلها، وصل مسمعه صوت الألم المنبعث من أعماق البئر ممزوجاً بأنين الحزن وسمع صوت وليد يبكي صباه لم يتمالك السلطان نفسه فحاول الارتقاء في البئر لإنقاذ زوجته المشرفة على الهلاك لكن حراسه كانوا أسبق منه إلى دخول البئر المربعة وبعد حين من الجهد والمعاناة خرج الجميع من البئر في حالة يرثى لها.

كان المشهد مؤثراً والموقف عصيباً وكانت المفاجأة كبيرة عند رؤية الصبيين يتعلقان بثديي أمهما احتضن السلطان زوجته النفساء مع الصبيين، احتضنهم جميعاً ثم حمل الطفلين الجميلين بفرح كبير وأعلن إنهاء حالة الطوارئ وإقامة الاحتفالات في كل الأقاليم تكريماً لزوجته ولبنيه... وكان عقاب الفتاة عسلوجة على فعلتها الشنعاء النفي الدائم خارج السلطنة، بينما اختار والد السلطانة مرجانة البقاء قرب حفيديه الصغيرين يرعاها ويتأمل نموها، تزامنت الاحتفالات بوضع العلماء والأطباء اللمسات الأخيرة لبحوثهم وتجاربهم حول إبطال مفعول الماء المسحور، وفي غمرة البهجة والسرور بنجاة السلطانة من الموت المحقق وبازدياد الأميرين الصغيرين أعلن العلماء والأطباء والحكمة عن اكتشاف دواء جديد يعيد للشباب ظريف الغزال هيئته البشرية الأولى التي كان عليها قبل أن يشرب من وادي السحر فأطرب هذا الخبر العائلة الحاكمة وكل من كان في البلاد، وقدم العقار إلى الغزال ظريف في الحين وبمجرد تناوله مع جرعة

من زيت الزيتون بدأت صفاته الجسمية تتغير والعلماء يشاهدون، كانوا جميعاً في المخبر الملكي في صمت رهيب كأن الطير على رؤوسهم وما هي إلا دقائق حتى عاد الشاب إلى حالته الطبيعية. إنسان جميل، شاب في مقتبل العمر بهي الطلعة وسيم الوجه، فازدادت الفرحة في القصر وتعانق الجميع، السلطان والسلطانة والشيخ وابنه ظريف ومعهم الصبيان الصغيران.

تنفست الجدة (زينب) الصعداء وهي تشرف على نهاية الحكاية الأسطورية، ثم قالت: وهكذا يا أحفادي الأعزاء عاش الجميع في سعادة وهناء رداً طويلاً من الدهر، إلى أن حضر "هادم اللذات وميتم البنين والبنات، مخرب القصور ومعمّر القبور" فمات من مات وعاش من عاش وسبحان الحي الذي لا يموت)...

ثم تفقدت الصغار فوجدتهم نائمين، فنامت بالقرب منهم بعد أن قالت: هكذا ينامون كل ليلة وفي الليلة المقبلة يطالبونني بإعادة الحكاية، ثم استدركت قائلة: إنها الطفولة... يحكمها قانون عجيب!!⁽¹⁾

23. حكاية الأخوان: (حكاية شعبية مغربية)

كان لرجل متزوجاً من امرأتين، ووضعت كل منهما ولداً في ليلة واحدة وشب الطفلان ولاحظ الأب أنهما يتشابهان تماماً حتى كان يصعب عليه أن يفرق بينهما إن اجتمعا سوياً أمامه وبعد سنوات ماتت زوجة من زوجتيه، فأخذ الرجل طفله وعاش مع زوجته الثانية وابنها، وكانت الزوجة لا يمكنها أن تفرق بين الولدين لتمثالتهما المطلق حتى في الصوت والحركة والعادات، إن نام أحدهما وأيقظته، استيقظ الولد الآخر وإن نادى ولداً منهما كان يدير رأسه ناحية اليمين والثاني يفعل مثله. وما يغضب أحدهما يغضب الآخر وما يفرح هذا يفرح أخاه، ومن الغريب أن الولدين كانا يتبادلان اسميهما فإن نادي الأب واحداً منهما يرد الآخر وهو يقصد المزاح فلا يكتشف الأب ذلك والأخ يفعل نفس الشيء، وكانا يضحكان خفية ويعجبان من قدرتهما على خداع والديهما دون أن يكتشف اللعبة أحد. وبعد مضي سنوات قليلة مات الأب فعاش الولدان مع المرأة وهي أم لأحدهما وامرأة أب بالنسبة للآخر وتغيرت المرأة وأصبحت تريد أن تتخلص من الولد الآخر، لكن حب ابنها لأخيه وتعلقه الشديد به منعها من

¹ عائشة بنت المعمورة، رابع خلدوسي، بقرة اليتامي - وقصص أخرى - حكايات جزائرية شعبية من التراث الشعبي، ص 12-30.

التخلص منه، والحق أن الولد كان يبادل أخاه نفس المشاعر تماما، وضايق المرأة عدم مقدرتها على معرفة ابنها، فالاثنتان لا فرق بينهما، ودائما يمزحان، ويدمي كل منهما انه الآخر، ولم تجد أي محاولة لتجعلهما يكفان من هذه اللعبة، حتى وصل الأمر أن المرأة احتارت تماما ولم تعد تقدر أن تفرق بينهما وتعرف أي من الولدين هو ابنها، لذلك ذهبت إلى فقيه وسألته عن وسيلة تستطيع أن تميز بها ابنها عن الآخر، فضحك الفقيه وقال لها: «مادمت تنادين ابنك باسمه فيرد الآخر فلن يمكنك أن تعرفي أيهما ابنك، فعليك أن تحضري كسوة جديدة ويكون الولدان موجودين وتنادي، ابني، ابني، فلا بد أن يرد عليك ابنك، وخذي هذا الخاتم وضعيه في أصبعه وستعرفين ابنك من الخاتم» فنفذت المرأة ما قاله لها الفقيه وحدث ما توقعه ووضعت الخاتم في أصبع ابنها، ففرحت المرأة وأخذت تعطي ابنها الزبد واللبن واللحم وتعطي الآخر الزيت وخبز الشعير، وأعطت ابنها منديلا ليمسح به يديه وأعطت أخاه قطعة من الخشب ومضى عام، وكانت المرأة مسرورة لأنها رأت ابنها في صحة جيدة والآخر هزيلا وضعيفا، وأصبحت حالته سيئة، لكن في يوم نادى ابنها دون أن تذكر اسمه «ابني، ابني»، فأذهلها أن رد عليها الولد الآخر المعتل الصحة، نهضت المرأة غير مصدقة عينيهما: «هل أنت ابني؟»، فأجابها الولد: «نعم يا أماه أنا ابنك» فصاحت ولكنك لا تضع الخاتم في أصبعك!»، فرد عليها: «خلعته وأعطيته لأخي حتى يأكل الطعام الجيد بدلا مني فإنني أحبه» وأبقت ابنها في الدار وأرسلت أخاه ليرعى الغنم وكانت لا تعطيه إلا قليلا من خبز الشعير، لكن الابن كان يعطي أخاه في غفلة من أمه اللحم والزبد، ويبقي له دائما ما تعطيه أمه من الطعام، ولم تجد مراقبة الأم ومحاولتها الاهتمام بابنها ومضايقة الآخر واضطهاده، بل العكس، فالولد ظل في صحة جيدة والابن بقي عليلًا، فذهبت إلى الفقيه وحكت له ما حدث، فقال لها الفقيه: «لا فائدة، عليك أن تعطيهما طعاما جيدا ويأكلان مع بعضهما». فاضطرت المرأة لتقوي ولدها وتحسن صحته أن تعطي الولدين الطعام الجيد، اللحم والدجاج والزبد واللبن، وتجعلهما يأكلانه مع بعضهما كما قال الفقيه، فاسترد ابنها قوته وأصبح الولدان في أتم صحة وعافية. وكبر الولدان واستطاعت الأم أخيرا بالرغم من تشابههما أن تميز ابنها، وفي يوم نادته وقالت له: «يا بني، لقد مات أبوك وترك ميراثا لا بأس به، وأنا أريده أن يكون لك بمفردك، وقد جهزت سما

ووضعت في الطعام وأعطيته لأخيك ليأكله ويموت ويصبح الميراث لك وحدك، فإياك أن تأكل من الطعام». فأسرع الأخ لأخيه الذي كان يرعى الغنم، وحكا له ما فعلته أمه، واخذ شيئاً من الطعام وأعطاه الكلب، فأكل منه فمات في

الحال، فاحتضن الأخ أخاه الذي أنقذه وبكى هو الآخر وقال له: «الآن لا يمكنني أن أبقى وأعيش مع أمك، وقد بلغت مبلغ الرجال فعلي أن أرحل في الحال» وأعطاه خاتمه وأوصاه أن لا يخلعه من إصبعه وقال له: «إن شعرت في يوم من الأيام وأحسست أن الخاتم صار ساخناً، فاعرف أنني أموت»، وودع كل منهما الآخر وسار الشاب هائماً على وجهه لا يعرف إلى أين يتجه، سار حتى وصل إلى بلدة بعيدة، ووجد أهلها يعيشون في ضيق وهم وفي خوف وقلق، فلما استفسرهم السبب، عرف منهم أن هناك خارج البلدة عين ماء يجيء إليها غول ويبقى فيها ويمنع الماء عن الزرع وعن الناس وقد ظل بالغول أن يعطوه كل يوم عشرة خراف من الغنم، فوعدهم الشاب أن يخلصهم من الغول وذهب وبقي هناك بجانب عين الماء ينتظر وصول الغول، وغربت الشمس ومضت ساعة وجاء الغول، وكان الشاب قوياً شجاعاً لا يعرف الخوف ولا يخشى الغيلان فاستطاع أن يقتل الغول ويخلص الناس من شره وجشعه وفرح الناس فرحاً شديداً وقالوا له: «لقد كانت كل دار تعطى الغول خرافاً كثيرة» وأرادوا أن يعطوه قطيعاً من الغنم كمكافئاً له فرفض، لكنهم أصرّوا، فاكتفى أن تهديه كل دار خروفاً واحداً، ولم يرض أن يأخذ الخراف وسألهم أن يحفظوها له عندهم، فأقاموا له وليمة كبيرة وودعوه ورحل في حال سبيله، وسار حتى وصل إلى بلدة وجد أهلها أكثرهما حزنًا من البلدة السابقة لأن عين الماء التي يعيش بفضلها الناس وتسقي لهم زرعهم يسيطر عليها غول كبير يطلب أن يعطوه كل يوم سبعة ثيران، فوعدهم الشاب أن يخلصهم من الغول الكبير.

وذهب إلى عين الماء وحين جاء الغول هجم عليه الشاب في شجاعة وجراًة واخذ يقاتله في عنف وإصرار وبعزيمة قوية، وبقلب لا يعرف الخوف أو التراجع حتى قتله، وأرادوا أن يكافئوه ويعطوه قطيعاً من الثيران، فرفض واكتفى أن تهديه كل دار ثوراً، وطلب منهم أن يحفظوها له عندهم، ولما أراد الرحيل احتفلوا به وأقاموا له وليمة وشكروه وبينوا له تقديرهم لشجاعته أن قام بإنقاذهم، وودعوه، ورحل في

حال سبيله... وسار، سار حتى وصل إلى بلاد يختلف شكل أهلها عن الناس تماما، وفي هذه البلاد الفقراء مثل الأغنياء، فرحبوا به بالرغم من غرابة شكله بالنسبة إليهم، لكنه لاحظ أنهم أشد حزنا وهما، وأكثر خوفا ورعبا من أهل البلدين السابقين، وعرف السبب، فقد كان هناك غول جبار، له عشرة رؤوس، يهاجم البلدة ويهددهم بتدميرها إن لم يعطوه فتاة كل مرة يأتي إليهم، وكانت كل أسرة تعطيه بنتا، حتى جاء دور بنت الملك، ولهذا كان الناس حزاني والملك يكاد يموت ألما لأنه لا يود أن يعطي ابنته للغول، فوعدهم الشاب أن يخلصه من الغول ذي العشرة رؤوس، وطلب منهم أن يحضروا له فتاة، وخروفا ناضجا وقصعة مليئة بالكسكس وعشرة طرايش وذهب إلى العين وجلس هناك مع البنت وأكل الكسكس والخروف وتأهب للنوم، وسأل البنت أن توقظه حين يقبل الغول، ونام ومضت ساعة وجاء الغول، ولكن البنت ارتعبت وهلعت عندما رآته، ومن شدة خوفها ورعبها لم تقدر أن تقوم بأية حركة أو توقظ الشاب، لكن دموعها التي سالت في غزارة ووقعت فوق وجه الشاب النائم أيقظته، فهب وامتشق سيفه وهاجم الغول، فصرخ الغول: من أنت أيها الطائر الغريب الشكل، أنا لم أر مخلوقا يشبهك من قبل؟» وامتشق هو الآخر حسامه، وهاجم كل منهما الآخر وتقاتلا في ضراوة، الشاب يهاجم، والغول ينفجر غضبا من شجاعته، وقطع الشاب رأسا من رؤوس الغول العشرة وغطاها بطربوش حتى لا تنبت له رأس جديدة مكانها، وظل يقاتله ويقطع رؤوسه الواحدة بعد الأخرى ويغطي مكان كل رأس مقطوعة بطربوش، حتى قطع الرؤوس العشرة، ومات الغول فرح أهل البلدة فرحا شديدا، وأراد الملك أن يكافئ الشاب وزوجه ابنته إعجابا بقوته وشجاعته وتقديره لصنيعه الذي أنقذ الناس، ورغبت كل أسرة أن تهديه بنتا من بناتها لكنه رفض، ولما أصروا قبل أن يهدوه عشر بنات، وطلب منهم أن يبقين مع أهلهم، وقبل من الملك مكافأة سخية، وأهداه الملك حصانا أصيلا وكلبا من كلاب الصيد القوية، واحتفلوا به احتفالا كبيرا وأقاموا له ولائم كثيرة وطلبوا منه أن يبقى ويعيش معهم، لكنه شكرهم وودعوه وهم سيكون لرحيله وركب الشاب حصانه وسار يتبعه كلبه، وواصل رحيله، وأراد أن يأكل، فتوقف عن المسير، ونزل من فوق حصانه وربطه في شجرة وأوقد نارا، فجاءت إليه غولة وطلبت منه قبسا من النار، فقال لها: «تعالى وخذي النار»، لكنها أجابته: «حتى تربط كلبك فإنني أخاف من

الكلاب» فانحنى وتظاهر بأنه ربط الكلب، فقفزت الغولة عليه لتأكله لكنه لم يكن قد ربط الكلب، فاندفع الكلب وهجم على الغولة، وامتشق الشاب حسامه وأطاح برأسها.

وركب الشاب حصانه ومضى في طريقه يتبعه كلبه، حتى أحس بالجوع، فتوقف وربط الحصان وأشعل نارا، وجلس أمامه أين ينضج شيئا من لحم حيوان اصطاده، فجاءت إليه غولة أكبر من الأولى وسألته أن يعطيها قبسا من النار، فقال لها: «تعالى وخذي ما شئت من النار»، فأبدت الغولة خوفها من الكلب، وطلبت منه أن يربطه، فتظاهر بأنه يربطه، فقفزت الغولة تريد أكله، لكن الكلب الطليق اندفع وهاجمها في شراسة وقوة وأطاح سيف الشاب برأسها، وركب حصانه، وسار وراءه كلبه المخلص، حتى قابل غولة أكبر من الغولتين السابقتين، وطلبت منه نارا، فسألها أن تجيء وتأخذها، ولم تطلب منها أن يربط الكلب، بل اقتربت من الشاب ولم تهجم فلم يهاجمها الكلب، وربطت الكلب بنفسها، ثم قفزت على الشاب وابتلعتته، فشعر أخاه وأحس بسخونة الخاتم في إصبعه وعرف أن أخاه يموت فترك الدار ورحل، وسار لبحث عن أخيه، ومر بالبلدة الأولى التي مر بها أخوه، فناداه الناس فرحين برؤيته وقد ظنوه الأخ الآخر لأنه يشبهه تماما وأعطوه الخراف التي حفظوها له، فشكرهم وتركها عندهم وعرف أن أخاه قد مر من هنا فاستأنف رحلته وسار في طريقه حتى وصل للبلدة الثانية ففرح الناس بقدمه ورحبوا به وقد ظنوه الشاب الذي أنقذهم وقدموا له الثيران التي حفظوها له تشكرهم ورحل وقد عرف أن أخاه قد مر من هنا وعندما وصل إلى البلدة التي يختلف شكل أهلها عن الناس والفقراء فيها مثل الأغنياء قابلوه بترحاب وهللوا لمقدمه واحضروا البنات وقدموهن له، ودعاه الملك لوليمة كبيرة، وأعطاه حصانا أصيلا وكلبا من كلاب الصيد القوية، فشكر أهل البلدة، ورحل وعرف أن أخاه قد مر من هنا وركب الحصان وسار يتبعه كلبه حتى وجد حصان أخيه وكلبه ومشى معهما حتى قابل الغولة الكبيرة وعرف أن أخاه في بطنها فأمسك بسيفه في يده ووقف نائرا غاضبا وشرارات النار تتطاير من عينيه ووقف الكلبان أحدهما على يمينه والآخر على يساره وصرخ في الغولة وأمرها أن تخرج أخاه من بطنها وترجعه فقالت الغولة: «وإذا أرجعته من بطني سيكون أعمى» فصاح: «إن رجع أعمى سأقتلع لك عينيك وأجعلك عمياء» فقالت له الغولة: «إذا أرجعته من بطني سيكون أعور، يرى بعين واحدة»، فرد عليها:

«إن رجع بعين واحدة اقلع لك عينا»، فقالت: «إذا أرجعته من بطني سيخرج ميتا» فصرخ الشاب: «إذا خرج من بطنك ميتا سأقتلك».

أخرجت الغولة الشاب من بطنها حيا سليما، ففرح الأخوان باللقاء وعانقا بعضهما وركب كل منهما حصانه وسارا يتبعهما الكلبان في طريق عودتهما إلى بلدهما.

مرا بالبلدة التي يختلف أهلها عن الناس واصطحبا معهما الفتيات العشر والأميرة: وعندما وصلا إلى البلدة الأخرى، أخذنا الثيران، وأعطاها أهل البلدة الأولى الخراف ورجعا إلى بلدهما وعاشا سعيدين.⁽¹⁾

24. حكاية الربيبة: (حكاية شعبية جزائرية)

يحكى أنه كانت توجد امرأة توفي عنها زوجها، وترك لها بنتا وحيدة وربيبة تولت المرأة تربيتها، إلا أنها كانت تعلم ابنتها أصول العمل دون الأخرى، كيفية الطبخ والغسيل وغسل الصوف وباقي الأعمال المنزلية... وتمر الأيام والسنين وتقدم للفتاتين رجلا فزوجتهما الأم، وأخذت توصي ابنتها كيف تتعامل مع زوجها، وكيف تكون له المعينة وكيفية تسير بيتها دون إعطاء أي أهمية للربيبة التي كانت تسمع تلك النصائح خلصة من وراء الباب.

وقد كانت توصي ابنتها قائلة: غبار الصيف ياكلوه الليالي، وأرقها كيفية التخزين قائلة شوفيا طفلة كيفاه تخزني دهان والكليلة واللحم، وكيفاه تخزني لقمح والدقيق والشعير، وكيفاه تخيطي اللبسة وشوفي كيفاه تنسجي، وكيفاه تنظفي الزريبة نتاع البقر ولغنم... وما إلى ذلك من أعمال، وبعد زواجهما ومرور فترة من الزمن قررت الأم أن تزورهم وقالت فينفسها: لازم نشوف لبنات كفاه راهم دايرين وننسج تليس ونوريه لبنتي ونعطيلها صندوق مليون لبسة وحوايح، وقد اصطحبت الخادمة مقررة زيارة ابنتها أولا حتى تضع الصندوق والهدايا عندها وعندما وصلت إلى بيت ابنتها وجدت ما لم تكن تتصوره حيث وجدت الأوساخ متناثرة هنا وهناك من صوف وفضلات الحيوانات... كما أنها لم تطه الطعام.

فقال لها الأم: "واشي هذي الحالة يا طفلة، روجي جبيلنا واش ناكلوا"، فقالت لها البنت: "هذا هو غبارالصيف لقلتي عليه"، مشيرة إلى الغبار الحقيقي.

¹ شاكر يسري، حكايات من الفولكلور المغربي، ص 351-357.

ثم قالت: "وها هو الدهان ولا لونو أزرق وها هو الفلفل راه زنجر ولكيلة صوفت ولخيعانتن، ولعجينة يست قوليلي واش تطيلك يا أماء".

فخرجت الأم غاضبة مصدومة لما رأت وسمعت من ابنتها، وأخذت معها الصندوق قاصدة الريبة، ولما وصلت إليها وجدت ما لم تعلمها إياه، فقد وجدت كل شيء في مكانه وأرجاء المنزل نظيفة من الداخل والخارج والطعام مخزن وسليم، والبيت مليء بالأنسجة الصوفية المختلفة الأنواع والمتعددة الألوان.

فقامت الريبة بطهي الطعام لأمها فتناولته والندم ينهش من كبدها فودعت الأم البنت قائلة: "أتهلاي في روحك يا بنيتي وأسمحي لي على كلش، وهاكي هذا الصندوق راه فيه كلش".

وعادت إلى ابنتها لتأخذها معها إلى البيت وطلبت منها فأسا فقالت: "أعطيلي لفاس باه انح بيه البونافع على خاطر ظهري راه يوجع".

وبينما هما في الطريق نزلت الأم لنزع البونافع فطلبت المساعدة من ابنتها وما إن اقتربت منها حتى قتلتها بالفأس وقالت لها: "موتك خير من حياتك".

هذا ما قلنا وهذا ما اسمعنا والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)⁽¹⁾

25. لا تدفع السيئة بالسيئة... (حكاية شعبية من جنوب نيجيريا):

كانت دولا وبابي صبيتان جميلتان وصديقتان حميمتان منذ الطفولة، تلبسان نفس الملابس وتذهبان إلى زيارات الناس في القرية وكل القرى المجاورة أيضا، سويا حتى اعتقد بعض الناس أنها توأمان.

وعندما وصلتا سن الزواج قررتا أن تتزوجا من شقيقين لأم واحدة وأب واحد يعيشان في نفس البيت حتى لا تفترقا، وبالفعل كان هناك شابان شقيقين يعيشان في بيت واحد وينويان الزواج، فتزوجتهما الفتاتان لحسن الصدف، تزوجت بابي من الولد الأصغر، بينها تزوجت دولا شقيقه الأكبر، كانت العروستان فرحتان جدا للزواج بالأشقاء فقد رحلتا سويا إلى بيت أصهارهما.

بعد أيام قليلة من الزواج، نظفت دولا ساحة منزلها جميلا وغرست فيها شجرة كولا بعد أسابيع قليلة ينعت غرسة الكولا، كانت دولا تقوم كل صباح وتضع ماء على جرة تحت غرسة الكولا ثم تركع على

¹مريم برباش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، ص 188-189.

ركبتها وتصلي من أجل أن ترزق بطفل جميل، وبعد الدعاء تشرب من ماء الجرة وتذهب إلى غرفتها قبل أن يصحو الآخرون من النوم، لأنها تؤمن بأن هناك روح معينة تأتي كل ليل لتبارك شجرة الكولا وماء الجرار.

بعد شهور نمت الغرسة وصار طولها مترا، ولكن حيوانات ليلية كانت تأتي وتأكل أوراقها وتمنع نموها. وفي يوم من الأيام رأت بابي صديقته دولا وهي تفرغ من الصلاة قرب شجرة الكولا فسألتها: دولا ماذا كنت تحدثين شجرة الكولا؟

ردت عليها دولا: شجرة الكولا هي حياتي يا دولا، وأنا أكلتها كل صباح وأدعو للهِعندها بأن يمنحني طفلاً بسرعة.

وعندما لاحظت أن حيوانات الليل كانت تلتهم أوراق الغرسة، ذهبت بابي إلى غرفتها وأحضرت لصديقته جرة لها فائضة، الجرة مكسورة من الأسفل وأخبرتها أن تحمي بها غرسها بعد أن تضعها من فوقها وتدفن أطرافها في الأرض حول الغرسة، وبذلك فهي تحميها من وصول المخلوقات المتلفة إليها. فعلت دولا ما قالت صديقته ولم تجرؤ الحيوانات على الوصول إلى الشجرة من يومها وصارت الشجرة تكبر كل يوم.

بعد سنوات قليلة طرحت الكولا ثمارها، وكانت من أحسن الثمار التي طرحتها الكولا في تلك القرية ذلك العام، وكانت مبيعاتها عالية، أدخلت عليها ربها وفيرا.

ولذلك أصبحت دولا من أثرياء الحي، صارت ثرية حتى حسدت صديقته بابي على ثرائها فقالت لها يوما: "هل يمكنك أن ترجعي لي الجرة التي أعطيتك إياها فورا؟"

قالت لها دولا: "لا أظنك تطلبين هذه الجرة المكسورة من أسفل والتي ثبتها على الأرض حول الشجرة، إذا أرجعت لك هذه الجرة فلا بد من أن أكسرها إلى قطع صغيرة قبل أن تأخذينها، تعرفين أن الشجرة قد نمت حولها وطالت"

ولكن بابي أصرت على موقفها وأنها تريد جرتها كاملة غير منقوصة، قالت دولا إذا

أردتها كاملة فذلك يعني أن نقطع شجرة الكولا يا بابي.

فأعلنت بابي بوضوح أنها تريد جرتها كاملة حتى لو رأت دولا أن تقطع شجرة الكولا المثمرة.

ذكرتها دولا بصداقتها ولم يبد عليها من كثرة الحسد أنها تذكر تلك الصداقة بشيء.

ذهبا إلى عمدة الحي، وللأسف تحت إصرار بابي، حكم على شجرة الكولا بالقطع، وفعلاً قطعت شجرة الكولا وحفرت دولا الأرض تحتها وأخرجت الجرة وأرجعتها إلى صديقتها بابي، تقبلت بابي هذه الحادثة بفرح كبير وهي تضحك على شجرة دولا التي اجتثت، لكن بمجرد عودتها إلى البيت، تناست دولا الحادثة، وعاملت دولا بابي بنفس الصداقة القديمة ولم تشعرها بأنها كانت حزينة على شجرتها الحبيبة وهي تستأصل من جذورها.

بعد شهور قليلة أنجبت بابي بنتا جميلة وفي يوم إطلاق الاسم عليها أهدتها دولا طوقاً نحاسياً لتضعه حول عنقها، وكان طوق النحاس هذا من أغلى الهدايا في تلك القرية، وبفرحة غامرة أخذت بابي الطوق ووضعتة حول عنق طفلتها فزادت جمالا على جمال هذا الطوق ليس به مشبكا أو مفتاح بل يدخل كما هو من الرأس ويطوق العنق.

ومرت السنين في عيد ميلاد الطفلة العاشر جاءت دولا إلى بابي وقالت لها: "أريد منك أن تعيدي لي طوق النحاس الآن وسالما."

سألت صديقتها: "كيف أردته لك سالما؟؟ ذلك يتطلب أن تقطع رأس ابنتي الجميلة؟ هليرضيك أن تقتلي ابنتي من أجل طوقك؟"

أصرت دولا على موقفها، وسمع الناس بالمعضلة وصارت دولا تصر على موقفها وتطالب بالطوق، حتى تدخل عمدة القرية وفعلاً رأى أن دولا لها الحق في طلبها وقال لبابي: "الآن جاء دورك لأن تدفعي ثمن ما فعلت، تماما كما قطعنا شجرة الكولا لنعيد لك جرتك، سنقطع رأس ابنتك الغالية لنعيد لدولا طوقها"

وحدد القاضي يوما لإجراء الحكم، وقف الناس من كل القرى في دائرة واسعة، صامتين لا تسمع أنفاسهم. وقفت في منتصف الدائرة بابي وابنتها الصغيرة مسجاة على الأرض ووقف السياف فوقها في انتظار إصدار الحكم بقطع رأسها.

أصدر القاضي الحكم وأمر بقطع رأس البنت، وأمها المكلمة تنتحب من الأسى والحزن. وعندما رفع السيف سيفه أمسكت به دولا وصاحت: "لا، لا تقطع رأس الصغيرة البريئة الآن أنا لا أريد طوق النحاس ولم أكن أريده أصلا أردت أن أخبر بابي بأن السيئة لا ترد بالسيئة، وإذا ذهب العالمين لفعل ذلك لاستفحل الشر ولم يعد هنالك خير أنا أسامحكيا بابي على ما فعلته لي ولشجرتي الغالية من قبل بدافع الحسد."

وخرجت دولا من الحشد والكل يهتف فرحا من موقفها السامي ذهبت الجموع إلى بيت بابي ودولا وفرحوا كثيرا لعودة الصداقة بين المرأتين ودامت صداقتها تلك حتى آخر العمر.⁽¹⁾

26. حكاية الستوت: (حكاية شعبية جزائرية)

حكى فيما مضى من قديم الزمان وسلف من أحاديث الأجداد أنه كانت هناك في قرية امرأة كبيرة لا يوجد أحس منها وكانت بشعة جدا ذات خد مشموط (أي به خطوط من كثرة التجاعيد) وحاجب ممقوت وأسنان مكسورة، ووجه أتمش ولحظ أعمش ورأس أغبر وشعر أشهب وجسم أجرب ولون حائل ومخاط سائل وقد مائل... فهي كما قال فيها الشاعر:

عجوز النحاس إبليس يراها ** تعلمه الخديعة من سكوت

تقود من السياسة ألف بغل ** إذا نفروا بخيط العنكبوت

وكانت هذه العجوز تمر على جماعة في مكان اعتادوا على الجلوس فيه، وفي كل مرة تمر عليهم تجدهم دوما يلعنون الشيطان ويسبونه غير أنّ هذا لم يعجبها وتقول لماذا يلعنون الشيطان؟ ماذا فعل لهم؟ وبينما هي على هذه الحال إذ تجسّد لها الشيطان اللعين وقال لها: "ما بك أيتها العجوز؟"، فردت عليه: "لا أعرف لماذا هم متحاملين على الشيطان دوما"، فرد عليها: "لأنه يثير الفتن ولا يفعل الخير أبدا، كما أنه يثير الخصومة والشقاق بين الناس" فقالت له: "إنه لا يستطيع فعل ذلك"، فرد عليها: "بل يستطيع"، لترد عليه مجددا: "لا يستطيع"، فأخبرها أنه هو الشيطان ثم قال لها: ما رأيك لو أذهب لتلك الجماعة وأثير الفتنة بينهم؟"، فقالت له: جرّب حتى أر وأتأكد.

¹ حسن دواس، حكايا سمراء، ص 167-171.

فذهب إليهم وجلس بينهم، وبدأ يثير الفتنة بينهم حتى جعلهم يتخاصمون وكادوا يقتتلون فنفروا ولم يجتمعوا من ذاك اليوم.

ورجع إليها قائلاً: "أرأيت ماذا فعلت؟" فردت عليه: "هذا لا شيء"، ثم سألته: "هل من شيء صعب عليك ولم تقدر عليه؟ فقال لها: "بأنه توجد امرأة متزوجة من ابن عمها وقد حاولت جاهداً أن أدخل الفتنة والحقد بينهما فلم أستطع"... ففكرت قليلاً ثم قالت له: "طيب، ذلني على منزلها ومنزل أهلها ومنزل أهل زوجها، وأخبرني عن اسمها واسم زوجها و... المهم أنها طلبت منه بعض المعلومات عنهم، ثم طلبت منه أن يحضر لها فرداً من حذاء جديد أو لا يزال في حالة جيدة، فأحضره لها، وبعد أن تم لها كل شيء ذهبت وطرقت الباب: "فتحت له صاحبة المنزل الباب وأدخلتها وسألتها من تكون؟" فقالت الستوت: "أنا قريبة لك وأسكن في بلاد بعيدة، ألسنت فلانة بنت فلان وفلانة وزوجك اسمه كذا"... المهم بدأت تخبرها وتحديثه عن أهلها حتى ارتاحت لها الزوجة وتيقنت أن هذه العجوز هي فعلاً تعرفهم... ثم قالت العجوز: هل يوجد عندكم طعام يا ابنتي، فأنا أتيت من قرية بعيدة ولم أكل شيئاً منذ مدة، فقامت صاحبة البيت لتحضر لها بعض الطعام، وأثناء ذلك قامت العجوز ورمت فردة الحذاء في الحوش، وعندما أحضرت لها الطعام قالت العجوز لها: هلاً أحضرت لي ملعقة أخرى، لأني عندي طبع وهو أن أكل بملعقتين، فتعجبت منها الزوجة، وأحضرت لها ملعقة أخرى، وأصبحت الستوت تأكل مرة بمهذه ومرة بالأخرى، وفجأة شمع طرق على الباب فذهبت صاحبة البيت لفتح الباب فوجدته زوجها فقالت له: لقد جاءتنا عجوز قريبة لنا، تعال وسلّم عليها، وعندما دخل الزوج ليسلم عليها هزّت فيه رأسها باستغراب وسألتها من يكون هذا؟ فردت عليها الزوجة: هذا زوجي الذي حدثتك عنه، فزاد استغراب العجوز: "زوجك؟! هل لديك زوجان أم ماذا؟! إذا كان هذا زوجك فمن الرجل الذي كان يأكل معنا؟" أما الزوجة فقد أنكرت وجود شخص ثالث كان معهما، وبدأ الشك يدخل الزوج، وبدأت العجوز تتظاهر بالحيرة والعجب وتقول: "والله هذا شيء عجيب وعمري ما سمعت بمثل هذا!! نظر الزوج إلى الطاولة فوجد فيها ثلاثة ملاعق، وهذا يعني أنه هناك شخص ثالث

كان معهما فدخله الشك أكثر، وبدأ يدور في أرجاء المنزل حتى وجد فيه الحذاء، فثارت ثائرته وقام لزوجته يضربها.

هذا ما كان من أمر الرجل وزوجته، أما ما كان من أمر العجوز فإنها تسللت وأسهرت إلى بيت أهل الزوجة وهي تصرخ وتولول: أسرعوا وأغِيثُوا ابنتكم لأني كنت جالسة معها وفجأة دخل رجل وبدأ يضربها، وإنكم إذا أسرعتم تجدونها حية وإلا فإنه سيقضي عليها، فثار أهل الزوجة حاملين العصي والسكاكين... ثم أسرع العجوز إلى أهل الزوج تصرخ: "أسرعوا وأغِيثُوا ابنتكم فقلد تحامى عليه أهل الزوجة، وإنكم إذا أسرعتم تجدونه حيا وإلا فإنهم سيقضون علي".

كل هذا يحدث والشيطان اللعين يراقب ذلك، ثم قال لها: أثرتما، فعلتها... فردت عليه: "أجل وماذا كنت تظن، والآن يجب أن أهرب بجلدي فإنهم متى فطنوا بي سيقضون عليّ، وتركته وهربت".⁽¹⁾

27. حكاية غلالة: (حكاية شعبية مغربية)

كَانَ يَامَكَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمانِ، كَانَ الْحَيْرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، كَانَتْ الرِّيشَةُ تَقْفَرُ الْمِيزَانَ، وَكَانَ الْأَعْمَى يَنْتَحِطُّ الْأَسْوَارَ وَالْحَيْطَانَ، وَكَانَ الشَّيْخُ يَقْطَعُ الْوُدْيَانَ وَالْعَرَصَةَ كَانَتْ تَغْدِي الْقَبِيلَةَ وَتَزِيدُ الْجِيرَانَ، كَانَ وَكَانَ حَتَّى كَانَ.

وَفِي دَوَّارٍ بَعِيدٍ، مَاكَانَ عِنْدُو عُنْوَانٍ، عَاشَتْ غَلَالَةَ فِي أَسْرَةٍ فَقِيرَةٍ، الْأُمُّ مَرِيضَةٌ مَسْكِينَةٌ وَالْأَبُ فَقِيرٌ مَعْدُومٌ، وَالْحَثُوثُ صَعَارَ مَسَاكِينٍ، إِلَى فَطْرُوا مَايُنْعَدُّوْا وَإِلَى تَعَدَّوْا مَايُنْعَشَّوْا بِاخْتِصَارٍ، الْفَقْرُ كَانَ حُوهْمَ وَصَاحِبُهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وُغَلَالَةَ كَانَتْ زِينَةً، لَا الْفَقْرَ خَلَاهَا غَبِينَةً وَلَا الْجُوعَ خَلَاهَا خَرِينَةً، الشَّعْرُ كَاللَّيْلِ كَحُلٍّ وَطَوِيلٍ، وَالْعَيْنَيْنِ عَسَلٌ مُصَفًّى وَالرُّوحُ خَفِيفَةٌ وَلَطِيفَةٌ. وَبَنَاتُ الدَّوَّارِ كُلُّهُنَّ عَلَى زِينَتِهَا حَاسِدِينَهَا، وَالْحَاسِدُ كَيْطِيخُ فَشَرٍ فَعَالُو.

¹ نور الأمل، قصة الستوت، www.tomohna.net

وَاحِدَ الْعَامِ، حَمَلَ الْوَادِ وَهَاجَ عَلَى الدُّوَارِ وَهَلَكَ الزَّرْعُ وَالْبَهِيمَةُ، وَمَا بَقِيَ فُذَارَ غِلَاةٌ مَا يَأْكُلُ الصَّغِيرَ
وَلَا الْكَبِيرَ، مَاتَتْ الْأُمُّ الْمَرِيضَةُ، وَزَادَ الْحُزْنَ عَلَى الْفَقْرِ، وَالضَّحْكَ هَجَرَتْ الدَّارَ وَحَلَّتْ مَحَلَّهَا الدَّمْعَةُ
وَالْمَرَارُ.

هَذَا الْأَبُ قَرَّرَ يُتَزَوَّجَ وَيُجِيبَ أُمَّ جَدِيدَةَ لِلدَّارِ، لَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ مَا أَحْسَنَ الْاخْتِيَارَ، عِوَضَ مَا تُكُونُ
هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْجَدِيدَةُ أُمَّ خَنِينَةٍ عَلَى الْوَلِيدَاتِ الصَّغَارِ، كَانَتْ امْرَأَةً أَبَ قَاسِيَةٍ مَا تُسْكُنُ قَلْبَهَا رَحْمَةً وَلَا
شَفَقَةً.

كَانَتْ غِلَاةٌ أَكْثَرَ نَصِيبٍ مِنْ قَسْوَتِهَا، الْحَسَدُ عَمَى لَهَا الْبَصِيرَةَ... الشُّغْلُ الْكَثِيرُ هِيَ دَيُّوُ وَالْحُطْبُ
هِيَ تُجِيبُوُ وَالْمَاءُ تُسْقِيهِ وَكُلُّ هَذَا بَاشٌ يَذْبَلُ زِينَهَا وَيَضَعُفُ عُودَهَا لَكِنْ غِلَاةٌ يَوْمَ بَعْدَ يَوْمٍ يَزِيدُ جَمَالَهَا
وَيَزِيَانُ عُودَهَا.

وَمَعَ الْأَيَّامِ مَابَقَاتُ يَدُ قَاسِيَةِ الْقَلْبِ حِيلَةً غَيْرَ شَيْءٍ مَرَضَةٍ أَوْ قَتِيلَةٍ.
وَفِي يَوْمٍ كَثِيرٍ الْبَرْدُ وَالشِّتَاءُ، رَسَلَتْ غِلَاةٌ لِلْعَابَةِ تَحْطُبُ، وَتَبَعَتْهَا قَاسِيَةُ الْقَلْبِ، إِيوَا مَلِي غِلَاةٌ تَوَسَّطَتْ
الْعَابَةُ طَاحَتْ عَلَيْهَا الضَّبَابَةُ، قَاسِيَةُ الْقَلْبِ لَقَاَهَا فُرْصَةً، جِاثٍ مِنْ وَرَافَا وَزَمَاتُهَا بِحَجَرَةٍ لِلرَّاسِ، وَبُسْرَعَةٍ
حَفَرَتْ لَيْهَا الْقَبْرَ وَدَفَنْتَهَا، طَارَتْ بِالْفَرَحَةِ، لَا الْعَاشِي شَافَ الْحَفْرَةَ وَلَا شَاهِدَ شَافَ مَا جَرَى، وَنَسَاتِ
قَاسِيَةُ الْقَلْبِ أَنَّ اللَّهَ أَعْظَمَ شَاهِدًا.

فَاقَتْ غِلَاةٌ، وَلَقَاتِ قُدَّامَهَا وَجْهَ قَبِيحٍ، صَاحَتْ وَصَرَخَتْ، لَكِنْ مَوْلُ الْوَجْهِ الْقَبِيحِ ابْتَسَمَ وَقَالَ: "لَا
تُخَافِي يَا غِلَاةٌ، أَنْتِ مَا شِئِي فَقَبْرُكَ الصَّغِيرُ وَأَنَا مَا شِئِي مُنْكَرٌ وَلَا نَكِيرٌ.. شَفْتُ آشَ دَارَتْ لَيْكَ قَاسِيَةُ
الْقَلْبِ وَاتَّسَنَيْتِ حَتَّى خَوَاتِ الْعَابَةُ وَطَلَعَاتِ الضَّبَابَةُ وَجَبَّتْكَ لَعْنَدِي، وَهَذَا عَلَيْكَ الْأَمَانُ."
شَافَتْ فِيهِ غِلَاةٌ وَقَالَتْ وَالْخَوْفُ بَائِنٌ فَعَيْنِيهَا: "وَشُكُونُ أَنْتِ أُمُولَايِ الْعُولُ؟"
ابْتَسَمَ الْوَحْشُ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ: "أَنَا كَيْفَمَا قُلْتُ، عُولُ، وَلَكِنْ مَا شِئِي بِحَالِ قَاسِيَةِ الْقَلْبِ سَكَنْتِ الْعَابَةُ
مِنْ قَدِيمٍ وَعَمْرِي مَا أَذِيتُ شَيْءًا وَاحِدًا مِنَ الْبَشَرِ.

دَوَّرَتْ غِلَاةٌ عَيْنَيْهَا، وَمَا شَافَتْ غَيْرَ اللَّيْلِ وَالظَّلَامِ وَقَالَتْ: "وَأَشْ هَذَا الْمَكَانُ... مَا تَعْرِفُ لَيْلُ مِنْ
هَازُو؟

جَاؤَهَا الْعُورُ: هَذَا بَيْرٌ قَدِيمٌ، نُسِفَ الْمَاءُ مِنْهُ، وَمَا بَقِيَ نَجِي حَدْ يَسْتَقِي مِنْهُ، شَدَّيْتُو وَسَدَّيْتُو وَسَكَنْتُو. هُنَا خَافَتْ غُلَّالَةٌ وَقَالَتْ: سَدَّيْتِيه؟ إِذَنْ مَا كَيْنَ اللَّيِّ يَسْمَعُ صَرَاحِي إِلَى كَانَتْ نَيْتَكَ الْإِدَايَةِ. جَاؤَهَا الْعُورُ: يَا غُلَّالَةَ، قُلْتُ لِيكَ عَمْرِي مَا أَذِيَتْ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ، وَلَوْ كُنْتُ نَوَيْتُ الْإِدَايَةَ لِأَذِيَتْ قَاسِيَةَ الْقَلْبِ هِيَ الْأُولَى، أَنَا بُغَيْتَكَ تُعِيشِي مَعَايَا وَتُونَسِينِي وَتُحْدِثُكَ تَسْلِينِي، أَوْرَاهُ ظِلَّامَ الْبَيْرِ خَيْرٌ مِنْ ظِلَّامِ قَاسِيَةِ الْقَلْبِ، إِلَى رَجَعْتِي، تَرْجِعُكَ لِلْحَفْرَةِ ثَانِي.

بَدَأَتْ غُلَّالَةٌ تَحْسُنُ بِالْأَرْتِيَاخِ وَقَالَتْ: مُوَافَقَةٌ يَا مُوَلَايَ الْعُورُ، لَكِنْ مَا نَوَاعِدُكَشْ أَنِّي نَعِيشُ مَعَاكَ عَمْرِي كَامِلٌ.

فَرِحَ الْعُورُ، أَخِيرًا وَلَّى عَنَدُو أَنْيَسَ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ عَنَدُو لَا صَاحِبَ وَلَا جَلِيسَ. شَافَتْ غُلَّالَةُ الْبَيْرِ وَدُورَاتِ عَيْنَيْهَا عَلَى الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ، وَشَافَتْ بَابَ مَسْدُودٍ. سَوَّلَاتِ الْعُورُ عَلَى أَمْرِ الْبَابِ... الْعُورُ تَبَدَّلَ لُونُو وَغِلَاطُ صُوتُو وَقَالَ: إِلَّا هَذَاكَ الْبَابُ، بَابُ قَيْصِخْ، لَاهُوَ لَيْلٌ صَرِيخٌ وَلَا نَهَارٌ فُصِيخٌ، الدَّاحِلُ مِنْهُ عَدَّارٌ إِلَى طَمَعٍ فَالْنَهَارِ، وَالطَّامِعُ فِيهِ مَقْتُولٌ وَحَا يَهِيحُ بِالْأَعْدَارِ.

كَانَتْ غُلَّالَةٌ فَاطِنَةٌ وَذَكِيَّةٌ وَفَهَمَتْ الْمَقَالَ وَمَا بَيْنَاتَشَ لِلْعُورِ، وَكَفَّتْ عَنِ السُّؤَالِ. وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَبَدَأَتْ غُلَّالَةٌ كَتَوَلَّفَ الْعُورُ وَظِلَّامَ الْبَيْرِ، وَبَصْرَاخَةَ، كَانَ الْعُورُ طَيِّبَ مَعَاهَا مَاخَلَّاهَا تَخْصُوصَةً مِنْ حَتَّى حَاجَةَ الْمَاكَلَةِ الْمُخَيَّرَةِ تَاكُلُهَا وَالْكَسْوَةِ الْعَزَالَةَ كَسَوُهَا وَالْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تَسْمَعُهَا، وَمَعَ الْوَقْتِ مَحَاتِ فِكْرَةِ الْهَرُوبِ مِنَ الْبَيْرِ مِنْ بَالِهَا.

لَكِنْ أَمَرَ الْبَابُ دَارَ لَهَا شُوكَةَ فَعَقَلَهَا وَالْفُضُولَ زَارَ بِأَلْهَا، أَشْ كَايْنُ مِنْ وَرَاهُ، وَغِلَاشَ وَقْتُ مَاذَكُرَاتُو يَتَبَدَّلُ عَلَيْهَا الْعُورُ، الْيَوْمَ نَكْشَفَ سَرُّو وَنَعْرِفَ أَمْرُو...

حَطَّاتِ يَدَيْهَا عَلَى الصَّافِطَةِ وَخَلَّاتُو، طَلَّاتِ، لَكِنْ مَا شَافَتْ وَالْوُ، طَرِيقُ مَظَلَّمٌ وَطَوِيلٌ خَدَّاتِ الشَّمْعَةِ بِيَدَيْهَا وَشَقَّاتِ طَرِيقُهَا، وَمِنْ بَعْدِ مُدَّةٍ مِنَ الْمَسِيرِ، شَافَتْ فِي الْبُعِيدِ ضَوْءَ كَيْشَعٍ يَعْمِي الْبَصَرَ، فَرَحَتْ غُلَّالَةُ بِالضُّوءِ، حَيْثُ كَانَ فَالْبَيْرِ الظَّلَامُ لَيْلُهَا وَالشَّمْعُ نَهَارُهَا وَالضُّوءُ مَا كَانَتْ تَشُوفُو غَيْرَ فَالْخُلْمِ..

فَرَحَتْ غُلَّالَةٌ وَغَضِبَتْ، غَضِبَتْ حَيْثُ خَاصَهَا تَرْجَعُ لِلْبَيْرِ قَبْلَ مَا يَرْجَعُ الْغُولُ وَيُكْشِفُ سَرَّهَا، وَبُسْرَعَةً رَجَعَتْ دَخَلَتْ وَسَدَّاتِ وَطَفَّاتِ الشَّمْعَةِ وَنَعَسَاتِ.

رَجَعَ الْغُولُ وَحَتَّى حَاجَةً مَا حَسَنَ بِهَا، وَلَكِنْ هَازِ الْمَرَّةَ جَابَ لُغْلَالَةً هَدِيَّةً عَجِيْبَةً.

جَلَسَتْ غُلَّالَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْفَ الْعَادَةِ وَسَوَّلَتْهُ: أَشْ جَبْتِي لِي الْيَوْمَ؟

جَاوَبَهَا الْغُولُ: هَازِ الْمَرَّةَ جَبْتِ لِيكَ اللَّيِّ عَمْرِي مَا جَبْتُو... جَبْتِ لِيكَ زَيْتَ الزَّيْتُونِ إِلَى غُلَيْبَتِيهَا وَحَطَّيْتِي فِيهَا رَجْلِيكَ يَخْرُجُو يَلْمَعُو كَيْفَ الذَّهَبِ، وَجَبْتِ لِيكَ الزَّمَادَ الْكُحْلَ، إِلَى كَحَلَّتِي بِيهِ عَيْنِيكَ يَصْبَحُو يَبْرُقُو كَيْفَ الْجَوْهَرِ، أَمَّا الصَّلْصَالُ الْأَحْمَرُ إِلَى حَنِيَّتِي بِيهِ يَدِيكَ عَمَرْتُهُمْ مَا يُذْبَالُوا. هُنَا غُلَّالَةٌ ظَنَّتْ أَنَّ الْغُولَ كُشِفَ سَرَّهَا وَأَنَّ هَذَا عِقَابٌ لِيهَا، الزَّيْتُ الْمَعْلِيَّةُ وَالزَّمَادُ الْكُحْلُ وَالصَّلْصَالُ الْأَحْمَرُ، حَيْثُ مِنْ قَبْلُ نَصَحَهَا مَا نَحَلَّ لُبَابَ، حَيْثُ الْبَابُ لِلْبَيْرِ حِجَابٌ.

الْلَّيْلُ وَالنَّهَارُ هُوَ الظَّلَامُ وَالنُّورُ، وَالِدَاخِلُ مَنُو غَدَارُ هِيَ أَنَا اللَّيِّ دَخَلْتُ، إِيوَا اللَّيِّ غَدَرَ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ. قَالَ لِيهَا الْوَحْشُ: عَارَفَ أَغْلَالَةٌ أَنَّكَ شَاكَّةٌ فِيَّ، وَلَكِنْ الصَّحَّ قَلْتُو وَجَرِّي وَشُوفِي. خَدَّاتِ غُلَّالَةٌ الْهَدِيَّةَ مَنُو وَقَرَّرَتْ بَاشْ تُجَرِّبَهَا قُدَّامُو بَاشْ تَمَّحِي شَكُّو وَأَوْهَامُو...

لَكِنْ الْمُفَاجَأَةُ حَصَلَتْ، شَافَتْ غُلَّالَةٌ رَاسَهَا فَالْمَرَايَا مَا صَدَقَاتْنِ أَشْ شَافَتْ، صَبَحَتْ وَحْدَةً مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ الْعَيْنَيْنِ تَبْرُقُو وَالْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ، وَعَرَفَاتِ أَنَّ الْغُولَ صَدَقَهَا الْقَوْلُ وَأَنَّهُ مَا عَرَفَ وَالْوُ عَلَى الْبَابِ اللَّيِّ حَلَّاتُو.

فَالْيَوْمَ التَّالِي، قَرَّرَتْ غُلَّالَةٌ نَحْلَ الْبَابِ مَرَّةً أُخْرَى وَتَعَرَفَ سِرَّ الضُّوءِ فَأَخَّرَ الطَّرِيقَ، خَرَجَ الْغُولُ كَالْعَادَةِ وَغُلَّالَةٌ تَبْعَاتُو لِلْبَابِ، وَشَقَّتْ طَرِيقَهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَزَرَبَاتِ فَالْمَشْيَةِ حَتَّى وَصَلَتْ لِلنُّورِ، قَرَبَتْ وَقَرَبَتْ، أَشْ لُقَاتِ؟

لَقَاتُو مَخْرَجَ سِرِّي لِلْبَيْرِ، مَخْرَجَ لِرُوضَةٍ جَمِيلَةٍ، غُلَّالَةٌ مَا صَدَقَتْ أَشْ شَافَتْ، الْوَزْدُ وَلُفْرَاحُ وَالْفَرَّاشُ، جَنَّةٌ فَوْقَ الْأَرْضِ، لُفْرَاحُ نَعْنِي وَالْوَادُ كَيْجَرِي وَغُلَّالَةٌ تَجْرِي تَابَعَاهُ وَتَرَشَّ عَلَيْهَا مِنْ مَاهٍ وَحَلَّاتِ ضَفَائِرُهَا يَتَنَفَّسُو بَعْدَمَا هَلَكَهَا ظِلَامُ الْبَيْرِ.

وَفِي الْبُعِيدِ شَافَتْ غُلَّالَةً قُصِرَ كُبَيْرٌ وَبَعْضُ النِّسَاءِ جَائِعِينَ قَاصِدِينَ الْمَكَانَ يَعْثَوْنَ وَيَشْطَحُونَ... خَافَتْ غُلَّالَةً، وَتَحَبَّاتٍ بَيْنَ الْعُشَابِ.

بَدَأَتْ الشَّمْسُ تَغِيبُ وَحَسَّاتٌ غُلَّالَةً بَلَّيَ الْعُؤْلُ قَرَّبَ يَرْجِعُ، وَرَجَعَتْ لَبِيرُهَا قَبْلَ مَا يَنْفُضُحُ سَرَّهَا. وَمِنْ هَذَاكَ الْيَوْمِ وَقْتُ مَا خَرَجَ الْعُؤْلُ كَتَبَعُو غُلَّالَةً لِلرُّوضَةِ بَحْرِي وَتَلْعَبُ حَتَّى الْعِشِيَّةِ وَتَرْجِعُ لِلْبَيْرِ قَبْلَ مَنُوءٍ.

وَاحِدَ النَّهَارِ خَرَجَ أَمِيرُ الْبِلَادِ يَتَنَزَّهَ، وَحَسَنٌ بِالْعُطَشِ وَفُصِدَ الْوَادِ، مَدَّ يَدَيْهِ لِلْمَاءِ... أَشْ لَقِيَ تَمَّ؟ شَعْرَةً مِنْ ضَفِيرَةِ غُلَّالَةٍ، كَيْلَعَبَ بِيهَا الْمَاءَ، حَادَّهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَسَاءَلُ: وَاشْ كَائِنَةَ فَأَلْبَلَادُ اللَّيِّ عِنْدَهَا هَذَا الشَّعْرَةَ..؟ مَا كَائِنُ نَعَّاسٌ لِيَوْمٍ نَدَقَ بَابَ الدِّيُورِ بَابَ بَابٍ حَتَّى نَلْقَى لِكَلَامِي جَوَابَ. فَالْحَيْنَ رَجَعَ لِلْقَصْرِ وَأَمَرَ الْخَدَمَ وَالْحَشَمَ يَقْلُبُوا عَلَى مُوَلَاةِ الشَّعْرَةِ.

حَتَّى أَحَدٌ مَا كَانَ عَارِفٌ غُلَّالَةَ اللَّيِّ كَتَجِي لِلرُّوضَةِ كُلِّ يَوْمٍ، وَغُلَّالَةٌ مَا كَانَتْ عَارِفَةً بَلَّيَ أَمِيرِ الْبِلَادِ عَلَيْهَا كَيْقَلَبَ وَيَدُقَ الْبَيَانَ.

وَصَلَ الْخَبَارُ لِلْأَمِيرِ أَنَّ بِنْتَ غُرَيْبَةَ عَالِبَلَادَ كَتَجِي كُلِّ يَوْمٍ لِلرُّوضَةِ وَتَلْعَبُ وَتَشْرَبُ وَقَبْلَ مَا الشَّمْسُ تَغْرُبُ تَحْوِي الرُّوضَةَ، مَامَعْرُوفَةٌ إِنْسَ وَلَا جَنَ.

فَرَّرَ أَمِيرُ الْبِلَادِ يَمْشِي لِلرُّوضَةِ وَيَتَسَنَّاها بِنَفْسِهِ.

فَالصَّبَاحَ التَّالِي، حَسَنُ الْعُؤْلِ بِالْمَرَضِ وَمَا خَرَجَ مِنَ الْبَيْرِ، هُنَا غُلَّالَةٌ مَا كَانَتْشَ جَاخِدةً، فَزَرَتْ تَقَابَلُوا وَدَّأَوْهَ.

بَقِيَ الْوَحْشُ فِي الْبَيْرِ يَوْمَيْنِ، وَيَوْمَيْنِ بَاطَهَا الْأَمِيرُ فِي الرُّوضَةِ يَتَسَنَّى غُلَّالَةً تَطْهَرُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ رَجَعَ لِلْقَصْرِ.

فَالْبَيْرَ زَادَ الْحَالُ عَلَى الْعُؤْلِ وَمَاعَرَفَتْ غُلَّالَةٌ لَمَرَضُوهَا دَوَا غَيْرَ الدُّعَاءِ. وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مَاتَ الْعُؤْلُ، وَخَزَنْتْ غُلَّالَةٌ وَبَكَاتْ حَيْثُ كَانَ الْعُؤْلُ بُوْهَا وَمُهَا وَخُوْهَا وَصَاحَبَهَا.

فَاتِ النَّهَارِ وَغُلَّالَةٌ عَلَيْهِ بَاكِيَّةٌ، لَكِنْ رِيحَتْوُ بَدَأَتْ كَتْفُوحُ، حَيْثُ كِشَتْوُ الْوُحُوشُ مَشِي بَحَالَنَا وَدَمَهُمْ مَاشِي بَحَالِ دَمْنَا... عَطَّاتُو غُلَّالَةً وَخَرَجَتْ لِلرُّوضَةِ.

مَلِي خَرَجْتُ، كَانَتْ عَارِفَةٌ أَنَّ الْبَيْرَ مَالِيَةَ رُجُوعٍ وَمَا كَيْنَ هُنَا اللَّيِّ يَحْمِيهَا لَا مِنَ الْبَرْدِ وَلَا الْجُوعِ، كَانَتْ حَائِفَةً كَالْحِمْلِ اللَّيِّ ظَلَّ الطَّرِيقَ عَلَى مَيْمَنُوهَا.

وَهِيَ جَالِسَةٌ شَافَتْ فَالْبَعِيدَ عَوْدَةَ هِرْبَانَةٍ، وَمِنْ وَرَآهَا رَجَالٌ تَابَعِينَهَا بِحَالِ الْحَيَّاحَةِ خَافَتْ غَلَاكَةً وَالْعَوْدَةَ جَائَةً قَاصِدًا هَا وَوَجَدَاتٍ خَطَاوِيهَا لِلْهُرُوبِ، لَكِنْ الْعَوْدَةَ حَقَّتْ جَرِيَّتُهَا حَتَّى وَقَفَاتٍ قُدَّامَهَا وَقَرَّبَاتٍ، مَسَحَاتٍ غَلَاكَةً عَلَى وَجْهِهَا حَتَّى هَذَاتٍ.

وَصَلُّوا الْحَيَّاحَةَ وَمَا فَهْمُوشَ أَشْ جَرَى، الْعَوْدَةَ اللَّيِّ مَا قَدَرُوشَ يَرُوضُوهَا أَيَّامَ رَوْضَاتِهَا غَلَاكَةً فُذْقِيَّةً.. قَرَّبَ كَبِيرُهُمْ وَحَذَا اللَّجَامَ وَسَأَلَ غَلَاكَةً: شَكُونُ هَازِ بِنْتُ النَّاسِ؟

خَافَتْ غَلَاكَةً مِنَ الْجَوَابِ، وَخَافَتْ لَا يَكُونُوا هَازِ الرِّجَالِ أَفْسَى مِنْ مَرَّتِ بُوْهَا، وَقَرَّرَتْ بِفُطْنَتِهَا وَذَهَابِهَا تَعْطِيهِمْ جَوَابَ يَمْنَعُهُمْ مِنْهَا: أَنَا اللَّيِّ حَلَّى الْأَيْتَامَ وَسَكَنَ الظَّلَامَ، وَحَلَّى الْعُرُوشَ وَسَكَنَ مَعَ الْوُحُوشِ، وَدَابَا الْوُحُوشِ هَالِكُ الْبَابِ سَالِكُ، يَا نَكُونُ بَيْنَكُمْ ضَيْفَةً وَلَا ضَيْفَةً عَلَى دَارِ الْحَلِيقَةِ. كَبِيرُهُمْ مَا فَهَمَ كَلَامُهَا وَقَالَ: هَازِ الْبِنْتُ أَمْرُهَا عَظِيمٌ وَمَا يَفْهَمُ كَلَامُهَا غَيْرُ الشَّيْخِ الْحَكِيمِ. وَمَشَاوُ جَرُّوا الْعَوْدَةَ وَرَجَعُوا لِلْقَصْرِ، مَلِي رَجَعُوا لِقَصْرٍ، خُكَاوُ لِلْأَمِيرِ أَشْ شَافُوا مِنْ غَلَاكَةٍ هُنَا الْأَمِيرِ عَرَفَ بَلِّي هِيَ الْبِنْتُ مُوَلَاةُ الصُّفِيرَةِ اللَّيِّ عَلَيْهَا كَيْفَلَبْتُ، وَبُسْرَعَةٍ خَرَجَ مَعَ الْخَادِمِ لَجَنِبِ الْوَادِ فِينِ شَافُهَا. كَانَتْ غَلَاكَةً مَازَالَ جَالِسَةً حَائِرَةً فِينِ تَمَشِّي وَتُبَاتٍ لَيْلَهَا.

وَقَفَ الْأَمِيرُ قُدَّامَهَا، وَتَسَحَّرَ بِزِينَتِهَا وَشَبَابِهَا، أَمَّا هِيَ وَقَفَتْ حَائِفَةً، الْأَمِيرُ بَايِنَ أَمِيرٍ مِنْ لَبَاسُو... وَقَالَتْ: مَا شَيْ أَنَا اللَّيِّ هَرَبْتُ الْعَوْدَةَ... رَاهُ هَازِ السَّيِّدُ اللَّيِّ مَعَاكَ.

ضَحَكَ الْأَمِيرُ وَقَالَ: «مَا شَيْ لِلْعَوْدَةِ جِيثَ، وَلَكِنْ جِيثَ نَشُوفَكَ»... وَشَافَ الْأَمِيرُ ضَفَائِرَهَا وَعَرَفَهَا مُوَلَاةَ الشَّعْرَةِ الطَّوِيلَةِ.

إِيوَا قَصَ الْأَمِيرُ قَصَّتْهُ لُغَلَاكَةً وَقَصَّتْ عَلَيْهِ قَصَّتَهَا، وَأَنْدَهَشَ مَلِّي سَمِعَ مِنْهَا مَا جَرَى لِيهَا وَتَفَقَّنَ بِفُطْنَتِهَا وَدُكَاةَا وَعَرَضَ عَلَيْهَا الزَّوْاجَ وَالْعَيْشَ فَالْقَصْرَ.

فَرَحَتْ غَلَاكَةً بِالْعَرَضِ وَقَبِلَتْ وَعَرَفَتْ أَنَّ الصَّبْرَ آخِرُ نَيْلِ الْمُرَادِ.

فَالْقَصْرَ كَانَتْ ثَلَاثَ جَارِيَّاتٍ حَافِدَاتٍ بُعَاوُ يُفُوزُوا بِقَلْبِ الْأَمِيرِ، بِأَيِّ طَرِيقَةٍ بِالسِّحْرِ بِالشَّعْوَدَةِ، حَيْثُ إِلَى قَارُوا وَلَاؤُ أَمِيرَاتٍ وَمَلِكَاتٍ مِنْ بَعْدِ.

فَلَمَّا دَخَلَتْ غُلَّالَةً لِلْقَصْرِ كَانَتْ كَالْبَدْرِ وَالنَّجُومِ دَائِرَةً بِيَهْ، الْحَدَمُ وَالْحَشَمُ أَسِيدِي يَتَنَاوَبُو عَلَى خُدْمَتِهَا، الْحَرِيرُ هِيَ تَلْبَسُو وَالْجَوْهَرُ تَزَيِّنُ بِيَهْ، وَهَذَا الشَّيْ شَعْلُ نَارِ الْحَسَدِ وَالْغَيْبَةِ فَقَلْبُ الْجَارِيَّاتِ. وَبَعْدَ ثَلَاثِ أَيَّامٍ عَالَعَرَسَ، فَاللَّيْلَةَ الْأُولَى تُسَلِّتُ وَحْدَةً مِنْهُمْ لَيْتَ غُلَّالَةً، بَاشُ تَشُوفُ أَشْ كَدِيرَ بَاشُ تُكُونُ فَهَذَا الْجَمَالَ، إِيوَا شَافَتْهَا كَتَّعْلِي الرِّيتِ وَتَعَمَسَ فِيهَا رَجُلِيهَا وَتَخَرَّجَهُمْ كَيْلَمَعُو بُحَالِ الذَّهَبِ. وَقَالَتْ الْجَارِيَّةُ فُسْرَهَا : سَاهَلَةَ مَاهَلَةَ، زُوَيْتَةَ مَغْلِيَّةٍ وَرَجِيَلَاتِي يَلَمَعُو لِي.

وَبُسْرَعَةً سَدَّاتْ عَلَيْهَا بِأَبْهَا وَعَلَّاتِ الرِّيتِ، وَغَيْرَ حُشَاتٍ فِيهَا رَجُلِيهَا حَتَّى فَضَحَاتِ الدُّنْيَا بُعَوَاتُهَا وَحَرَقَاتِ رَجُلِيهَا، وَمِنْ ذَاكَ الْيَوْمِ وَلَاتْ تَزَحَفُ عَلَى يَدَيْهَا.

أَمَّا اللَّيْلَةُ الثَّانِيَّةُ، تُسَلِّتُ الْجَارِيَّةُ الثَّانِيَّةُ لَيْتَ غُلَّالَةً وَشَافَتْهَا كَتَّكَحَلْ عَيْنِيهَا بِالرَّمَادِ الْكَحَلْ قَالَتْ الْجَارِيَّةُ فُسْرَهَا : سَاهَلَةَ مَاهَلَةَ، كَانِيْنَ الْعُودُ وَالرَّمَادُ مُوجُودٌ، مَانَعَسَ اللَّيْلَةَ حَتَّى نَضْرِبُهَا بَتَّكَحِيلَةَ. إِيوَا وَجَدَاتِ الْكَحَلِ وَتَسَمَّرَاتِ قُدَّامِ الْمَرَايَا، غَيْرَ بَدَاتِ تُكَحَلْ فَرَحَانَةً وَحَلَاتِ عَيْنِيهَا حَتَّى لَقَاتِ رَاسَهَا مَا كَانَتْشُوفُ غَيْرَ الْكَحَلِ وَالظَّلَامِ، اَدَّى لِيهَا الْحَسَدُ الْبُصْرَ وَاعْمَى لِيهَا الْبُصِيرَةَ. فَاللَّيْلَةَ الثَّلَاثَةَ، الْجَارِيَّةُ الثَّلَاثَةُ مَاكَانَتْشُ زَهْرَهَا حَسَنَ مِنْ حَوَاتَاتُهَا، حَتَّى هِيَ تُسَلِّتُ لَيْتَ غُلَّالَةً وَشَافَتْهَا كَتَّخَنِي يَدَيْهَا بِالصِّلَصَالِ الْأَحْمَرِ، فَرَحَتْ وَقَالَتْ: سَاهَلَةَ مَاهَلَةَ نَعَسَ مَخْنِيَّةٌ وَنَفِيقُ مَهْنِيَّةٌ. مَشَاتِ الْجَارِيَّةُ لَيْتَهَا خَلَطَاتِ الصِّلَصَالِ الْأَحْمَرِ بِالْمَا وَطَلَسَاتِ يَدَيْهَا وَرَجُلِيهَا وَنَعَسَاتِ لَيْلَهَا تَحَلَّمَ بِالصَّبَاحِ.

فَالصَّبَاحُ مَلِي فَاقَتْ لَقَاتِ يَدَيْهَا وَرَجُلِيهَا تُحْجَرَاتِ وَمَابَقَاتِ قَادَرَةٌ عَلَى حَرَكَةٍ، وَعَرَفَاتِ الْجَارِيَّاتِ أَنَّ الْحَاسَدَ عَادِي لِلْحُسْرَانِ مَهْمَا طَالَ الزَّمَانُ.

وَهَكَذَا وَأَخِيرًا خَلَّاتِ الْفُرْجَةَ بَوَائِهَا لُغْلَالَةً، وَانْطَلَقَتْ الْفُرْجَةُ فَالْبِلَادُ السَّعِيدَةُ وَدَارَ الْعَرَسِ ثَلَاثَ أَيَّامٍ فَرَحَ فِيهَا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالْعَنِي وَالْفَقِيرُ.. وَاللِّي زَادَ مِنْ فُرْجَةِ غُلَّالَةً، أَتَمَّا عَرَفَتْ أَنَّ مَرَاةً بَاهَا قَاسِيَةِ الْقَلْبِ مَاتَتْ بَمَرَضٍ قَبِيحٍ وَبَلَلِي الْأَمِيرَ قَبْلَ يَجْمَعُ الشَّمْلَ.. وَهَكَذَا سَلَّاتِ حُكَايَةَ غُلَّالَةً، حَيْثُ غُلَّالَةً،

مَابَقَاتُشْ غَلَالَةَ، سَكَنْتْ قُصْرَ كُبَيْرَ وَتُسَمَّاتْ بِشْمُسِ الضُّحَى... لَالَةَ شَمْسِ الضُّحَى، اللَّي كَانَ قُزْمَاتُهَا
الْحَيْرَ وَالْحَمِيرَ لَا ظَلَمَ وَلَا مَظْلُومَ وَلَا غَالِبَ وَلَا مَغْلُوبَ...

وَمُشَاتْ حُكَايَتِي مِنْ وَادِ لَوَادْ وَمِنْ بِلَادْ لَبْلَادْ يَحْكِيهَا لَجْدَادْ لِلصَّبِيَّةِ وَخَفَادْ.⁽¹⁾

28. حكاية غنجة: (حكاية شعبية من منطقة القبائل-الجزائر)

هذه الأسطورة تحكي قصة "غنجة" الفتاة الوحيدة لعائلة ثرية نشأت في عزٍ وترفيهٍ بعيداً عن أنظار الرجال، وتلاًلاً جمالها كنور الفجر، فلم تعرف حتى سن الـ 14 إلا أهلها المقربين ترعرعت نقية السريرة، متواضعة رغم جمالها الفتان، فكانت روحها طاهرة طهر الملائكة.

الخالق الذي أبدع خلقها وحده سبحانه كان يراها ولم يطلع على فتنها إلا طيور السماء التي كانت تسترق النظر إليها وهي تتنقل بين نوافير المياه العذبة في الحدائق الغناء، لم يحدث أن سُمع شذى صوتها غريب، كانت بحق أعجوبة من أعاجيب الخلق، صوّرتها المخيلة الشعبية في هيئة أسطورية.

تبدأ أحداث القصة عندما اجتاحت البلاد في سنة من السنوات جفاف مريع، حمل معه رياحاً حارة وحرائق جهنمية أتت على الأرض والزرع، فجفت الوديان والآبار وذبل النبات وهلك الحيوان وساد القحط، حتى لم يجد الصبيان ما يروي ظمأهم من الحليب وجفت نوافير الماء في بيت "غنجة" فلم يعد يسمع لها خريير.

اتجه الناس في طقوس وطلاسم شعوزة إلى السماء، معتقدين أن الاستعانة بزيارة الأولياء وتقديم القرابين قد ينفع، إلا أن مسعاهم خاب، وفي خيبتهم تلك اجتمع الرجال للتشاور فيما هم فاعلون؛ وبينما هم في جمعهم إذ قام شيخ إلى والد "غنجة" وخاطبه قائلاً: "يجب على ابنتك -وهي رمز العفاف عندنا- أن تخرج إلى العامة عارية الرأس والقدمين فبهذا تنجلي عنا هذه الحال البائسة."

لم يجد والد "غنجة" بُدّاً من أن يقبل برأي الشيخ وقصد ابنته الحبيبة، ضمّها إلى قلبه ثم نزع عن قدميها الحفّين المطرّزين وفي حنوّ حل ضفائر شعرها الغزير الذي انسدل على كتفيها وغطى جسدها حتى بلغ

¹ثقافة شعبية، حكاية غلالة... حكاية شعبية مغربية، www.alantoligia.com

أخمص قدميها، كان جبينها الأبيض ناصعاً كبياض الياسمين يُطل بين أمواج شعرها كبدر ليلة كماله، وضع الأب يديه على رأس ابنته وتمتم بتعاويد مباركاً إياها فيما كانت هي في حيرة من أمرها، قلقه من تصرف والدها، سألت الفتاة أباه متعجبة: "أبي ما معنى الذي يجري؟" فرد عليها والدها: "سنعيد المياه إلى نوافيرك يا ابنتي إذا أراد الله ذلك." حملت إجابة الوالد الفرحة إلى قلب "عَنْجَة"، وسار بها الأب في رفق إلى عتبة البيت وهو يشجعها، فلم يسبق لها أن خرجت جهازاً نهاراً، وما إن خطت بضع خطوات على الأرض الرمضاء حتى هبت ريح قوية.

تقدمت الفتاة ثم خرجت وظهرت للناس اللذين تعالت صيحاتهم مهللين، وفجأة تسابق من الغرب سحب كثيف كالموج يسد الأفق، وثقل الهواء وأظلمت السماء محملة بالغيث الذي انهمر على الأرض الظمآن، حينها توجه الحشد إلى السماء مكبرين في نداء واحد باسم ذي الجلال: الله. أربعة أيام وثلاث ليال ارتوت فيها الأرض، وبعدها انقشعت الغيوم وابتهجت الكائنات وانفجرت ينابيع المياه من جديد.

لقد حدثت المعجزة.. عندما ظهرت "عَنْجَة".

واعترافاً لها بالفضل، عاد الناس في صباح اليوم الرابع لإقامة الاحتفالات حول بيت "عَنْجَة"، فاجتمع الشباب في ثياب قرمزية اللون، مزينة بالأبيض، منتعلين الأحذية الحمراء وممتطين الجياد الأصيل، وأظهر كل فرحته وعلت زغاريد النساء مع شهر السيوف التي استلها أصحابها للتباهي بها في رقصات وأهازيج شعبية نادت كلها باسم "عَنْجَة"، لكن "عَنْجَة" لم تعاود الظهور أبداً، فقد واراها والدها عن الأنظار خشية أن يلحقها الأذى، فقادها إلى بيت لا يعرف طريقه غيره وأمن عليها أمها وحاضنتها بعد أن أوكل حمايتهن إلى ثلاثة حراس أشداء⁽¹⁾.

29. حكاية ودعة مشتة السبعة: (حكاية شعبية جزائرية)

¹ يونس بورنان، حكايات جزائرية قديمة... أسطورة "العنجة"، www.al-ain.com

كان يا مكان في قديم الزمان، عائلة تتكون من زوجين، وشاءت الأقدار أن تُرزق هذه العائلة من كل شيء سبعة “سَبْعُ مَكَاحِلُ سَبْعُ عَوَادٍ، سَبْعُ كِلَابٍ سَبْعُ وُلَادٍ، وعندما كَبُرَ الأولاد السبعة، حملت أمهم من جديد، وعندما أعلمتهم، قالوا لها: “رَأَا رَاحِيْنَ إِلَّا جَبْتَ طُفْلَةً رَيْشِيْنَا بِالْفُرَانَةِ الصَّفْرَا، وَلَا جَبْتِي طُفْلٌ رَيْشِيْنَا بِالْمَنْجَلِ نَنْجَلَاوُ، وغادر الأولاد البيت ومكثوا غير بعيد عنه، ينتظرون الإشارة، ومَرَّتْ الأيام إلى أن وضعت الأم حملها، فكان المولود بنتا فطلبت الأم من الخادمة “ستوت” أن تخرج وتشير لأولادها بـ”الْفُرَانَةِ الصَّفْرَا”، غير أنَّ الخادمة أشارت لهم بـ”المنجل”، ففهم الأولاد معنى الإشارة وغادروا بعيدا. بعد ذلك بدأت البنت تكبر والتي سَمَّتها والدتها “وَدْعَةَ”، وكلَّما لعبت “ودعة” مع أقرانها يَعِيطُوهَا: “وَدْعَةَ مُشْتَتَّةَ السَّبْعَةِ” وفي كل مرَّة تسأل والدتها عن السبب، فتمتنع عن اخبارها.

وذات يوم وبينما والدتها تحضّر الأكل، رمت “ودعة” شيئا بداخله، ولما هَمَّتْ الأم باستخراجه أمسكتها ودعة وقالت لها: “مَا نَطْلُقْكَشْ حَتَّى تَخْبِرَنِي بِالصَّحِّحِ”، فاضطرت لإخبارها بالقصة كاملة. وفي اليوم الموالي حزمت ودعة أمتعتها وجهزت متاعها وقررت الرحيل بحثا عن إختوتها حاولت الأم منعها دون جدوى، فقالت لها: “رُوحِي بِصَّحْ نَبْعَثْ مَعَاكَ الْخَادِمَ وَالْخَادِمَةَ”، وَعَظَاتَهَا الْمَنْجَلُ يَكَلِّمُهَا وَيُورِلُّهَا الطَّرِيقَ، وفي الطريق دَبَّرَ الخادمة والخادم حيلة وسرقا المنجل منها، ولما وصلوا للعين الحرّة والعين البرّهوشة، دَاوَرُوا ودعة في العين البرهوشة حتى رجعت خادمة والخادمة في العين الحرّة ولات سيّدة. وعند عثورهم على الإخوة السبعة ادّعت الخادمة أنَّها أختهم، وفرح الإخوة بأختهم (المزيفة) ورَحَّبُوا بها، وجعلوا منها أميرة، بينما كانت “ودعة” (الأخت الحقيقية) ترعى الإبل، وكانت “كِي تَدِّي الْبَلْ ترعى بيه تَقْعُدُ تَحْكِيْلُو فِي قصتها وتبكي، فيعود قَاعُ ذَاكَ الْبَلْ يبكي معها ماعدا ناقة وَحْدَةَ وكانت طَرَشَّة، كانت تأكل حتى تشبع، ومَرَّتْ الأيام والشهور وقطيع الإبل يزداد نحالة، ما عدا الناقة الصمّاء، ولاحظ الإخوة الحال السيّئة التي صارت إليها الإبل، فأرسلوا أخاهم الأصغر يتقصّى أحوال الإبل كي راح عَقَابَهَا سَمْعَهَا تَحْكِي لِلإِبِلِ وهو مُدَاوِرٌ بيها ويبكي قَالَهَا: لَأَزِمَ تَحْكِيْلِي أَنَا ثَانِي، فحكاتلوا قاع القصة، وأخبرته أنَّ دليل صدقها هو المنجل الذي تحتفظ به الخادمة، فعاد الأخ الأصغر وأخبر إختوته، فحَقَّقُوا مع الخادم والخادمة

واكتشفوا الحقيقة وقالوا للخادمة والخدام لازم ترجعوا للعين اللي رجعتوها منها برهوشة ترجعوها هي حرة كيما كانت وانثوما كيما كنتوا.

وعادت “ودعة” إلى هيئتها الأولى، وغمرها الإخوة بالحب والحنان، وجعلوا من زوجاتهم خدما لها، وعاقبوا الخادمة والخدام وجعلوها يرعيان الإبل مكانها. ومرّت الأيام وودعة سعيدة بين إخوتها، الأمر الذي أثار حفيظة زوجات الإخوة، فكادوا لها مكيدة جابوا بيضة نَتَاغْ خَنْشْ وَدَارُوها وسط حَبَّة كَعْبُوشْ، وقالوا لي عزيزة على امها وبوها تاكل هذي البيضة بلا مُضِيغْ، فقالت ودعة: أنا. ومرّت الأيام وفقسست بيضة الثعبان وبدأ بطنها ينتفخ شيئاً فشيئاً، وأصبحت كثيرة الشرب ودائمة العطش، عندها ذهبت النسوة إلى الإخوة وأخبروهم أنّ أختهم قد اقترفت المحرم وأضحت حاملاً، فاحتر الإخوة وأرسلوا أخاهم الأصغر ليتأكد راح خُوهم الصغير، دار وَاشْ قَالُولُوا فسمع حاجة في كَرَشِها تتحرك، فغضب الإخوة غضباً شديداً وقرروا معاقبتها وطلبوا من الأخ الأصغر أن يأخذها للغابة ويقتلها والدليل جِيِنَا أَقْوَام الكلاب مُطْلَسِينَ بالدم لكنّ الأخ الأصغر رَقَّ قلبه لأخته، فقام بجرحها من أصبع يدها وجعل الدّم على أفواه الكلاب وعاد لإخوته، وظلّت ودعة مرمية على الأرض، حتى طال شعرها وانتصب في السماء معانقا الحشائش والأعشاب، إلى أن جاء رجل يبغي حصاد الحشيش كي يضرب الرّاجل المنجل تقول هي: اسْتَحَاضْ بِيَا يَسْتَحَاضْ ربي بِيكْ، فاستغرب الرجل وسألها إن كانت من الإنس أم الجن؟ قامت “ودعة” وروت له قصّتها، هدأ الرجل من روعها، وَدَجَلَهَا نَعْجَة وَشَوَاهَا على النَّار وَكَثَّرَ فيها الملح وقالها كُولِي بَلَا ما تشربي الماء ومن بعد جَابْ إناء كبير فيه الماء وعلقها من رجليها، وعَادَ يَخْلُط في الماء وكي عطش الخَنْشْ نزل للماء، همّ الرجل بقتل الثعبان لكنّ “ودعة” طلبت منه أن يكفّ عن ذلك، وأسمت الثعبان “كاس” ووضعتة في كيس، وتزوجت الرجل وأنجبت طفلاً أسمته “حب حب الرمان” وبعد مدّة استأذنت زوجها للبحث عن إخوتها أذن لها الزوج، وفي الطريق طلبت من ابنها أن يسألها بإلحاح عن قصة “ودعة مشتة السبعة” عند وصولهما إلى غايتهما، ولدى وصولها واجتماعها بإخوتها (وهم لا يعرفونها) طلب الولد من والدته أن تحكي له القصة فوافقت شرط أن يجتمع الجميع حولها، وبدأت تروي الحكاية ولما انتهت قالت: اسْكُثْ يا حَبْ حَبْ الرُّمَانْ وَخُزْجْ يا كاس،

تعرّف الإخوة على أختهم “ودعة” وندموا أشدّ الندم على فعلتهم، وقرّروا الانتقام من نسائهنّ، فقاموا بحفر حفرة كبيرة وأضرموا النار بها، وطلبوا من زوجاتهم القفز فوقها، فسقطنّ جميعاً إلّا زوجة الأخ الأصغر، لأنّها لم تكن حاضرة، وعاش الجميع حياة سعيدة.⁽¹⁾

30. حكاية لولية: (حكاية شعبية مصرية)

كان يا مكان في سالف العصر والوان... كان سلطان البرين وزوجته السلطانة يعيشان في سعادة وهناء لا يعكر صفو حياتهما إلّا أنهما لم يرزقا بأبناء، فكانت السلطانة تدعو ربها كل ليلة أن يرزقها بذرية تفرح قلبها وتملأ عليها حياتها.

وفي إحدى الليالي ظلت السلطانة تدعو ربها بعد صلاة العشاء وتتضرع... ثم نذرت إن أكرمها الله بابن أن تقدم لفقراء البلاد حوضاً من السمن وحوضاً من العسل كلما فرغا مائتاً مرة أخرى مدة شهر كامل.

ومرت الأيام وحملت السلطانة ثم وضعت ولداً جميلاً بهي الطلعة فرح به أبواه وأسمياه يوسف. ومرت الأيام وانشغلت السلطانة بالعناية بابنها يوسف ونسيت نذرها الذي نذرتة... وكبر يوسف وأصبح عمره أربعة عشرة سنة... وفجأة أصابه مرض احتار الأطباء في علاجه فضعف جسمه وفقد الرغبة في الأكل واللعب.

كانت أمه السلطانة تسهر الليل، ترعاه وتمرضه وتدعو الله أن يمن عليها ويشفي لها ابنها. وأعلن السلطان أنه سيقدم جائزة قيمة لمن يتمكن من علاجه.

ذات يوم جاءت امرأة عجوز إلى القصر، وقالت للحرس أنها تريد مقابلة السلطانة بشأن الأمير يوسف.

فأدخلتها السلطانة وسألتها بلهفة... "هل عندك علاج لمرض ابني؟".

قالت العجوز: "لا بد أن أراه أولاً".

¹ بوعزة طيبي، الحكاية الشعبية في الجزائر، تحليل مورفولوجي لحكاية "ودعة مشتة السبعة"، ص 89.

دخلت العجوز غرفة الأمير يوسف وتفحصته قليلا ثم همست بأذنه قائلة: «قل لأملك ان تفي بالنذر الذي نذرته».

عند ذلك تذكرت السلطانة نذرها وخجلت من نفسها... وفي الحال أمرت بإعداد حوضين كبيرين في ساحة القصر، ملأت إحداها سمنا والآخر عسلا وكانت تملؤهما كلما فرغا حتى مر الشهر كاملا... وفعلا تعافى يوسف وتحسنت صحته وعاد إلى نشاطه ومرجه السابق.

كانت المرأة العجوز قد سافرت لزيارة ابنتها في بلدة أخرى وعادت من سفرها في اليوم الأخير من الشهر فعلمت بأمر حوضي السمن والعسل فأسهرت إلى ساحة القصر لتملاً جرتها... لكنها وصلت متأخرة ووجدت الحوضين فارغين... فراحت تجمع المتبقي على أطراف الحوضين بيدها وتضعه في جرتيها حتى ملأت نصفهما وهمت بالانصراف... فتعثرت قدمها في درجة السلم وسقطت منها الجرتان وانكسرتا وسال العسل والسمن على الأرض... ووقعت العجوز إلى جوار الجرتين تندب حظها السيئ وتقول... "بماذا أدعو عليك؟ سوف أدعو أن يتليك الله بحب لولية"! يا يوسف.

كان الأمير يوسف يراقبها من بعيد ورأى ما حدث فتأثر لحالها وأسرع لمساعدتها وأمر عماله ان يجهزوا لها جرتين مملوءتين سمنا وعسلا بدلا من الذي ضاع منها... وقدمها لها بنفسه، لكنه سمعها وهي تدعو عليه بحب لولية... فسألها: "من هي لولية، التي دعوت الله ان يتليني بحبها؟"

قالت: "إنها أجمل وأذكى وأمهر فتاة في بلاد الله، لكن الوصول إليها من المستحيلات".

عاد يوسف إلى قصر أبيه مشغول البال بأمر لولية... وظل يفكر فيها حتى بلغ التاسعة عشرة من عمره... فقال أبوه: "لقد حان الوقت لتتزوج يا يوسف".

وقالت أمه: "سوف أبحث لك عن فتاة صالحة لتكون زوجة لك وأما لأبنائك وسلطانة على البلاد من بعدي".

فقال لهما يوسف: "إنني لن أتزوج إلا لولية".

فزعت أمه وقالت: "من حدثك عنها يا ولدي؟ إنك تطلب المستحيل".

قال يوسف: "سأبحث عنها حتى أجدها وأتزوجها، ولن أتزوج غيرها".

أرسل السلطان رسله في طول البلاد وعرضها، ليسألوا الناس عن لولية فلم يجد أحدا يعرف عنها شيئا. لكن يوسف ظل مصمما على الزواج من لولية وكان يجب كل من يسأله أين سيجدها: "سأبحث عنها في مشارق الأرض ومغاربها حتى أجدها".

فلما رآه أبوه مصمما على رأيه، وافق على مضض أن يسمح له بالرحيل، وقال له: "اذهب في رعاية الله".

جهزت السلطانة ابنها يوسف بكل ما يحتاج إليه المسافر، وودعته عند الفجر وهي تدعو الله أن يحفظه ويعيده بالسلامة.

وهكذا انطلق يوسف في طريقه، وسار أياما وليالي... حتى وصل إلى مفترق طرق. ووجد عنده غولة تقعد في الشمس وتسد الطريق... شعرها أشعث وأسنانها بارزة والشرر ينطلق من عينيها.

قال لها يوسف: "السلام عليك يا أمنا الغولة".

ابتسمت الغولة، فظهرت أسنانها كلها وقالت: "لولا سلامك سبق كلامك، لكنت أكلت لحمك وممصت عظامك... تعال وارفعني من مكاني وأجلسني في ظل الشجرة".

قال يوسف: "أمرك يا أمنا الغولة"، ثم حملها وأجلسها في الظل.

قالت له: "إلى أين أنت ذاهب أيها الشاب الطيب؟".

قال: "أبحث عن لولية".

قالت: "الطريق إليها كله مخاطر فقد حبسها الغول في برج عال ليس له سلام... لكني سوف أساعدك... اذهب من هذا الطريق حتى تصل إلى مفترق طرق آخر... ستجد عنده أخي الأكبر مني".

ثم أعطته مشطا وقالت له: "إذا صادفت صعبا لا تستطيع التغلب عليها بالمهارة ولا بالحيلة، فاخذ هذا المشط خلفك... سوف ينفعك".

أخذ يوسف المشط وشكرها، وتابع طريقه، حتى وصل إلى مفترق الطرق الثاني. ووجد عنده الغولة الأكبر تجلس في ظل شجرة، شعرها أشعث، وأسنانها بارزة، والشرر ينطلق من عينيها.

قال يوسف: "السلام عليك يا أمنا الغولة"

قالت: "لولا سلامك سبق كلامك، لكنك أكلت لحمك ومصمت عظامك.. اهبط في هذه البئر القريبة، وأحضر لي ماء لأشرب"

قال يوسف: "أمرك يا أمنا الغولة"

تعلق يوسف بجبل البئر ونزل فيها.. ثم ملاً الدلو ماء وعاد به إلى الغولة.. فشربت حتى ارتوت وقالت له: "إلى أين أيها الشاب الكريم؟"

قال: "أبحث عن لولية"

قالت: "الطريق إليها كله مخاطر، ولا يستطيع الوصول إليها إلا الغول الكبير. لكنني سوف أساعدك.. اذهب في هذا الطريق، حتى تجد أختنا الكبرى عند مفترق الطرق القادم وسوف تساعدك هي كذلك" ثم أعطته مشطاً آخر وقالت له: "إذا صادفت صعباً لا تستطيع التغلب عليها بالمهارة ولا بالحيلة، فاقدف هذا المشط خلفك.. سوف ينفعك"

أخذ يوسف المشط وشكر الغولة، وسار في طريقه حتى وصل إلى مفترق الطرق، ووجد عنده الغولة الكبرى، كان شعرها أشعث وأسنانها بارزة والشرر ينطلق من عينيها.

قال يوسف: "السلام عليك يا أمنا الغولة"

وقالت: "لولا سلامك سبق كلامك، لكنك أكلت لحمك ومصمت عظامك.. اذهب واجمع لي حطباً وأشعل النار في الموقد واطبخ لي عصيدة"

قال يوسف: "أمرك يا أمنا الغولة" وذهب بعيداً وجمع حطباً، وأشعل النار في الموقد وطبخ لها عصيدة.

قالت الغولة: "إلى أين أيها الشاب الشهم؟"

قال يوسف: "أبحث عن لولية"

قالت الغولة الكبرى: "الطريق إليها كله مخاطر.. وسوف يطاردك الغول، وإن أمسكتك فسوف يأكلك.. لكنني سوف أساعدك.. سر في هذا الطريق حتى تجد برجاً عالياً من المرمر.. إنه بيت لولية"

ثم أعطته ثلاثة أمشاط وقالت له: "إذا صادفت صعباً لا تستطيع التغلب عليها بالمهارة ولا بالحيلة، فألق هذا المشط وراءك، فسوف ينقذك"

أخذ يوسف الأمشاط وشكرها، واستمر في طريقه.. حتى وصل إلى برج عال مبني من المرمر، فدار حوله فلم يجد له سلاسل ولا أي شيء يمكنه من التسلق عليه. ورأى في أعلى البرج نافذة واحدة كبيرة.. وبعد قليل، سمع وقع خطوات تهمز الأرض، فاختبأ خلف شجرة كبيرة وراح يراقب الطريق.

اقترب من البرج غول كبير متوحش، ومعه غول آخر يشبهه تماماً لكنه أصغر منه.. وقف الغول الكبير ينادي: "دلي شعورك يا لولية. دلي شعورك يا لولية"

أطلت من النافذة فتاة جميلة رقيقة، فلما رأت الغول، دلت ضفيريها السوداء الطويلة، حتى وصلت من النافذة إلى الأرض، فتسلق عليها الغول حتى وصل إلى النافذة ودخل منها.. ثم تبعه ابنه حتى دخل هو الآخر.

انتظر يوسف ساعة وساعتين وثلاث ساعات... ثم رأى لولية تدلي ضفيريها مرة أخرى فيهبط عليها الغول الكبير ويتبعه الصغير.

ووقف ينتظران حتى سحبت لولية ضفيريها وأغلقت النافذة، فانصرفا.

خرج يوسف من خلف الشجرة ووقف تحت النافذة، ونادى: "دلي شعورك يا لولية.. دلي شعورك يا لولية"

فتفتحت الفتاة النافذة ودلت ضفيريها.. فتسلق عليها يوسف حتى دخل من النافذة.

فزعت الفتاة وقالت: "بسم الله الرحمن الرحيم.. من أنت؟ إنس أم جن؟"

قال: "أنا الأمير يوسف، ابن سلطان البرين.. سمعت عنك وأحببتك، وأريد أن أتزوجك. وبحشت عنك حتى وجدتك.. لماذا يحبسك الغول في هذا البرج؟"

قالت لولية: "أنا بنت سلطان البحرين، وهذا الغول أراد أن يزوجني ابنه، لكن أبي رفض فخطفني الغول وحبسني هنا، حتى اكبر ويزوجني ابنه"

ثم بكت وقالت: "وقد جاء اليوم ليلغني عن موعد زواجي من ابنه"

قال يوسف: "إذن، نهرب اليوم.. هيا بنا حالا"
قالت لولية: "انتظر.. لابد ان نحتفل أولا بليلة الحناء، ويحتفل معنا كل ما في البرج.. سوف اعجن الحناء. وأحني بها كل الأشياء التي في البرج، حتى ترضى، ولا تبلغ الغول بما حدث"
وهكذا عجن لولية حناء حنت بها كل ما في البرج من أثاث وأدوات، لكنها من تعجلها وخوفها من عودة الغول نسيت أن تحني الدف المعلق على مسمار خلف الباب.
في الوقت نفسه، جمع يوسف كل ما في البرج من ملاءات وملابس، وصنع منها حبلا طويلا، ربطه في السرير ودلاه من النافذة.. ثم هبط به هو ولولية إلى الأرض وانطلقا عائدين إلى بلاده.
في اليوم التالي، جاء الغول الكبير وابنه ووقف ينادي: "دلي شعورك يا لولية.. دلي شعورك يا لولية"، فلم ترد.
لاحظ الغول الحبل المتدلي، فتسلقه هو وابنه ودخلا من النافذة وبحثا عن لولية في كل مكان.. فلم يجداها.

سأل الغول الأشياء، شيئا شيئا: "أين ذهب لولية؟"
فلم يجبه احد، حتى وصل إلى الدف المعلق خلف الباب وسأله: "أين ذهب لولية؟".
قال الدف: "طبل طار.. طبل طار.. أخذها ابن السلطان وطار"
صرخ الغول صرخة عظيمة، فارتج البرج وانهار، فخرج الغول وابنه من تحت الأنقاض وانطلقا خلف يوسف ولولية.. فكانا يركضان ليلا ونهارا ولا يتعبان، حتى اقتربا منهما بعد يومين وليلتين.
نظرت لولية خلفها وقالت: "لقد اقترب الغول يا يوسف.. فماذا نفعل؟".
قال يوسف: "لا تخافي".. وألقى المشط الأول خلفه فظهر في الحال حقل طويل عريض من الشوك، فصل بينهما وبين الغول وابنه.
اطمأنت لولية، وتابعا سيرهما..
قال الغول لابنه: "اقلع يا ابني وأنا اقلع.. اقلع يا ابني وأنا اقلع".. وظلا يقلعان الأشواك من الأرض ويرميانها بعيدا، حتى انتهى الحقل، فتابعا ركضهما وراء يوسف ولولية.

في اليوم التالي، نظرت لولية خلفها وقالت: "اقترب الغول من جديد يا يوسف.. ماذا نفعل؟" قال يوسف: "لا تخافي" .. وألقى المشط الثاني خلفه.. فظهر بينهما وبين الغول وابنه حقل طويل عريض من النار، فاطمأنا وتابعا سيرهما.

قال الغول لابنه: "انفخ يا ابني وأنا أنفخ.. انفخ يا ابني وأنا أنفخ" .. وظلا ينفخان في النار حتى انطفأت.. ثم تابعا ركضهما وراء يوسف ولولية.

في اليوم الثالث، نظرت لولية خلفها وقالت: "اقترب الغول يا يوسف.. ماذا نفعل؟" ألقى يوسف المشط الأخير خلفه.. فظهر بينهما وبين الغول وابنه بحر كبير طويل عريض من المياه. قال الغول: "اشرب يا بني وأنا أشرب.. اشرب يا بني وأنا أشرب" .. وظلا يشربان ويشربان.. حتى انفجرا من كثرة الماء في جوفهما.. وماتا..

وهكذا ارتاح يوسف ولولية من مطاردة الغول وابنه.. فجلسا يستريحان قليلا بعد كل هذا العناء. قعدت لولية على الأرض وأسندت ظهرها على جذع شجرة، ووضع يوسف رأسه على حجرها ونام، وبقيت هي تحرسه.. لكن النوم غلبها هي أيضا من شدة التعب.. فنامت. بينما كان يوسف ولولية نائمين، اقترب رخ عظيم منهما، وحلق فوقهما، ثم هوى فجأة.. واختطف يوسف وطار.

استيقظت لولية فزعة، وراحت تنادي يوسف وتترجى الرخ أي يعيده إليها.. لكنه طار بعيدا بعيدا. سارت لولية على قدميها أياما وليالي، حتى وصلت إلى قصر السلطان أبي يوسف، وطلبت مقابلة السلطانة لأمر ضروري يخص ابنها يوسف.

قابلتها السلطانة وسألته عما تريد.. فحكّت لها حكايتها كاملة مع يوسف والغول وابنه، ومع الرخ. لكن السلطانة ارتابت في كلامها وفكرت ان تطردها. ثم عادت وأشفقت عليها، وأمرت ان يقدموا لها طعاما ويتركوها تنام في البستان.

في منتصف الليل، بينما الجميع ينام، جاء الرخ حاملا يوسف، فأوقفه على إحدى النوافذ وتركه وطار وحلق حول القصر.

نادى يوسف قائلا: "كيف حالك في بيت أبي يا لولية؟".

قالت لولية: "تحتي تراب وفوقي تراب.. نوم الكلاب يا يوسف".

هبط الرخ وحمل يوسف وطار به بعيدا.

في الصباح طلبت لولية مقابلة السلطانة، وحكت لها ما حدث في الليلة السابقة.. فأمرت السلطانة أن يفرشوا لها حصيرا، ويسمحوا لها بالنوم في الفناء.. وأمرت الحراس بمراقبتها.

في الليلة التالية، جاء الرخ في منتصف الليل وأوقف يوسف على حافة النافذة وتركه حول القصر.

نادى يوسف: "كيف حالك في بيت أبي يا لولية؟".

قالت: "تحتي حصير وفوقي حصير.. نوم الأسير يا يوسف".

ثم عاد الرخ وحمله بعيدا.

في اليوم التالي تأكدت السلطانة من رواية لولية، فأكرمتها وألبستها ثياب الأمراء، وسمحت لها أن تأكل معها. وفي المساء، طلبت منها أن تنام في الغرفة التي يأتي إليها الرخ كل ليلة، وأعطتها سيفًا بتارا.

في منتصف الليلة، جاء الرخ وأوقف يوسف على حافة النافذة وتركه وطار وحلق حول القصر.

نادى يوسف قائلا: "كيف حالك في بيت أبي يا لولية؟".

قالت: "تحتي حرير وفوقي حرير.. نوم الأمير يا يوسف".

عاد الرخ وهم ان يحمل يوسف.. لكن الولية ضربته بالسيف ضربة قوية، فقتلته.. ونزل يوسف من حافة النافذة.. وأقبلت عليه لولية، وجاءت أمه، وجاء أبوه فرحين بعودته.. واجتمع حوله من في القصر جميعا، يرحبون به ويحمدون الله على سلامته..

وأرسل سلطان البحرين المراسيل إلى سلطان البحرين ليطمئنه أن الله نجا ابنته من الغول وابنه، ويطلب موافقته أن تتزوج ابنة يوسف.

فرح سلطان البحرين بنجاة ابنته لولية، وأرسل مراسيله بموافقته على الزواج وبالهدايا.

وقامت الأفراح والليالي الملاح وامتألاً القصر بالناس من كل أنحاء البلاد؛ فقرائهم وأغنياءهم يأكلون ويشربون أربعين يوما وأربعين ليلة..

وعاش يوسف ولولية في تبات ونبات، وأنجبا الأولاد والبنات.⁽¹⁾

31. حكاية عقاب الأم: (حكاية شعبية جزائرية)

إنها حكاية عجوز لها أربعة أولاد ذكور، ثلاثة متزوجين: محمد، سعيد، مسعود، والرابع أعزب: بوجمعة توفي زوجها، وكانت هي الوحيدة التي تعرف ما ترك من ثروة، ومكان وجودها، أراد الأولاد أن يعرفوا مقدار الثروة التي ورثوها عن والدهم المتوفى، لم تُصرح لهم إلاّ بربع المبلغ، وخبأت الباقي، كانت تعامل كَنَّاها بِقَسْوَة، تظلّ طوال اليوم تُكَلِّفُهُنَّ بالأعمال الشاقة بينما تقضي هي الوقت في التسبيح، لما توفي زوجها زادت في تصرفاتها الخرقاء وأصبحت تهتم أكثر بزيبتها وتعني بلباسها وتكحل، تَعَجَّب ولدها محمد من سلوكها واستغرب هذه العناية الفائقة باللباس والكحل والسواك، أسرّ بالأمر لأخيه بوجمعة. شكّ بوجمعة في كون أمه قد صرّحت بالقيمة الحقيقية للثروة التي تركها أبوهـم!.. وكلمها في الأمر، فقالت له: «هذا ما خَلَّى أبوكم!» لم يصدّقها وقال لإخوته: «لابدّ من أن نتأكّد من صحّة كلامها!»، ذات يوم بينما كانت الأسرة مجتمعة نطق بوجمعة موجّها الحديث لإخوته: «ما هو رأيكم لو نُزَوِّج أمنا؟!» قال الإخوة: «الأولى بك أن تتحدّث عن نفسك... فأنت من يجب أن نزوجه أولاً!» قال: «لا.. سيكون زواجي بعد زواج الوالدة» تظاهر الإخوة بعدم اقتناعهم بالفكرة، نطق الأم قائلة: «استمعوا لأخيكم الصغير، فكلامه عين الحكمة!»، قال بوجمعة: «هاهي أمنا ترغب في الزواج قبلي.. عليكم بطاعتها» قامت الأم وسلّمت السبحة لإحدى كَنَّاها لتعلّقها على الجدار!.. توجه لها ابنها الكبير بالسؤال: «هل تقبلين أن نُزَوِّجكِ؟» قالت: «نعم يابني، إنّ الزواج سترة، وقد تعودت على العيش في كنف والدكم وتدليله لي، ومحنته عليّ ومحبتّه لي.. ثمّ إنّ كَنَّاتي أصبحن لا تطقّني وتُسِنّ معاملتي.. إذا ما وجدت لي رجلاً سيكون حلاً مناسباً لي ولكم» قالوا لها: «الأمر سهل.. من الغد سوف نبحت لك عن شيخ تتزوّجينه» أسرّ محمد لإخوته: «مادامت تريد أن تتزوّج لابدّ أن معها نقوداً أخرى تركها والدنا ولم تُصرّح لنا بها.. لنحاول أن نُوقِعَها في الفخّ مادامت مصرة على الضلال!»

¹ أماني العشماوي، حكايات شعبية من مصر، ص 13-25.

في الصباح اشترى الإخوة كبشًا ذبحوه وسلخواه ثم نادوا زوجاتهم وطلبوا من واحدة منهن بأن تذهب للعجوز وتقول لها بأن الرجل وصل وهو موجود في الغرفة ينتظرها غير أنه أبكم!. ردت العجوز: «أقبل به مهما كانت صفائه، مرحبا به!» ثم إنها شرعت تتزيّن وتمصّع اللبان وتُعَيّ «هذه رحمة.. يا فرحتي!» عندما جاء الليل لفّ الأولاد الكباش في برّئوس ووضعوه على السرير واختبأ بوجمة الولد الأصغر في أحد أركان البيت ونادى أولادها عليها لتدخل الغرفة شرعت في الرّبت على البرنوس ضمّه إلى صدرها وهي تقول بصوت يرتعش من الفرحة: «اسمع يا الشيخ!.. يا الشيخ!.. يا الشيخ!.. أنت محظوظ.. ستعيش في النعمة.. عندي الزيت، عندي الفضة، عندي النقود، وهي محبّة في المكان الفلاني!.. نسيث أنك لا تنطق.. لا بأس أن أتكلّم أنا، خبأت الجزء الأكبر من الثروة لكي نعيش بها وأتخلص من الغيرة من كُناتي فلهنّ أزواجهنّ ولي زوجي!» سمع بوجمة كلامها ولما نامت عاد إلى إخوته وذكر لهم ما سمع عن الثروة المحبّة في الصباح لما نهضت من نومها واجهوها مستنكرين سلوكها: «يا أمنا كيف تُخفّين عنا الثروة وأنت في هذه السنّ وتريدين معاودة الزواج ورجلك على حافة القبر؟!» ولولت باكية واستعطفتهم وترجّت العفو منهم!.. غير أنهم لم يلينوا!.. قطعوا الكباش وطبخوه وأكلوا حتى شبعوا وحرّضوا نساءهم على الإساءة إليها.

أدخلنها في غرفة، وبدأن في تعذيبها قالت الكنة الصغرى: «اتركنها لي سأتكفل بها وأعدّها لأثأر لنفسي ممّا فعلته فيّ لِكُوني عاقراً. سأحرق أطرافها بالنار». قامت بتعذيبها حتى ماتت.⁽¹⁾

32. حكاية عيشة أم الزبايل: (حكاية شعبية جزائرية)

¹ عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص 78-81

ذات يوم خرج رجل قاصدا عمله وجد في طريقه عيشة قال: «أمم!» ردت عليه قائلة: «أمم.. يا غويّبات أمّه.. يا حويّجات أخته.. هذا القاط ذيلك والّا سلّفته؟!» أجابها قائلا: «رؤحي لعنّنا وشوفي احوالنا!» عشيّة ذلك اليوم طلب من أمّه أن تذهب لتخطب له تلك الفتاة ردت عليه مستنكرة كلامه: «أوباش.. دأشي بلقمل!» في الغد وهو ذاهب في الصباح اعترضته الفتاة وكررت على مسامعه نفس الكلام أعاد عليها نفس العبارة: «رؤحي لعنّنا.. وشوفي احوالنا!» تبعته لما عاد إلى منزله خفية دون أن يتنبّه لوجودها لتصنّت على ما يجري بينه وبين أمّه نادى أمّه: «أشعلي الضوء!» ردت عليه: «القمر مصباحنا!» قال لها: «ما هو أكلنا؟»، قالت: «كسرة وبصل يا بني!» قال: «هل قمتِ بترقيع قميصي!» قالت: «نزعْتُ مِنَ الْأَطْرَافِ وَتَبَثْتُ عَلَى الْأَكْمَامِ!» استمعت عيشة لكلامهما ثم انصرفت في الغد لما لقيها في الطريق وعندما قال لها: «روح لدارنا وشوفي احوالنا!» ردت عليه قائلة: «رُحْتُ لِدَارِكُمْ وَشَفْتُ أحوَالَكُمْ.. الْقَمَرُ مَصْبَاحُكُمْ وَالْبَصَلُ تَقَاحُكُمْ، تَقْطَعُوا مِنَ الْأَطْرَافِ وَتَرْقَعُوا الْأَكْمَامِ!» قرّر أن يتزوّجها، أرسل أمّه لتخطبها من أهلها دقت الباب سمعت صوت عيشة تقول لها: «من؟» قالت: «افتحي» قالت عيشة: «ضعي رجلك على الأرضية وارفعي الحديد وادفعي اللوح!» عادت الأموذكرت أن عيشة لم تفتح لها الباب وقد قالت لها كلامًا غير مفهوم وأعادت على سمعه ما قالته! قال لها: «لابدّ أن هناك ما منعها من القيام بفتح الباب وقد قالت لك ما معناه: اصعدي فوق العتبة وارفعي المزلاج وادفعي بالباب».

عادت الأم مرة أخرى وعملت بما ذكره ولدها فانفتح الباب وولجت الدار قالت لعائشة: لماذا لم تقومي لفتح الباب أجابت عائشة: «لم تسمح لي الوردة الحمراء بالمشي السريع لفتح الباب!..». قالت الأم: «أين هي أمك؟» قالت عائشة: «ذهبت تأتي بمن لم تأت به أبدا!» سألتها: «أين أبوك؟» قالت: «دَهَبَ مَعَ مَنْ لَنْ يَعُودَ أَبَدًا!» عادت الأم إلى المنزل بدون أن تُدرك ما قالته عائشة وعندما كررته على مسمع ولدها ذكر لها أنها كانت تقصد كونها غير قادرة على المشي السريع بتأثير حالة العذرية وأن والدتها ذهبت لِتُوَلِّدَ أَتَانًا حَامِلًا، وأن والدّها خرج في جنازة.

أصرّ على الزواج منها وافق أهلها وأقيم العرس في اليوم الثاني بعد الزواج جاءتها بنت حواء وقالت: «صباح الخير يا عروس؟» ردّت عليها: «صباح الخير يا من إحدى عينيها تطهو الطعام والثانية تصبّ الزيت؟» عادت البنت باكية إلى أمها تعيد على مسامعها ما سمعته من عيشة غضبت أم الفتاة وذهبت عند عائشة مسرعة يتبعها صغارها وقالت: «صباح الخير يا عروس» ردّت عائشة: «صباح الخير يا الكلبة مولات الكليبات!» اشتدّ غضب المرأة وراحت تشكو العروسة لحماقتها وأعدت على مسامعها ما قالت ذهبت أم العريس عند عيشة وقالت لها: «صباح الخير يا عروس.. هل صحيح أنك قلت كلاما مسيئا لجارتنا؟!» ردّت عليها: «أقسم بالموضع الذي جاء منه أولادك أيّ لا أقصد الإساءة لأحد!» غضبت أم الزوج من هذا ألّقسّم الجريء وراحت لزوجها تشكوها ولما واجه الحمو عيشة سمع منها كلاما جريئا فأقسم بأغلظ الأيمان أن لا تبقى ليلة أخرى في المنزل وقرر تطليقها قصد الرجل مجلس القاضي وعندما تهيأ القاضي لإصدار الحكم أشارت عيشة من موقعها بين الحضور وسط القاعة للقاضي بهزّ كفي يديها مفتوحين إلى أعلى ومحاذيين إلى بعضهما فهمّ القاضي بأنها تشير عليه بالوقوف إلى صفها لكي ينال حظّه من الذهب والجواهر التي حصلت عليها كمهر نطق بالحكم مستنكرا سلوك أهل الزوج وسعيهم تطليق المرأة مباشرة بعد العرس مؤكّدا على أن أهل الزوج مُلزَمُونَ بالتعويض وبدفع ما يلزمها من المال وبتمكينها من كلّ ما نصّت عليه شروط المهر من أثاث وحلي وحقّها في الهدايا التي جاء بها المدعوون. عندما انفضّ الجمع بعد إعلان الحكم توجه القاضي إلى عيشة منتظرا مكافأته على موقفه ولما صارحها بأنه فهم من إشارتها هذا الأمر أنكرت وذكرت أنها قصدت أن ينتبه لنفسه ويسدل لباسه على أطرافه السفلى لأن عورته كانت مكشوفة للحاضرين وهو يجلس في مواجهتهم لإصدار الحكم!.. قال لها: «كيف تقولين لي هذا الكلام وأنا ألبس البرانس؟!» قالت وهي تحرك رأسها ساخرة: «جلبت لنا العار بجلستك تلك؟!».

بينما كانت تتجوّل وجدت رجلا أمام داره الجديد يُدخل الأثاث حزمت بطنها بألبسة قديمة مُتَظَاهِرَةً بأنّها حامل وشرعت في معاونة الرجل في إدخال الأثاث للدار ولما انتهى سارعت إلى الكرسي الوحيد الموجود أمام طاولة وجلست فيه لتستريح.

كان الرجل ورعا ظنّ بأنها إحدى الجارات سعت لمعاونته فسمح لها بالجلوس لمدة طويلة وسألها عن اسمها قالت: «زَعْرُثُو!» تَعَبَ الرجل وأراد الجلوس فلم يجد كرسيًا استلقى على الحصير وأخذه النعاس فنام قامت عيشة بنقل جميع أثاث داره إلى بيتها ولم تترك إلا الحصير الذي كان ينام عليه!.. عندما نهض في الصباح ووجد داره فارغة من الأثاث خرج ينادي: «زَعْرُثُو؟» سمعته الجارات فَطَفِقْنَ يُزَعِرِدْنَ جميعا!.. غضب وقال لهم: «ماذا تفعلن؟.. أنا أسألكن عن امرأة سرقَت أثاث بيتي اسمها زَعْرُثُو أنتن تزغردن فرحات!» التفتت الجارات لبعضهنّ مستغربات!.. وقلن له: «كانت تبدو حاملا، تساعدك في نقل الأثاث، اعتقدنا بأنها زوجتك ولما صحت في الصباح: زَعْرُثُو؛ زَعْرَدْنَا لأننا اعتقدنا أنها وضعت مولودًا فرحت به وطلبت منا أن نزغرد وأن نشاركك فرحك!»

التقت عيشة ذات يوم بشيخ في الطريق قالت له: «ما رأيك في أن تتزوجني وأردك شابًا صغيرا؟» رفض في البداية قائلا: «أنا شيخ كبير ولي كنات وأحفاد يراعي الناس وقاري وأعيش بينهم محترماً تريدين مني أن أقوم بفعل مشينٍ لسمعتي؟» كررت القول على مسامعه ووعدته بالعودة إلى سنّ الشباب استبدّ به الطمع وقبل عرضها تبعها!.. أخذته للحمام حلقت له شنباتِه ولحيته قال لها: «ما اسمك؟». قالت: «بزغتشين» وتساءل متعجبا: «بزغتشين؟!» أكّدت: «نعم» ولج الشيخ للحمام نازعا لباسه جمعته عيشة وهربت به لما انتهى من الاستحمام نادى عليها بصوت مرتفع: «بزغتشين؟.. يا بزغتشين؟» لم يردّ عليه أحد سوى عتّاس الحمام فقال له: «نادي المرأة التي بين يديها ثيابي؟» ردّ عليه: «لا توجد امرأة هنا.. الحمام فارغ!» قال الشيخ: «يا للمصيبة! أعزني جلاّبيّة أعود بها إلى البيت» لما عاد إلى المنزل، لم يتعرّف عليه أهله بسبب تغير هيئته! وصاحت كَنّاثه: «من هو هذا الرجل الغريب الذي يتجرأ على دخول حرم غيره؟!..» عَرَفَهُمْ بصعوبة على نفسه واعترف لهم بما حدث له مع الساقطة!

ذات يوم التقت عيشة رجلا فأقنعه بالزواج منهوفي يوم من الأيام تمت دعوة عائلته كلها إلى عرس تمنّعت عيشة في البداية وادّعت أنّها امرأة يستغرق وقتها شغل البيت وليس لها رغبة في حضور المناسبات الاحتفالية، ألحّ عليها الأهل إلى أن قَبِلَتْ لكنّها أكّدت بأن تعود سريعا لكي تطبخ وتغسل!.. عند عودتها وضعت قدرا من «الزرمين» على النار لما دخلت حمامها دورة المياه سارعت وأجبرتها على فتح

فمها لتملأه بالزرمين سُحْنَا! اشتدّ ألمها وسقطت ميّنة لما عاد أهل الزوج إلى المنزل وجدوا أمهم ساقطة على الأرض بدون حراك تفاجئوا وسألوا عيشة قالت لهم: «استروا أمكم، لو يسمع الناس بأنها سرقت زرمينا لتأكله خفية في دورة المياه تسوء سمعُنا ونصير مضغة للأفواه؟!» مضت أيام أخرى، ودُعِيَ أهل المنزل لعرس آخر بقيت عائشة لوحدها مع حماها الشيخ العاجز عن الحركة أخذت سبعة عيدان يابسة وضربته على لسانه حتى سقط فتاةً، لما عاد الأهل من العرس ووجدوا والدهم في تلك الحالة سألوها: «ما الذي حدث لوالدنا الشيخ؟!» قالت: «اسألوه هو عما حدث له؟!». أشار بيده إلى عيشة وكان يتألم شديد الألم على وشك الموت! قالت: «إنّه يقول لكم ساموت وأترك ثروتي لعيشة!». (1)

33. حكاية شمسة و غلام الليل: (حكاية شعبية جزائرية)

بسم الله بديت وعلى النبي صليت وما يحلى لكلام غير بالصلاة على النبي خير الأنام يحكى في قديم الزمان أنّ ملكاً من الملوك أراد الزواج فحضرت سبعة نسوة عارضات أنفسهن عليه وكانت كل واحدة منهن تقول: إذا تزوجت الملك ندير كذا وكذا، فقالت الأولى: من حبة قمح ندير ميعاد، وقالت الثانية: من جزء صوف ندير برنوس، وقالت الثالثة: من جلد بوسكرة نبي دار... وهكذا قالت السابعة: إذا تزوجت الملك يرزقني ربي طفل وطفلة قروهم من ذهب وفضة تتابع، فتزوجهن الملك شريطة أن تف كل واحدة منهن بوعدها، فتزوج بالأولى غير أنها لم تف بوعدها، ولما سألها الملك قالت: غسلتها ونشرتها كي جيت نطحنها جا الفروج ونقّبها، فتركها وتزوج بالثانية غير أنها لم تستطع صنع البرنوس من جزء واحدة فتركها هي الأخرى وتزوج بالثالثة التي حاولت أن تبني بيتا من جلد البوسكرة من دون جدوى فتركها هي الأخرى... وهكذا حتى تزوج بالمرأة السابعة التي حملت، فخشيت النسوة من تحقيق أمنيتهن، فبدؤوا يكيدون لها، وعند قرب موعد الولادة قامت النسوة بإحضار ستوت والتأمر معها على زوجة الملك، وفي الليلة المنتظرة وضعت المرأة طفلين، ذكر وأنثى وفي رأسيهما قرون فضة وذهب فأخفتها ستوت في فليزة واستبدلتها بفرخ غراب، وجرو كلاب، ولما خرجت إلى الملك أخبرته أن زوجته أنجبت

¹عبد الحميد بورايو، حكايات شعبية جزائرية حول المرأة، ص 84-92.

له حيوانات، فغضب الملك، وأحس بالهوان، وأمر بأن توضع مع الحيوانات مع ما أنجبته ومن ذلك اليوم عاشت هذه المرأة بين حيوانات الملك تأكل من أكلهم وتشرب من شراهم بينما ستوت أخذت الفليضة بالرضيعين ورمتها في البحر.

وفي يوم من الأيام جاء صياد عجوز ليصطاد، لكنه في ذلك اليوم لم يحالفه الحظ فلم يصطد ولا سمكة، حتى يئس وأقر في ذاته بأن تكون هذه المحاولة الأخيرة، فرمى شبكته ولما سحبها وجد فيها الفليضة، فأبى أن يفتحها حتى يعود إلى بيته وعند وصوله اجتمع مع زوجته

وفتحها، فإذا بالدار تمتلئ ضياء، ففرحا فرحا شديدا لأنهما كانا محرومين من الإنجاب فقالت الزوجة بمجرد أن رأتهما: يا سعدي ببنتي شمسة، وقال الزوج: يا سعدي بوليدي غلام الليل وترى الولدان في كنف الصياد وزوجته... راح زمان وجا زمان، وكبر الولدان وصارت البنت فتاة شابة جميلة والولد صبيا يافعا، فكانت البنت شمسة تقضي يومها مع والدتها أما غلام الليل، فكان يدرس في الجامع، وكان متفوقا على أقرانه، حتى أنه صار محط أنظار الحساد والمكارين لسرعة بداهته وقوة ذكائه.

كما أنّ زوجة معلمه بن ليهودي أحبته فقامت باطلاعه على سر زوجها المعلم وكيفية الحصول على علمه، فأرشدته إلى أن يذهب إلى معلمه أثناء طهيهِ اللحم ويخطف أول هبرة يرفعها غليان الماء، ويأكلها، ففعل ما قالت له زوجة بن ليهودي.

ولما عاد إلى البيت وجد أخته شمسة تبكي وراء البيت فسأها قائلاً: واشبيك يا شمسة؟ فقالت له: راني تعافرت أنا وما، وقالت لي: بلي رانا ماناش ولآدهم من صلبهم، وبلي رانا ولآد لبحر.

عندها قرر الولدان أن يردا لهما حسن صنيعهما ثم يغادرا بحثا عن والديهما الحقيقيين فطلب الولد أن يذهب مع أبيه الصياد إلى السوق، بعد أن يتحول إلى هيئة ثور سمين لا مثيل له لبيعه بأعلى سعر، شرط أن لا يبيع العقد الذي يربطه به بل يقيه عنده حتى يستطع العودة إليه، وفعلا باعه بثمن باهظ غير أنه وبمجرد ربط مشتريه له، اختفى وعاد إلى بيته، وهكذا في كل سوق وفي مرة من المرات تحول إلى حصان لم يرى له مثيل وذهب به والده إلى السوق شريطة أن يحتفظ باللجام لكن بن ليهودي في هذه المرة تفتن للأمر ولسر جمال هذا الحصان، وأدرك أن غلام الليل قد سرق له علمه، فقرر أن

يشترى ذلك الحصان بأي ثمن فلما طلبه من الصياد رفض أن يبيعه اللجام، فأصر بن ليهودي على أن لا يأخذ الحصان إلا واللجام معه واشتد بينهما الجدل حتى أنهما ذهبا إلى القاضي ليحكم بينهما فحكم القاضي لصالح بن ليهودي، فعاد الصياد حزينا إلى بيته، أما بن اليهودي فقد عامل الحصان معاملة سيئة وحرص على أن لا ينزع عنه اللجام أي أحد وفي يوم من الأيام ذهب بن ليهودي إلى عمله فجاء أحد أصدقاء ابنه يمتطي حصانه فطلب من ابن بن ليهودي أن يأتي بحصانه ليذهبا في جولة، فقال له: راني خائف من أبي راه وصانا ما نركبوه ما ندوروا بيه، فقال له صديقه: أليك ماهوش هنا وماهوش رايع يشوفك.

فركب الولدان وغادرا، وبينما هما يتجولان مرا بواد ليسقيا الحصانين، فاستعص على حصان ابن بن ليهودي الشرب فتنبه صديقه قائلا: لاه ما نحيتلوش اللجام هكذا راه ما يقدرش يشرب فنزع ابن بن ليهودي اللجام، وفي تلك اللحظة تحول الحصان إلى سمكة تجري في الواد، فأحس بن ليهودي بذلك وأسرع نحو الواد وتحول إلى سمكة كبيرة تريد أكل السمكة الصغيرة... واستمرت المطاردة تحت الماء. ثم تحول غلام الليل إلى طائر في السماء فتحول بن ليهودي إلى عقاب يريد الانقضاض عليه، وأخذ يلاحقه في الجو، فتحول غلام الليل إلى خاتم في أصبع أخته، وتحول العقاب إلى عجوز وقامت هذه الأخيرة بطرق الباب مدعية ضياع خاتمها، فانزعجت شمسة ورمت بالخاتم بعيدا، فتحول إلى حبات رمان متناثرة، فتحولت العجوز إلى ديك، ينقر حبات الرمان إلى أن بقيت حبة واحدة فتحولت إلى سكين ذبح الديك، وهكذا تخلص غلام الليل من ابن بن ليهودي ورد دين الصياد الذي عليه ثم غادر البيت هو وأخته وراحا يمشيان في الأرض دون أن يعرفا اتجاههما فالتقيا شيخا كبيرا يلبس الأبيض، فقال لهما: وين راكم رايجين؟، فقالا له: ماش عند حتى بلاصة أروحو ليها. فأحس الشيخ بالشفقة عليهما فأعطاهما عصا سحرية وقال لهما: وين نويتوا تباتو أرشقوها في لرض.

فأمسك الولد بالعصا وواصل المسير، ومن حسن الصدق أن التقيا بوالدهما الملك دون أن يعرف أحدهما الآخر، فسألوه أن يرشدهما إلى أرض خالية يبيتا فيها؟ فقال لهما: هذي لرض أكل ليا وين هوالكم باتوا.

وأتمَّ الطريق وعند حلول الظلام غرس غلام الليل العصا السحرية في الأرض فتحولت لقصر زجاجي يشع ضياءً، وقضيا تلك الليلة في ملكهما دون أن يعرفا بذلك.

وفي الصباح قام المؤذن ليؤذن الفجر، وبدل أن يقول الله أكبر قال: الله أَكْفَرُ، فقال للملك: استغفر ربك، وقد قال المؤذن ذلك لشدة ضياء القصر، لظنه أنَّ الشمس أشرقت من مغربها وهو دليل القيامة. وقد دهش الناس بجمال القصر وحجمه فراحوا يتهايمسون في شأنه، إلى أن وصل الخبر إلى ستوت التي أسرعَت إلى تقصي الأمر علَّها تعرف سر هذا القصر وتستحوذ عليه، وعند وصولها باب القصر دخلت فوجدت الفتاة وحدها وراحت تتأمل في كل ركن من أركانه مما زادها طمعا فيه، فأخذت العجوز تفكّر في طريقة تقضي بها على الأخوين وقالت للفتاة: لقصر نتاعكم هايل بضح ينقصوا حاجة، فقالت شمسة: واش هي هذي الحاجة؟ فقالت لها ستوت: التفاح اللّي يفوح، اللّي يرد الروح ويرجع الشايب شباب ولما عاد غلام الليل في المساء طلبت منه أن يحضر لها هذا التفاح، فقال لها، أتحوسي تقتلي خوك لكنها أصرت على طلبها، فذهب وخاطر بجياته لإرضائها وتحدي كلّ الصعاب وأحضر لها هذا التفاح. وفي الغد أتت ستوت لتستطلع الأمر فقالت لها وريلي هذا التفاح نسمع بيه وما شفتوش، فأدخلتها شمسة وأعطتها قليلا منه غير أن الأمر لم يرق لستوت لأن غلام الليل لم يمت، ثم قالت لها ستوت: بضح راهي خصكم حليب اللّبة في جلد الشبل مربوط بِشلاغم الصيد وعند عودة غلام الليل مساءً أخبرته بأن يحضر لها هذا الحليب، وإلا فلن ترضى عنه.

فانطلق أخوها باحثا عن هذا الحليب، وذهب إلى الغابة وبالقرب من مكان الأسد ذبح شاة وعند قدوم الأسد مع اللّبة وشبلهما وجدوا الشاة مذبوحة، فقاموا بأكلها وعندها قالت اللّبة: اللّي دار فينا هذا الخير يطلب حليبي في جلد وليدي نعطيهمولوا فتقدم منها غلام الليل وقال: جيت على ذاك الشي، فأعطته الشبل وقالت: أذبجو بعيد باه ما نسمعش صوتو ولا سمعتوانا كلك، فذهب وذبح الشبل بعيدا ثم سلخه وملاه بحليب اللّبة، ثم أحضرت له شعرة من شوارب الأسد فربط بها الجلد وعاد إلى أخته فرجعت ستوت وطلبت منها القليل من هذا الحليب، ثم أخبرتها قائلته: مادام جاب هذا الشيء ما

ينقصوا غير يجيب جازية لي تصوم عام وتفتّر عام فأخبرت شمسة أخوها بما قالته لها ستوت مع العلم أن جازية لم يستطع أحد أن يخرجها من قصرها.

فقام غلام الليل بصنع عربية وملاها بالحلى والجواهر الثمينة، ولما وصل إلى المكان الذي تعيش فيه، وبعد أن تحطى كل الصعوبات، وقف أمام بابها فاقتربت منه وصيفاتها لتحملن لها الجواهر فقال لهن: واش تديو، واش تخليو، تدولها ميا ولاّ ميتين هاتوها للشريطة وتشوف بعينها، خرجت جازية وجلست في العربة لانتقاء الجواهر ولكثرتها لم تشعر بأن العربة تتحرك وأن الوقت يمر، حتى وجدت نفسها في مكان لم تعهده وعند نزولها قالت له: خدعتيني ابن الناس، فقال لها: خدعوك لعرب.

وبعدها تزوجها وعاشت معه في القصر، لكن ستوت لم تستسلم فقالت للملك: لازم نعروضهم للعشا فقال لها الملك: ديرو البروشة وأنا نجيبلكم اللحم فقامت ستوت بقتل البروشة بالسهم ودعت عائلة غلام الليل، وعند جلوسهم إلى المائدة طلبت جازية ألا يأكل أحد من الطعام حتى يتذوقها القط، ولما أكل منه مات على الفور، فأعرض الجميع عن الأكل وغادروا بيت السلطان.

ولما كانت جازية تهم بالرحيل طلبت منهم أن يلبوا دعوتها للعشاء في الغد، وأن يحضروا معهم كل منهب ودب في البيت، إلا أنهم عندما جاءوا في الغد لم يحضروا معهم أم الأولاد التي تعيش مع الحيوانات، فقالت جازية: نسييتوا وحدة، فأسرعت ستوت لتنظيفها وإحضارها ولما فرغوا من العشاء طلب الملك من جازية أن تقص عليهم حكاية قائلها: خارفيينا. فقالت له: خارفينا أنت يا سيدي الملك، قال لها: خارفيينا أنت لتعلمي بالماضي والمستقبل، فأخذت تحكي: حاجيتك ما جيتك على واحد السلطان تزوج سبع نساء... وحكت له القصة كاملة وبينما هي تحكي طلبت ستوت الخروج، فرفضت جازية طلبها حتى تنتهي من حكايتها وواصلت السرد حتى أوقفها السلطان قائلاً: هادي راها تشبه لحكايتي أنا ألي صرالي هكدا فقالت جازية: صح يا سيدي السلطان هذي حكايتك وهذوا أولادك، وهذي أمهم اك نساء وستوت هوما سباب فراقكم ففرح السلطان وأقام الأعراس، وعاقب ستوت والنسوة أشد عقاب.⁽¹⁾

¹ مريم برياش، الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، دراسة ميدانية، ص 154-160.

34. حكاية الأربعون فتاة:

ذات يوم خرجت أربعون فتاة لجمع الحطب وعندما مضت الفتيات نحو البيت، وأثناء سيرهن على الطريق طابورا واحدة بعد الأخرى، صادفن إيليمو الرجل الذي يمشي على قدم واحدة، بينما نمت قدمه الأخرى من الخلف عند أسفل رقبته تماما، لذلك كان يسير بقدم واحدة متكئا على عكاز أما جسمه فقد كان مثل الصلب الذي لا يمكن خدشه أو ثنيه.

وعندما شاهدت الفتاة التي تسير في المقدمة إيليمو صرخت قائلة: لا تقترب مني! بل من الأفضل أن تلتهم الفتاة التي تسير خلفي!

عض إيليمو جميع الفتيات من أصابعهن، أما الأخيرة منهن فقد التهمها بأكملها. قبل وصولهن إلى القرية ذهبت الفتيات لتلوين أسنانهن وعندما خرجن إلى الطريق ثانية سألن أول عابر صادفهن: أخبرنا أيها العابر من منا تتمتع بأجمل الأسنان؟

نظر العابر إليهن وهتف يقول: إن أجمل الأسنان التي أراها حقا لدى فاشيشي، ومويرفانيي. واصلت الفتيات طريقهن، وطرحن نفس السؤال على رجل آخر فرد الرجل: إن أسنان فاشيشي، ومويرفانيي هي أجمل الأسنان التي أراها.

وكان نفس الرد هو الذي أجاب به العابر الثالث.

وصلت الفتيات إلى القرية وتفرقن إلى بيوتهن وسألت كل منهن والديها: من منا جميعا تتمتع بأجمل الأسنان؟

رد الآباء والأمهات في صوت واحد: إن أجمل الأسنان التي نراها بالطبع لفاشيشي، وشقيقتها مويرفانيي.

اغتاظت الفتيات وكنمن حقدهن المستعر على الأختين، وبعد مرور يومين خرجت الفتيات ثانية لجمع الحطب من الغابة وقمن بحفر حفرة كبيرة بالقرب من الشجرة المقدسة وأخذت الفتيات يقفزن في الحفرة ثم يتسلقنها ويخرجن منها واحدة بعد الأخرى، وأخيرا حل الدور على الشقيقتين فاشيشي ومويرفانيي فقامت مويرفانيي بالقفز إلى الحفرة، ثم تسلقتها وخرجت منها وكانت فاشيشي هي الأخيرة فما إن

قفزت هناك حتى أهالت الفتيات التراب فوق الحفرة وفي لمح البصر ارتفع الطين والخطب حتى كسا رأس فاشيشي وغطى الحفرة تماما فوقعت الفتاة في المصيدة، وعادت بقية الفتيات إلى بيوتهن وكأن شيئا لم يحدث وقمن بإعداد عقار سحري وشربن منه جميعا.

وكان مفعول العقار كالتالي: ما إن تحكي واحدة من الفتيات في بيتها ما جرى مع فاشيشي حتى تفارق الحياة في الحال.

في ذلك الوقت كان الشقيق الأصغر لفاشيشي يرعى ماشيته بالقرب من الشجرة المقدسة، فسمعت الفتاة أصوات ديبب الماشية فصرخت محذرة: احترس ولا تقد الماشية إلى هنا حتى لا تدفني أسفلها! أسرع الصبي إلى البيت وقال: هناك أحد ما يصرخ بالقرب من الشجرة المقدسة.

خرج شقيق فاشيشي في اليوم التالي ليرعى ماشيته ثانية في نفس المكان.

وسمع نفس الصراخ يتردد مرة أخرى فتعرف على صوت شقيقته.

عاد الصبي إلى البيت وحكى لوالده ولوالدته عما جرى: لقد سمعت صوت فاشيشي.

أسرع الوالدان ومعهما أقارب الفتاة يركضون نحو موقع الشجرة المقدسة وقاموا بالحفر وإخراج فاشيشي من حفرتها.

كانت الفتاة في حالة يرثى لها من النحول والإنهاك، وكانت ملابسها قد تمزقت وتحولت إلى أسمال بالية فحملوها إلى البيت وظلت أياما عديدة راقدة حتى تعافت.

بعد ذلك كان هذا ما فعلته فاشيشي؛ فقد أحضرت ثلاث أوان وصبت بداخلها الحليب ووضعت في الأولى حليب الحيوانات المفترسة، وفي الثانية حليب الأبقار، وفي الثالثة حليب الماعز، وفي ذلك الوقت نادى والدها على جميع الفتيات.

ووضعت فاشيشي ذيل أحد الحيوانات المفترسة في الأنية الأولى، وأخذت تنثر حليب الحيوانات المفترسة من الأنية الأولى فوق الفتيات فنامت الفتيات وفقدن الوعي في نفس اللحظة، وخرجت فاشيشي تمر على بيوت الفتيات واحد بعد الآخر وصارت تقص على الفتيات وتقول: لقد قامت بناتكم بدفني

حية في الحفرة وذلك فقط لأن أسناني أجمل من أسنانهن، فإن لم تدفعوا لي فدية ثمينة تعويضا عما جرى لي فسوف أجعلنهم يمتن جميعا ولن تشاهدوهن أحياء مرة أخرى بعد اليوم.

عندئذ جمع أهل الفتيات قطيعا من الماشية وأحضره إليها تعويضا لما حدث لها فقامت فاشيشي بنثر حليب الأبقار فوق الفتيات النائمت اللاتي استيقظن بعد ذلك.⁽¹⁾

¹عبد الرحمان عبد الرحمان الحميسي، الخرافة والحكايات الشعبية في إفريقيا، ج2، ص111-114.

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة

عنوان هذه الأطروحة يعلن عن انتمائها إلى مجموعة الأبحاث والدراسات التي وجهت عنايتها للأدب الشعبي، إيماناً منا أن الاحتفاء بهذا الأدب وإنقاذه من الشتات والضياع ودراسة مكوناته سبل مثلى لأداء واجب الاعتراف بالجميل لمبدعيه وصانتيه عبر الحقب والأجيال، وقد ركز البحث على جنس الحكاية الشعبية باعتبارها أقرب الأجناس الشعبية لحياة الإنسان الشعبي عامة، فهي ذلك الواقع الفني الذي يميّط اللثام عن جوانب مهمة من كيان الشعب، وإحدى نتائج العلاقة المتينة بين الإنسان ومحيطه، كما استقر البحث على دراسة العلاقات الاجتماعية للمرأة في المجتمع الإفريقي الشعبي على وجه التخصيص، من أجل بيان مدى إلزامية حضورها إلى جانب الرجل المقرر بدونيتها وقصورها، فظهرت المرأة الإفريقية بعاداتها وتقاليدها، وكذا تمردها على القوانين الجائرة، وكذا صورتها الحكايات الشعبية حسب مراحل حياتها؛ فكانت أمًا حنونًا، وأختًا تمثل دور الأم تارة ودور الشريرة تارة أخرى بتحريض من زوجة الأب الغيورة، وكانت زوجة وفية مطيعة، وضرة تغلب عليها صفة الكيد، وعجوزا مأكرة... فجمعت بذلك مجموعة من الصفات الحميدة والذميمة.

Summary

The title of this thesis announces its affiliation with a group of research and studies that has directed its attention to popular literature, believing that celebrating this literature and saving it from Diaspora and loss and studying its components are ideal ways to perform the duty of acknowledging the gratitude of its creators and guardians across eras and generations.

The research focused on the genre of the folk tale as the closest of the folk genres to the life of the popular man in general, as it is that artistic reality that reveals important aspects of the people's entity, and one of the results of the strong relationship between man and his surroundings.

The research also settled on studying the social relations of women in the popular African society. Specifically, in order to indicate the extent of her obligatory presence alongside the man who acknowledges her inferiority and shortcomings, so the African woman appeared in her customs and traditions, as well as her rebellion against unjust laws, as well as her portrayal of folk tales according to the stages of her life; She was an affectionate mother, and a sister who

played the role of the mother at times and the role of the evil one at other times, at the instigation of the jealous stepmother.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

Sommaire

4	كلمة شكر وتقدير
أ	مقدمة:
8	مدخل: الإطار الجغرافي والتاريخي لبيئة الحكيما الشعبي:
9	أولاً - جغرافية القارة الإفريقية وسكانها وهجراتها:
1- 9	جيوولوجية القارة الإفريقية:
2- 10	أشكال سطح الأرض:
3- 10	تضاريس القارة الإفريقية:
أ- 10	الهضاب:
ب- 11	الجبال:
ج- 12	السهول:
4- 13	مناخ القارة الإفريقية:
أ- 13	الأقاليم المناخية للقارة:
ب- 15	العوامل التي تؤثر في مناخ إفريقيا:
5- 16	جزر قارة إفريقيا:
أ- 16	جمهورية مالا جاشي (مدغشقر):
ب- 16	جزر سيشل:
ج- 17	جزيرة موريشيوس:
د- 18	جزيرة ريونيون:
هـ- 18	جزر القمر:
و- 19	جزيرة سنغافيلينا:
ز- 19	جزر الكناري:

19	 ثانيا - سكان إفريقيا:
20	 ثالثا - اللهجات في إفريقيا:
21	 1- تصنيف كبر اللغات الوطنية في إفريقيا:
21	 رابعا - تاريخ ثقافة إفريقيا:
27	 فصلا أول: الحكاية الشعبية، المصطلح، المفاهيم والخصائص
27	 أولا: مفهوم الحكاية الشعبية:
27	 1- لغة:
28	 2- اصطلاحا:
30	 ثانيا: مكانة الحكاية الشعبية:
33	 ثالثا: أنواع الحكاية الشعبية:
42	 رابعا - خصائص ومميزات الحكاية الشعبية:
44	 خامسا: الحكاية الشعبية بين وحدة التجنيس وتعدد الأنماط:
44	 1. الأبعاد النفسية للحكاية الشعبية
46	 2. الأبعاد الاجتماعية للحكاية الشعبية
47	 3. الأبعاد التاريخية للحكاية الشعبية
48	 سادسا: التشكيل الفني للحكاية الشعبية
48	 1. الحكاية الشعبية في دائرة الاتصال
48	 أ- الراوي (السارد - الحاكي)
55	 سابعا: محاور الحكاية الشعبية:
55	 (1) محورا الإنسان
56	 (2) محورا الزمن في الحكاية الشعبية
57	 أ- الزمن الداخلي

57	ب- الزمن الخارجي
59	(3) محور المكان في الحكاية الشعبية
59	أ- الفضاء الجغرافي (L'espace géographique)
60	ب- الفضاء النصي L'espace Textuel
60	ثامنا: بناء الحكاية الشعبية
60	1- نمط البناء
61	أ- عناصر البناء
66	فصل ثاني: المرأة في المجتمع الإفريقي
66	تقديم:
67	1- مكانة المرأة في الحضارات القديمة:
69	أ- المرأة في العصر الحجري القديم:
69	ب- المرأة في العصر الحجري الحديث:
70	ج- المرأة عند الإغريق (اليونان):
71	د- المرأة في العصر النحاسي:
72	هـ- المرأة في مدينة عصر البرونز (في مصر):
73	و- المرأة في الحضارة الرومانية:
74	ثانيا: المرأة في الشرائع السماوية
74	1- عند اليهود
76	2- المرأة في الجاهلية:
78	3- المرأة عند المسيحية:
80	4- المرأة في الإسلام:
85	ثالثا: صورة المرأة في الموروث الشعبي الإفريقي:
86	1. المرأة في الشعر الشعبي:

فهرس الموضوعات

2.	المرأة في الـأمثال الشعبية:	95
3.	المرأة في الـأغنية الشعبية:	98
4.	المرأة في الـنكتة الشعبية:	101
	فصل ثالث: المكانة والعلاقات الاجتماعية للمرأة الإفريقية	106
	أولاً- دور المرأة الاجتماعية والثقافية في المجتمع الإفريقي:	106
1-	المرأة الإفريقية قبل الزواج:	107
2-	المرأة الإفريقية في مؤسسة الزواج:	109
3-	المرأة الإفريقية بعد فشل تجربة الزواج (المطلقة والأرملة):	110
4-	المظاهر الاجتماعية للمرأة في المجتمع الإفريقي	113
أ-	قبيلة الدينكا	113
-	قبائل إثيوبيا	115
-	موريتانيا	115
-	ناميبيا	115
-	المورو	116
-	اليوروبا	116
-	النيجر	117
	خامساً: المظاهر الثقافية للمرأة في المجتمع الإفريقي:	117
1-	التجميل واللباس:	117
2-	الرقص والموسيقى:	119
	سادساً: مكانة المرأة في المجتمع الإفريقي:	121
1-	المرأة المثقفة	126
2-	المرأة المستضعفة والمهمشة	128
2-	المرأة المتحررة والمتمردة	132

137	فصلرابع: تجلياتصورة المرأة الإفريقية فيالحكاية الشعبية
137	أولا- الأدبالإفريقي:
138	ثانيا- جمعالأدبالإفريقيالشفهي:
138	ثالثا: علاقة المرأة بالحكاية الشعبية:
139	1- المستونالخارجي (المرأة الراوية):
140	2- المستونالداخلي (المرأة كشخصية فيالحكاية):
141	رابعا- الجمالوالقبحفيالحكاياتالشعبية الإفريقية:
145	خامسا: صورة المرأة فيالحكاياتالشعبية الإفريقية:
146	1- صورة الأم:
150	2- البنت:
152	3- الفتاة:
155	4- الأخت:
158	5- الحبيبة:
160	6- الزوجة:
162	7- زوجة الأب:
164	8- الضرة:
166	9- الحماة والكنة:
167	10- المعجوز:
169	11- الصديقة:
170	12- المرأة الساحرة:
175	سادسا: المرأة فيالأساطيرمنخلالالحكاياتالشعبية الإفريقية
175	1- مفهوما لأسطورة:

178	 الميثولوجية:	2-
182	 المرأة في الأساطير من خلال الحكايات الشعبية الإفريقية:	3-
193	 خاتمة:	
197	 قائمة المصادر والمراجع	
214	 ملاحق:	
317	 ملخص الدراسة	
320	 فهرس الموضوعات	